



جو نيسبو

JO NESBO

المؤلف الروائي الذي فاقت مبيعات كتبه عشرات ملايين
النسخ في مختلف أنحاء ولغات العالم

الألماس الدموي

رواية

ketab4pdf.blogspot.com

منحت هذه الرواية جائزة الأكاديمية الفنلندية لكتاب رواية
الجريمة لعام 2007 مع ثناء خاص للتميز في فئة الكاتب الأجنبي.



الألماس الدموي

The Devil's Star

جو نيسبو
JO NESBØ

ترجمة
مروان سعد الدين

ketab4pdf.blogspot.com



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

2-0564-02-614-978 ISBN

يتضمن هذا الكتاب ترجمة النص الإنكليزي لرواية

Star s ' Devil The

عن الأصل النرويجي: Marekors الصادر عن دار: .H Aschehoug &

i .Co

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون،

ش.م.ل.

of support financial with published been has Translation This

i .NORLA

Marekors as Norway in Published Originally

2003 Nesbø Jo by © Copyright

i Norway ,Co & Aschehoug .H with agreement by Published

reserved rights All

.Inc ,Publishers Scientific Arab by 2013 © Copyright Arabic

S.A.L

الطبعة الأولى

1434 هـ - 2013 م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

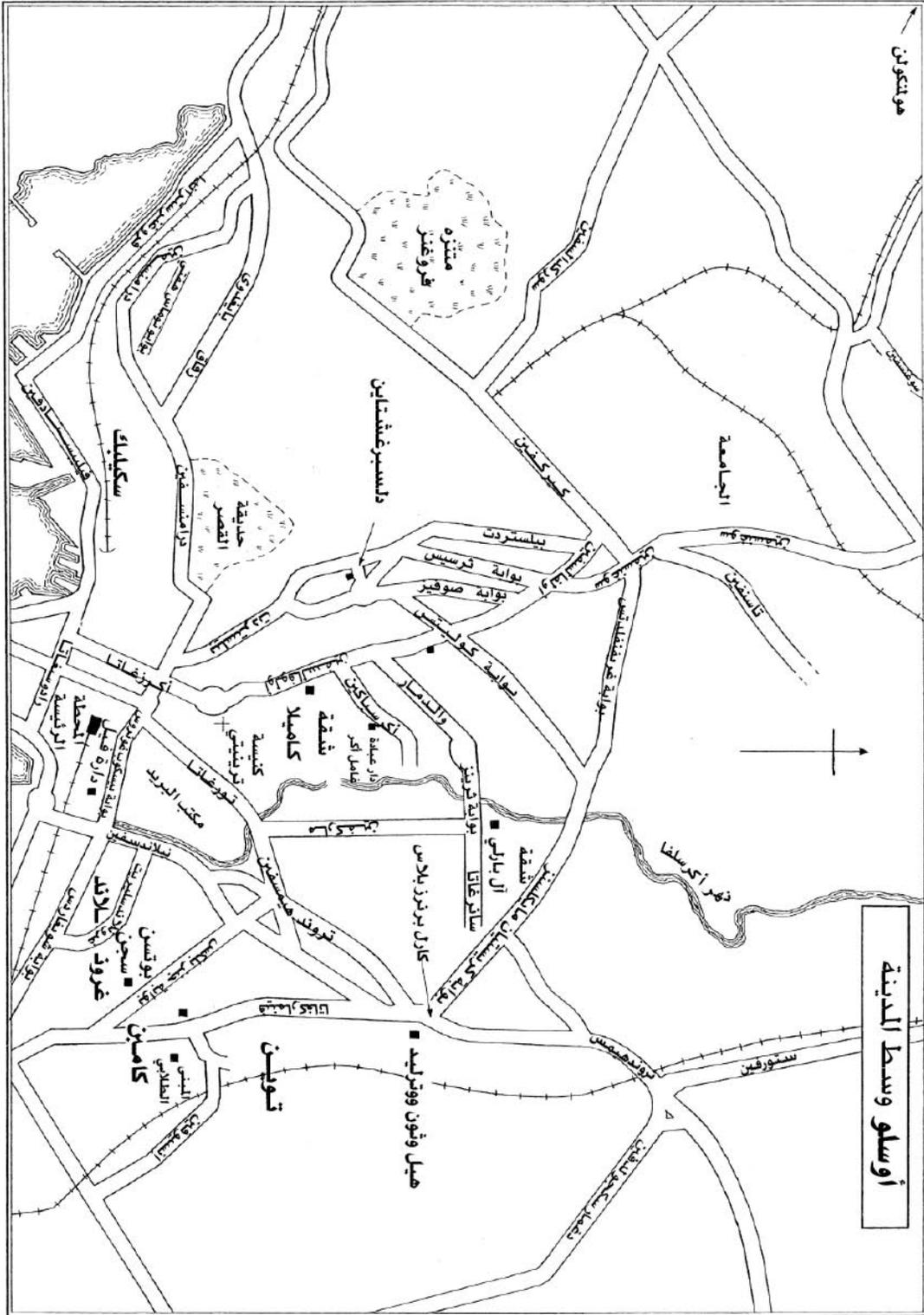


الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

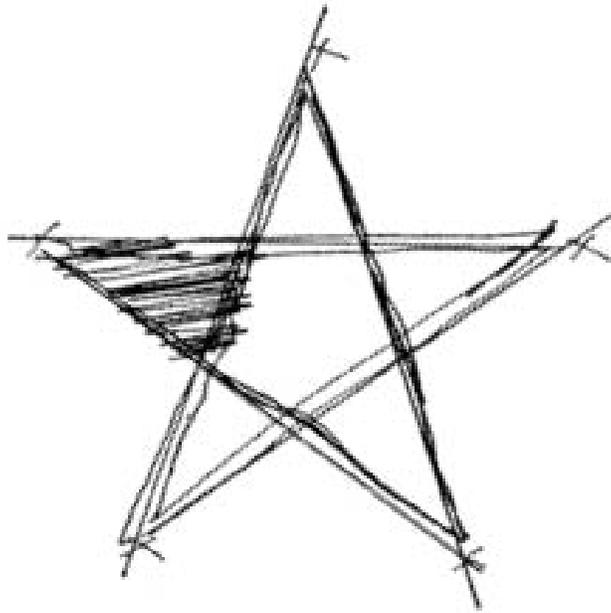
عين التينة ، شارع المفتي توفيق خالد ، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 00961 1 785107
ص.ب : 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان
فاكس: 00961 1 786230 - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb
يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية
أو الكترونية
أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو
أقراص مقروءة
أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من
دون إذن خطي من الناشر.





القسم الأول



ketab4pdf.blogspot.com

الفصل الأول:

الجمعة. بيض

بُني المنزل عام 1898 على قاعدة ترابية. ومنذ ذلك الوقت، غارت تلك القاعدة قليلاً من الجهة الغربية، ما جعل الماء يتجاوز العتبة الخشبية حيث ثُبَّت الباب. سال الماء على أرضية غرفة النوم، وترك شريطاً رطباً يتحرك غرباً فوق ألواح السنديان، وتوقف الجريان عند حفرة صغيرة، قبل أن تدفعه كمية كبيرة من المياه من الخلف فينطلق مسرعاً مثل جرد خائف نحو الحائط. هناك ذهب الماء في كلا الاتجاهين، وبحث عن مخرج، وتسلل بطريقة ما تحت الحائط حتى عثر على فجوة بين نهاية الأرضية الخشبية والجدار؛ حيث توجد قطعة نقدية من فئة خمسة كرونات تحمل صورة جانبية لرأس الملك أولاف وتاريخ الصك: 1987، قبل سنة من وقوعها من جيب النجار. لكن تلك الفترة كانت فترة ازدهار، وبرزت فيها حاجة إلى بناء مؤلف من شقق كثيرة بسرعة كبيرة.

لم يستغرق الماء وقتاً طويلاً ليجد طريقاً له عبر الأرضية تحت الخشب، وباستثناء التسرب عام 1968 - في السنة نفسها التي بُني فيها سقف جديد فوق المنزل - كانت ألواح الأرضية الخشبية قد استقرت هناك على حالها، تجف وتنكمش وفقاً لعوامل البيئة؛ حتى أصبح الشق بين أعمق لوحين من خشب الصنوبر نحو نصف سنتيمتر آنذاك. تساقطت قطرات الماء نحو العارضة تحت الشق، وتابعت طريقها غرباً إلى الجدار الخارجي، وتسَلَّت من هناك إلى الجص والملاط اللذين مزجهما معاً قبل مئة سنة، في منتصف الصيف أيضاً، جاكوب أندرسن؛ بناءً ماهر وأب لخمسة أولاد. مزج أندرسن - مثل كل البنائين في أوصلو في ذلك الوقت - الملاط والجص، ولم يكن لديه مزيجه الفريد من الكلس والرمل والماء فقط، وإنما مكُوناته الخاصة أيضاً: شعر ذيل فرس ودم. كان جاكوب أندرسن من أصحاب الرأي القائل إن الشعر والدم يثبَّتان الجص بقوة ويمنحانه قوة إضافية. لم تكن تلك فكرته، كما أخبر زملاءه الذين هزّوا رؤوسهم في ذلك الوقت، لكن والده وجدّه الإسكتلنديين استخدمتا المكوّنات نفسها سابقاً. وعلى الرغم من أنه قد تبرأ من لقبه الإسكتلندي واتخذ لنفسه اسماً متداولاً، إلا أنه لم يرَ سبباً ليدير ظهره لستمئة سنة من الإرث. اعتبر بعض البنائين ذلك غير أخلاقي، وظنَّ بعضهم أنه غريب الأطوار، لكن معظمهم ضحك عليه فحسب، وربما كان أحد أفراد الفئة الأخيرة من نشر القصة التي ترسّخت في بلدة كريستانيا المزدهرة.

كان سائق حافلة من غرونلوكا قد تزوج قريبته من فارملاند وانتقلا معاً إلى شقة مكونة من غرفة واحدة إضافة إلى مطبخ في أحد المباني السكنية في سيلدوكسغاتا؛ الذي ساعد أندرسن في بنائه. لم يكن أول أطفال الزوجين محظوظاً كفاية، ووُلد بشعر داكن مجعد وعينين بنيتين. ولأنّ الوالدين كانا أشقرين، ولأنّ عيني كل منهما كانتا زرقاوين - والرجل غيور بطبعه أيضاً - أوثق الزوج في وقت متأخر من إحدى الليالي يدي زوجته خلفها، وقادها نزولاً إلى القبو، ثم أغلق الباب عليها بالآجر. كتمت الجدران السميكة صرخاتها بفاعلية؛ حيث وقفت مقيدة اليدين ومحصورة الحركة بين سطحين آجريين. ربما ظنّ الزوج أنها ستختنق من نقص الأوكسجين، لكن البنائين كانوا يتركون فتحات صغيرة للتهوئة. في النهاية، هاجمت المرأة المسكينة الجدار بأسنانها، وربما كان ذلك سيؤدي نفعاً؛ لأنه نتج عن استخدام البناء الإسكتلندي الدمّ والشعر - ظناً منه أنه يستطيع توفير كميات من الكلس المكلف في مزيج الإسمنت - جداراً مسامي تفتّت من هجمات أسنان فارملاند القوية. على كل حال، جعلها تعطّشها إلى الحياة تتناول كميات مفرطة من الملاط والآجر. وأخيراً، لم يعد بمقدورها أن تمضغ أو تبلع أو تبصق، وسدّ الرمل والحصى والطين رغامتها، وأصبح وجهها أزرق، وتباطأت خفقات قلبها ثم انقطعت أنفاسها، وأصبحت ما سيدعوه معظم الناس ميتة.

على كل حال، وفقاً للأسطورة، كان لطعم الدم تأثيرٌ جعل المرأة سيئة الطالع تظن أنها لا تزال حية. وبالاستفادة من ذلك تحرّرت فوراً من الحبال التي كانت تقيدها، ومرّت عبر الجدار، وبدأت تمشي مجدداً. لا يزال بعض العجائز من غرونلوكا يتذكرون القصة من طفولتهم، عن المرأة التي تسير حاملة سكيناً لتبتر رؤوس الأولاد الصغار الذين يخرجون من منازلهم في وقت متأخر من الليل، فقد كان عليها أن تتذوق طعم الدم في فمها حتى لا تتلاشى في الهواء. في ذلك الوقت، لم يكن الكثير من الناس يعرفون اسم البناء، وعمل أندرسن من دون ككل لصنع مزيجه الخاص من الملاط، وبعد ثلاث سنوات، في أثناء عمله على المبنى الذي يتسرب الماء منه، سقط عن السقالة - لم يترك إلا مئتي كرون وغيتاراً - وانقضت مئة سنة أخرى قبل أن يبدأ البنّاؤون باستخدام ألياف اصطناعية تشبه الشعر في مزيج الإسمنت، وقبل أن يكتشف تقنيون في أحد مختبرات ميلان أن جدران أريحا قد قوّيت بالدم ووبر الجمال.

لم يسلم معظم الماء، على كل حال، عبر الجدار، وإنما أسفله. في

البداية، امتصته المادة العازلة المتكتلة الحبيبية الموجودة بين العوارض، لكن المزيد منه تدفق، وسرعان ما تشبعت المادة العازلة بالماء الذي نفذ من خلالها، وجعل صحيفة مؤرخة 11 تموز 1898 مشبعة بالماء؛ صحيفة تقول إن وقت ازدهار صناعة البناء قد وصل على الأرجح إلى ذروته، وإن المضارين بالعقارات عديمي الضمير واثقون أن أياماً صعبة تنتظرهم، وعلى الصفحة الثالثة خبر يقول إن الشرطة لا تملك حتى ذلك الوقت أدلة تتعلق بمقتل ممرضة شابة وُجِدَت ميتة نتيجة طعنات تعرّضت لها في الحمام في الأسبوع السابق. ففي أيار، عُثِرَ على فتاة سُوهت وقُتلت بطريقة مشابهة قرب نهر أكرسلفا، لكن الشرطة لم تقل إن كانت القضيتان متصلتين ببعضهما.

جرى الماء فوق الصحيفة، وبين الألواح الخشبية وتحتها، وعلى طول الجانب الداخلي من السقف المطلي للغرفة في الأسفل. ونظراً إلى الضرر الذي حصل في أثناء إصلاح التسرب عام 1968، نَزَّ الماء عبر الثقوب، وكوّن قطرات علقت في السقف حتى أصبحت ثقيلة كفاية لتتغلب الجاذبية على متانة السطح، فانفصلت عنه وسقطت ثلاثة أمتار وثمانية سنتيمترات، واستقرّ الماء هناك وأنهى مساره مشكلاً بركة.

مجّت فيبكي كنوستن بقوة من لفافة تبغها، ونفخت الدخان إلى خارج النافذة المفتوحة في الطابق الرابع من المبنى السكني الذي تقيم فيه. كان الأصيل دافئاً والهواء يرتفع حاراً من الإسفلت الذي تسفحه الشمس في الساحة الخلفية، ويحمل الدخان فوق واجهة المبنى الزرقاء الفاتحة حتى يتبدد. على الطرف الآخر من السطح، يستطيع المرء سماع صوت سيارة في أولفالسفين المزدهمة عادة، لكن الجميع في عطلة الآن، والبلدة مهجورة تقريباً. استلقت ذبابة على ظهرها على عتبة النافذة وقوائمها الست مرفوعة في الهواء. كان الجو أبرد في الطرف الآخر من الشقة التي تواجه أولفالسفين، لكن فيبكي لم تكن تحب المنظر من هناك؛ حيث توجد المقبرة التي يحتشد فيها المشاهير: مشاهير موتى. يوجد في الطابق الأرضي متجر يبيع نُصباً تذكارية، كما تقول اللافتة، وبعبارة أخرى شواهد قبور. ذلك ما قد يدعوه المرء البقاء قريباً من السوق.

أسندت فيبكي جبينها إلى زجاج النافذة البارد.

شعرت بالسعادة حين حلّ الطقس الدافئ، لكن فرحتها سرعان ما تلاشت. حتى الآن كانت تحنُّ إلى ليالٍ أبرد، ووجود أشخاص في الشوارع. استقبلت اليوم خمسة زبائن في المعرض قبل الغداء وثلاثة بعده، وقد

دخنت علبة ونصف العلبة من لفائف التبغ بدافع الملل الكبير. كان قلبها يخفق بقوة وحنجرتها تؤلمها، وتكلمت في الواقع بصعوبة حين اتصل المدير هاتفياً وسأل عن كيفية سير الأمور. على نحو مشابه، بعد أن وصلت إلى المنزل ووضعت البطاطا في وعاء، شعرت برغبة ملحة في قعر معدتها مجدداً.

كانت فيبيكي قد أقلعت عن التدخين حين التقت أندرس قبل عامين. لم يطلب منها ذلك، بل على العكس، فعندما التقيا في غران كاناريا كان قد طلب منها لفافة تبغ. وعلى سبيل المزاح فقط، عندما انتقلا للعيش معاً بعد شهر واحد فقط من العودة إلى أوسلو، كان أحد أول الأشياء التي قالها هو إن علاقتهما ستتحمل على الأرجح بعض التدخين السلبي، وإن الباحثين في مجال السرطان يبالغون من دون شك، وإنه ربما سيعتاد بمرور الوقت على رائحة لفائف التبغ التي علقت بملابسهما. اتخذت قرارها في صباح اليوم التالي، وعندما ذكر وهما يتناولان الغداء بعد بضعة أيام أنه مرّ وقت طويل منذ أن رآها تحمل لفافة تبغ في يدها، أجابت أنها لم تكن قط مدخنة حقيقية. ابتسم أندرس، ومال فوق الطاولة وداعب وجنتها. "هل تعرفين أمراً يا فيبيكي؟ هذا ما ظننته دائماً".

سمعت بقبقة صادرة من الوعاء خلفها، فنظرت إلى لفافة تبغها. ثلاث مجّات أخرى؛ دخنت الأولى، لكن لم يكن لها طعم.

بالكاد تذكرت الوقت الذي دخنت فيه مجدداً. ربما حدث ذلك في السنة الماضية، حين بدأت تمكث بعيداً عن المنزل فترات طويلة في رحلات عمل، أم كان ذلك عشية رأس السنة حين بدأت تعمل وقتاً إضافياً كل مساء تقريباً؟ هل حدث ذلك لأنها لم تكن سعيدة؟ هل هي تعيسة؟ لم يتشاجرا قط، ولم يقيما علاقة منذ وقت طويل، لكن سبب ذلك أن أندرس يعمل بجدّ كبير، كما قال، ممّا وضع حدّاً لأي نقاش. لم تكن تفتقد ذلك على نحو خاص، وعندما حاولا - مرة منذ وقت طويل - بفتور أن يقيما علاقة بدا وكأنه لم يكن موجوداً هناك حقاً، وأدركت أنه لا ينبغي لها أن تكون متحمّسة أيضاً.

لكنهما لم يتشاجرا حقاً، فأندرس لا يحب الأصوات المرتفعة.

نظرت فيبيكي إلى الساعة، إنها 5:15. ماذا حدث له؟ فهو يخبرها عادة

أنه سيتأخر. أطفأت لفافة التبغ، وألقت بها إلى الساحة الخلفية، ثم استدارت نحو الفرن لتتفقد البطاطا، غرزت شوكة في أكبر الحبات، وأدركت أنها نضجت تقريباً. ظهرت كتل سوداء فوق سطح الماء المغلي ثم اختفت

تحتة. غريب، هل كانت من البطاطا أم من الوعاء؟
كانت تحاول أن تتذكر متى استخدمت الوعاء آخر مرة حين سمعت
الباب الأمامي يُفتح، وسمعت شخصاً يلهث طالباً الهواء، ونعلين يُرگلان
بعيداً. ثم دخل أندرس المطبخ وفتح الثلاجة.
سأل: "حسناً؟".

"أقراص لحم مقلية".

"إذا؟". ارتفعت نبرة صوته في النهاية بطريقة استفهامية، وعرفت تقريباً
ما يعنيه ذلك. لحم مجدداً! ألا ينبغي أن نأكل أسماكاً أكثر قليلاً؟
قال بنبرة خافتة، وهو ينحني فوق الوعاء: "لا بأس".
"ماذا كنت تفعل؟ أنت تتصبب عرقاً".

"لم أنفد أي تمرين هذا المساء، لذا قدت دراجتي الهوائية إلى
سوغنسفان وعدت مجدداً. ما هذه الكتل في الماء؟".
قالت فيبيكي: "لا أعرف، لقد لاحظتها للتو".

"ألا تعرفين؟ ألم تعلمي كطاهية نوعاً ما في ما مضى؟".
بحركة ماهرة واحدة أمسك إحدى الكتل بين سبابته وإبهامه ووضعها
في فمه. حدقت إلى قفا رأسه؛ إلى شعره البني الرقيق الذي ظنت مرة أنه
جذاب جداً، المصنف جيداً وبالطول المناسب تماماً، والذي يفرقه جانبياً. كان
قد بدا ذكياً جداً، مثل رجل لديه مستقبل؛ مستقبل يكفي اثنين.
سألت: "ما طعمها؟".

قال وهو لا يزال منحنياً فوق الفرن: "لا شيء، بيض".
"بيض؟! لكنني غسلت الوعاء...".
صمتت فجأة.

استدار إليها. "ما الأمر؟".

أشارت إلى رأسه: "هناك... قطرة".

عبس ومسّ قفا رأسه، ثم مالا بحركة واحدة إلى الخلف ونظرا إلى
السقف. شاهدا قطرتين تتدليان من السقف الأبيض. لم تكن فيبيكي، التي
تعاني حسر بصر، لترى القطرتين لو أنهما شفافتان، لكنهما لم تكونا كذلك.
قال أندرس: "يبدو أن الماء يتسرب من شقة كامبلا. يجب أن تصعدي
إلى الأعلى وترئي جرس الباب، وسأجلب أنا المشرف على البناء".

حدقت فيبيكي إلى الأعلى نحو السقف، ثم إلى الكتل في الوعاء.
همست وهي تشعر بأن قلبها يخفق بقوة مجدداً: "يا الله!".

سأل أندرس: "ما الأمر الآن؟".

"اذهب واجلب المشرف، ثم اذهب معه ورن جرس باب كامبلا،
وسأصل أنا بالشرطة".

ketab4pdf.blogspot.com

الفصل الثاني

الجمعة. إجازات الموظفين

يقع مقر شرطة أوسلو في غرونلاند على قمة التلة بين غرونلاند وتوين، ويطل على الجزء الشرقي من مركز المدينة، وقد بُني من الزجاج وال فولاذ، وانتهى تشييده عام 1978. لا توجد فيه سطوح مائلة، ويظهر متناسقاً تماماً، وقد حظي المهندسون المعماريون تلجي وتورب وآسن بجائزة بسبب تشييدهم إيّاه، وتلقى الكهربائي الذي ركب الكوابل في جناحي المكاتب الطويلين في الطابقين السابع والتاسع إعانة اجتماعية وتقريباً عنيفاً من والده حين سقط عن السقالة وكسر ظهره.

"نحن بنّاؤون منذ سبعة أجيال، ونوازن أنفسنا بين السماء والأرض قبل أن تسحبنا الجاذبية إلى الأسفل. حاول جدّي أن يهرب من هذه اللعنة، لكنها لحقت به عبر بحر الشمال. أقسمت في اليوم الذي وُلدت فيه أنك لن تعاني المصير نفسه، وظننت أنني قد نجحت. كهربائي... ما الذي يفعله كهربائي على ارتفاع ستة أمتار عن الأرض!".

انطلقت الإشارة في غرفة التحكم الرئيسة عبر النحاس، في الكوابل نفسها التي كان الابن قد مدّها، ووصلت إلى مكتب رئيس شعبة مكافحة الجريمة المفتش بيارني مولر في الطابق السادس. في تلك اللحظة، كان مولر جالساً وهو يتساءل إن كان ينبغي له أن يتطلع قدماً إلى إجازته الأسرية المرتقبة في كوخ جبلي في أوز خارج بيرغن، أم أن يخشى منها؟ لم يكن بيارني مولر يعترض على الابتعاد عن موجة الحر المتوقعة في أوسلو إلى مكان تهطل فيه زخّات من المطر، لكن إبقاء شابين ينبضان بالحيوية مشغولين من دون موارد باستثناء رزمة أوراق لعب تفتقر إلى "شاب الكوبة"، سيمثّل تحدياً.

مدّ بيارني مولر ساقيه الطويلتين، وحكّ خلف أذنه فيما كان يُصغي إلى الرسالة.

سأل: "كيف اكتشفوها؟".

أجاب الصوت من غرفة التحكم: "هناك تسرب مياه إلى الشقة في الأسفل. رنّ مشرف البناء والرجل المقيم في الطابق السفلي الجرس لكن أحداً لم يُجب. لم يكن الباب موصداً، لذا دخلا المكان".
"لا بأس، سأرسل اثنين من رجالنا إلى هناك".

وضع مولر السماعة مكانها، ثم تنهّد ومرر إصبعه على جدول الخدمة البلاستيكي الموجود على طاولته. كان نصف العاملين في القسم في إجازة،

وهذه هي الحال في هذا الوقت من كل السنة، لكن هذا لا يعني أن سكان أوصلو معرضون إلى أي خطر؛ لأن الأشرار في البلدة يستمتعون على ما يبدو بإجازة قصيرة في تموز. كانت هذه الفترة بالتأكيد فترة ركود في ما يتعلق بخرق القوانين التي يقع عبء تطبيقها على عاتق شعبة مكافحة الجريمة.

توقفت إصبع مولر على اسم بتي لون، واتصل برقم كرميتكنيسك؛ قسم الطب الشرعي في كيولبرغاتا، لكن أحداً لم يُجب. انتظر حتى يتم تحويل مكالمته إلى المقسم الرئيس.

قال صوت مرح: "بتي لون في المختبر".

"أنا مولر من شعبة مكافحة الجريمة، هل يمكنك الاتصال بها؟".

انتظر. كان كارل ويبر - رئيس كرميتكنيسك المتقاعد مؤخراً - من وظّف بتي لون من شعبة مكافحة الجريمة، وعدّ مولر ذلك إثباتاً آخر على النظرية الجديدة القائلة إن حافز الإنسان الوحيد هو الإبقاء على استمرارية مورثاته، وبدا واضحاً أن ويبر يظن أن بتي لون تشترك في بعض المورثات معه. من النظرة الأولى، سيبدو كارل ويبر وبتي لون على الأرجح مختلفين تماماً، فويبر نكد وسريع الغضب، في حين أن لون صغيرة القُدّ وهادئة وتتورّد خجلاً - حتى بعد تخرّجها من كلية الشرطة - في كل مرة يتحدث فيها أحد إليها. لكن مورثاتهما العلمية والعملية كانت متماثلة، فهما من النوع المتحمس الذي يمتلك القدرة - عندما يشم رائحة فريسته - على إقصاء كل شيء آخر والتركيز ببساطة على دليل شرعي، أو بيّنة ظرفية، أو تسجيل فيديو، أو وصف مبهم، حتى يبدو الأمر منطقيّاً نوعاً ما في نهاية المطاف. قالت ألسنة حقودة إن ويبر ولون ينتميان إلى المختبر لا إلى المجتمع، حيث لا تزال معرفة المحقق عن السلوك الإنساني أهم من أثر قدم أو خيط من سترة.

سيوافق ويبر ولون على ما يقال عن المختبر، ولكن ليس عمّا يُقال عن آثار الأقدام أو الخيوط.

"لون تتكلم".

"مرحباً بتي، أنا بيارني مولر. هل أزعجك؟".

"طبعاً، ما الأمر؟".

شرح مولر بإيجاز، وزوّدها بالعنوان.

قال: "سأرسل اثنين من رجالي إليك".

"من؟".

"يجب أن ألقى نظرة لأرى من الموجود منهم. إنها عطلّة الصيف كما تعرفين".

وضع مولر السماعة جانباً، ومرّر إصبعه على اللائحة إلى الأسفل، وتوقف عند توم والر.

كانت خانة مواعيد الإجازات خالية، ولم يفاجئ ذلك بيارني مولر الذي تساءل أحياناً إن كان المفتش توم والر قد حصل على يوم عطلة على الإطلاق أو حتى على وقت للنوم. وبوصفه محققاً، كان أحد شخصين بارزين في القسم. فهو موجود دائماً، ومستعد أبداً، وناجح دائماً تقريباً. ومقارنة بالمحقق الآخر من الطراز الأول، يعتبر توم والر شخصاً موثقاً، ويتمتع بسجل لا تشوبه شائبة، ويحترمه الجميع. باختصار إنه مرؤوس مثالي. ونظراً إلى مهارات توم القيادية التي لا تقبل الجدل، بدا ممكناً أن يتولى منصب كبير المفتشين حين يحين الوقت المناسب.

ردّ صوت جهوري: "والر يتكلم".

"مولر. نحن -".

"لحظة فقط يا بيارني، لدي مكالمة أخرى".

نقر بيارني مولر بأصابعه على الطاولة في أثناء انتظاره. يمكن أن يصبح توم والر أصغر كبير مفتشين في شعبة مكافحة الجريمة. هل كان عمره ما يجعل بيارني مولر يشعر أحياناً بالقلق نوعاً ما من فكرة أنه سيسلم مسؤولياته إلى توم؟ أو ربما كانت حادثتا إطلاق النار هما السبب. فقد كان المفتش قد شهر سلاحه مرتين في أثناء اعتقال مشتبه فيهما، وبوصفه أحد أفضل الرماة في سلك الشرطة، فقد أصاب الهدف في كلتا المرتين إصابة قاتلة. المفارقة أن مولر كان يعرف أيضاً أن إحدى الحادثتين يمكن أن تدفع قدماً فكرة تعيين والر كرئيس جديد في نهاية المطاف. لم تكن SEFO - سلطة تحقيق الشرطة المستقلة - قد كشفت أي شيء يشير إلى أن توم لم يطلق النار دفاعاً عن النفس. وفي الواقع، لقد استنتجت أنه أظهر في كلتا الحالتين حكماً جيداً، ورد فعل سريعاً في موقف متأزم؛ أي صفات أفضل من هذه يمكن أن يتمتع بها مرشح لمنصب كبير المفتشين؟

"آسف يا بيارني، كانت مكالمة عبر الخلوي. كيف يمكنني مساعدتك؟".

"لدينا عمل".

"أخيراً".

انتهت المحادثة بعد عشر ثوانٍ، وكل ما يحتاج إليه الآن شخص آخر. كان مولر قد فكر في هالفورسن، لكنه يقضي وفقاً للائحة إجازته في

منزله في ستينكير، وتابعت إصبعه النزول نحو الأسفل: إجازة، إجازة، إجازة مرضية. تنهّد كبير المفتشين حين توقفت إصبعه على الاسم الذي كان يأمل أن يتفاداه؛ هاري هول.

الذئب المنعزل، الثمل، الرجل البغيض في القسم، وأفضل محقق في الطابق السادس إلى جانب توم والر. لكن، لولا ذلك وحقيقة أن بيارني مولر قد طوّر بمزاجه السنين نوعاً من الولوج السيئ جعله يضع نفسه في مواقف صعبة من أجل الشرطي الذي يعاني مشكلة جدية في احتساء الشراب، لكان هاري هول خارج الخدمة منذ أعوام. عادة، كان هاري أول شخص سيتصل به ويكلفه بالمهمة، لكن الأمور لم تكن عادية حالياً. أو لقول ذلك بطريقة مختلفة: كانت استثنائية أكثر من المعتاد.

كان كل شيء قد وصل إلى الذروة قبل شهر، بعد أن أمضى هول الشتاء وهو يعمل على قضية قديمة؛ قضية قتل زميلته القديمة إيلين غيلتن التي لقيت حتفها قرب نهر أكرسلفا، وفقدت في أثناء ذلك الوقت أي اهتمام بأي قضايا أخرى. كانت قضية إيلين غيلتن قد انتهت قبل وقت طويل، لكن هاري أصبح أكثر هوساً بها، وبدأ مولر بصراحة كبيرة يقلق على حالته العقلية. حدثت الأزمة حين ظهر هاري في مكتبه قبل أربعة أسابيع وقدم نظريات عن مؤامرة تقشعر لها الأبدان. أساساً، ومن دون أي دليل، وجّه اتهامات وهمية إلى توم والر.

بعد ذلك اختفى هاري ببساطة. وبعد عدة أيام، اتصل مولر بمقهى شرودر وعرف ما كان يخشاه: فقد هاري وعيه نتيجة الثمالة مجدداً. للتغطية على غيابه، سجّل مولر أن هاري في إجازة. مرة أخرى، ظهر هاري مجدداً لمدة قصيرة بعد أسبوع، لكن أربعة أسابيع قد انقضت منذ ذلك الحين، وإجازاته قد انتهت.

نظر مولر إلى السمّاعة، ثم نهض وتوجّه إلى النافذة. كانت الساعة 5:30 وموقف السيارات أمام مخفر الشرطة مهجور تقريباً، ولا يوجد إلا شخص غريب يتحدّى الحرارة. في غرونلاند سليرت، شاهد عدة مالكي متاجر يجلسون تحت ظلّة، وكانت السيارات - رغم عدم وجود ازدحام - تتحرك ببطء شديد. دفع مولر شعره إلى الخلف بيديه، وهي عادة رافقته طوال عمره، ولطالما قالت له زوجته إنه يجب أن يكف عنها لأن الناس ربما سيظنون أنه يحاول أن يغطّي رقعة الصلع على رأسه. ألم يكن هناك حقاً شخص آخر غير هاري؟ راقب مولر رجلاً ثملاً يترنّح في غرونلاند سليرت، وخبّن أنه يتجه إلى رافن، لكنه لن يحصل على شراب هناك، وقد ينتهي

به الأمر في بوكسر؛ المكان الذي انتهت فيه قضية إيلين غيلتن على نحو حاسم، وربما مهنة هاري هول في سلك الشرطة أيضاً. كان مولر يتعرض للضغط، وسيتوجب عليه أن يقرّر سريعاً ما ينبغي له فعله بشأن مشكلة هاري، لكن ذلك سيستغرق بعض الوقت، وما يهم الآن هو القضية. رفع مولر السماعة وفكّر لحظة في ما سيفعله: سيكلّف هاري هول وتوم والر بالقضية نفسها. كانت الإجازات تسبب إزعاجاً كبيراً. بدأت النبضة الكهربائية رحلتها من صرح تلجي وتورب وآسن إلى مبنى سكني منظم، وبدأ الهاتف يرنّ في مكان تسوده الفوضى؛ في شقة في بوابة صوفيز.

ketab4pdf.blogspot.com

الفصل الثالث:

الجمعة. الإيقاظ

صرخت مجدداً وفتح هاري هول عينيه.
ومضت الشمس عبر الستائر التي تتحرك ببطء، في حين تلاشى صوت
صرير الترام الذي يتباطأ في بيلستردت. حاول هاري أن يتعرّف محيطه،
فوجد نفسه مستلقياً على أرضية غرفة جلوسه، مرتدياً ثيابه، ولكن ليست
كسوته كاملة. إنه في أرض الأحياء، لكنه ليس حياً حقاً.
التصق العرق بوجهه مثل طبقة دبقة من مستحضرات التجميل، وشعر
أن قلبه هادئ ولكنه مجهد؛ مثل كرة طاولة على أرضية إسمنتية. كانت
حال رأسه أسوأ.

تردد هاري لحظة قبل أن يحسم أمره ويتابع التنفس. رأى السقف
والجدران تدور حوله، ولم تكن هناك لوحة أو مصباح سقفي في الشقة
يمكن أن يعلّق بصره عليه. كانت مكتبة آيكي وظهر كرتي وطاولة صغيرة
خضراء من إليفاتور تدور في محيط رؤيته، ولكن على الأقل لم تعد تراوده
أي كوابيس أخرى.

كان الكابوس القديم يُعيد نفسه، فيرى نفسه مثبتاً في مكانه، عاجزاً
عن الحركة، وقد حاول عبثاً أن يغمض عينيه ليتفادى رؤية فمها الذي بدا
مشوهاً ومفتوحاً وتخرج منه صرخة، فيما عيناها الكبيرتان تحدقان في الفراغ
باتهام صامت. في شبابه كانت شقيقته، والآن إيلين غيلتن. في البداية، كانت
الصرخات خافتة، لكنها تبدو الآن مثل مكابح فولاذية تصرّ، ولم يعرف أيهما
أسوأ.

استلقى هاري هناك ساكناً، ومحدقاً من بين الستائر إلى الخارج؛ إلى
الشمس الساطعة فوق الشوارع والساحات الخلفية في بيلست. لم يعكّر
سكون الصيف إلا الترام فقط، ولم يرف جفن هاري، وحدّق إلى الشمس
حتى أصبحت قلباً ذهبياً وثاباً ينبض في غشاء رقيق أزرق ويشع حرارة.
عندما كان يافعاً، أخبرته والدته أنه إذا نظر الأولاد إلى الشمس مباشرة
فستحرق عيونهم، وسيبقى الضوء داخل رؤوسهم طوال اليوم وكل حياتهم؛
ضوء شمس يستنفد كل شيء آخر، مثل صورة جمجمة إيلين المهشمة على
الثلج بجانب أكرسلفا والظل معلّق فوقها. حاول لمدة ثلاث سنوات أن
يمسك ذلك الظل، لكنه لم يستطع.

راكيل...

رفع هاري رأسه بحرص وحدّق إلى عين جهاز الرد الهاتفي السوداء

الخالية من الحياة. لم ينبض الجهاز بحيوية على كل حال طوال عدّة أسابيع؛ منذ اجتماعه مع رئيس كريبوس - هيئة الأمن الجنائي النرويجية في بوكسر - ويبدو أنه احترق بالشمس أيضاً.
تباً، الجو حار هناك!
راكيل...

تذكر آنذاك أنه في إحدى مراحل الكابوس تغير الوجه ورأى راكيل. شقيقته، إيلين، أمه، راكيل؛ كلها وجوه نساء؛ وكأنها تستطيع في أثناء نبضة قلب واحدة أن تتغير وتندمج مجدداً.
تأوه هاري وترك رأسه يسترخي إلى الأسفل على الأرضية. ملح القارورة تجثم على حافة الطاولة فوقه، وقد اختفت محتوياتها؛ تبخّرت، تلاشت. راكيل، أغمض عينيه، لم يبق شيء.
لم تكن لديه فكرة عن الوقت، وعرف فقط أن الوقت متأخر، أو باكر. مهما يكن، بدا أنها اللحظة الخطأ للاستيقاظ، أو ليكون دقيقاً، ليغطّ في النوم. يجب أن يفعل شيئاً آخر في هذا الوقت من اليوم، مثل تناول شراب.

نهض هاري على ركبتيه.
شعر أن هناك شيئاً ما يهتز في جيب سرواله، وأدرك آنذاك أن هذا ما أيقظه؛ عتّة علقت هناك وتخفق بجناحيها بيأس. دفع يده في جيبه وأخرج هاتفه الخلوي.
مشى هاري ببطء نحو سانت هانشوغن، وصداعه ينبض خلف مقلتي عينيه. كان العنوان الذي زوّده به مولر يبعد مسافة قصيرة فقط. غسل وجهه بالقليل من الماء، وعثر على جرعة شراب في الخزانة تحت المغسلة، ثم انطلق وهو يأمل أن يجعل المشي رأسه يصحو. تجاوز هاري أندروتر: من الساعة الرابعة بعد الظهر إلى الثالثة بعد منتصف الليل، ومن الرابعة بعد الظهر إلى الواحدة بعد منتصف الليل أيام الاثنين، يُغلق الأحد. لم يكن هذا أحد أماكن تناول الشراب التي يرتادها بانتظام لأن شرودر؛ المكان الذي يرتاده دائماً يقع في الشارع الموازي، لكن مثل معظم الثملين يخصص هاري دائماً مكاناً في ذهنه حيث يُسجّل ساعات افتتاح المشارب تلقائياً.
ابتسم لانعكاس صورته على النوافذ المتسخة؛ ربما في وقت آخر. عند الزاوية، استدار يميناً نزولاً إلى أولفالسفين. لم يكن هاري يحب المشي في أولفالسفين؛ شارع السيارات لا المشاة. كان أفضل شيء يمكن أن يقوله عن أولفالسفين هو أن الرصيف على اليمين يوقّر ظلاً في مثل هذه

الأيام.

توقف هاري أمام المبنى الذي يحمل الرقم الذي زُود به، وألقى عليه نظرة سريعة متفحصة.

كانت هناك مصبغة فيها آلات غسيل حمراء في الطابق الأرضي، وتشير اللافتة المعلقة على النافذة إلى أن أوقات العمل من الثامنة صباحاً إلى التاسعة مساءً كل يوم، وأنها تقدم خدمة تنظيف جاف في 20 دقيقة بسعر مخفّض قدره 30 كرونًا. رأى امرأة داكنة البشرة ترتدي سروالاً وتجلس بجانب طبل دائري الشكل، محدّقة إلى الفراغ. وإلى جانب المصبغة كانت هناك نافذة متجر تظهر من خلالها شواهد قبور، وعلى مسافة أبعد نزولاً لافتة نيون خضراء كتب عليها "بيت كباب" فوق باب مطعم وبقالية. جال بصر هاري على واجهة المبنى المتسخة، ورأى أن الطلاء على أطر النوافذ القديمة قد تفسّخ، لكن الكوّات الناتئة من السقف تشير إلى إصلاحات جديدة في العلية فوق الطوابق الأربعة الأصلية. شاهد آلة تصوير مثبتة فوق نظام الاتصال البيني المرکّب حديثاً بجانب البوابة الحديدية الصدئة. كانت أموال من الطرف الغربي في أوسلو تتدفق ببطء لكن بانتظام إلى الطرف الشرقي. ضغط على زر أعلى جرس بجانب اسم كاميليا لوين. ردّ المجهار: "نعم".

كان مولر قد حدّره، لكنه رغم ذلك دُهش حين سمع صوت توم والر.

حاول هاري أن يجيب، لكنه لم يستطع إخراج أي صوت. سعل وحاول مجدداً.

"هول، افتح".

سمع صوت طنين، فأمسك مقبض الباب القاسي والبارد المصنوع من حديد أسود.
"مرحباً".

استدار هاري إلى الخلف.

"مرحباً بتي".

كانت بتي لون أقصر من فتاة متوسطة الطول بقليل، وشعرها أشقر داكن، أمّا عيناها فزرقاوان. وهي ليست حسناء أو قبيحة. باختصار، لم يكن هناك شيء مميز على نحو خاص في بتي لون، باستثناء ملابسها. كانت ترتدي ثوب عمل أبيض يبدو مثل بزّة رائد فضاء نوعاً ما.
فتح هاري البوابة، ودخلت وهي تحمل صندوقين معدنيين كبيرين.

"هل وصلتِ للتو؟".

حاول ألا يتنفس في وجهها حين مرّت بجانبه.

"لا. اضطررت للنزول مجدداً إلى السيارة لإحضار باقي أغراضي. نحن هنا منذ نصف ساعة. هل آذيت نفسك؟".

مرّر هاري إصبعاً فوق الجلبة على أنفه.
"واضح".

تبعها عبر الباب التالي الذي يقود إلى بيت السلام.
"كيف يبدو الأمر فوق؟".

وضعت بتي الصندوقين أمام باب مصعد أخضر، وهي لا تزال تنظر نحو الأعلى؛ إليه.

قالت وهي تضغط على زر المصعد: "ظننت أن أحد مبادئك أن تنظر أولاً وتساءل لاحقاً".

أوماً هاري. كانت بتي لون تنتمي إلى تلك الفئة من الجنس البشري التي تتذكر كل شيء، ويمكنها أن تسرد تفاصيل من قضايا جنائية قد نسيها منذ وقت طويل، حصلت قبل أن تنتسب إلى كلية الشرطة. إضافة إلى ذلك، كانت تتمتع بتلافيف مغزلية الشكل متطورة على نحو استثنائي؛ ذاك الجزء من الدماغ الذي يتذكر الوجوه. خضعت لاختبار في ذلك، فأذهلت النتائج علماء النفس. ولحسن حظّه، إنها تتذكر القليل الذي استطاع أن يعلمها إياه حين عملاً معاً على قضايا سرقات المصارف التي اجتاحت أوصلو في الصيف السابق.

قال هاري الذي وجَل حين بدأ المصعد يتحرك: "أحب أن أكون منفتحاً قدر الإمكان في ما يخصّ انطباعاتي الأولى حين أصل إلى مسرح جريمة، نعم". بدأ يفتش في جيوبه بحثاً عن لفائف تبغ. "لكنني أشك في أن أعمل على هذه القضية الخاصة".
"لِمَ لا؟".

لم يجب هاري، بل سحب علبة مجعدة من نوع كاملز من الجيب الأيسر لسرواله وأخرج لفافة تبغ متغضنة.

ابتسمت بتي: "أوه نعم، أتذكر الآن. قلت هذا الربيع إنك ستذهب في إجازة، إلى نورماندي، أليس كذلك؟ أيها المحظوظ...".

وضع هاري لفافة التبغ بين شفتيه، وبدأ طعمها مريعاً، وأدرك أنها لن تفعل شيئاً لتخفيف صداعه أيضاً. لم يكن هناك إلا شيء واحد فقط يمكن أن يساعده، فألقى نظرة على ساعته، أيام الاثنين: من الساعة الرابعة

من بعد الظهر إلى الواحدة من بعد منتصف الليل.
قال: "لن يكون هناك أي نورماندي".
"حقاً؟!"

"لا، ليس هذا هو السبب، وإنما لأنه هو من يدير هذه القضية".
سحب هاري مجّة طويلة من لفافة تبغه وأوماً إلى الأعلى.
رمقته بنظرة طويلة وقاسية ثم قالت: "انتبه كي لا يصبح هذا هاجساً
لديك. امضِ قدماً في سبيلك".
"أمضي قدماً؟!". نفخ هاري الدخان من فمه. "إنه يؤذي الناس يا بتي،
ويجب أن تعرفي هذا".
تورّدت خجلاً. "كانت علاقتي بتوم قصيرة، وهذا كل شيء يا هاري".
"ألم يكن ذلك هو الوقت الذي كنت تتجولين فيه وعلى رقبتك
كدمات؟".

"هاري! توم لم...".
صمتت بتي حين أدركت أنها ترفع صوتها. تردد الصدى إلى الأعلى في
بيت السلام، لكن صوت المصعد الخافت المكتوم حجبته حين توقف أمامهما.
قالت: "أنت لا تحبه، لذا تتخيل أشياء. في الواقع، يتمتع توم بعدد
من الصفات الإيجابية التي لا تعرف شيئاً عنها".
"مم".

أطفاً هاري لفافة تبغه على الجدار، في حين فتحت بتي باب المصعد
ودخلته.

سألت وهي تنظر إلى هاري الذي كان لا يزال يقف في الخارج
محدّقاً بإمعان إلى شيء ما: "ألن تأتي؟". المصعد، كانت هناك بوابة منزلقة
بعد الباب؛ باب حديدي تدفعه جانباً لتفتحه وتغلّقه خلفك حتى يعمل
المصعد. سمع الصرخة مجدداً؛ وشعر بالعرق يتصبب من كل جسده. لم
تكن جرعة الشراب الصغيرة كافية، ولا حتى قريبة من الكفاية.
سألت بتي: "هل هناك شيء ما؟".
أجاب هاري بصوت أجش: "لا، إطلاقاً. أنا فقط لا أحب هذه المصاعد
قديمة الطراز. سأصعد على السلام".

الفصل الرابع:

الجمعة. إحصائيات

توجد في المبنى شقتان، وباب إحداهما مفتوح، لكن الشريط البرتقالي الذي وضعه رجال الشرطة يمنع دخولها. انحنى هاري ليمرر طوله الكامل البالغ 192 سنتيمتراً تحت الشريط، وتقدم بسرعة خطوة أخرى ليتوازن حين أصبح في الطرف الآخر. وقف وسط غرفة أرضيتها من ألواح خشب السنديان، وسقفها مائل، ونوافذها ناتئة. كان الجو دافئاً، مثل حمام تقريباً، والشقة صغيرة ومزودة بأثاث بسيط مثل شقته، لكن التشابه بينهما ينتهي عند هذا الحد. شاهد في آخر الشقة أريكة من هيلمرز هوس، وطاولة صغيرة من ر.و.و.م، وتلفاز فيليبس صغيراً - 15 بوصة - في غلاف أزرق فاتح يتلاءم مع نظام الصوت. نظر هاري عبر بابين إلى مطبخ وغرفة نوم؛ إنهما كل ما يتألف منه المكان، وبدأت الشقة هادئة على نحو غريب. كان شرطي يرتدي بزة رسمية ويشبك ذراعيه أمام صدره واقفاً بجانب باب المطبخ، مهتزاً على عقبيه، وهو يتصبب عرقاً ويراقب هاري من تحت حاجبين مرفوعين. هزَّ الرجل رأسه وابتسم بتكلف حين أراد هاري أن يُريه بطاقة هويته.

الجميع يعرفون المغفل - كما فكر هاري - لكن المغفل لا يعرف الجميع. مسح وجهه بيده.

"أين وحدة مسرح الجريمة؟"

قال الشرطي وهو يومئ نحو غرفة النوم: "في الحمام، لون وويبر".

"ويبر؟ هل بدأوا باستدعاء المتقاعدين الآن أيضاً؟"

هزَّ الشرطي كتفيه. "إنه موسم الإجازات".

ألقي هاري نظرة في أرجاء المكان.

"لا بأس، أغلق المدخل والباب. فالناس يدخلون المبنى ويخرجون منه بحرية تامة".

"لكن -"

"اسمع، ذلك كله جزء من مسرح الجريمة، هل تفهم؟"

قال الشرطي والتوتر يبدو واضحاً في صوته: "أفهم". وعرف هاري أنه بعد قوله جملتين فقط استطاع أن يجد لنفسه عدواً آخر في السلك. كان الصف يمتد أميالاً.

تابع الشرطي: "لكن، لدي تعليمات واضحة بأن...".

قال صوت من داخل غرفة النوم: "... أن يراقب الأشياء هنا".

ظهر توم والر عند المدخل.

على الرغم من البذلة الداكنة التي كان يرتديها، لم تكن هناك قطرة عرق واحدة تحت خط شعره الداكن الكثيف. يبدو توم والر رجلاً حسن المظهر؛ ربما ليس فاتناً ولكنه يتمتع بملامح جذابة ومنتاسقة. لم يكن طويلاً مثل هاري، لكن كثيرين يتخيلون أنه كذلك، ربما بسبب قامته المشدودة، أو ثقته العفوية بالنفس. لم يكن معظم الناس الذين يعملون معه معجبين به فقط، وإنما يشعرون أيضاً أن رباطة جأشه تنتقل إليهم، لذا يسترخون ويجدون مكانهم الطبيعي بجانبه. يمكن أن ينبثق انطباع المظهر الجيد أيضاً من حضوره البدني؛ لا يمكن للبذلة أن تخفي خمسة تمارين أسبوعياً في الكاراتيه ورفع الأثقال.

قال والر: "يجب أن يتابع مراقبة الأشياء هنا. لقد أرسلت للتو شخصاً إلى الأسفل في المصعد لإغلاق المكان. كل شيء منظم يا هول".
قال الجملة الأخيرة بنبرة رتيبة، ولم يتضح لهاري إن كانت تُعتبر بياناً أم سؤالاً فتحنح سائلاً:
"أين هي؟"
"هنا".

ظهرت على وجه والر نظرة قلق زائفة حين تحرك جانبياً ليمسح لهاري بالمرور.

"أذيت نفسك، أليس كذلك يا هول؟".

كانت غرفة النوم مزودة بأثاث بسيط، لكن بدوقٍ ولمسة رومانسية. سرير مفرد - لكن مساحته تتسع لاثنتين - ذو دعامة نُقش عليها شيء يبدو مثل قلب فيه مثلث. فكّر هاري أنها ربما تكون إشارة حب. كانت ثلاث صور مؤطرة لرجال عراة معلقة على الجدار وراء سريره؛ بطاقات بريدية مثيرة تقع في فئة ما بين الفسق والفن. لم تكن هناك صور أو أشياء شخصية حسب ما رآه.

كان الحمام ملحقاً بالغرفة، ليس أكبر مما يتطلبه الأمر ليضم مغسلة ومرحاضاً ودُشاً من دون ستارة وكامبلا لوين. رآها ممددة على الأرضية الآجرية ووجهها ملتوٍ نحو الباب، لكنها تنظر للأعلى نحو الدُش؛ وكأنها تنتظر المزيد من الماء.

كانت عارية تحت ثوب الحمام الأبيض المفتوح والمشبع بالماء الذي يغطي فتحة تصريف المياه، وبتي تقف قرب المدخل وتلتقط الصور.
"هل توثق أحد من توقيت الوفاة؟".

قالت بتي: "متخصّص علم الأمراض في طريقه إلينا، لكن الجثة لم تتيّس بعد أو تصبح باردة تماماً. أظن أنها توفيت منذ بضع ساعات على الأكثر".

"ألم يكن الماء ينهمر من الدُش حين عثر الجار والمشرف عليها؟"
"بلى".

"رهما حفظ الماء الساخن حرارة جسدها وأخر بداية التيّس".
نظر هاري إلى ساعته التي أشارت إلى 6:15.
"لنقل إنها توفيت قرابة الساعة الخامسة تقريباً". كان والر هو المتحدث.

سأل هاري من دون أن يستدير: "لماذا؟".
"لا شيء يشير إلى أن الجثة قد حُرّكت، لذا يمكننا الافتراض أنها قد قُتلت في أثناء وجودها في الحمّام. كما ترى، جسدها وثوب استحمامها يسدّان فتحة تصريف المياه، وهذا ما سبب تسرب المياه. قال المشرف الذي أغلق صنوبر المياه إنه كان يعمل بطاقته كلها، ولقد تفقّدت ضغط المياه، ووجدت أنه جيد جداً في شقة عليّة. ونظراً إلى أن الحمام صغير، لم يكن الأمر يتطلب دقائق كثيرة قبل أن ينسكب الماء من فوق العتبة ويخرج إلى غرفة النوم، ثم لم يمض وقت طويل قبل أن يجد الماء طريقه إلى الشقة في الأسفل. قالت المرأة في الطابق السفلي إن الوقت كان الخامسة وعشرين دقيقة بالضبط حين اكتشفت التسرّب".
قال هاري: "قبل ساعة فقط، وأنتم هنا منذ نصف ساعة. يبدو أن الجميع هنا قد تصرّف بسرعة غير معتادة".
قال والر: "حسناً، ليس الجميع".

لم يجب هاري.
ابتسم والر: "أفكّر في متخصّص علم الأمراض. كان يجب أن يكون هنا الآن".

أنهت بتي التقاط الصور، وتبادلت النظرات مع هاري.
مسّر والر ذراعها.
"اتصلي بي إن اكتشفت شيئاً. سأذهب إلى الطابق الثاني لأتحدث إلى المشرف".

"لا بأس".

انتظر هاري حتى غادر والر الغرفة، ثم سأل:
"هل يمكنني...؟".

أومات بتي وتحركت.

صرّ حذاء هاري على الأرضية المبتلة بالماء. شاهد رطوبة على كل السطوح في الغرفة بفعل بخار الماء الذي تكثف وسال إلى الأسفل، وبدت المرأة وكأنها تبكي. جلس هاري القرفصاء، ولكنه اضطر إلى التمسك بالجدار حتى لا يفقد توازنه، وتنفس عبر منخريه، لكنه لم يستطع إلا تمييز رائحة الصابون، ولا شيء من الروائح الأخرى التي يعرف أنها يجب أن تعبق هناك. كان ذلك "خلل شم" وفقاً للكتاب الذي استعاره هاري من أون، متخصص علم الأمراض الملحق بشعبة مكافحة الجريمة؛ وهي حالة يرفض فيها الدماغ تعرّف بعض الروائح، وتنجم غالباً كما يقال عن أذية عاطفية. لم يكن هاري واثقاً جداً بذلك، ويعرف فقط أنه لا يستطيع أن يشم رائحة جثة.

كانت كاميلا لوين شابة، عمرها بين 27 و30 عاماً كما خمن، وحسناً، وقوامها ريان، وجلدها ناعم قد سفحته الشمس، لكنه شاحب كما يحصل للجنث بسرعة. كان شعرها داكناً، وسيصبح بالتأكيد أفتح لوناً حين يجف، ويظهر ثقب صغير في جبينها سيختفي سريعاً حين يؤدي الحانوتي عمله؛ لم يكن يسعه فعل الكثير، لكنه سيضع بعض مستحضرات التجميل فوق ما يبدو أنه تورم في عينها اليمنى.

رگز هاري على الثقب الدائري الأسود في جبينها، الذي يبدو بالكاد أكبر من ثقب في قطعة نقدية من فئة كرون واحد. كان يُدهش دائماً من صغر الثقوب التي يمكن أن تقضي على حياة إنسان، وتكون خادعة عادة؛ لأن الجلد يغطي جرح الدخول. افترض هاري أن الرصاصة في هذه الحال أكبر من الثقب الذي خلفته وراءها.

قالت بتي: "مؤسف أنها ممددة في الماء، وإلا ربما كنا سنجد بصمات أصابع القاتل، أو بعض الخيوط...".

"مم. على كل حال، كان جبينها فوق مستوى الماء، ولم تسقط عليه كمية ماء كبيرة أيضاً".
"أوه".

"توجد دائرة دم سوداء متخثرة حيث دخلت الرصاصة، وهناك آثار حروق على الجلد بفعل الطلقة. ربما يخبرنا هذا الثقب الصغير ببعض الأشياء الآن. هل هناك عدسة مكبرة؟".

من دون أن يرفع بصره عن كاميلا لوين، مدّ هاري يده، وتحسّس وزن الأداة البصرية الألمانية في يده، وبدأ يتفحص المنطقة حول ثقب

الرصاصة.

"ماذا ترى؟"

كان صوت بتي الخافت بجانب أذنه تماماً، فهي متشوّقة دائماً إلى تعلّم المزيد. عرف هاري أنها سرعان ما ستلّم بكل شيء، ولن يكون هناك ما يعلمها إياه.

قال: "يشير اللون الرمادي لآثار الحروق إلى أن الرصاصة أُطلقت من مدى قريب، لكن ليس من مسافة قصيرة جداً. سأخمن أن الرصاصة قد أُطلقت من بعد نحو نصف متر".

"صحيح".

"يشير الافتقار إلى التناظر في آثار الحروق إلى أن الشخص الذي أطلق النار كان أطول منها وصبّ إلى الأسفل بزاوية حادة".
أدار هاري رأس الفتاة الميته بحرص، وأدرك أن جبينها لم يكن بارداً تماماً بعد.

قال: "لا يوجد ثقب خروج، وهذا يدعم النظرية القائلة إن الرصاصة قد أُطلقت إلى الأسفل بزاوية حادة. ربما كانت تجثو أمام الشخص الذي أرداها".

"هل يمكن أن تعرف نوع السلاح المستخدم؟"

هزّ هاري رأسه. "سيعرف متخصص علم الأمراض كل ذلك، إضافة إلى خبراء المقذوفات. لكن هناك آثار حرق متدرّجة تشير إلى سلاح قصير الماسورة مثل مسدس".

ألقي هاري نظرة متفحّصة على الجسد كله، وحاول أن يلاحظ كل شيء، لكنه شعر أن الخدر الناجم عن احتسائه الشراب يبعد بعض التفاصيل التي يمكن أن يستفيد منها. لا، يجب أن يخرج بشيء من ذلك. لم تكن هذه قضيته، وعندما جاء لتقديم يد العون، أدرك أن هناك شيئاً مفقوداً.

تمتم، وهو ينحني مقترباً: "البطّ دونالد".

رمقته بتي بنظرة ساخرة.

قال هاري: "يرسمونها بهذا الشكل في المجلات الهزلية، بأربع أصابع".

"أنا لا أقرأ مجلات هزلية".

كانت السبابة قد بُترت، وكل ما بقي عروق سوداء من دم متخثّر ونهايات أوتار تلمع. بدا البتر نفسه حاداً وتاماً. وضع هاري طرف إصبعه بحذر على المنطقة اللامعة البيضاء في اللحم الوردي، وشعر أن سطح العظم

المبتور أملس.

قال: "بترت بواسطة كماشة، أو سكين حادة جداً. هل عُثر على الإصبع؟".
"لا".

شعر هاري بالغثيان فجأة فأغمض عينيه، وسحب عدّة أنفاس عميقة، ثم فتح عينيه مجدداً. كانت هناك عدّة أسباب لبتر إصبع ضحية. لكن، لا سبب يدعو إلى التفكير في ما يوجد بين يديه الآن.
قالت بتي: "يمكن أن يكون المجرم مغتصباً، فهم يحبون الكماشات".
تمتم هاري: "نعم، قد يكون كذلك. ثم نهض واكتشف المساحتين البيضاءين تحت نعليه على ما ظنّ أنه بلاط وردي. انثنت بتي إلى الأسفل والتقطت صورة قريبة لوجه الفتاة الميتة.
"نزفت كثيراً بالتأكيد".

قال هاري: "يرجع سبب ذلك إلى أن يدها كانت في الماء الذي يوقف تخثر الدم".

"كل ذلك الدم من إصبع واحدة مبتورة؟".

"نعم. وهل تعرفين إلامّ يشير ذلك؟".

"لا، لكن ينتابني شعور بأنني سأكتشف ذلك قريباً".

"هذا يعني أن كامبلا لوين قد تعرضت لبتر إصبعها حين كان قلبها لا يزال يخفق. بكلمات أخرى، قبل أن تتعرض لإطلاق النار".
كشّرت بتي.

قال هاري: "سأبادل أطراف الحديث مع الأشخاص في الطابق الأسفل".

قالت فيبيكي كنوستن وهي ترمق شريكها بنظرة سريعة: "كانت كامبلا

تعيش هنا حين انتقلنا إلى الشقة. لم تكن علاقتنا بها وثيقة".

كانا مع هاري في غرفة جلوسهما في الطابق الرابع. بدا للعالم كله

وكأن هاري هو الذي يعيش هناك. إذ جلس الثنائي على حافة الأريكة

تماماً، في حين استرخى هاري على أحد الكراسي.

أدهش الثنائي الغريب هاري، فكلاهما في منتصف العقد الثالث من

العمر. لكن أندرس نيجارد نحيل وممشوق مثل عداء ماراثون. كان قميصه

الأزرق الفاتح مكويماً حديثاً، وشعره قصيراً من أجل العمل، وشفته رقيقتين،

ولغة جسده تعبّر عن القلق. وعلى الرغم من أن وجهه بشوش وصياني

وبريء تقريباً، إلا أنه يشع زهداً ورسانة. فيما تتميز فيبيكي بشعر أحمر

وغمازتين، وإثارة جسدية تؤكد الكنزة الضيقة التي ترتديها والتي طُبع

عليها ما يشبه جلد النمر، وتمنح انطباعاً بأنها قد استمتعت برغد العيش قليلاً. كانت التجاعيد فوق شفيتها تشير إلى تدخينها الكثير من لفائف التبغ، والتغضنات حول عينيها تشير إلى حصولها على الكثير من المتعة. سأل هاري: "ماذا كانت تعمل؟".

أقلت فيبيكي نظرة على شريكها، وعندما لم يجب، ردّت: "وفقاً لما أعرفه كانت تعمل في مكتب إعلانات؛ في التصميم أو شيء من هذا القبيل".

قال هاري وهو يسجّل بفتور الملاحظات على منديل أمامه: "أو شيء من هذا القبيل".

كانت تلك خدعة يستخدمها حين يستجوب الأشخاص. إذا لم تنظر إليهم، فهم يسترخون أكثر. إذا أعطيت انطباعاً بأن ما يقولونه ليس مهماً جداً، فسيبدلون تلقائياً جهداً لقول شيء سيحظى باهتمامه. كان يجب أن يكون صحفياً، وشعر أن هناك تعاطفاً أكبر مع صحفيين يذهبون إلى العمل وهم ثملون.

"هل هناك أحباب؟".

هزّت فيبيكي رأسها.

"عشاق؟".

أطلقت فيبيكي ضحكة عصبية، وأشاحت بصرها بعيداً عن شريكها. قال أندرس نيغارد: "لا نمضي وقتنا ونحن نسترق السمع إلى الآخرين. هل تظن أن عشيقاً ما هو من فعل هذا؟".

قال هاري: "لا أعرف".

"أدرك أنك لا تعرف".

لاحظ هاري الانزعاج في صوته.

"لكن أولئك الذين يعيشون هنا منّا سيودّون أن يعرفوا إن كان الأمر يبدو قضية شخصية، أم إن كان لدينا قاتل مجنون يتجول في الحي".

قال هاري واضعاً قلمه جانباً: "ربما يكون لديكم قاتل مجنون في

الحي".

رأى ردّة فعل فيبيكي كنوستن التي تشير إلى الفزع، لكنه ركّز على

أندرس نيغارد.

عندما يخاف الناس يفقدون رباطة جأشهم بسهولة أكبر. كان ذلك

درساً تعلّمه في سنته الأولى في كلية الشرطة، وقد طُلب منهم حينها

بوصفهم متدربين ألا يثيروا أشخاصاً خائفين من غير ضرورة، لكن هاري

اكتشف أن العكس أكثر فائدة. فعند استفزازهم يقول الأشخاص الغاضبون غالباً أشياء لا يقصدونها، أو على نحو أكثر دقة يقولون أموراً لا يرغبون في الإفصاح عنها عادة.

نظر أندرس نيغارد إليه من دون انفعال.

قال هاري: "لكن الاحتمال الأكبر هو أن الشخص الذي فعل هذا عاشق. إما عاشق أو شخص أقامت علاقة معه أو رفضته."
"لماذا؟" وضع أندرس نيغارد ذراعه حول كتفي فيبيكي.
كانت وضعية مثيرة للاهتمام؛ لأن ذراعه قصيرة جداً وكتفيها عريضتان جداً.

مال هاري على كرسيه إلى الخلف.

"إحصائيات. هل يمكنني التدخين هنا؟"

قال أندرس نيغارد بابتسامة باهتة: "نحاول إبقاء المكان خالياً من

النيكوتين".

لاحظ هاري أن فيبيكي أخفضت نظراتها حين أعاد علبة لفائف التبغ إلى جيب سرواله.

سأل الرجل: "ماذا تعني بقولك إحصائيات؟ ما الذي يجعلك تظن أنها صحيحة في حالة مثل هذه؟"

"حسناً، قبل أن أجيب عن سؤالك، هل تعرف شيئاً عن الإحصائيات يا سيد نيغارد؟ التوزيع الانتقائي، الدلالة، معدّل الانحراف؟"

"لا، لكن أنا -".

قاطعته هاري: "لا بأس، ففي هذه الحال لن تحتاج إلى ذلك. لقد

علّمتنا مئات السنين من إحصائيات الجريمة من كل أنحاء العالم شيئاً أساسياً بسيطاً واحداً، وهو أنها ضحية نموذجية، أو إن لم تكن نموذجية، فالقاتل يظن أنها من هذا النوع. هذا هو الجواب عن سؤالك الأول، والثاني".

زفر أندرس نيغارد وأبعد يده عن فيبيكي. "هذا غير علمي إطلاقاً،

وأنت لا تعرف شيئاً عن كامبلا لوين".

قال هاري: "صحيح".

"إذاً، لماذا قلت ما قلته؟"

"لأنك سألت. وإذا أنهيت أسئلتك، فربما يمكنني الاستمرار في طرح

أسئلتك؟"

بدا نيغارد على وشك أن يقول شيئاً، لكنه غير رأيه وحملق إلى

الطاولة. ربما كان هاري مخطئاً، لكنه ظنّ أنه لاحظ شبه ابتسامة بين غمّازتي فيبيكي.

سأل هاري: "هل تظنان أن كاميلّا لوين كانت تتعاطى الممنوعات؟". ارتفع رأس نيغارد بسرعة وقال: "لماذا سنظن هذا؟". أغمض هاري عينيه وانتظر. قالت فيبيكي بصوت ناعم وخافت: "لا، لا نظن هذا". فتح هاري عينيه وابتسم لها شاكرًا، في حين رمقها أندرس نيغارد بنظرة دهشة تقريباً.

"لم يكن بابها موصداً، أليس كذلك؟".
أوماً أندرس نيغارد.
سأل هاري: "ألا تظن أن هذا غريب؟".
"ليس تماماً، فهي كانت في منزلها بالمحصلة".
"حسناً، لديكما قفل بسيط على بابكما، ولاحظت أنك...". أوماً نحو فيبيكي. "... أوصدته حين دخلت".

قال نيغارد وهو يربت على ركة شريكته: "إنها قلقة قليلاً الآن".
قالت فيبيكي: "لم تعد أوصلو كما كانت".
نظرت إلى عيني هاري للحظة وجيزة.
قال هاري: "أنتِ محقة. ويبدو أن كاميلّا لوين تشاطرك الرأي. إذ يوجد في شقتها قفل مزدوج وسلسلة أمان من الداخل. لم يخطر لي أنه من الممكن أن تستحم امرأة وبابها غير موصد".
هزّ نيغارد كتفيه. "من فعل ذلك لا بد أنه فتح القفل".
هزّ هاري رأسه. "الناس لا يفتحون الأقفال إلا في الأفلام".
قالت فيبيكي: "ربما كان هناك شخص في الشقة معها".
"من؟".

انتظر هاري بصمت. وعندما أدرك أن أحداً لن يكسر جدار الصمت نهض قائلاً: "سيستدعيكما شخص للاستجواب، أما حالياً فشكراً لكما".
في الرواق، استدار إلى الخلف. "بالمناسبة، من الذي اتصل بالشرطة؟".
قالت فيبيكي: "أنا، اتصلت حين ذهب أندرس لبحث عن المشرف".
"قبل أن تجدوها؟! كيف عرفت...؟".
"كان هناك دم يسيل إلى الوعاء".
"أوه! كيف عرفت هذا؟".

أطلق أندرس نيغارد تنهيدة عميقة مبالغاً فيها، ووضع يده على عنق

فبيكي قائلاً: "كان أحمر، أليس كذلك؟".
قال هاري: "حسناً، هناك أشياء أخرى غير الدم حمراء أيضاً".
قالت فبيكي: "هذا صحيح. لكن، لم يكن الأمر يتعلق باللون فقط".
رمقها أندرس نيغارد بنظرة دهشة. فابتسمت، لكن هاري لاحظ أنها
ابتعدت عن يد شريكها.
"كنت أعيش مع طاه، وأدرنا مطعماً صغيراً معاً. تعلّمت آنذاك عدّة
أشياء عن الطعام، كان أحدها أن الدم يحتوي زللاً، وإذا سال دمّ في
وعاء ماء حرارته أكثر من خمس وستين درجة، فسيتخثر الدم ويصبح كتلاً؛
وكأنك كسرت بيضة في ماء مغلي. عندما ذاق أندرس الكتل في الماء وقال
إن مذاقها يشبه البيض عرفت أنه دم، وأن شيئاً فظيماً قد حدث".
فغر أندرس نيغارد فمه، وأصبح لونه شاحباً جداً فجأة.
تمتم هاري: "صحة وعافية"، ثم غادر.

ketab4pdf.blogspot.com

الفصل الخامس:

الجمعة. أندروتر

يكره هاري المشارب الخاصة: الأيرلندية، أو المكشوفة، والأسوأ مشارب المشاهير التي تحمل جدرانها صوراً لزبائن منتظمين ومعروفين. كان ديكور أندروتر مزيجاً بحرياً غامضاً من معدّات الغوص والسفن الخشبية العتيقة. لكن، في مرحلة ما، حين كاد ينتهي من احتساء كأسه الرابعة، لم يعد هاري يهتم إطلاقاً بأحواض الماء الأخضر التي تقرر، وخوذات الغطس، والديكور الداخلي البسيط من الخشب. كان يمكن أن تكون الحال أسوأ، ففي آخر مرة جاء فيها إلى المكان رفع الناس فجأة عقيرتهم بعددٍ من أغانيهم المفضلة. ألقى نظرة في أرجاء المكان، وتوثق ببعض الارتياح ألا أحد من الزبائن الأربعة يبدو أنه يفكر في أداء أغنية في ذلك الوقت. سألت الفتاة خلف المشرب حين وضعت كأس الشراب أمامه: "هل الجميع في إجازة؟".

"إنها الساعة السابعة". أعطته ما تبقى من ورقة نقدية من فئة مئة كرون رغم أنه أعطاها مئتين.

كان يود الذهاب إلى شرودر إن استطاع، ولكنْ خطرت له ذكرى مبهمة بأنه عالق هناك، ولم يكن يمتلك الشجاعة ليذهب ويكتشف ما حدث هناك؛ ليس اليوم. تذكر أجزاء من مشهد ما حصل هناك يوم الثلاثاء، أم كان الأربعاء؟ كان شخص ما قد تحدث عن المرة التي ظهر فيها على شاشة التلفاز وقيل عنه إنه "بطل شرطة نرويجي"؛ لأنه أطلق النار على مسلح في سيدي، وقد تفوه رجل ببعض الملاحظات وأطلق عليه صفات نابية. وصل بعض ما قاله إلى مسمعي هاري، لكن هل انتهى الأمر بهما بالتعارك؟ لم يكن ذلك مستحيلاً، لكن الإصابات في مفاصل أصابعه وأنفه التي اكتشفها حين استيقظ يمكن أن يكون سببها أيضاً السقوط على حجارة رصيف الشارع في دوفرغاتا.

رنّ هاتف هاري الخلوي، فحدّق إلى الرقم، ورأى أنها ليست راكيل هذه المرة أيضاً.

"مرحباً أيها المدير".

"هاري؟ أين أنت؟". بدا بيارني مولر قلقاً.

"أندروتر [تحت الماء]، ما الأمر؟".

"تحت الماء؟".

"ماء، ماء منعش، ماء مالح، ماء منشط. تبدو... ما هي الكلمة؟"

مرهقاً".

"هل أنت ثمل؟".

"لست ثملاً كفاية".

"ماذا؟".

"لا شيء، عقلي لا يزال يعمل أيها المدير".

"هدد أحد رجال الشرطة في مسرح الجريمة بأن يكتب تقريراً عنك يقول فيه إنك كنت ثملاً على نحو بادٍ للعيان حين وصلت".

"لماذا هدّد وليس يهدد؟".

"لأنني أقنعتته بالأّ يفعل ذلك. هل كنت ثملاً يا هاري؟".

"طبعاً لم أكن كذلك أيها المدير".

"هل أنت واثق تماماً أنك تخبرني الحقيقة الآن يا هاري؟".

"هل أنت واثق تماماً أنك تريد أن تعرف؟".

سمع هاري مولر يتأوه في الطرف الآخر.

"لا يمكن أن يستمر الأمر على هذا النحو يا هاري. سأكون مرغماً

على وضع حدّ له".

"لا بأس، ابدأ بإبعادي عن هذه القضية".

"ماذا؟".

"سمعتني، لا أريد أن أعمل مع ذلك الوغد. كلّف شخصاً آخر

بالقضية".

"ليس لدينا موظّفون ل...".

"إذاً اطردني، فأنا لا أهتم إطلاقاً".

أعاد هاري هاتفه الخلوي إلى داخل جيبه. استطاع سماع صوت مولر

فيما الهاتف يهتز برفق على حلمة صدره، وخالجه في الواقع شعور سارٌّ

جداً. تجرّع باقي شرابه، ثم وقف وخرج متثاقلاً إلى مساء الصيف الدافئ.

توقفت سيارة الأجرة الثالثة التي أشار لها في أولفالسفين وأقلّته.

قال وهو يضع عنقه المتعرقّ على الجلد البارد للمقعد الخلفي:

"هولمنكولفن". في الطريق، حدّق إلى خارج النافذة نحو طائر السنونو الذي

يحلّق تحت السماء الزرقاء الفاتحة بحثاً عن الطعام. كانت الحشرات قد

خرجت من مخابئها آنذاك، وهذه هي فرصة السنونو، فلهذه فرصة لكي

يقتات منذ الآن وحتى غروب الشمس.

توقفت سيارة الأجرة أسفل منزل كبير مكسوٌّ بألواح خشبية.

سأل سائق سيارة الأجرة: "هل يجب أن أقود إلى الأعلى؟".

قال هاري: "لا، سننتظر هنا لبعض الوقت".
حدّق نحو الأعلى إلى المنزل، وظنّ أنه ملح راكيل قرب النافذة. عرف
أن أوليخ سيذهب على الأرجح إلى السرير قريباً، وأنه ربما يثير مشكلة
للبقاء مستيقظاً لوقت أطول لأن...
"اليوم هو الجمعة، أليس كذلك؟".

ألقي سائق سيارة الأجرة نظرة حذرة إلى مرآته وأوماً قليلاً.
الأيام، الأسابيع، يا الله! كم يكبر الفتيان اليافعون بسرعة! فرك هاري
وجهه، وحاول أن يبعث بعض الحيوية في قناع الموت الشاحب الذي يضعه.
لم يكن الشتاء الماضي سيئاً جداً، وقد حلّ بعض القضايا الكبيرة، وأدلى
بشهادته في قضية إيلين غيلتن، وامتنع عن احتساء الشراب، وانتقل مع
راكيل من كونهما مجرد حبيبين جديدين إلى القيام بأشياء أسرية معاً. لقد
أحب ذلك، وأعجبه رحلات نهاية الأسبوع وصحبة أوليخ. أقام هاري حفلات
شواء، وأحب استضافة والده وشقيقته لتناول وجبة الغداء معهما يوم الأحد،
ورؤية شقيقته التي تعاني متلازمة داون وأوليخ البالغ من العمر تسعة
أعوام وهما يلعبان معاً. وأفضل شيء في ذلك كله هو أنهما كانا يحبان
بعضهما كثيراً، وبدأت راكيل تلمّح إلى أنها ستكون فكرة سديدة أن ينتقل
هاري للعيش معها. كانت قد استخدمت حجة أن المنزل كبير جداً عليها
وعلى أوليخ، ولم يتكبد هاري مشقة البحث عن حجج مضادة.
قال: "سرى، بعد أن أنتهي من قضية إيلين غيلتن". كانت الرحلة إلى
نورماندي - ثلاثة أسابيع في مزرعة قديمة وأسبوع على متن قارب نهري -
ستمثّل نوعاً من الاختبار؛ ليتوثقا من أنهما مستعدان للأمر.
بدأت الأشياء تحدث بعد ذلك.

كان قد أمضى الشتاء كله وهو يعمل على قضية إيلين غيلتن؛ على
نحو مكثّف جداً، لكنها كانت الطريقة الوحيدة التي يعرفها هاري. لم تكن
إيلين غيلتن مجرد زميلة، وإنما كانت أقرب صديقة إليه، وبينهما تجانس
تام، وقد انقضت سنتان منذ بدأا يتعقبان مهربّ أسلحة اسمه المستعار
"الأمير"، ومنذ اليوم الذي أزهق فيه مضرب كرة قاعدة روحها. أشار الدليل
في مسرح الجريمة بجانب أكرسلفا إلى سفير أولسن، وهو رجل جديد تعرفه
الشرطة جيداً. لكن، لسوء الحظ لم يتمكّنوا قطّ من سماع إفادته؛ لأنه
تلقّى رصاصة في رأسه حين حاول إطلاق النار - كما يزعمون - على توم
والر في أثناء محاولة هذا الأخير اعتقاله. بغض النظر عن ذلك، بدا هاري
مقتنعاً بأن الرجل الحقيقي الذي يقف خلف الجريمة هو الأمير، وقد أقنع

مولر بأن يسمح له بإجراء تحقيقه الخاص. كان الأمر شخصياً، لذا لم يتقيد بأي من المبادئ التي يعملون وفقها في شعبة مكافحة الجريمة، لكن مولر منحه إذناً بذلك، وقتاً قصيراً، على أنه نوع من المكافأة على النتائج التي حققها هاري في قضايا أخرى. حدث الاختراق أخيراً في الشتاء الماضي، فقد رأى شخصٌ سفير أولسن جالساً في سيارة حمراء في غرونلوكا مع رجل آخر ليلة قتل إيلين، على بعد بضع مئات من الأمتار عن مسرح الجريمة. كان الشاهد روي كفينست الذي حوّل معتقده إلى الفيلاذلفية. لم يكن كفينست ما يمكن أن تدعوه بالضبط شاهداً نموذجياً، لكنه ألقى نظرة طويلة وقاسية على الصورة التي قدّمها له هاري وقال: "نعم. هذا هو الشخص الذي رأيته في السيارة مع سفير". كان الرجل في الصورة توم والر. على الرغم من أن الشك كان قد انتاب هاري بشأن توم والر منذ وقت طويل، إلا أن تأكيد ذلك أدهشه. على الأقل، لأنه يعني أن هناك المزيد من العملاء السريين الذين يعملون معه في الشعبة. لم يكن بمقدور الأمير إدارة مثل تلك الشبكة الواسعة من دون مساعدة، مما يعني أن هاري لا يمكن أن يثق بأحد. أبقى فمه مغلقاً بشأن ما أخبره به روي كفينست؛ لأنه عرف أنه لن يحظى إلا بفرصة واحدة فقط، والحقيقة الكاملة المرّة ستظهر دفعة واحدة، وسيتوجب عليه أن يتوثق تماماً من اقتلعه من جذوره؛ لأنه إذا لم يفعل ذلك فسيلقى مصيراً سيئاً.

كان ذلك هو السبب الذي جعل هاري يبدأ سراً بالعمل على جمع أجزاء القضية ضد والر. على كل حال، تبين أن ذلك أصعب مما كان قد تخيل؛ لأنه لم يعرف إلى من يستطيع أن يتحدث. بدأ بالبحث في الأرشيف بعد أن يذهب الآخرون إلى منازلهم، وكان يتسلل إلى شبكة الحواسيب الداخلية، ويطلع رسائل بريد إلكتروني وقوائم مكالمات صادرة وواردة من أشخاص يعرف أن والر على علاقة بهم، وجلس بعد الظهر في سيارة قرب يونغستورغت مراقباً بيتزا هيربرت. كانت نظرية هاري أن من يرتادون محل البيتزا متورطون أيضاً في تهريب الأسلحة. لكن، عندما لم تنجم عن نظريته أي أدلة، بدأ يتعقب والر وعدداً من زملائه. ركّز على أولئك الذين يعرف أنهم يقضون وقتاً طويلاً في ميدان الرماية في أوكرن، وتبعهم من مسافة آمنة. جلس خارج منازلهم مرتعشاً في سيارته في حين ينامون في الداخل، وعاد إلى بيت راكيل في وقت باكر من الصباح، مرهقاً حقاً، لينام بضع ساعات فقط ثم يعود إلى العمل مجدداً. طلبت منه راكيل بعد مرور بعض الوقت أن ينام في شقته ليلاً حين يعمل في مناوبتين، ولم يكن قد

أخبرها أن عمله الليلي غير رسمي، وأنه يعمل خارج ساعات العمل، ولا يعرف رؤسائه بذلك.

بدأ يعمل خارج برودواي أيضاً.

أولاً، قام بزيارة إلى بيتزا هربرت في إحدى الأمسيات. ثم في أمسية أخرى، تحدّث مع الرجال، واشترى بضع كؤوس شراب لهم. طبعاً، كانوا يعرفون هويته، ولكن كؤوس الشراب مجانية لذا شربوها، وكشّروا وأبقوا أفواههم مغلقة. أدرك تدريجياً أنهم لا يعرفون شيئاً، لكنه استمر بالذهاب إلى هناك، من دون أن يتوثق من السبب؛ ربما لأن ذلك يمنحه شعوراً بأنه قريب من شيء ما؛ من عرين التنين. كان كل ما عليه فعله هو التحلّي بالصبر والانتظار، وسيظهر التنين. لكن، لم يذهب والر أو أيّ من معارفه إلى هناك، لذا عاد لمراقبة المبنى الذي يعيش توم فيه.

في إحدى الليالي، حين كانت درجة الحرارة 20 درجة تحت نقطة التجمّد، والشوارع مقفرة تماماً، جاء رجل يرتدي سترة قصيرة ورقيقة وهو يمشي نحو سيارته، مترنحاً وكأنه مدمن ممنوعات، ثم توقف خارج المدخل المؤدي إلى مبنى والر، ونظر يميناً ثم يساراً وحاول خلع القفل باستخدام عتلة. جلس هاري وراقب، مدركاً تماماً أنه يخاطر بافتضاح أمره إن تدخل. بدا الرجل ثملاً جداً ولا يستطيع استخدام العتلة على نحو ملائم، وعندما جذبها بقوة إلى الأسفل، انفصلت قطعة خشبية كبيرة من الباب وسمع صوت طقطقة. عندما فعل ذلك، سقط إلى الخلف ووقع على كومة ثلج أمام المبنى، وبقي هناك. عندها، أنيرت المصابيح في عدد من النوافذ، وتحركت الستائر في شقة والر. انتظر هاري، لكن شيئاً لم يحدث، فالحرارة عشرون درجة تحت الصفر. بقي المصباح في شقة والر مضاءً، ولم يتحرّك الرجل الثمل من مكانه. بعد ذلك، تساءل هاري عما يجب أن يفعله. كانت المدخرة في هاتفه الخلوي لا تعمل، لذا لم يكن بمقدوره الاتصال بالإسعاف، فانتظر. انقضت الدقائق ببطء، وفكّر: يا له من ثمل لعين! إحدى وعشرون درجة تحت الصفر، ورجل ثمل بغيض. طبعاً، كان بمقدوره أن يقود سيارته بعيداً، ويذهب إلى الإسعاف ويخبرهم عنه، لكن شيئاً ما تحرك عند المدخل. عندها، رأى هاري والر الذي بدا مضحكاً بالثياب التي يرتديها، والخفّين، والقبعة، والقفازين، وكان يحمل بطانيتين صوفيتين. لم يصدّق هاري عينيه حين توثق والر من نبض الرجل الثمل وبؤبؤيه قبل أن يلفّه بالبطانيتين. وقف والر هناك يلف ذراعيه حول جسده ليبقي نفسه دافئاً، وهو يحدّق في اتجاه سيارة هاري، وبعد بضع دقائق توقفت

سيارة إسعاف أمام المبنى السكني.

ذهب هاري إلى منزله في تلك الليلة، وجلس على كرسيه، وأشعل لفافة تبغ، وأصغى إلى راغا روكيتس وديوك إلينغتون، ثم قصد العمل رغم أنه لم يكن قد غيّر ثيابه منذ 48 ساعة.

تشاجرت راكيل وهاري للمرة الأولى مساء يوم من نيسان. كان قد ألغى رحلة قد خُطط لها مُسبقاً لعطلة نهاية الأسبوع في اللحظة الأخيرة، فأوضحت له راكيل أن تلك هي المرة الثالثة التي يخلف فيها بوعده في وقت قصير جداً؛ وعداً لأوليج كما قالت. اتهمها باستغلال أوليج كعذر، وأن ما تريده منه حقاً هو منح الأولوية لاحتياجاتها على حساب العثور على الشخص الذي أنهى حياة إيلين. فقالت له إن إيلين شبح، وإنه قد أغلق على نفسه مع جثة، وهذا ليس طبيعياً، واتهمته بأنه يعيش مأساة، وقالت له إن إيلين ليست من يحفّزه وإنما رغبته بالتأثر.

قالت: "لقد تأذيت، وتركت كل شيء آخر من أجل تحقيق انتقامك".

عندما خرج هاري من المنزل وهو يستشيط غضباً، ملح ثياب النوم

الخاصة بأوليج وعينين حمراوين خلف درابزين الدرج.

توقف بعد ذلك عن فعل أي شيء ليست له علاقة مباشرة بملاحقة

أولئك المذنبين بجريمة قتل إيلين. وقرأ رسائل بريد إلكتروني تحت الضوء

الخافت، وحدّق إلى نوافذ داكنة لمنازل منفصلة ومبانٍ سكنية وهو ينتظر

أشخاصاً لم يخرجوا قط، وتمكن من الحصول على عدّة ساعات نوم في

شقته في بوابة صوفيز.

أضحت الأيام أطول وأكثر إشراقاً، لكنه لم يحقق أي تقدم على

الإطلاق. في إحدى الليالي، راوده كابوس فجأة من طفولته: شقيقته، شعرها

الطويل العالق، ونظرة الرعب على وجهها. كان متيبساً من الخوف. عاد

الكابوس في الليلة التالية، واللاحقة.

أخبره أويستن إيكلاندر، صديق طفولته الذي يحتسي الشراب في مقهى

مالك حين لا يقود سيارة الأجرة، أنه يبدو مرهقاً، وعرض عليه مخدراً

رخيصاً، لكنه رفض. منهكاً وغاضباً، تابع بحثه من دون كلل أو ملل.

كانت مسألة وقت فقط قبل أن ينكشف كل شيء، وقد تطلّب الأمر

شيئاً عادياً جداً مثل فاتورة غير مدفوعة ليطلق الشرارة. حدث ذلك في

نهاية أيار، ولم يكن قد تكلم مع راكيل منذ عدّة أيام. استيقظ على كرسي

مكتبه على صوت رنين الهاتف، وقالت راكيل إن شركة الرحلات قد ذكّرتها

أنهما لم يدفعا للمزرعة في نورماندي، وإنهم سينتظرون أسبوعاً إضافياً، وبعد

ذلك ستؤجر الشركة المزرعة إلى شخص آخر.

كانت آخر كلمات راكيل قبل إنهاء المكالمة: "الجمعة آخر موعد".

ذهب هاري إلى المغسلة، ورشَّ بعض الماء البارد على وجهه، وأمعن النظر إلى انعكاس صورته في المرآة. رأى أسفل شعره الخفيف والقصير والرطب عينين محتفتين ومنتفختين ووجنتين غائرتين ومتعبتين. حاول أن يبتسم، فشاهد أسناناً صفراء تكشَّر له، ولم يعرف نفسه. عرف أن راكيل محقة، وأن هذه هي المهلة النهائية، له ولإيلين، له ولتوم والر.

ذهب في اليوم نفسه إلى رئيسه بيارني مولر؛ الشخص الوحيد في مقر قيادة الشرطة الذي يثق به مئة بالمئة. كان مولر قد أوماً برأسه وهزّه بالتناوب حين أخبره هاري بما يريده. لحسن الحظ، كان قد قال إن ذلك ليس من صلاحياته، وإن على هاري أن يبحث الأمر مع قائد الشرطة مباشرة، لكن على الرغم من ذلك ظنَّ أنه يجب على هاري التفكير مرتين قبل أن يذهب لرؤيته. ذهب هاري فوراً من مكتب مولر المربع إلى مكتب رئيس كريبوس البيضاوي، وقرع على الباب، ثم دخل وعرض ما يرغب بقوله عن الشاهد الذي رأى توم والر مع سفير أولسن، وحقيقة أنه لم يكن هناك أحد آخر مع توم والر حين أطلق النار على أولسن في أثناء اعتقاله. كان ذلك كل شيء، كل ما لديه بعد خمسة شهور من الكدح، خمسة شهور من الملاحقة، خمسة شهور من فترة كان خلالها على سفير الجنون.

سأل رئيس كريبوس هاري عن الحافز الذي يظن أنه جعل توم والر يقتل إيلين غيلتن.

فأجاب هاري أن إيلين قد توصلت إلى معلومات فائقة الأهمية، وأنها في المساء نفسه الذي لقيت حتفها فيه قد تركت له رسالة على المجيب الصوتي تقول فيها إنها تعرف هوية الأمير. كانت تعرف اسم زعيم حلقة استيراد الأسلحة غير الشرعية، والشخص المسؤول عن تزويد جماعات أوصلو الإجرامية بمسدسات تستخدمها الشرطة.

قال هاري محاولاً أن يقرأ تعبير قائد الشرطة: "لسوء الحظ، كان الوقت قد فات حين اتصلت بها".

سأل القائد: "وسفير أولسن؟".

"عندما تعقَّبنا أثر سفير أولسن، قتله الأمير حتى لا يستطيع أن يكشف اسم قاتل إيلين".

"وهذا الأمير، كما قلت، هو...؟".

كّر هاري اسم توم والر، وأوماً رئيس كريوس برأسه بصمت، ثم قال: "إنه واحد منا إذًا، أحد أكثر محققينا احتراماً".
في الثواني العشر التالية شعر هاري بأنه يجلس في مكنسة كهربائية، من دون هواء أو صوت، وعرف أن سيرته المهنية بوصفه شرطياً على المحك.

"حسناً يا هول، سأقابل شاهدك ذاك قبل أن أقرّر ما يجب أن تكون عليه خطوتنا التالية".

نهض القائد.

"أفترض أنك تفهم أنه حتى إشعار آخر يجب أن تبقى هذه المسألة بيني وبينك".

"إلى متى يفترض أن نبقي هنا؟".

وجلّ هاري لدى سماعه صوت سائق سيارة الأجرة، فقد كان نائماً. قال وهو يلقي نظرة أخيرة على المنزل المكسو بالألواح الخشبية: "عد". رنّ هاتفه الخلوي في طريق عودتهما نزولاً نحو كيركفين، وكانت بتي هي المتصلة.

قالت: "نظن أننا عثرنا على السلاح. كنت محقّقاً، إنه مسدس".
"في هذه الحال، تهاني لكلينا".

"حسناً، لم يكن إيجاده صعباً جداً. كان في سلة المهملات تحت المغسلة".

"الطراز والرقم".

"غلوك 23، وقد مُحي الرقم".

"ماذا عن آثار إطلاق النار؟".

"إذا كنت تتساءل إن كانت هي نفسها التي نجدها على معظم الأسلحة الصغيرة المتطورة في أوصلو حالياً، فالجواب نعم".

"فهمت". نقل هاري هاتفه الخلوي إلى يده اليسرى. "ما لا أفهمه هو

لماذا تتصلين لتخبريني بكل هذا. إنها ليست قضيتي".

"لا تكن واثقاً جداً يا هاري. قال مولر...".

"فليذهب مولر وكل شرطة أوصلو اللعينة إلى الجحيم!".

دُهِش هاري من صوته الحاد، ورأى عبر المرآة الداخلية حاجبي سائق

سيارة الأجرة المقوسين وهما يرتفعان.

"آسف يا بتي. أنا... هل ما زلت هناك؟".

"آه - هه".

"لست في أفضل حالاتي الآن".

"يمكن لهذا أن ينتظر".

"ما هو؟".

"لا داعي إلى الاستعجال".

"هيا".

"تنهّدت. هل لاحظت التورم في جفن كاميلا لوين؟".

"لاحظته فعلاً".

"كنت أظن أن القاتل ربما يكون قد ضربها، أو أنها أُصيبت به حين سقطت. لكن، تبين لي أنه ليس تورماً".

"ما هو؟".

"ضغط متخصص علم الأمراض على الكتلة، واكتشف أنها قاسية مثل الحجر، لذا رفع جفنها. هل تعرف ما الذي وجده على مقلة عينها؟".

قال هاري: "حسناً، لا".

"حجر كريم أحمر صغير بشكل نجم. نظن أنه ألماس. ما رأيك في

هذا؟".

تنفّس هاري بعمق ونظر إلى ساعته؛ كانت لا تزال هناك ثلاث

ساعات قبل أن يوقفوا الخدمة في صوفي.

قال: "هذه ليست قضيتي"، وأنهى المكالمة.

ketab4pdf.blogspot.com

الفصل السادس:

الجمعة. ماء

القحط يسود المكان، لكنني رأيت الشرطي وهو يخرج من المشرب.
ماء للعطشان، ماء مطر، ماء نهر، مياه سلوية.

لم يرني، ومشى مترنحاً إلى أولفالسفين وحاول إيقاف سيارة أجرة، لكن لم يرغب أحد في أن يقله. كان يترنح مثل أي شخص مضطرب. أتمتع ببعض الخبرة في ما يعنيه ذلك؛ أي أن تكون محط ازدراء من قبل أولئك الذين تطعمهم، أن تكون منبوذاً حين تصبح للمرة الأولى في حياتك بحاجة إلى المساعدة، أن تكتشف أن الجميع يبصقون عليك، وأن لا أحد يمكن أن تبصق عليه بالمقابل. فكّرْ بهدوء في ما يجب أن تفعله. المفارقة طبعاً هي أن سائق السيارة الذي يشعر بالشفقة عليك هو من تدقّ عنقه.

ketab4pdf.blogspot.com

الفصل السابع

الثلاثاء. العزل

ذهب هاري إلى مؤخر المتجر، فتح الباب الزجاجي لثلاجة الحليب ومال إلى الداخل. رفع قميصه التائي المتعرق، أغمض عينيه وشعر بالهواء البارد على جلده.

كانت الأرصاد الجوية تتوقع ليلة حارّة، والزيائن القلائل في المتجر يريدون طعاماً مشويّاً، أو شراباً، أو ماءً معدنياً.

عرفها هاري من لون شعرها. كانت تقف عند نضد اللحم مديرة ظهرها له، ومؤخرتها العريضة تملأ جينزها تماماً. عندما استدارت رأى أنها ترتدي كنزة مقلّمة بالأبيض والأسود تلتصق بقدها الرشيق بإحكام. غيرت فيبيكي كنوستن رأيها بعد ذلك، وأعدت قطع اللحم الجاهزة للطهي، ودفعت عربة تسوّقها إلى الأمام وانتقت علبتين من شرائح سمك القد.

أنزل هاري قميصه وأغلق الباب الزجاجي. لم يكن يريد أي حليب، أو أي لحم أو سمك. ففي الواقع، لم يكن يريد إلا كمية صغيرة جداً من أي نوع من الطعام؛ مجرد شيء يتناوله، ليس لأنه جائع، ولكن من أجل معدته. كان قد بدأ يشعر بألم في بطنه في الليلة السابقة، وعرف من خبرته أنه إذا لم يأكل بعض الطعام الحقيقي، فلن يتمكن من تناول قطرة شراب. في عربته كان هناك رغيف من خبز الدقيق الكامل، وكيس ورقي بني يحتوي قارورة من فينمونوبول، ونصف دجاجة، وحزمة تضم ست علب من هانسا. تلملم عند نضد الفاكهة قبل أن ينضم إلى الصف عند صندوق الدفع خلف فيبيكي كنوستن. لم يتعمد الأمر، لكن ربما لم يحدث ذلك بمحض المصادفة أيضاً.

استدارت قليلاً من دون أن تراه وغصّنت أنفها؛ وكأنها تشم رائحة قوية تأتي من مكان ما، وهو احتمال لم يكن بمقدور هاري أن يستثنيه قط. طلبت من أمينة الصندوق علبة لفائف تبغ برنس.

"كنت أظن أنك تحاولين الإقلاع عن التدخين".

استدارت فيبيكي مدهوشة وأمعنت النظر إليه، ثم قابلته بثلاث ابتسامات مختلفة؛ الأولى عابرة وتلقائية، والثانية ابتسامة معرفة، والثالثة ابتسامة فضولية بعد أن دفعت ثمن مشترياتها.

"وأنت ستقيم حفلاً كما أرى".

وضعت مشترياتها في الكيس.

تمتم هاري وهو يردّ على ابتساماتها بالمثل: "شيء من هذا القبيل".

أملت رأسها جانبياً، وتحركت الشرائط البيضاء والسوداء.
"هل الضيوف كُثُر؟".

"قلّة، كلهم غير مدعوّين".

سلّمته أمينة الصندوق ما تبقى من النقود، لكنه أوماً نحو صندوق التبرعات.

"يمكن أن تطردهم، أليس كذلك؟". كانت ابتسامتها قد وصلت إلى عينيها آنذاك.

"طبعاً. لكن، لا يمكنني التخلص بسهولة من هؤلاء الضيوف تحديداً". أصدرت قارورة الشراب صوتاً حين اصطدمت بالعلب الست لدى رفعه أكياسه.

"أوه! هل هم أصدقاء قدامى؟".

ألقي عليها هاري نظرة مطوّلة. بدا له أنها تعرف ما تتكلم عنه، وقد أدهشه ذلك؛ لأنها تعيش مع شخص من النوع الذي يعطي انطباعاتاً بأنه صارم جداً، أو ليكون أكثر دقة: بدا غريباً أن يكون مثل ذلك الشخص الصارم يعيش معها.

قال: "ليس لدي أي أصدقاء".

"لا بد أنهن سيداتٌ إذاً. من أولئك اللواتي لا يغادرن بسهولة".

عقد العزم على أن يمسك لها الباب لتخرج. لكن، تبين له أنه آلي، ولم يلحظ ذلك سابقاً رغم أنه قد تسوّق هنا مئات المرات. وقفا قبالة بعضهما على الرصيف في الخارج.

لم يخطر على بال هاري شيء يتكلم عنه، وربما هذا ما جعله يقول: "ثلاث سيدات، وربما سيهربن إن شربت كثيراً".

"عفواً؟!". حجبت عينيها عن الشمس.

"لا شيء، آسف. أنا أفكّر بصوتٍ عالٍ فقط. أعني أنني لا أفكّر...

لكنني أتحدّث بصوتٍ عالٍ على كل حال. أنا أهذر، كما أفترض. أنا...". لم يفهم لماذا بقيت هناك.

قالت: "كانوا يصعدون على سلامنا وينزلون عليها طوال عطلة نهاية

الأسبوع".

"مَن؟".

"الشرطة، كما أفترض".

استوعب هاري ببطء أن عطلة نهاية أسبوع قد انقضت منذ أن

وقف في شقة كامبلا لوين. حاول أن يرى انعكاس صورته على نافذة

المتجر. عطلة نهاية أسبوع كاملة! كيف يبدو الآن؟
قالت: "لم يخبرونا أي شيء. ولم تقل الصحف شيئاً باستثناء أنهم لم
يعثروا على أي أدلة. هل هذا صحيح؟".
قال: "إنها ليست قضيتي".
"حسناً". أومأت فيبيكي كنوستن برأسها، ثم بدأت تبتسم. "هل تعرف
شيئاً؟".
"ماذا؟".

"في الواقع، إنه على الأرجح شيء جيد أيضاً".
استغرق الأمر بضع ثوانٍ قبل أن يدرك هاري ما تعنيه، فضحك،
وتطوّرت الضحكة إلى سعال متقطع.
قال حين استعاد رباطة جأشه: "غريب أنني لم أرك قط في هذا
المتجر من قبل".
هزّت فيبيكي كتفها قائلة: "من يعرف؟ ربما سنرى بعضنا هنا مجدداً
قريباً؟".

ابتسمت له ابتسامة واسعة، ثم بدأت تمشي مبتعدة، والأكياس
ومؤخرتها تتمايل من جهة إلى أخرى.
نعم، أنا وأنتِ وطائر.
كان هاري يفكر، وخشي للحظة أن يكون قد فكّر بصوتٍ عالٍ.
كان رجل يضع سترته على إحدى كتفيه، ويضع يده على بطنه جالساً
على الدرجات خارج مدخل المبنى السكني في بوابة صوفيز، وتظهر على
صدر قميصه وتحت إبطيه بقع عرق داكنة. وقف حين رأى هاري.
شهب هاري حين رآه، وشدّ أزره؛ إنه بيارني مولر.
"يا للهول يا هاري!".
"يا للهول لك أيضاً أيها المدير".
"هل رأيت كيف تبدو؟".

أخرج هاري مفاتيحه. "ألست في ذروة اللياقة؟".
"طُلب منك أن تساعد في قضية جنائية في عطلة نهاية الأسبوع، ولم
يرَ أحدٌ شعرة منك. واليوم لم تأتِ إلى العمل".
"استغرقت في النوم أيها المدير، وهذا ليس بعيداً أبداً عن الحقيقة
كما قد تظن".

"ربما استغرقت في النوم في تلك الأسابيع التي لم تأتِ فيها إلى العمل
إلا أيام الجمعة أيضاً؟".

"على الأرجح. تحسّنت صحتي قليلاً بعد الأسبوع الأول فذهبت إلى العمل، ولكن قيل لي إن شخصاً ما قد وضع اسمي على لائحة الموظفين الحاصلين على إجازات، وعرفت أنه أنت".

مشى هاري الهوينا إلى المدخل وسار مولر وراءه:
قال مولر متأوّهًا وهو يمسك بطنه بيده: "لم يكن لدي خيار مطلقاً. إنها أربعة أسابيع يا هاري!".

"حسنًا، إنها مجرد نانوثانية في الكون...".

"من دون كلمة واحدة عن مكان وجودك!".

أدخل هاري المفتاح في القفل ببعض الصعوبة. "ستأتي الآن أيها المدير".

"ما هي؟".

"الكلمة عن مكان وجودي؛ هنا".

دفع هاري باب شقته وفتحه، فاستقبلتهما رائحة كريهة ناجمة عن الشراب وأعقاب لفائف تبغ ونفايات قديمة.

"هل كنت ستشعر بحال أفضل لو عرفت مكاني؟".

دخل هاري، وتبعه مولر متردداً.

صرخ هاري من المطبخ: "لا داعي لأن تخلع حذاءك أيها المدير".

حرّك مولر بصره، وحاول ألا يبطأ على أيّ من القوارير الفارغة، والمنافض المملوءة بأعقاب لفائف التبغ، وأسطوانات الفونوغراف القديمة التي تغطي أرضية غرفة الجلوس.

"هل كنت جالساً هنا وأنت تشرب طوال أربعة أسابيع يا هاري؟".

"تخلّلت ذلك بعض الاستراحات أيها المدير؛ استراحات طويلة. بالمحصلة، أنا في إجازة، أليس كذلك؟ في الأسبوع الماضي لم أتناول قطرة واحدة تقريباً".

صرخ مولر وهو يفتح إحدى النوافذ، ويدفع الزجاج بقوة: "لدي بعض الأنباء السيئة لك يا هاري". فُتحت النافذة بعد الدفعة الثالثة. تأوه مولر، وحلّ حزامه وفكّ زر السروال العلوي. وعندما استدار، رأى هاري واقفاً بجانب باب غرفة الجلوس وهو يحمل قارورة شراب مفتوحة.

قال هاري ملاحظاً حزام كبير المفتشين المرتخي: "هل الأمر سيئ إلى هذا الحد؟ هل سأضرب بالحزام؟".

شرح مولر: "عسر هضم".

"حسنًا". أعاد هاري الغطاء إلى قارورة الشراب. "هذا تعبير غريب؛ عسر هضم. لقد كنت أعاني بسبب معدتي قليلاً أيضاً، لذا قرأت عن الأمر.

يتطلب الأمر ما بين اثنتي عشرة ساعة وأربع وعشرين ساعة لهضم الطعام.
الأمر نفسه مع الجميع، أياً يكن الطعام. قد يستمر الألم."
"هاري...".

"هل تريد كأساً أيها المدير؟".
"لقد جئت لأخبرك أن الأمر قد انتهى يا هاري".
"هل ستستقيل؟".
"كف عن ذلك الآن!".

ضرب مولر الطاولة بقوة كبيرة جعلت القوارير الفارغة تقفز، ثم
استرخى على كرسي أخضر ذي ذراعين، ومرر يده على رأسه.
"لقد خاطرت بعلمي مرات كثيرة لإنقاذك يا هاري. هناك أشخاص في
حياتي أقرب إليّ منك لأعتني بهم. ينتهي الأمر عند هذا الحد يا هاري، لم
يعد بمقدوري مساعدتك".
"لا بأس".

جلس هاري على الأريكة وسكب الشراب في إحدى الكؤوس.
"لم يطلب أحد منك مساعدتي أيها المدير. ولكن، شكراً لك على كل
حال".

سحب مولر نفساً عميقاً وأغمض عينيه.
"هل تعرف أمراً يا هاري؟ أحياناً تكون الشخص الأكثر غطرسة وأنانية
وغباءً على هذا الكوكب".

هزّ هاري كتفيه وتجرّع شرابه كله دفعة واحدة.
قال مولر: "لقد كتبت أوراق عزلك".
ملأ هاري كأسه مجدداً.

"إنها على مكتب القائد، وكل ما يلزم هو توقيععه. هل تفهم ما
يعنيه هذا يا هاري؟".
أوماً هاري. "هل أنت واثق أنك لن تتناول بعض الشراب قبل أن
تغادر أيها المدير؟".

نهض مولر، وتوقف بجانب باب غرفة الجلوس.
"لا فكرة لديك كم تؤذيني رؤيتك على هذه الحال يا هاري. كانت
راكيل وعملك كل ما تملكه. أولاً تخلّيت عن راكيل، والآن تتخلّى عن
عملك".

فكر هاري في أنه قد تخلّى عن كليهما قبل أربعة أسابيع بالضبط.
"أنا آسف حقاً يا هاري".

أغلق مولر الباب خلفه بهدوء وغادر المكان.
بعد ثلاثة أرباع الساعة كان هاري نائماً على الكرسي حين استقبل
زائراً؛ ليس النساء الثلاث المعتادات، وإنما رئيس كريبوس. حدث ذلك قبل
أربعة أسابيع وثلاثة أيام، ليكون دقيقاً.

* * *

كان قائد الشرطة نفسه قد طلب اللقاء في بوكسر؛ وهو مشرب
للعطشى الممتلئين حيوية على بعد رمية حجر من مقر القيادة. كان
الاجتماع سيضم القائد وهاري وروي كفينست فقط، وشرح القائد لهاري أنه
ما دام لم يتخذ أي قرار رسمي، فمن الأفضل القيام بكل شيء على نحو
غير رسمي قدر الإمكان حتى تكون لديه مساحة للمناورة.
لم يقل شيئاً قطّ عن مساحة هاري للمناورة.
عندما وصل هاري إلى بوكسر بعد ربع ساعة من الموعد المتفق عليه،
رأى قائد الشرطة جالساً في مؤخر المشرب وهو يحمل كأساً من الشراب.
شعر هاري أن بصره ثابت عليه حين جلس، فيما كانت عيناه الزرقاوان
تلمعان في محجريهما العميقين على كلا جانبي أنف رفيع متعجرف. كان
شعره كثيفاً وأشيب، وقامته مشدودة، وكان نحيلاً بالنسبة إلى شخص في
مثل عمره. بدا القائد مثل أحد أولئك الأشخاص الذين تبلغ أعمارهم 60
عاماً، ولا يمكنك أن تتخيل أبداً أنهم كانوا يافعين حقاً، أو أنهم عجائز.
كانوا يدعون في شعبة مكافحة الجريمة "الرئيس"؛ لأن مكتبه بيضاوي، وأيضاً
لأنه يتكلم - خاصة في المناسبات العامة - مثل رئيس. لكن اللقاء لم يكن
رسمياً تماماً، وفتّح فم قائد الشرطة رقيق الشفتين.

"لقد جئت وحدك".

طلب هاري ماء باريس معدنياً من النادلة، وأمسك قائمة الطعام
الموضوعة على الطاولة، وأمعن النظر إلى الصفحة الأولى ثم علّق بشكل
عرضي وكأنها معلومة هامشية:

"لقد غير رأيه".

"هل غير شاهدك رأيه؟".

"نعم".

ارتشف رئيس كريبوس شرابه.

قال هاري: "قال طوال خمسة شهور إنه سيُدلي بإفادته بوصفه شاهداً،
وحدث ذلك آخر مرة قبل أمس. هل تظن أن أضلاع اللحم شهية؟ اتفقنا
على أن ألتقيه بعد اجتماع فيلادلفيا اليوم. ولكن، عندما ذهبت إليه قال

إنه قد غير رأيه، وإنه توصل إلى استنتاج أنه لم يرَ توم والر في السيارة مع سفير أولسن على كل حال".
رمق قائد الشرطة هاري بنظرة ثابتة، ثم رفع رذن معطفه وتوثق من ساعته؛ في حركة اعتبر هاري أنها تعني أن الاجتماع قد انتهى.
"إذاً، ليس لدينا خيار آخر إلا افتراض أن شاهدك رأى شخصاً آخر وليس توم والر. ما رأيك أنت؟".

ابتلع هاري ريقه مرة، ثم أخرى، وحدق إلى قائمة الطعام.
"أضلاع اللحم. أظن أنني سأتناول هذا الطبق".
"أياً يكن، يجب أن أغادر الآن، لكن ضع ذلك على حسابي".
أطلق هاري ضحكة قصيرة. "هذا لطف كبير منك يا سيدي. لكن، لأكون صادقاً ينتابني شعور فظيح بأني سأدفع الفاتورة على كل حال".
عبس قائد الشرطة، وعندما تكلم بدت نبرة الانزعاج واضحة في صوته.
"هل يمكن أن أتكلم بصراحة تامة يا هول؟ يعرف الجميع أنك والمفتش والر لا تطيقان رؤية بعضكما. منذ اللحظة التي جئت فيها إلي بتلك الاتهامات الخطرة انتابني شك في أنك قد سمحت لكرهيتك الشخصية بأن تؤثر في حكمك، وقد تأكد لي هذا الشك من موقعي هذا".
دفع قائد الشرطة كأس شرابه بعيداً عن حافة الطاولة، ثم وقف وزرر أزرار معطفه.

"سأقول هذا باختصار، وأمل أن يكون كلامي واضحاً لك يا هول. لقد حُلت قضية قتل إيلين غيلتن وأغلقت نهائياً. لم تقدم أنت ولا أي شخص آخر أي شيء جديد ومهم كفاية لإجراء المزيد من التحقيقات. إذا تكلمت في هذه القضية مجدداً فسيُعتبر ذلك مخالفة للأوامر، وستُرسل أوراق عزلك موقّعة مني إلى لجنة تعيينات الشرطة فوراً. لا أقول هذا لأنني أريد غض الطرف عن شرطي فاسد، ولكن لأن من واجبي الحفاظ على معنويات العاملين في سلك الشرطة عند مستوى معقول، لذا لا يمكننا تحمّل شرطي يردد مزاعم كاذبة من دون سبب وجيه. إذا اكتشفت أنك قمت بأي محاولة لمتابعة اتهاماتك ضد المفتش والر، فستُوقف عن العمل فوراً وستُعرض القضية على SEFO".

سأل هاري بصوت خافت: "أي قضية؟ غيلتن ضد والر؟".
"هول ضد والر".

بعد أن غادر قائد الشرطة، جلس هاري محدقاً إلى كأس الشراب نصف الفارغة. كان بمقدوره أن يفعل ما طلبه منه رئيس كريبوس بالضبط،

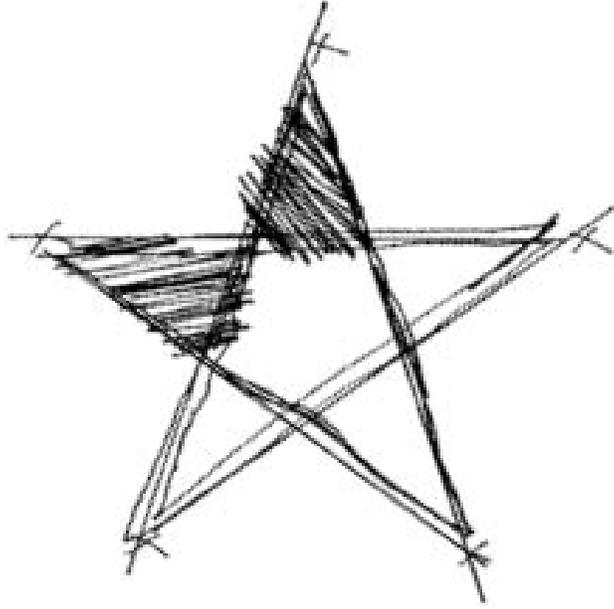
لكن ذلك لن يغير شيئاً، فقد انتهى أمره بغض النظر عما يحدث. لقد فشل وأصبح آنذاك يُشكّل خطراً على السلك؛ خائناً مصاباً بالارتياب، قنبلة موقوتة، وسيتخلصون منه في أول فرصة ممكنة. بدأ الأمر ببساطة منوطاً بهاري لتزويدهم بتلك الفرصة.

جاءت النادلة وهي تحمل قارورة ماء فارييس وسألته إن كان يريد شيئاً آخر، أو شراباً. رطب هاري شفثيه حين تداخلت أفكاره ببعضها. كان الأمر ببساطة يتوقف على قيام هاري بتزويدهم بالفرصة المناسبة، وسيتولى الآخرون ما تبقى.

دفع هاري قارورة فارييس جانباً وأجاب النادلة. حدث ذلك قبل أربعة أسابيع وثلاثة أيام، وقد بدأ كل شيء آنذاك، وانتهى أيضاً.



القسم الثاني



ketab4pdf.blogspot.com

الفصل الثامن:

الثلاثاء والأربعاء

كلبان صغيران

يوم الثلاثاء، ارتفعت درجة الحرارة في أوصلو إلى 29 درجة مئوية في الظل، وبحلول الساعة الثالثة بدأ الموظفون يتوافدون إلى الشواطئ في هك وهفرفنبوكتا. كان السيّاح يتقاطرون إلى مطاعم الهواء الطلق في أكر بريج ومنتزه فرونغر حيث التقطوا، وهم يتصبّبون عرقاً، صوراً أمام حجر المونوليث قبل أن يتحركوا إلى النافورة على أمل أن تحمل نسائم الهواء معها رذاذاً بارداً إليهم.

ساد الهدوء خارج الدروب التي سلكها السيّاح، وتحركت الحياة هناك ببطء شديد. انحنى عمّال الطرق - وجذوعهم عارية - فوق آلاتهم، وحدّق بناؤون يقفون على سقالات في مواقع بناء حول مستشفى ريكس نحو الأسفل؛ إلى شوارع مقفرة، ووجد سائقو سيارات الأجرة أماكن يركنون فيها مركباتهم في الظل، حيث وقفوا مجموعات وهم يتبادلون الآراء حول جريمة القتل التي وقعت في أولفالسفين. وحده أكرسغاتا شهد نشاطاً متزايداً، وقد نشرت صحف تسعى إلى إثارة المشاعر نبأ موسم الركود، وتحدّثت بإسهاب عن جريمة القتل الأخيرة. ومع غياب الكثير من زملائهم في إجازات، كلّف جميع المحررين الموجودين بالعمل على القصة؛ بدءاً من طلاب الصحافة الذين يؤدون أعمالاً صيفية إلى المعلّقين السياسيين العاطلين عن العمل، ولم يفلت من ذلك إلا مراسلو الشؤون الثقافية.

كان المكان لا يزال أكثر هدوءاً، وربما يعزى السبب في ذلك إلى أن مقرّ أفْتنبوستن قد انتقل من أكرسغاتا؛ الشارع الذي شغلته الصحافة تقليدياً، نحو المركز بجانب مركز البريد. وأياً كان اسمه، بدا نسخة مدنية صغيرة وكريهة عن ناطحة سحاب تتناول إلى السماء الزرقاء الصافية. كان التمثال الذهبي - تمثال بني ضخم على الحافة العليا لموقع البناء في بيورفيكا - يبدو أنيقاً. لكن، في ذلك الوقت لم يكن بمقدور مراسل الجنایات روجر غيندم عدم رؤية بلاتا؛ ساحة سوق متعاطي الممنوعات، وميدان حُقن الهواء الطلق حيث يأمل المدمنون أن يجدوا عالمهم الجديد الرائع. وجد نفسه أحياناً يتفحص الموجودين ليرى إن كان توماس موجوداً في الأسفل معهم، لكن توماس لا يزال في سجن أُرسمو يقضي عقوبة السجن لدخوله عنوة شقة شرطي في الشتاء الماضي. إلى أي حد يمكن أن يصبح المرء مجنوناً؟ أو يائساً؟ على كل حال، لم يكن روجر ليقلق من

النظر إلى الأسفل ورؤية شقيقه الصغير فجأة وهو يحقن جرعة مفرطة في ذراعه.

لم تكن أفنتبوستن قد عيّنت بشكل رسمي محرراً جنائياً جديداً بعد، وقد عُرضت على المحرر الأخير تسوية مالية ليتنحى فقبلها بسرور وترك العمل. وُضعت الجريمة بعد ذلك تحت مظلة التغطية الإخبارية، وكان ذلك يعني عملياً أن يصبح روجر غيندم محرر الجنايات رغم حصوله على راتب صحفي عادي. جلس خلف مكتبه واضعاً أصابعه على لوحة المفاتيح، ومثبناً عينيه على وجه المرأة المبتسمة التي جعل صورتها شاشة توقف لحاسوبه، وذهنه مشغول بالمرأة التي حزمت أمتعتها للمرة الثالثة وغادرت شقته في سيلدوكسغاتا. عرف أن ديفي لن تعود هذه المرة، وأن الوقت قد حان ليمضي قدماً في الحياة. فعّل لوحة التحكم في حاسوبه، وألغى شاشة التوقف، وأدرك أن هذه بداية جديدة. كان يعمل على قضية هيروين، لكنه نحّاه جانباً، ولا بأس بذلك لأنه يكره الكتابة عن الممنوعات. أصرت ديفي أن سبب ذلك هو توماس. وحاول روجر أن يعزل نفسه عن كل من ديفي وشقيقه الصغير حتى يستطيع التركيز على القضية التي يُفترض أن يكتب عنها.

كان يلخّص تفاصيل الجريمة التي وقعت في أولفالسفين، مستمتعاً ببعض التأجيل في أثناء انتظاره تطورات أخرى؛ دليلاً جديداً أو مشتبهاً فيه أو اثنين. شعر أنها ستكون مهمة سهلة، فهي تبدو قضية مثيرة بكل طريقة ممكنة، وتضم معظم المقوّمات التي يتمناها أي مراسل جنائي. امرأة شابة عمرها 23 سنة، عزباء، أُطلقت عليها النار في حمام شقتها، في وضوح نهار يوم الجمعة. تبين أن المسدس الذي عُثر عليه في سلة المهملات في الشقة هو سلاح الجريمة. لم يرَ أحد من الجيران شيئاً، ولم يُلحظ أيّ غرباء يتجولون في المنطقة، وادّعى أحد الجيران فقط أنه قد سمع شيئاً يبدو مثل عيار ناري. ونظراً إلى عدم وجود علامات تشير إلى الدخول عنوة، كانت الشرطة تعمل على نظرية أن كاميلا لوين سمحت للقاتل بالدخول. لكن، لا أحد في دائرة أصدقائها ومعارفها يبدو مشتبهاً فيه، ولديهم جميعاً حجج غياب قوية. وجعلت حقيقة أن كاميلا لوين قد غادرت عملها - بوصفها مصممة غرافيك في شركة ليو بورنت - عند الساعة 4:15 لتلتقي صديقين أمام كونسترنز هس عند الساعة 6:00 من غير المرجح إطلاقاً أن تكون قد دعت أحداً إلى منزلها. بدا مستبعداً أيضاً أن يكون أحدٌ قد رنّ جرس باب كاميلا لوين وتسلل إلى المبنى السكني

بانتحال هوية زائفة؛ لأنها تستطيع رؤيته عبر كاميرا الفيديو المثبتة على لوحة جهاز الاتصال البيني في المدخل.

كانت قدرة المكتب الصحفي على نشر عناوين مثل "جريمة نفسية" و"جار تذوق الدم" سيئة بما فيه الكفاية، لكن تفصيلين آخرين تسربا إلى الصحيفة، ومنحا الصفحات الأولى المزيد من الإثارة: إصبع كاميلا لوين المبتورة وألماسة حمراء وُجِدَت تحت جفنها. بدأ روجر غيندم تلخيصه في الزمن الحاضر ليمنحه تأثيراً مثيراً، لكنه اكتشف أن المادة لا تحتاج إلى ذلك فشطب كل ما كان قد كتبه. جلس لبعض الوقت واضعاً رأسه بين يديه، ثم نقر مرتين على أيقونة سلة المهملات على الشاشة، ووضع المؤشر فوق "إفراغ سلة المهملات" ثم تردد. كانت تلك هي الصورة الوحيدة لها لديه، وقد أزال كل أثرٍ باقٍ لها في شقته، وغسل الكنزة الصوفية التي كانت تستعيرها ويحب ارتدائها؛ لأن رائحتها علقت بها.

همس وهو ينقر على المؤشر: "وداعاً".

قرأ مقدّمته مجدداً وقرر تغيير "أولفالسفين" إلى "مقبرة مخلّصنا"؛ بدأ ذلك أفضل. بدأ يكتب بعد ذلك، واسترسل في أفكاره هذه المرة. عند الساعة السابعة، كان الناس يتحركون بتردد عائدين من الشواطئ إلى منازلهم رغم أن الشمس لا تزال تسفعهم من السماء الصافية. أصبحت الساعة الثامنة ثم التاسعة، وكان أشخاص يضعون نظارات شمسية لا يزالون يحتسون الشراب في الخارج، في حين أن نُذلاً في مطاعم تفتقر إلى المصاطب كانوا يضيعون الوقت سدى. أضحت الساعة 9:30، والشمس حمراء فوق أولرناسن ثم انحدرت، على عكس الحرارة. كانت ليلة مدارية، والناس يعودون إلى منازلهم من المطاعم والمشارب ليتمددوا مستيقظين، وهم يتصببون عرقاً على أسرّتهم.

في أكرسغاتا، كان الموعد النهائي يقترب، وجلس فريق التحرير ليناقش مواد الصفحة الأولى للمرة الأخيرة. لم تكن الشرطة قد أدلت بأي بيانات جديدة، ولا يعني ذلك أنها تتكتم على أي معلومات، لكن، بعد أربعة أيام من وقوع الجريمة، بدا لها أنه ليس لديها أي شيء آخر يُقال. من ناحية أخرى، منح الصمت غيندم وزملاءه مجالاً أوسع للتوقعات، وبدا ذلك وقتاً للإبداع.

في الوقت نفسه تقريباً، في أوبسال، رنَّ الهاتف في منزل مكسوٍّ بألواح خشبية صفراء ومحاطٍ ببستان تفاح. مدّت بتي لون ذراعها من تحت

الملاءة، وتساءلت إذا كانت والدتها التي تعيش في الطابق السفلي قد استيقظت على رنين الهاتف، فقد بدا ذلك مرجحاً.
سأل صوت أجش: "هل كنت نائمة؟".

قالت بتي: "لا، لم أنم بعد؟".

"أما أنا فقد استيقظت للتو".

جلست بتي على السرير.

"كيف جرى الأمر؟".

"ماذا يمكن أن أقول؟ حسناً، نعم، على نحو سيئ. أفترض أنني

أستطيع قول هذا".

ساد الصمت. لم يكن الخط الهاتفى هو الذي يجعل صوت هاري

يبدو بعيداً بالنسبة إلى بتي.

"هل هناك أي شيء جديد من الطب الشرعي؟".

قالت: "ما قرأته في الصحف فقط".

"أي صحف؟".

تنهدت. "ما تعرفه مسبقاً فقط. لقد حصلنا على بصمات أصابع

وحمض نووي من الشقة. لكن، حالياً لا يبدو أن هناك صلة واضحة

بالقاتل".

قال هاري: "لا نعرف إن كانت هناك مكيدة مدبرة بعد، أو قاتل".

تثاءبت بتي وهي تقول: "قاتل".

"هل اكتشفتم من أين جاءت الألماسة؟".

"نحن نعمل على هذا. يقول صاغة المجوهرات الذين تكلمنا معهم إن

الألماس الأحمر ليس نادراً، لكن الطلب عليه قليل جداً في النرويج، ويشكّون

في أن الألماسة قد جاءت عن طريق جواهرى نرويجي. إذا جاءت من

الخارج فذلك يزيد احتمال أن يكون الجاني أجنبياً".

"مم".

"ما الأمر يا هاري؟".

سعل هاري بصوت عال ثم أجاب: "أحاول فقط الاطلاع على آخر

المستجدات".

"كان آخر شيء سمعته أنها ليست قضيتك".

"هذا صحيح".

"إذاً، ماذا تريد؟".

"حسناً، لقد استيقظت لأنني رأيت كابوساً".

"هل تريد مني أن آتي وأخفف عنك".
"لا".

أطبق الصمت مجدداً.
"كنت أحلم بكاميلاً لوين، والألماسة التي وجدتِها".
"أوه، حقاً؟".

"نعم. أظن أن هناك شيئاً يتعلق بها".
"ماذا تعني؟".

"لست واثقاً تماماً بعد. لكن، هل تعرفين أنهم في الماضي كانوا يضعون
قطعتي نقود على عيني الجثة قبل دفنها؟".
"لا".

"كانوا يعتبرونهما دفعة لصاحب المعديّة الذي سينقل الميتم إلى مملكة
الموتى. وإذا لم يُنقل فلن يجد السكينة أبداً. فكّري في هذا".
"شكراً على هذه الحكمة، لكنني لا أصدّق وجود الأشباح يا هاري".
لم يرد هاري.

"هل هناك أي شيء آخر؟".
"سؤال واحد فقط. هل تعرفين إن كان قائد الشرطة سيبدأ إجازته
هذا الأسبوع؟".

"نعم، سيفعل هذا".
"هل تعرفين بمحض المصادفة فقط... متى سيعود؟".
"بعد ثلاثة أسابيع. ماذا عنك؟".
"ماذا عني؟".

سمعت بتي طقطقة القداحة، فتنهّدت وسألته: "متى ستعود؟".
سمعت هاري يسحب شهيقاً، ثم يحبس أنفاسه ويزفر ببطء قبل أن
يجيب: "ظننت أنك قلتِ إنك لا تصدّقين وجود الأشباح".
عندما كانت بتي تعيد السّاعة إلى مكانها، استيقظ بيارني مولر وهو
يشعر بالآلام في بطنه، واستلقى على الفراش متقلّباً حتى الساعة 6:00؛ حين
استسلم ونهض من السرير. استغرق تناوله الفطور من دون قهوة مدة
طويلة، وشعر بأنه أفضل حالاً فوراً. عندما وصل إلى مقر قيادة الشرطة
بعد الثامنة بقليل اكتشف، مدهوشاً، أن الوجع قد اختفى تماماً. استقل
المصعد إلى مكتبه، واحتفل بوضعه قدميه على طاولته، ثم تناول أول رشفة
من القهوة وأمسك صحف اليوم.
نشرت داجبلاديت صورة لكاميلاً لوين وهي تبسم على صفحتها الأولى

تحت العنوان "حبيب سري؟". ونشرت فيرنز غانغ الصورة نفسها ولكن مع عنوان مختلف: "المستبصر يرى الغيرة". فيما بدا المقال في أفتنبوستن مهتماً بالحقيقة.

هزّ مولر رأسه، وألقى نظرة على ساعته ثم اتصل برقم وال. بدا التوقيت مثالياً؛ لأنه سيكون قد أنهى للتو اجتماعه الصباحي مع المحققين الذين يعملون في القضية.

قال وال: "لم نحقق اختراقاً بعد. كنا نقوم بالتحقيق منتقلين من باب إلى آخر مع كل الجيران، وقد تكلمنا مع كل أصحاب المتاجر القريبة، وتوثقنا من سيارات الأجرة التي كانت في المنطقة في ذلك الوقت، وتحدثنا مع مخبرين، وتحققنا من حجج غياب أصدقاء قدامى لديهم سوابق. دعني أقول لك إنه لم يبرز أي مشتبه فيه، ولأكون صريحاً، لا أظن أن الرجل شخص نعرفه في هذه القضية. لا دليل على حصول اعتداء جنسي، ولم يمس أحد المال أو الأشياء القيّمة، ولا أشياء مألوفة أو أجراس تقرر. لا توجد سوى الإصبع والألماسة...".

شعر مولر أن معدته تقرر، وتمنى أن يكون ذلك بسبب الجوع. "إذاً، لا أبناء جيدة لي".

"لقد أرسل مخفر ماجورستوا ثلاثة رجال إلينا، لذا أصبح لدينا الآن عشرة أشخاص يعملون على الجانب الاستراتيجي من هذا التحقيق. والفنيون في كريوس يساعدون بتي على فحص ما عُثِر عليه في الشقة. لدينا عددٌ جيد من الموظفين، مع الأخذ بالحسبان أنه موسم الإجازات. هل يبدو هذا جيداً؟".

"شكراً يا وال، ودعنا نأمل أن يبقى الأمر على هذه الحال، أعني في ما يتعلق بالموظفين".

أعاد مولر السّماعَة إلى مكانها، وأدار رأسه لينظر إلى خارج النافذة قبل أن يعود إلى أوراقه. على كل حال، بقي في موقعه، ورأسه مائل على نحو غير مريح، وعيناه ثابتتان على المرج خارج مقر قيادة الشرطة. كان قد شاهد شخصاً يتجول في غرونلاندسليرت، لم يكن يمشي بسرعة، لكن بدا أنه يسير على كل حال في خطٍّ مستقيم تقريباً، ولم يشكّ مولر بشأن المكان الذي يقصده: كان قادماً نحو مخفر الشرطة.

نهض مولر، وخرج إلى الرواق، ثم طلب من جيني أن تُحضر له فوراً المزيد من القهوة وكوباً إضافياً، ثم عاد إلى الداخل، وجلس وأخرج بسرعة بعض الوثائق القديمة من أدراجهِ.

سمع قرعاً على الباب بعد ثلاث دقائق.

صرخ مولر: "تفضل!". من دون أن يرفع بصره عن أوراقه؛ رسالة شكوى مؤلفة من اثنتي عشرة صفحة قدّمها مالك كلبين يتهم فيها العيادة البيطرية في سكيبرغاتا بتزويده بدواء خاطئ ما أدّى إلى موت كلبيه الصينيين الصغيرين. فُتح الباب، وبالكاد لوّح له مولر كي يدخل وهو يقرأ بإمعان صفحة عن تربية الكلبين، والجوائز التي حصل عليها في معارض الكلاب، والذكاء الجدير بالملاحظة الذي كان كلا الكلبين يتمتعان به. قال مولر حين رفع بصره أخيراً: "يا للهول! كنت أظن أننا قد طردناك".

"حسناً، نظراً إلى أن أوراق عزي من مناصبي لا تزال غير موقعة على مكتب قائد الشرطة، وستبقى كذلك في الأسابيع الثلاثة القادمة على الأقل، ظننت أنه بمقدوري المجيء إلى العمل في الوقت الحالي. صحيح أيها المدير؟".

سكب هاري لنفسه كوباً من القهوة من دلة جيني، وحمل الكوب معه وهو يدور حول طاولة مولر ليقترّب من النافذة. "لكن هذا لا يعني أنني سأعمل على قضية كاميلو لوين". استدار بيارني مولر ونظر إلى هاري بإمعان. كان قد رأى ذلك عدّة مرات من قبل؛ كيف يمكن أن يتعرض هاري إلى تجربة تكاد تؤدي بحياته في أحد الأيام، وفي اليوم التالي يأتي إلى العمل متثاقلاً مثل لازاروس وأحمر العينين. على الرغم من كل ذلك، بدا الأمر مفاجئاً في كل مرة. "إذا كنت تظن أن عزلك خدعة يا هاري، فأنت مخطئ. هذا ليس مجرد كلام عابر هذه المرة، وإنما هو شيء مؤكد. في كل الوقت الذي عصيت فيه الأوامر كنت أنا من يتوثق من معاملتك بتساهل. لهذا السبب لا يمكنني التهرب من مسؤولياتي الآن أيضاً". بحث بيارني مولر عن دلائل مناشدة في عيني هاري، لكنه لم يجد أيّاً منها لحسن الحظ.

"هذا هو الأمر يا هاري. لقد انتهى كل شيء".

لم يجب هاري.

"لقد سُحب ترخيص سلاحك، وهذا إجراء عادي. يجب أن تنزل إلى

مستودع الأسلحة وتعيد أي شيء لديك اليوم".

أوماً هاري، وأمعن رئيس القسم في النظر إليه. هل لاحظ أثراً لسلوك

تلميذ مرتبك تلقى لكمة غير متوقعة؟ وضع مولر يده على عروة الزر

الأدنى من قميصه، إذ لم يكن طرد هاري سهلاً بالنسبة إليه.
"إذا كنت تظن أن بمقدورك أن تجعل نفسك مفيداً في أسابيعك الأخيرة، وتشعر أنك تستطيع المجيء إلى العمل، فلا بأس بذلك بالنسبة إلي. لست موقوفاً عن العمل، ويجب أن ندفع راتبك في نهاية الشهر على كل حال. ونعرف ما هو البديل بالنسبة إليك عن الجلوس هنا، أليس كذلك؟".
تمتم هاري وهو يقف: "لا بأس. سأذهب فحسب وأرى إن كان مكتبي لا يزال موجوداً. سيكون عليك أن تخبرني إن كان هناك شيء تحتاج إلى مساعدتي فيه أيها المدير".
تورّد وجه بيارني مولر فيما كان يتسم ابتسامة متساهلة. "نعم سأخبرك بذلك يا هاري".
قال هاري وهو يغلق الباب بهدوء خلفه: "بشأن قضية الكلبين الصغيرين مثلاً".

وقف هاري عند المدخل يمعن النظر إلى المكتب الذي يشترك فيه مع هالفورسن. كانت طاولة زميله نظيفة وخاوية في أثناء عطلته، وتجمّم قبالة طاولته، وقد علّقت على الجدار فوق خزانة الملفات صورة الضابط إيلين غيلتن، التي التّقطت لها في الوقت الذي كانت تجلس فيه على كرسي هالفورسن. كان الجدار الآخر مغطى تماماً تقريباً بخريطة لشوارع أوسلو المزينة بدبابيس وخطوط وأوقات تشير إلى أماكن وجود إيلين، وسفير أولسن، وروي كفينست وقت وقوع الجريمة. ذهب هاري إلى الجدار ووقف أمام الخريطة، ثم بحركة واحدة سريعة مرّقها ووضعها في أحد أدراج خزانة الملفات. أخرج قارورة فضية صغيرة من جيب سترته، وتناول جرعة سريعة، ثم وضع جبينه على سطح الخزانة المعدني البارد.

كان قد عمل أكثر من عشر سنوات في هذا المكتب، الغرفة 605؛ أصغر مكتب في المنطقة الحمراء في الطابق السادس. حتى عندما خطرت لهم فكرة غريبة بترقيته إلى منصب مفتش، أصرّ على البقاء هنا. لم تكن توجد في الغرفة 605 أي نوافذ، لكنه راقب العالم من هنا، وتعلّم في هذه الأمتار المربعة العشرة مهنته، واحتفل بانتصاراته، وتحمّل هزائمه، واكتسب البصيرة الضئيلة التي يمتلكها عن الذهن البشري. حاول أن يتذكر ما قد فعله غير ذلك في تلك السنوات العشر، فلا بد أن هناك شيئاً ما. كان يعمل حوالي ثماني ساعات إلى عشر فقط كل يوم، ولا تزيد المدة عن اثنتي عشرة ساعة على كل حال، إضافة إلى العطلات الأسبوعية.
استرخى هاري على كرسيه المتهالك، وصرّت النوايظ البالية تحته

إبتهاجاً. كان بمقدوره الجلوس هنا بسعادة لمدة أسبوعين آخرين.
عند الساعة 5:25 من بعد الظهر، يكون بيارني مولر عادة في المنزل
مع زوجته وولديه. على كل حال، نظراً إلى أنهم في زيارة للجدّة، قرّر
الاستفادة من أيام الإجازة هذه بهدوء؛ لإنجاز بعض الأعمال الورقية المهملة.
كانت جريمة القتل في أولفالسفين قد أفسدت إلى حدّ ما تلك الخطط،
لكنه عقد العزم على تعويض الوقت الضائع.
عندما تلقى مكاملة من غرفة التحكم، أجاب بنبرة انزعاج أن عليهم
أن يتصلوا بالشرطة العادية؛ لأنّ شعبة مكافحة الجريمة لا يمكن أن تتحمل
مسؤولية البحث عن أشخاص مفقودين.
"أعتذر يا مولر، لكن ضباط الدورية مشغولون بالتعامل مع حادثة
إطلاق نار في غريفسن. المتصل مقتنع بأن الشخص المفقود ضحية جريمة".
"كل الموظفين الذين لا يزالون هنا يعملون على قضية الجريمة في
أولفالسفين. سيكون ذلك...". توقف مولر فجأة. "أو انتظر لحظة، دعني
أثوثق فحسب...".

الفصل التاسع:

الأربعاء. شخص مفقود

وضع الشرطي قدمه على المكابح بهدوء، فتوقفت سيارة الشرطة أمام إشارة المرور الحمراء بجانب ساحة ألكسندر كيلاندز. سأل الشرطي وهو يستدير نحو مقعد الراكب: "هل يجب أن نشغل صفارة الإنذار ونذهب إلى هناك؟".

هزَّ هاري رأسه شارداً الذهن، وحدق إلى المتنزه الذي كان منطقة عشبية، وإلى المقعدين الخشبيين اللذين يشغلها أشخاص يحاولون حجب ضجيج حركة السير بأغانهم وشتائمهم المتواصلة. صدر قرار قبل سنتين بإنفاق بضعة ملايين على تنظيف الساحة التي تحمل اسم الكاتب، فأُخلي المتنزه، وزُرعت بعض النباتات، ومُدَّ إسفلت، وشُقَّت دروب، ونُصبت نافورة، وأصبح ذلك المكان من دون أدنى شك خلفية رائعة لأداء الأغاني وإطلاق الشتائم.

انعطفت سيارة الشرطة إلى اليمين عبر سانرغاتا، ثم عبرت الجسر فوق أكرسلفا وتوقفت أمام العنوان الذي كان مولر قد زوّد هاري به. أخبر هاري الشرطي أنه سيعود بمفرده، ثم خرج إلى الرصيف ووقف منتصب القامة. كان على الطرف الآخر من الطريق مبنى مكاتب مشيّد حديثاً لا يزال خالياً، ووفقاً للصحف سيبقى على تلك الحال لبعض الوقت. انعكست على النوافذ صورة المبنى السكني الذي يضم العنوان المنشود، وكان بناءً أبيض من الأربيعينيات أو نحو ذلك، ليس عادياً تماماً، لكن لا شيء يميزه أيضاً، وواجهته تحمل رقع رسوم تدل على أقاليم. شاهد عند موقف الحافلة فتاة داكنة البشرة تشابك ذراعيها أمام صدرها، وتمضغ اللبان، وتتنظر بإمعان إلى لوحة إعلانية ضخمة ملابس ديزل في الطرف الآخر من الشارع. وجد هاري الاسم بجانب أعلى زرّ للجرس.

قال هاري: "شرطة"، وجهز نفسه ليصعد على السلم.

وقف شخص غريب في المدخل في الأعلى منتظراً هاري الذي وصل لاهتاً من جرّاء صعود السلم. كان للرجل شعر كثيف على رقبته، ولحية سوداء على وجه أحمر داكن، وكان يرتدي ثوباً طويلاً يغطيه من العنق نزولاً إلى قدميه اللتين تنتعلان خُفين.

قال وهو يمد كفه: "جيد أنك استطعت المجيء بهذه السرعة".

كانت يد الرجل كبيرة جداً، وأطبقت على يد هاري تماماً حين عرف الرجل عن نفسه بأنه ويلهلم بارلي.

عرّف هاري بنفسه وحاول أن يسحب يده. لم يكن يحب التلامس الجسدي مع الرجال، وهذه المصافحة تنتسب أكثر إلى فئة العناق. على كل حال، أمسك ويلهلم به وكأنه يتشبث بحياته. همس، وبدا صوته واضحاً على نحو يثير الدهشة: "لقد اختفت ليزبيث".

"نعم، تلقينا الرسالة. هل ندخل؟".

"نعم، تفضل".

تقدم ويلهلم هاري، ودخلا إحدى الشقق. بينما كانت شقة كاميليا لوين صغيرة ومزودة بأثاث بسيط جداً، بدت هذه الشقة كبيرة، وبدا أثاثها كثيراً ومبهرجاً، مثل أثر من كلاسيكية جديدة. على كل حال، كان ذلك مبالغاً فيه إلى درجة أنه بدا مثل خلفية حفل تنكري. شاهد بدلاً من الأرائك والكراسي مدرجات مائلة تماثل نسخة هوليوود من روما القديمة، وكانت العوارض الخشبية مغطاة بالجص لتشكيل أعمدة دُوريّ أو كورنثي. لم يستوعب هاري الفرق قط، لكنه تعرّف فعلاً اللوحة الجصية النافرة المثبتة مباشرة على الجدار الأبيض في الرواق. كانت والدته قد اصطحبتة وشقيقته إلى متحف في كوبنهاغن حين كانا صغيرين، وقد شاهدنا هناك عمل جيسون والصوف الذهبي لبرتل ثورفالدسن. بدا واضحاً أن الشقة قد رُتبت للتو، ولاحظ هاري خشباً مطلياً حديثاً، وأجزاء من شريط لاصق، وشمّ رائحة مواد مذيبة نفاذة.

رأى في غرفة الجلوس طاولة منخفضة مخصصة لشخصين، وتبع هاري بارلي على السلام، وخرجا إلى فسحة سطح كبيرة مغطاة بالأجر تطل على المنطقة المركزية، ومحاطة من الجوانب الأربعة بمبانٍ سكنية متصلة. كان المشهد في الخارج نرويجياً معاصراً، وهناك ثلاث شرائح لحم محترقة على المشواة.

اعتذر بارلي وهو يشير إلى كرسي بلاستيكي أبيض مزخرف: "يصبح الجو دافئاً جداً بعد الظهر في هذه الشقق العالية".

قال هاري وهو يمشي إلى الحافة وينظر نحو الأسفل إلى المنطقة المركزية: "هذا ما اكتشفته".

عادة، لم تكن الأماكن المرتفعة تزعجه، لكن بعد انقضاء وقت طويل في تناول الشراب أضحت الأبنية متوسطة الارتفاع تجعله فجأة يشعر بالدوار. رأى على بعد خمسين متراً تحته درّاجتين عتيقتين، وملاءة بيضاء تتدلى من منشر غسيل دوار وتخفق مع النسيم، لكنه اضطر للنظر إلى

الأعلى مجدداً بسرعة.

رفع جاران يقفان قبالتهما عبر الساحة، على شرفة يحيط بها درابزين حديدي مزخرف، قارورتي شراب تحية له. وشاهد هاري أن نصف الطاولة أمامهما مغطى بقوارير بنية، فأوماً لهما بالمقابل. تساءل كيف يكون الهواء قوياً في الساحة ولكنه ليس كذلك في الأعلى.
"أتريد كأساً من الشراب الأحمر؟".

كان بارلي قد بدأ آنذاك يسكب لنفسه كأساً من قارورة نصف فارغة، ولاحظ هاري أن يده ترتعش. قرأ على اللصاقة دوماين لا باستايد سي، وكان الاسم أطول من ذلك لكن أصابع غاضبة مزّقت ما تبقى.
جلس هاري. "شكراً، لكنني لا أشرب في أثناء العمل".
كشّر بارلي ووضع القارورة على الطاولة بسرعة.
"طبعاً لا، أعتذر. لا أتمالك نفسي من شدة القلق، وأنا أيضاً لا يجب أن أشرب في هذا الوضع".

عندما وضع كأسه على فمه وشرب، سال الشراب على ثوبه حيث بدأت بقعة حمراء تكبر.

نظر هاري إلى ساعته حتى يدرك بارلي أن عليه الإيجاز في كلامه. لهث بارلي قائلاً: "كان يُفترض بها أن تنزل إلى المتجر لشراء بعض سلطة البطاطا لتتناولها مع أضلاع اللحم. كانت تجلس قبل ساعتين فقط حيث تجلس أنت الآن".

عدّل هاري نظارته الشمسية وسأله: "زوجتك مفقودة منذ ساعتين؟".
"نعم، حسناً، لست واثقاً تماماً إن كانت المدة أطول. لكن، كان يُفترض بها أن تذهب إلى كيوي عند الزاوية وتعود".

سقطت أشعة الشمس على قوارير الشراب على الشرفة المقابلة، ووضع هاري يده فوق عينيه، فلاحظ أصابعه المتعركة، وتساءل عن كيفية تخلصه من العرق. وضع أطراف أنامله على ذراع الكرسي الساخنة جداً، وشعر بالرطوبة تتبخر ببطء.

"هل اتصلت بأصدقائك ومعارفكما؟ هل نزلت إلى السوق وتوثقت من الأمر؟ ربما التقت شخصاً ما وذهبت لتناول الشراب معه. ربما -".
"لا، لا، لا!". رفع بارلي كفيه أمام صدره وقد بسط أصابعه. "لم تفعل! إنها ليست من هذا النوع!".
"ليست من أي نوع؟".
"إنها شخص من النوع... الذي يعود".

"حسنًا...".

"أولاً، اتصلتُ بهاتفها الخليوي، لكنها طبعاً قد تركته هنا. ثم اتصلت بأشخاص نعرفهم ربما تكون قد ذهبت إليهم. اتصلت بكيوي، ومقر الشرطة، وثلاثة مخافر، وكل أقسام الإسعاف، ومستشفى أولفال وريكس. لا شيء، نادا، نيخت".

"أرى أنك قلق".

مال بارلي فوق الطاولة، وشفته الرطبتان ترتعشان.

"أنا لست قلقاً، وإنما أفقد صوابي خوفاً. هل سمعت من قبل عن امرأة تخرج مرتدية ثوب السباحة ولا تحمل إلا خمسين كروناً، في حين أن اللحم ينضج على المشواة، ثم تقرر أن تلك فرصة مناسبة للذهاب في رحلة قصيرة؟".

تردد هاري، وعندما قرر قبول كأس الشراب، سكب بارلي ما تبقى في القارورة في كأسه. إذًا، لماذا لم ينهض؟ ولماذا لم يقل شيئاً مطمئناً عن عدد الأشخاص الذين يتصلون ويقدمون تقارير عن أشخاص مفقودين مثله تماماً، ويكون لدى هؤلاء جميعاً تفسير طبيعي عادي، ثم بعد أن يطلب من بارلي أن يتصل إن لم تظهر بحلول المساء، يغادر المكان؟ ربما كان ذلك يتعلق بتفصيل ثوب السباحة وورقة الخمسين كروناً، أو ربما لأن هاري كان ينتظر طوال اليوم أن يحدث شيء، وهذه على الأقل فرصة لتأجيل ما ينتظره في شقته. بدا أن الأمر متعلقٌ بذعر بارلي الواضح وغير المنطقي. كان هاري قد بخس حق الحدس من قبل، لكل من الناس وذاته، ودفع الثمن في كل مرة من دون استثناء.

قال هاري: "يجب أن أقوم ببعض المكالمات الهاتفية".

عند الساعة 6:45 من بعد الظهر وصلت بتي لون إلى شقة ويلهلم وليزبيث بارلي في سانرغاتا، وبعد ربع ساعة وصل أحد رجال الشرطة مع كلب رعي ألماني. عرف الرجل عن نفسه وكلبه باسم إيفان.

قال الرجل: "إنها مصادفة، فهذا ليس كلب".

رأى هاري أن إيفان ينتظر تعليقاً ظريفاً، لكن لم يكن لديه ما

يقوله.

عندما ذهب ويلهلم بارلي إلى غرفة النوم ليحضر بعض صور ليزبيث الحديثة وقطع ثياب ليشم إيفان - الكلب - رائحتها تكلم هاري بسرعة إلى الشخصين الآخرين بصوت خافت:

"لا بأس، قد تكون في أي مكان. ربما هجرته، وربما تريد تغيير مجرى

حياتها، أو قالت له إنها ستذهب إلى مكان آخر ولم يدرك ذلك. هناك مليون احتمال، لكن ربما تكون أيضاً ممددة على المقعد الخلفي لسيارة في هذه اللحظة تحديداً، مخدّرة، وتعرض للاعتداء من قبل أربعة رجال فقدوا أعصابهم حين رأوا ثوب السباحة. لا أريد منكما البحث عن أي شيء محدد، وإنما تفتيش المكان".

أومات بتي وإيفان لإظهار أنهما قد فهما المراد. "ستصل سيارة دورية قريباً. بتي، تحدثي إليهم واجعليهم يتحرّون عن الجيران، ويتكلمون مع بعض الأشخاص، خاصة في السوق حيث كان يُفترض بها أن تذهب، ثم تكلمي مع الناس في هذا الجزء من المبنى. سأذهب إلى الجارين الجالسين على الشرفة في البناء الذي يطل على الطريق". سألت بتي: "هل تظن أنهما يعرفان شيئاً؟".

"إنهما يشاهدان هذه الشقة بوضوح. ويبدو من عدد القوارير الفارغة أمامهما أنهما يجلسان هناك منذ بعض الوقت. وفقاً للزوج، بقيت ليزبيث في المنزل طوال اليوم، وأريد أن أعرف إن كانا قد شاهداها على السطح، وإن كان ذلك قد حصل فمتى".

سأل الشرطي، وهو يشد رسن إيفان: "لِمَ هذا؟". "لأنهما إن لم يشاهدا سيدة ترتدي ثوب سباحة في هذه الشقة الفرن حين خرجت إلى فسحة السطح، فسينتابني الشك بالتأكيد". همست بتي: "هذا طبيعي، هل تشك في الزوج؟". قال هاري: "أشك في الزوج من حيث المبدأ". سأل إيفان مجدداً: "لِمَ هذا؟".

ظهرت على وجه بتي ابتسامة العارف. قال هاري: "إنه الزوج دائماً". قالت بتي: "إنها القاعدة الأولى لدى هول". نقل إيفان بصره من هاري إلى بتي وبالعكس مجدداً. "لكن، ألم يكن هو الشخص الذي أبلغ عن غيابها؟".

قال هاري: "نعم، لقد فعل هذا. ورغم ذلك، إنه الزوج دائماً. لهذا السبب لن تبدأ وإيفان بالبحث في الشارع، وإنما هنا. يجب أن تجد عذراً إن اضطررت إلى ذلك، لكنني أريد التوثق من الشقة ومنطقة التخزين في الأعلى والقبو أولاً، وبعد ذلك يمكنك متابعة العمل في الخارج، هل هذا مفهوم؟".

هزَّ الشرطي إيفان كتفيه، ونظر نحو الأسفل إلى شبيهه بالاسم، الذي

ردّ على نظرتة الخانعة بالمثل.

تبين أن الشخصين على الشرفة المقابلة لم يكونا شابين كما كان هاري قد افترض حين رآهما من شرفة بارلي. كان هاري يدرك أن عيش امرأة راشدة لديها صور لكايلى مينوغ على الجدار، مع امرأة في العمر نفسه ترتدي قميصاً تائياً طُبعت عليه عبارة نسر تروندهايم، لا يعني بالضرورة شيئاً غير طبيعي، لكنه أبقى هذا الاستنتاج في ذهنه. جلس مسترخياً على كرسي بذراعين، فيما جلست المرأتان مقابله؛ تماماً كما فعل مع فييكي كنوستن وأندرس نيغارد قبل خمسة أيام.

قال هاري: "أعتذر عن إبعادكما عن الشرفة".

وضعت المرأة التي عرّفت بنفسها أنها روث يدها على فمها لتكتم تجشؤاً، وقالت: "لا بأس بذلك، لقد اكتفينا، صحيح؟".

ربت على ركة شريكها في السكن، فتذكّر هاري فوراً شيئاً قاله أون متخصص علم الأمراض في الشرطة: ذلك النموذج النمطي يعزّز ذاته؛ لأنه يبحث بطريقة غير واعية عن أشياء لتأكيد ما يفعله. لهذا السبب، يظن أفراد الشرطة - بناءً على ما يدعونه الخبرة - أن كل المجرمين أغبياء، ويظن المجرمون الشيء نفسه بشأن كل أفراد الشرطة.

وضعهما هاري بسرعة في صورة ما حدث، فحدّقتا إليه بدهشة.

"سيحلّ هذا الأمر بسرعة من دون شك، لكننا مرغمون على اتباع إجراءات الشرطة المعتادة. حالياً، نحاول ببساطة وضع جدول زمني للأحداث". أومأتا، وظهر تعبير رزين على وجهيهما.

قال هاري محاولاً رسم ابتسامة هول: "ممتاز". كان ذلك، على كل حال، ما اعتادت إيلين أن تدعو التكشيرة التي تبدو على وجهه كلما حاول أن يظهر بشوشاً ولطيفاً.

أكدت روث أنهما قد أمضتا فترة بعد الظهر كلها على شرفتهما، وقد رأتا ليزبيث وويلهلم بارلي مستلقين على الشرفة حتى الساعة 4:30 تقريباً، حين دخلت ليزبيث المنزل. بعد ذلك أشعل ويلهلم المشواة فوراً، وقد صرخ قائلاً شيئاً ما عن سلطة بطاطا وأجابته من الداخل، ثم دخل وخرج مجدداً وهو يحمل شرائح اللحم (التي صحّحها هاري إلى أضلاع اللحم) بعد نحو 20 دقيقة. بعد بعض الوقت - اتفقتا أن ذلك حدث قرابة الساعة 5:15 - رأتا بارلي يجري مكاملة بواسطة هاتفه الخليوي.

قالت روث: "ينتقل الصوت عبر الهواء، واستطعنا سماع هاتف آخر يرن داخل المنزل. بدا واضحاً أن بارلي منزعج؛ لأنه على الأقل رمى هاتفه

الخلوي بعنف على الطاولة".

قال هاري: "واضح أنه كان يحاول الاتصال بزوجته".
لاحظ تبادل النظرات الفوري وندم على قوله كلمة واضح.
"كم يستغرق شراء سلطة البطاطا من المحل عند الزاوية؟"
"من كيوي؟ يمكن أن أصل إلى هناك وأعود بعد خمس دقائق إن لم يكن هناك ازدحام".

قالت شريكها بصوت خافت: "ليزيث بارلي ليست عداءة".
"إذاً أنتِ تعرفينها؟".

تبادلت روث ونسر تروندهايم النظرات؛ وكأنهما تنسّقان إجابتهما.
"لا، لكننا نعرف بالتأكيد من تكون".
"حقاً؟".

"نعم، لا بد أنك رأيت الخبر الكبير في فيردنز غانغ عن ويلهلم بارلي الذي سيُخرج مسرحية موسيقية في المسرح الوطني هذا الصيف".
"كان ذلك الخبر مكوّناً من خمسة أسطر فقط يا روث".
قالت روث بحدّة: "بالتأكيد لا. ستؤدي ليزيث الدور الرئيس. هناك صورة كبيرة وكل ذلك. لا بد أنك رأيته".

قال هاري: "مم، لم أكن... أقرأ الصحف كثيراً هذا الصيف".
"أثار ذلك ضجة كبيرة. فقد ظنّت كل النخبة الثقافية أنه من العار عرض عمل صيفي على خشبة المسرح الوطني. ماذا كان عنوان المسرحية مجدداً؟ سيدتي البدينة؟".

تمتت نسر تروندهايم: "سيدة لطيفة".

تدخل هاري: "أنتما تتابعان المسرح إذاً؟".

"القليل من هذا وذاك. ويلهلم بارلي من النوع الذي يُبقي نفسه مشغولاً بكل أنواع الأشياء: أعمال مسرحية، أفلام، مسرحيات موسيقية...".
"هو منتج، وهي تغني".

"حقاً؟".

"نعم، أنا واثقة أنك تتذكر ليزيث في الفترة التي تسبق زواجهما، حين كانت تدعى هارانغ".

هزّ هاري رأسه أسفاً، وأطلقت روث تنهيدة عميقة.

"غنت في ذلك الوقت مع شقيقتها في مغزل. كانت ليزيث فتاة صغيرة جداً، تشبه التوأم شانيا قليلاً. إن طبقة صوتها عالية حقاً".
"لم تكن معروفة جيداً حينها يا روث".

"حسنًا، لقد غنتا في برنامج فيدار لون أرنسن، وباعتنا عددًا كبيرًا من الأسطوانات".

"شرايط التسجيل يا روث".

"رأيت المغزل في احتفال مقاطعة موماركنت، قدّمتا آنذاك عرضاً جيداً جداً. كان ينبغي لهما أن تسجلا في ناشفيل، لكن بارلي اكتشفها في ذلك الحين. كان سيجعل منها نجمة موسيقية، وقد استغرق هذا وقتاً بالتأكيد، كما أظن".

قالت نسر تروندهايم: "ثماني سنوات".

"على كل حال، توقفت ليزبيث هارانغ عن الغناء في مغزل وتزوجت بارلي. مال وجمال، هل سمعت بهذا من قبل؟".

"إذًا، توقف المغزل؟".

"ماذا؟".

"إنه يسأل عن الفرقة الموسيقية يا روث؟".

"أوه، نعم. غنت الشقيقة بمفردها، لكن ليزبيث كانت النجمة الحقيقية. أظن أن الفرقة تقدّم عروضها في فنادق العطلات وعلى متن معدّيات داهمركية الآن؛ إنها بالتأكيد تفعل هذا".

وقف هاري.

"سؤال روتيني واحد أخير. هل لديكما أي فكرة عن حال زواج ويلهلم وليزبيث؟".

تبادلت نسر تروندهايم وروث المزيد من اتصالات الرادار.

قالت روث: "الكلام الذي يصلنا متقطع كما أخبرناك، ثم إن غرفة نومهما تطل على الساحة أيضاً".

"هل كنتما تسمعانهما وهما يتشاجران؟".

"لم يكن شجاراً".

نظرتا إلى عيني هاري بتعبير ذي معنى. وانقضت عدّة ثوانٍ قبل أن يدرك ما تعنيانه، ولاحظ منزعجاً أنه يتورّد خجلاً.

"إذًا، انطباعكما أن الزواج كان جيداً؟".

"إنه يترك باب شرفته مفتوحاً قليلاً طوال الصيف، لذا مازحت أننا يجب أن نتسلل إلى السطح، ونلتفّ حول الساحة ونقفز إلى شرفته". كشرت روث. "لنتجسس عليهما قليلاً، لِمَ لا؟ الأمر ليس صعباً. بإمكانك أن تقف فقط على درابزين شرفتنا وتضع قدمًا على المزراب و...".

وكرت نسر تروندهايم أضلاع شريكها.

قالت روث: "لم يكن ذلك ضرورياً حقاً. بالمحصلة، ليزبيث محترفة... ماذا تدعونها؟".

قالت نسر تروندهايم: "متخصصة صوت".
"بالضبط. أوتارها الصوتية رائعة كما تعرف".
فرك هاري قفا عنقه.

قالت نسر تروندهايم بابتسامة مترددة: "إنها تجيد الصراخ حقاً".
عندما عاد هاري، وجد أن الشرطي وكلبه لا يزالان يبحثان في الشقة.
كان الشرطي يتصبب عرقاً، في حين أن لسان إيفان كلب الرعي الألماني
يتدلى خارج فمه المفتوح مثل سجادة ترحيب مخصصة للأشخاص المهمين
جداً.

جلس هاري بحرص على أحد المدرجات المائلة، وطلب من ويلهلم
بارلي أن يخبره كل شيء منذ البداية. أكد وصفه لأحداث بعد الظهر
وتوقيتها ما قالته روث ونسر تروندهايم.

ميّز هاري ياساً كبيراً في عيني الزوج، وبدأ يشك في أنه إذا وقعت
جريمة، فستكون هذه إذاً - ربما - أحد استثناءات الإحصائيات. لكن ذلك
عزّز اعتقاده أن ليزبيث ستظهر قريباً. إذا لم يكن الزوج، فلا أحد غيره؛
من ناحية إحصائية.

عادت بتي وقالت إن شقتين فقط في المبنى يوجد فيهما أشخاص،
وإنهم لم يسمعوا أو يروا شيئاً على الإطلاق؛ في بيت السلام أو في الشارع.
سمعوا قرعاً على الباب، وفتحته بتي فرأت أحد رجال الشرطة الذين
يرتدون زياً رسمياً من سيارة الدورية. عرفه هاري على الفور، فقد كان
الشرطي نفسه الذي وقف حارساً في أولفالسفين. استدار إلى بتي من دون
أن يُظهر أي اهتمام بوجود هاري.

"كنا نتكلم مع أشخاص في الشارع وفي كيوي، وقد توثقنا من المدخل
والساحة. لم نجد شيئاً، لكننا في عطلة الإجازات والشوارع مقفرة تقريباً، لذا
يبدو من الممكن أن تكون السيدة قد سُحبت بسهولة إلى داخل سيارة
من دون أن يلاحظ أحد شيئاً".

شعر هاري أن ويلهلم بارلي الواقف بجانبه قد فزع.

استدار الشرطي أخيراً وقال بتأكيد على الكلمة الأخيرة مبالغ فيه: "ألا
تعرف أن نسبة الجرائم ترتفع في هذه المنطقة؟".

قال الشرطي إيفان وهو ينزل الدرج مع كلبه: "لقد أنهينا العمل هنا.
وجدنا بعض أضلاع اللحم في سلة القمامة، وهذا كل شيء. بالمناسبة، هل

تواجهت هنا أي كلاب أخرى مؤخرًا؟".

نظر هاري إلى ويلهلم الذي هزَّ رأسه فقط. وأشار تعبير وجهه إلى أن صوته لن يخرج من فمه.

"تصرف إيفان في ردهة المدخل وكأن هناك كلباً ثانياً. لكن، لا بد أنه كان شيئاً آخر. نحن مستعدان للبحث في المخزن والقبو الآن. هل يمكن أن يأتي شخص ما معنا؟".

قال ويلهلم وهو ينهض على قدميه: "نعم، طبعاً".

خرجاً من الغرفة، وسأل الشرطي من سيارة الدورية بتي إن كان بمقدوره أن يغادر.

فقالت: "يجب أن تسأل المدير".

"إنه على وشك أن ينام".

وأوماً ساخرًا في اتجاه هاري الذي كان يسترخي على الكرسي الروماني المائل.

قال هاري بصوت خافت من دون أن يفتح عينيه: "أيها الشرطي، اقترب من فضلك".

وقف الشرطي أمام هاري مباعداً بين ساقيه وهو يدفع إبهاميه تحت حزامه.

"نعم أيها المفتش".

فتح هاري عيناً واحدة.

"إذا سمحت لتوم والر بأن يجعلك تقدّم تقريراً آخر عني، فسأوثق من أن تعمل في سيارات الدورية في ما تبقى من حياتك المهنية. هل هذا مفهوم أيها الشرطي؟".

اختلجت عضلات وجه الشرطي، وعندما فتح فمه توقع هاري أن يسمع شتائم وكلمات غاضبة. ولكن، بدلاً من ذلك، تكلم الشرطي بصوت خافت يتحكم فيه:

"أولاً، لا أعرف أي توم والر. ثانياً، أرى أنه من واجبي أن أبلغ عن مفتشي شرطة يعرضون أنفسهم وزملاءهم للخطر بذهابهم إلى العمل ثملين. وثالثاً، لا أرغب بالعمل إطلاقاً في أي مكان آخر باستثناء سيارات الدورية. هل يمكنني الذهاب الآن أيها المفتش؟".

حدّق هاري إلى الشرطي بعينه المفتوحة، ثم أغمضها مجدداً، وبلع ريقه وقال: "افعل ذلك من فضلك".

سمع الباب الخارجي يُغلق بقوة فتأوّه. كان بحاجة إلى شراب، وفوراً.

سألت بتي: "هل ستأتي؟".

قال هاري: "أذهبي فحسب. سأبقى هنا وأساعد إيفان على التوثق من الشوارع بعد أن يُنهيها البحث في المخزن والقبو".
"هل أنت واثق؟".
"بالتأكيد".

صعد هاري الدرج وخرج إلى الشرفة. شاهد طيور السنونو، وأصغى إلى الأصوات القادمة من النوافذ المفتوحة في الساحة. رفع قارورة الشراب الأحمر عن الطاولة، ورأى أنه لا توجد فيها إلا كمية قليلة، فتجرّعها كلها، ولوّح لروث ونسر تروندهايم اللتين لم تكتفيا بعد، فدخلتا المنزل مجدداً. شعر بذلك فوراً حين فتح باب غرفة النوم. كان قد لاحظ ذلك غالباً، لكنه لم يكتشف قط سبب سكون غرف نوم الآخرين.
رأى أنه لا تزال هناك علامات تشير إلى قيام شخص ما بتغيير الديكور.

كان باب خزانة ملابس فيها مرآة داخلية مفتوحاً قليلاً، وهناك صندوق أدوات مفتوح بجانب سرير مزدوج بديع الصنعة. شاهد فوق السرير صورة ويلهلم وليزبيث. لم يكن هاري قد ألقى نظرة قريبة على الصورة التي أعطى ويلهلم أفراد شرطة سيارة الدورية إيّاها، لكنه أدرك آنذاك أن روث محقة. كانت ليزبيث فتاة صغيرة حقاً. شعرها أشقر، وعيناها زرقاوان ومفعمتان بالحيوية، وجسدها نحيل ورشيق. كانت بالتأكيد أصغر بعشر سنوات من ويلهلم، وبدت بشرة كل منهما سمراء، وبدوا سعيدين في الصورة. لا بد أنهما قد عادا مؤخراً من إجازة أمضيها في الخارج. استطاع أن يميز خلفهما مبنى ضخماً ومثال فارس، في مكان ما في فرنسا ربما؛ نورماندي.

جلس هاري على حافة السرير، وأصيب بالدهشة حين تحرك الفراش؛ إنه سرير مائي. استلقى على ظهره وشعر به يتلاءم مع شكل جسده، وبدا غطاء اللحاف البارد رائعاً على جلد ذراعه العارية. صدر صوت قرقرة من داخل الفراش المطاطي حين استدار فأغمض عينيه.
راكيل، كانا قرب نهر. لا، بل في قناة، وقاربهما يهتز، والماء يضرب كلا الجانبين فيسمعان شيئاً يشبه التقبيل. كانا في قمرة المركب وراكيل تستلقي على السرير بجانبه بهدوء، وأطلقت ضحكة خافتة حين همس لها. كانت آنذاك تتظاهر بأنها نائمة، وقد أحب ذلك؛ إنها تتظاهر بالنوم، وبدا ذلك نوعاً ما لعبة يلعبانها. استدار هاري لينظر إليها، فاستقر بصره على مرآة

معلّقة على باب خزانة الملابس تعكس صورة السرير كله. نظر إلى صندوق الأدوات المفتوح، ورأى عليه إزميلاً صغيراً ذا مقبض خشبي أخضر، رفعه إلى الأعلى واكتشف أنه خفيف وصغير.

كان على وشك أن يعيد الإزميل إلى مكانه حين تجمّدت يده، فقد رأى عضواً مبتوراً من جسد في صندوق الأدوات. كان قد رأى الشيء نفسه في أماكن جرائم أخرى. استغرق الأمر ثانية قبل أن يدرك أن العضو الحساس بلون الجلد الذي يبدو حقيقياً تماماً، ليس سوى عضو زائف. استلقى على السرير مجدداً وهو لا يزال يحمل الإزميل في يده، وبلع ريقه.

بعد العمل سنين طويلة، والبحث في أملاك الناس الخاصة وحيواتهم الشخصية يومياً، لم يكن ذلك شيئاً عظيم الشأن، أو ما جعله يبلع ريقه. هنا، على هذا السرير. يجب أن يتناول شراباً الآن. ينتقل الصوت عبر الهواء. راكيل.

حاول ألا يفكر، لكن الوقت قد فات. راكيل.

شعر بالإنارة، فأغمض عينيه، وأحس بيدها تتحرك، حركة اعتباطية لا واعية من شخص نائم، ثم تستقر على بطنه. بقيت يدها هناك؛ وكأن لا نية لديها بالانتقال إلى أي مكان. شفتاها قرب أذنه، وأنفاسها الدافئة تبدو مثل طقطقة شيء يحترق، وبدأت شفتاها تتحركان. كان هناك ما يشبه الانفجار في حلقه؛ وكأنه يريد أن يبكي.

وجل هاري حين سمع الباب يُخلق في الطابق الأسفل، فنهض ورتّب للحاف، ثم وقف ونظر إلى نفسه في المرآة. فرك وجهه بقوة بكلتا يديه. أصرّ ويلهلم على البقاء في الخارج ليرى إن كان بمقدور الكلب إيفان تمييز رائحة شيء ما.

عندما كانوا يخرجون من سانرغاتا، ابتعدت حافلة حمراء بصمت عن الموقف، وحدّقت فتاة صغيرة إلى هاري عبر النافذة الخلفية، وأصبح وجهها الدائري أصغر فأصغر حتى اختفت الحافلة في طريقها إلى رودلوكا. مشوا إلى كيوي وعادوا من دون أي رد فعل من الكلب.

قال إيفان: "هذا لا يعني أن زوجتك لم تكن هنا. ففي شارع مزدحم بحركة السير والكثير من الناس يصبح عزل رائحة شخص واحد أمراً صعباً".

نظر هاري حوله، فقد انتابه شعور بأن هناك من يراقبه، لكن الشارع كان مقفراً، وكل ما رآه هو النوافذ وواجهات المنازل وسماء داكنة وشمس. إنه جنون الارتياب.

قال هاري: "حسناً، لم يعد هناك شيء آخر يمكننا فعله حالياً".
حدّق ويلهلم إليهما يائساً.

قال هاري: "سيكون كل شيء على ما يُرام".
أجاب ويلهلم بالصوت الأَجَش نفسه الذي يتكلم به مقدّمو نشرات الطقس عبر المذياع: "لا، لن تكون بخير".

صرخ الشرطي، وهو يشد رسن الكلب: "تعال إلى هنا يا إيفان!". كان الكلب قد دسّ خطمه تحت المصد الأمامي لفولكسفاغن غولف متوقفة قرب حاجز الرصيف.

ربت هاري على كتف ويلهلم وتفادى النظرة الحادة.
"لقد أبلغنا كل سيارات الدورية. إذا لم تظهر قبل منتصف الليل، فسننظم فرقة بحث، هل اتفقنا؟".

لم يجب ويلهلم.
نبح إيفان قرب الغولف وشدّ رسنه.
قال الشرطي: "انتظرا لحظة".

جثا على يديه وركبتيه، ووضع رأسه قرب الإسفلت، ومدّ ذراعه تحت السيارة.

سأل هاري: "هل وجدت شيئاً؟".

استدار الشرطي إليهما، وهو يحمل حذاء سيدة عالي الكعب. سمع هاري ويلهلم ينشج خلفه فسأله: "هل هذا حذاؤها يا ويلهلم؟".

قال ويلهلم: "لن يكون كل شيء على ما يُرام، لن يكون على ما يُرام".

الفصل العاشر:

الخميس والجمعة

كوايبس

بعد ظهر الخميس، توقفت شاحنة بريد مغلقة حمراء خارج مبنى مكاتب في رودلوكا، وأفرغت محتويات صندوق البريد في كيس دُفع بسهولة إلى مؤخر الشاحنة التي انطلقت إلى مركز البريد في 14 بوابة بيسكوب غونروس، المعروف في أوصلو بمركز البريد. صُنفت الطرود مساء اليوم نفسه في مركز البريد بحسب الحجم، وانتهى الأمر بالمغلف البني المكتنز بأن يوضع على صينية مع رسائل أخرى من قياس سي5. انتقل المغلف بين عددٍ من الأيدي، لكن لم يعره أحد اهتماماً خاصاً، ولا حتى حين فُرز وفقاً للمنطقة الجغرافية، ووضِع أولاً في صينية أوستلاند، ثم في صينية الرمز البريدي 0032.

عندما استقرت الرسالة أخيراً في كيس بريدي في مؤخر شاحنة مغلقة حمراء مستعدة لإيصاله في صباح اليوم التالي، كان الظلام قد حل ومعظم الناس في أوصلو نائمين.

قال الفتى، مرتباً على رأس الفتاة ذات الوجه الدائري: "سيكون كل شيء على ما يُرام". تحسس شعرها الطويل الناعم الملتصق بأنامله، ووجد أن فيه شحنات كهربائية ساكنة.

كان في الحادية عشرة من عمره، وهي في السابعة. إنها شقيقته الصغيرة، وهما يزوران أمهما في المستشفى.

وصل المصعد ففتحا الباب. دفع رجل يرتدي سترة بيضاء الحاجز الحديدي جانباً، وابتسم لهما ابتسامة عابرة وغادر. دخلا المصعد. سألت الفتاة: "لماذا المصعد قديم جداً؟".

قال الفتى، وهو يُغلق الحاجز الحديدي: "لأنه مبنى قديم". "هل هذا مستشفى؟".

قال الفتى ضاغطاً على زر الطابق الأرضي: "ليس تماماً. إنه منزل يحظى فيه أشخاص متعبون جداً ببعض الراحة".

"هل أمي متعبة؟".

"نعم، لكنها ستكون بخير. لا تستندي إلى المصعد يا أختي".

"ماذا؟".

بدأ المصعد ينزل مهتزاً، وتحرك شعرها الأشقر الطويل. كهرباء - كما فُكر - وحدق إليها حين ارتفع شعرها ببطء. تحركت يداها نحو رأسها

وصرخت؛ صرخة حادة ثابتة جعلته يتسمر في مكانه. كان شعرها مثبتاً بالطرف الآخر من الحاجز الحديدي، ولا بد أنه علق بباب المصعد. حاول أن يتحرك، لكن بدا له أنه قد علق أيضاً.

صرخت وهي تقف على أطراف أصابع قدميها: "بابا!".
لكن الأب كان قد ذهب قبلهما ليحضر السيارة من الموقف.
صرخت حين رُفعت عن أرضية المصعد: "أمي!", لكن الأم كانت تستلقي على سريرها، وابتسامة ضعيفة مرتسمة على وجهها.
ركلت بقدميها بقوة وهي تمسك شعرها. لو كان بمقدوره أن يتحرك فقط.

"النجدة!".

جلس هاري على السرير فزعاً، وقلبه يخفق مثل طبل كبير يُقرع بقوة.

"يا الله!". سمع صوته الأَجش، وترك رأسه يسترخي مجدداً على الوسادة.

كان الضوء الذي يتسلل من الشق بين الستائر رمادياً. حدّق إلى الأعداد الرقمية الحمراء على الطاولة بجانب سريرهِ: 4:12. كانت ليالي الصيف مريجة، والكوايبس مريجة.

دفع ساقيه خارج السرير وذهب إلى المرحاض، تدفق البول داخل كرسي المرحاض في حين حدّق إلى الخواء. عرف أنه لن يتمكن من النوم مجدداً.

كانت الثلاجة فارغة إلا من قارورة شراب قد وصلت إلى سلة تسوّقه؛ لأن رؤيته مشوشة. فتح الخزانة فوق المغسلة، ووقف جيش من قوارير الشراب بانتظام ينظر إليه بصمت؛ كلها فارغة. وفي نوبة غضب مفاجئة ضربها وجعلها تتطاير، وسمع صوت ارتطامها ببعضها بعد وقت طويل من إغلاقه بابي الخزانة. توثق من الوقت مجدداً، وكان ذلك صباح الجمعة، ولن يفتح فينمونوبول أبوابه قبل خمس ساعات أخرى.

جلس هاري بجانب الهاتف في غرفة الجلوس، واتصل برقم أويستن إيكلاندي الخلوي.

"سيارات أجرة أوسلو".

"كيف حال حركة المرور؟".

"هاري؟".

"مساء الخير يا أويستن".

"أهلاً. لم أظن بزبون منذ نصف ساعة".

"هذا وقت الإجازات".

"ألا أعرف هذا؟! ذهب المالك إلى كوخه الخشبي في كراجيرو وتركني أقود أسوأ مركبة في أوصلو، وفي أسوأ بلدة في شمالي أوروبا. يخيل إليّ أن شخصاً ما قد ألقى قبلة نيوترونية لعينة".

"ظننت أنك لا تحب التعرّق كثيراً في أثناء العمل".

"ها! أنا أتعرّق بغزارة. لقد اشترى الوغد البخيل سيارات من دون مكيفات هواء. يجب أن أشرب مثل جمل لعين بعد المناوبات لأعوّض السائل الذي فقدته، وهذا مكلف جداً. كلّفني ذلك أمس أكثر مما قد جنيته طوال اليوم".

"أنا آسف حقاً لسماع هذا".

"كان ينبغي لي أن أتابع العمل على فكّ الشيفرات".

"أتعني التسلل إلى البيانات؟ أدّى ذلك إلى طردك من مصرف دن

نورسك، والحكم عليك بالسجن لمدة ستة شهور مع وقف التنفيذ؟".

"صحيح. لكنني كنت بارعاً في ذلك، بينما هذا... بالمناسبة، يفكر المالك

في خفض عدد ساعات القيادة، لكنني أقود الآن في مناوبات من اثنتي

عشرة ساعة، ولم يعد من الممكن العثور على سائقين جدد لسيارات الأجرة.

أنت لا تفكر في القيام بهذا، أليس كذلك يا هاري؟".

"شكراً لك، سأفكر في الأمر".

"ماذا تريد؟".

"أريد شخصاً يجعلني أنام؟".

"اذهب إلى الطبيب".

"فعلت، وأعطاني إيموفين؛ بعض الأقراص المنومة، لكنها لم تجدِ نفعاً.

طلبت شيئاً أقوى، لكنه رفض".

"ليست فكرة سيّدة مطلقاً أن تفوح رائحة الشراب من أنفاسك حين

تذهب لتطلب من طبيبك روهينول يا هاري".

"قال إنني يافع جداً ولا يجب أن أتناول أدوية أقوى. هل لديك أي

منها؟".

"روهينول؟ هل أنت مجنون؟ إنه غير قانوني، أليس كذلك؟ لكن لدي

فلونيبام، من التركيبة نفسها. نصف قرص وستنام مثل قتيّل".

"لا بأس. تنقضي السيولة حالياً، لكنك ستحصل على المال في نهاية

الشهر. هل سيخلصني الدواء من الكوابيس أيضاً؟".

"ماذا".

"هل سيوقف كوابيسي؟".

أطبق الصمت في الجهة الأخرى للحظة.

"هل تعرف أمراً يا هاري؟ لقد تذكّرت الآن أنه لم يعد لدي فلونيبام. فضلاً عن ذلك، إنها مادة خطيرة ولن توقف كوابيسك، بل على العكس ستزيدها".

"أنت تكذب".

"ربما، لكنّ هذا الدواء ليس ما تريده على كل حال. حاول أن تهدأ يا هاري، ونل قسطاً من الراحة".

"قسط من الراحة؟ ليست لدي إجازات، وتعرف هذا".

سمع هاري شخصاً يفتح باب سيارة الأجرة، وأويستن يطلب منه أن يذهب إلى الجحيم، ثم عاد الصوت مجدداً.

"هل راكيل هي السبب؟".

لم يجب هاري.

"هل تشاجرت مع راكيل؟".

سمع هاري خشخشة، وخمّن أن أويستن يسترق السمع إلى قناة الشرطة.

"مرحباً! هاري! ألا يمكن أن تجيب حين يسألك صديق طفولتك إن كانت أساسات وجودك لا تزال في مكانها؟".

تمتم هاري: "إنها ليست كذلك".

"لِمَ لا؟".

سحب هاري نفساً عميقاً.

"لأنني عملياً أرغمتها على هدمها. انهار شيء كنت أعمل عليه منذ وقت طويل ولم أتقبّل هذا. أفرطت في تناول الشراب، وغبت عن الأنظار لمدة ثلاثة أيام من دون أن أجيب على الهاتف. جاءت في اليوم الرابع ورنّت الجرس. في البداية، كانت غاضبة وقالت إنه ليس بمقدوري أن أهرب ببساطة، وإن مولر يسأل عني، ثم صفعت وجهي وسألني إن كنت بحاجة إلى مساعدة".

"ولأنني أعرفك جيداً أنا متأكد أنك طردتها أو قمت بشيء من هذا القبيل، أليس كذلك؟".

"قلت لها إنني بخير، ثم غادرت تعيسة جداً".

"من الواضح أن المرأة مغرمة بك".

"هذا ما قالته، لكنها قالت أيضاً إنها لا تستطيع أن تتحمل ذلك مجدداً".

"ما الذي لا تستطيع تحمّله مجدداً؟".

"كان والد أوليغ مدمناً على الكحول، وقد دمر ذلك الثلاثة معاً".
"وأنت، بِمَ أجبت؟".

"قلت لها إنها محقة، وإنها يجب أن تبتعد عن أمثالي. ظهر امتعاض على وجهها، ثم غادرت".

"والآن تتنابك الكوابيس؟".

"نعم".

أطلق أويستن تنهيدة صادرة من القلب.

"هل تعرف شيئاً يا هاري؟ لا يوجد ما يمكن أن يساعدك على تجاوز هذا. حسناً، هناك شيء واحد فقط".

قال هاري: "أعرف، رصاصة".

"أنت نفسك، هذا ما كنت سأقوله".

"أعرف هذا أيضاً. انسَ أنني اتصلت يا أويستن".

"لقد نسيت فعلاً".

أحضر هاري قارورة الشراب من الثلاجة، وجلس على كرسي بذراعين، وحدّق إلى اللصاقة. نزع الغطاء مع تنهيدة ارتياح.

عند الساعة 6:00 من بعد ظهر يوم الجمعة، كانت الشمس لا تزال مشرقة على جبال إكبرغ، ما جعل مقر قيادة الشرطة يتلأأ مثل قطعة كريستال. ثناءب حارس الاستقبال بصوت عالٍ، ورفع بصره عن أفئنبوستن حين أدخل أول شخص استيقظ من النوم بطاقة هويته عبر جهاز الأمن. أعلن الحارس الذي كان سعيداً لوجود شخص يمكن أن يتبادل بضع كلمات معه أخيراً: "يقولون إن درجة الحرارة سترتفع".

نظر الرجل الطويل، أشقر الشعر، صاحب العينين المحتقتين إليه لكنه لم يجب.

لاحظ الرجل أنه صعد الدرج رغم أن أياً من المصعدين في الطابق الأرضي لم يكن مستخدماً.

عاد بعد ذلك إلى التركيز على مقال أفئنبوستن عن المرأة التي اختفت في صباح يوم مشمس ساطع قبل العطلة الأسبوعية ولم تظهر بعد. نقل الصحفي روجر غيندم ما قاله كبير المفتشين بيارني مولر الذي أكد أن الشرطة قد عثرت على حذاء يخص المرأة تحت سيارة خارج المبنى الذي

تعيش فيه مباشرة، وأن ذلك يعزز الشكوك حول وقوع جريمة. على كل حال، لم يكن لديهم شيء واقعي يثبت ذلك بعد.

قَلْب هاري أوراق الصحيفة في طريقه إلى صندوق بريده، حيث حصل على تقارير عن نتائج بحث اليومين الأخيرين عن ليزبيث بارلي. كانت هناك خمس رسائل على المجيب الصوتي الخاص به، كلها باستثناء واحدة من ويلهلم بارلي. سمع هاري الرسائل التي بدت متطابقة تقريباً: عليهم الاستعانة بمزيد من الرجال، وهو يعرف مستبصراً، كما أنه يريد أن يذهب إلى الصحافة ويعرض مكافأة على أي شخص يمكن أن يساعد الشرطة في العثور على ليزبيث.

كانت الرسالة الأخيرة لشخص يتنفس، وهذا كل شيء. أعاد هاري الشريط واستمع إليه مرة ثانية، ثم ثالثة.

بدا من المستحيل بالنسبة إليه أن يعرف إن كان المتصل رجلاً أو امرأة، ومستحيلاً أكثر أن يعرف من الإصغاء إن كانت راكيل. أظهرت الشاشة أنه قد تلقى الرسالة عند الساعة 11:10 من بعد الظهر من "رقم مجهول": تماماً كما حدث حين اتصلت راكيل من هاتفها في هولمنكولفن. إذا كانت هي المتصلة فلمَ لم تتصل به على رقم منزله أو هاتفه الخليوي؟ تصفح هاري التقارير. لكن، لا شيء جديد. ثم قرأها مرة أخرى ولم يجد شيئاً. صفى ذهنه، وأعاد الأمر من البداية مجدداً.

عندما أنهى القراءة، نظر إلى ساعته، وتوجه نحو صندوق بريده ليرى إن كان أي شيء آخر قد وصل. أخذ تقرير أحد المحققين معه، ووضع مغلفاً معنوناً إلى بيارني مولر في الصندوق الصحيح ثم عاد إلى مكتبه.

كان تقرير المحقق وجيزاً وبلغياً: لا شيء.

أعاد هاري تشغيل شريط المجيب الصوتي، ورفع الصوت. أغمض عينيه ومال إلى الخلف على كرسيه. حاول أن يتذكر تنفّسها، وأن يشعر بأنفاسها. "الأمر مزعج حين لا يعرفون بأنفسهم، أليس كذلك؟".

لم تكن الكلمات وإنما الصوت ما جعل الشعر على قفا عنقه ينتصب. استدار إلى الخلف ببطء وهو جالس على كرسيه الذي صرَّ متأماً.

كان توم والر يقف مستنداً إلى إطار الباب والابتسامة مرتسمة على وجهه، وهو يأكل تفاحة ويمد يده نحوه بالكيس.

"لا أعرف من أين هي. ربما أسترالية. مذاقها رائع".

هزَّ هاري رأسه من دون أن يشيح ببصره عنه.

سأل والر: "هل يمكنني الدخول؟".

وعندما لم يُجب هاري، دخل والر وأغلق الباب خلفه، ثم مشى حول الطاولة وجلس على الكرسي الآخر في المكتب. مال إلى الخلف وقضم بصوت مسموع التفاحة الحمراء اللذيذة.

"هل لاحظت أننا أول من يصل إلى العمل يا هاري؟ هذا غريب، أليس كذلك؟ فنحن أيضاً آخر من يذهب إلى المنزل".
قال هاري: "أنت تجلس على كرسي إيلين".
ربت والر على ذراع الكرسي. "لقد حان الوقت لتحدث معاً يا هاري".

قال هاري: "لا حديث بيننا".
رفع والر التفاحة إلى الضوء وأغمض إحدى عينيه. "أليس عدم وجود نافذة في مكتبك أمراً مُكئباً؟".
لم يرد هاري.
قال والر: "سرت إشاعة مفادها أنك ستترك العمل".
"إشاعة؟".

"حسناً، إشاعة قد تكون كلمة مبالغاً فيها، لنقل إن لدي مصادر. كنت تبحث على الأرجح عن عمل آخر؛ شركات أمن، شركات تأمين، شركات لتحصيل الديون، أليس كذلك؟ لا بد أن هناك أماكن كثيرة يحتاجون فيها إلى محقق يتمتع بخلفية في القانون".
انغرزت أسنان قوية بيضاء في التفاحة.
"ربما لا تطلب أماكن كثيرة سجل عمل يحفل بملاحظات عن الثمالة، والغياب غير المبرر، وإساءة استعمال السلطة، والتمرد على الرؤساء، وعدم الإخلاص للسلك".

كانت عضلات فكّه تطحن وتمضغ.
قال والر: "لكن، لكن، ربما لن يكون عدم توظيفهم إياك أمراً سيئاً، فلا أحد منهم لديه تحديات مثيرة للاهتمام؛ إن جاز التعبير. ليس لشخص كان - رغم كل شيء - مفتشاً، ويعتبر أحد أفضل الأشخاص في مجال عمله. وهم لا يدفعون جيداً أيضاً، وهذا ما يهم في نهاية المطاف، أليس كذلك؟ أن يدفعوا لك مقابل خدماتك، وأن تحصل على مالٍ كافٍ لتغطية نفقات الطعام والإيجار، وما يكفي لشراء الشراب".
لاحظ هاري أنه يصك أسنانه بقوة كبيرة حتى بدأت حشوات أضراسه تؤلمه.

تابع والر: "أفضل شيء سيكون من دون شك أن تستمتع ببعض

الميزات الإضافية، وأن تحظى بأشياء تتجاوز الاحتياجات الأساسية المحضه - إن كسبت مالاً كافياً - مثل تمضية العطلة مع أسرته في نورماندي مثلاً".
شعر هاري برأسه يئز وكان صماماً قد انفجر.

"أنا وأنت مختلفان بطرائق عديدة يا هاري. لكن هذا لا يعني أنني لا أحترم عملك. أنت تحقق أهدافك، وذكي، ومبدع، واستقامتك فوق كل الشبهات، وهذا ظني بك دائماً. والأهم من ذلك أنك صلبٌ ذهنيًا، وفي مجتمع تصبح فيه المنافسة أشد تبرز الحاجة إلى مثل هذه الخاصية. لكن، لسوء الحظ، لا تستخدم في المنافسة دائماً الوسائل التي قد نتمناها. وإذا أردت تحقيق الفوز، يجب أن تكون مستعداً لاستخدام وسائل منافسيك نفسها. هناك شيء واحد إضافي..."

وأخفض والر صوته.

"يجب أن تلعب في الفريق الصحيح؛ الفريق الذي يمكن أن تفوز بشيء معه".

"ما الذي تسعى إليه يا والر؟".

شعر هاري بصوته يرتعش.

"أريد أن أساعدك". وقف والر. "لا ينبغي أن ينتهي الأمر على هذه الحال..."

"على أي حال؟".

"هذه الحال؛ أن نكون أنا وأنت عدوين. هذه الحال، أن يوقع قائد الشرطة تلك الأوراق، كما تعرف".

مشى والر نحو الباب وهو يتابع قائلاً:

"هذه الحال؛ ألا تستطيع أبداً تحمّل تكلفة القيام بشيء لطيف لنفسك ولأولئك الذين تحبهم..."

وضع يده على مقبض الباب.

"فكر في ذلك يا هاري. هناك شيء واحد فقط يمكن أن يساعدك لدى وجودك في الغابة".

رصاصه، كما فكر هاري.

قال والر: "أنت نفسك"، ثم ذهب.

الفصل الحادي عشر:

الأحد. المغادرة

استلقت على السرير وهي تدخن لفافة تبغ، ونظرت إليه بإمعان فيما كان يقف أمام خزانة الأدراج المنخفضة، وشاهدت عظمي كتفيه تتحركان تحت الصُدرة وتجعلانها تتلألاً بظلال من الأسود والأزرق. نقلت بصرها إلى المرأة، وراقبت حركات يديه الهادئتين والواثقتين اللتين تعقدان ربطة عنقه. أعجبتها يداها، وأعجبتهما رؤيتهما تتحركان.
سألت: "متى ستعود؟".

التقت عيونهما على صفحة المرأة. ابتسامته أيضاً كانت هادئة وتظهر ثقة بالنفس. دفعت شفتها السفلية إلى الأمام متجهمة.
"بأسرع ما أستطيع يا ليلنغ".

لم يكن أحد يقول كلمة عزيزتي مثله - ليلنغ - بلهجته الغربية ونبرته الرنانة؛ تلك التي تبدو مثل اللغة الألمانية تقريباً.
قال: "في الرحلة القادمة مساء غد كما آمل. هل ستكونين هنا لاستقبالي؟".

لم تستطع منع نفسها من الابتسام فضحكت. ضحكت، تبتاً له، إنه ينجح في ذلك دائماً.
قالت: "أنا واثقة أن هناك حشداً من النساء بانتظارك في أوصلو".
"آمل ذلك".

زرر صدرته، وأخذ سترته من حمالة الثياب في خزانة الملابس.
"هل قمت بكى المناديل يا ليلنغ؟".
قالت: "وضعتها في حقيبتك مع الجوارب".
"ممتاز".

"هل لديك موعد مع أيّ منهن؟".
ضحك، ثم ذهب إلى السرير وانحنى فوقها.
"ما رأيك؟".

"لا أدري". وضعت ذراعيها حول عنقه. "أظن أنني أشم عطراً نسائياً ينبعث منك في كل مرة تأتي فيها إلى المنزل".
"هذا لأنني لا أغيب طويلاً ليتلاشى عطرك يا ليلنغ. كم مرّ من الوقت منذ أن اكتشفتك للمرة الأولى؟ ستة وعشرون شهراً. عطرك عالق بي منذ ستة وعشرين شهراً الآن".
"أليست هناك امرأة أخرى؟".

تلوّت على السرير، وجذبته إليها، فقبّلها برفق ثم قال:
"ليست هناك امرأة أخرى. طائرتي يا ليلنخ...".
وحرّر نفسه منها.

راقبته وهو يمشي إلى خزانة الأدراج، ويفتح أحدها، ويخرج جواز سفره
وتذكرة رحلته، ويضعها في جيبه الداخلي ثم يغلق أزرار سترته. حدث ذلك
كله في حركة رشيقة واحدة. تلك الكفاءة العفوية والثقة بالنفس تجدهما
مثيرتين ومخيفتين في آنٍ معاً. ولولا حقيقة أنه يفعل كل شيء تقريباً بأقل
جهد ممكن، لكانت قد قالت إنه يتدرب على ذلك طوال حياته؛ أي
المغادرة، والرحيل.

وعلى الرغم من أنهما أمضيا وقتاً طويلاً معاً في السنتين الأخيرتين، إلا
أنها - لدهشتها - لا تعرف الكثير عنه. لكنه لم يخفِ قط حقيقة أنه
قضى وقتاً طويلاً مع نساء كثيرات في حياته السابقة. اعتاد القول إن ذلك
قد حدث لأنه كان يبحث جاهداً عنها، وقد أبعدهن عنه حين أدرك أنهن
لسن هي، وتابع بحثه المضي حتى التقيا في يوم خريفي رائع قبل سنتين
في مشرب فندق غراند أوروبا في ساحة وينسيسلاس.
كان ذلك أروع وصفٍ للعلاقة تسمعه على الإطلاق؛ وأكثر روعة من
وصفها على كل حال، الخاص بالمال.

"ماذا ستفعل في أوسلو؟".

قال: "لديّ عمل".

"لماذا لا تخبرني أبداً بما تفعله بالضبط؟".

"لأننا نحب بعضنا".

أغلق الباب خلفه بهدوء، وسمعت وقع خطواته في أثناء نزوله على

الدرج.

وحيدة مجدداً، أغمضت عينيها، وتمتّت أن تبقى رائحته عالقة على
ملاءة السرير حتى يعود. وضعت يدها على القلادة، ولم تكن قد نزعته
منذ أن أهداها إياها، وحتى حين تستحم. داعبت الحلية بأصابعها وفكّرت
في حقيبتها، في ياقة رجل الدين ناصعة البياض التي رأتها بجانب جوربه.
لماذا لم تسأله عنها؟ ربما لأنها شعرت بأنها تطرح الكثير من الأسئلة آنذاك،
وأنها يجب ألا تزعجه.

تتهتّت، ثم نظرت إلى ساعتها وأغمضت عينيها مجدداً. لم يكن يومها
حافلاً، ولديها موعد مع الطبيب عند الساعة الثانية، هذا كل شيء. بدأت
تعد الثواني في حين استمرت أصابعها بتلمّس الحلية؛ ألماسة حمراء على

شكل نجم بخمسة رؤوس.

كان خبر الصفحة الأولى في فيردنز غانغ عن مشهور لم يُذكر اسمه في وسائل الإعلام النزويجية أقام علاقة قصيرة، وانفعالية مع كاميليا لوين. كانوا قد حصلوا على صورة مجتزأة لكاميليا لوين في أثناء عطلة، ترتدي فيها ثوب سباحة صغيراً جداً؛ لتأكيد ما ورد من تلميحات في المقال عن طبيعة المكُون الرئيس للعلاقة.

نشرت داجبلاديت في اليوم نفسه مقابلة مع تويها هارانغ، شقيقة ليزبيث بارلي، التي قالت في فقرة بعنوان "الهروب دائماً" إن سلوك شقيقتها في أثناء مرحلة الطفولة ربما يفسر اختفاءها الغامض. نُقل عنها قولها: "هربت من المغزل أيضاً، لذا لِمَ لا تهرب الآن؟".

عُرِضت لها صورة تعتمر فيها قبعة رعاة البقر وتقف أمام حافلة الفرقة مبتسمة. افترض هاري أنها لم تفكر حقاً في ما تفعله قبل أن يلتقطوا صورتها.

"شراب".

استرخى على الكرسي الصغير في مشرب أندروتر ولفَّ صحيفة فيردنز غانغ. كانت تذاكر حفل سبرنغستين في فالي هوفين قد بيعت كلها، ولا بأس بذلك بالنسبة إليه. فمن جهة، يكره هاري الحفلات الموسيقية في الملاعب. ومن جهة أخرى، كان وأويستن قد دخلا درامانشالن بعمر 15 سنة باستخدام تذكرتي سبرنغستين مزيفتين صنعهما أويستن. حدث ذلك حين كانوا في ذروة نشاطهم: سبرنغستين، وأويستن، وهاري.

دفع هاري الصحيفة بعيداً عنه، وفتح داجبلاديت التي تحمل صورة شقيقة ليزبيث. كان الشبه بين الاثنتين صارخاً، وقد تكلم معها في تروندهايم عبر الهاتف، لكن لم يكن لديها ما تخبره إياه. أو بكلام أكثر دقة، لم يكن هناك شيء مثير للاهتمام تقوله له. لم تكن حقيقة أن حديثهما قد استمر 20 دقيقة تعني له الكثير، وقد شرحت له أن اسمها يجب أن يُلفظ بالتشديد على الحرف (ا)؛ تويها، وأنها لم تُسمَّ تيمناً بشقيقة مايكل جاكسون، التي تدعى لاتويها، مع التشديد على الحرف (و). كانت أربعة أيام قد انقضت آنذاك منذ اختفاء ليزبيث، ووصلت القضية باختصار إلى طريق مسدود.

صحَّ الأمر نفسه على قضية كاميليا لوين. وبتي أيضاً كانت محبطة. وقد عملت طوال عطلة نهاية الأسبوع لمساعدة المحققين القلائل الذين لم يكونوا في عطلة. بتي تلك فتاة لطيفة، لكن من المؤسف أن ذلك اللطف

لم يجدِ نفعاً.

نظراً إلى أن كامبلا كانت شابة اجتماعية، استطاعوا أن يعرفوا معظم تحركاتها في الأسبوع السابق لإطلاق النار عليها، لكن الأدلة التي حصلوا عليها لم توصلهم إلى أي مكان.

في الواقع، كان هاري ينوي أن يخبر بتي أن والر قد زاره في مكتبه، وكاد أن يقترح عليه علناً أن يبيع روحه له، لكنه أحجم عن ذلك لسبب ما. إضافة إلى ذلك، كان لديه ما يكفي ليفكر فيه، ولو أخبر مولر فسيؤدي ذلك إلى شجار بينهما، لذا تخلى عن الفكرة فوراً.

كان هاري على وشك أن يُنهي كأس الشراب الثانية حين رآها. كانت تجلس بمفردها إلى إحدى الطاولات في المنطقة المعتمدة قليلاً بجانب الجدار، وهي تنظر إليه مباشرة وتبتسم له بلطف. كانت هناك زجاجة شراب على الطاولة أمامها، وبين سابتها وإصبعها الوسطى لفافة تبخ.

حمل هاري كأسه وشق طريقه إلى طاولتها.

"هل يمكنني الجلوس؟".

أومأت فيبيكي كنوستن نحو المقعد الشاغر. "ماذا تفعل هنا؟".

قال هاري: "أعيش في الجوار".

"ظننت هذا، لكنني لم أرك هنا من قبل".

"لا، أنا ومسؤول المشرب المحلي لدينا تفسيران مختلفان لحادثة وقعت

هناك في الأسبوع الماضي".

سألت وهي تضحك بصوت أجش: "هل حظروا دخولك؟".

أعجبت ضحكتها هاري، وفكر في أنها جذابة؛ ربما بسبب مستحضرات التجميل التي تضعها ولأنها تجلس في الظلام. ثم ماذا؟ أعجبتة عيناها، فهما متقدتان ومفعمتان بالحيوية، وبريئتان وتتمان عن ذكاء؛ مثل عيني راكيل تماماً، لكن التشابه ينتهي عند هذا الحد. ففم راكيل صغير وناعم، بينما فم فيبيكي كبير ويبدو أكبر مع أحمر الشفاه الناري. راكيل أنيقة بتحفظ، وسريعة البديهة، ورشيقة مثل راقصة باليه؛ من دون انحناءات بارزة. كانت فيبيكي ترتدي كنزة مخططة كجلد النمر، لكنها تلفت النظر مثل خطوط الفهد والحمار الوحشي. عينا راكيل داكنتان وكذلك شعرها وجلدها. لم يكن قد رأى قط جلداً يلمع مثل جلدها. أمّا شعر فيبيكي فأحمر وهي شاحبة، وساقاها العاريتان تلمعان في العتمة بسبب بياضهما.

سأل: "ماذا تفعلين هنا بمفردك؟".

هزت كتفها وتناولت رشفة من كأسها. "أندرس بعيد. إنه مسافر ولن

يعود حتى المساء، لذا أنا أستمتع قليلاً".

"هل ذهب إلى مكان بعيد؟".

"ذهب إلى مكان ما في أوروبا. تعرف كيف هو الأمر. إنّ الرجال لا يقولون للمرأة شيئاً أبداً".
"ماذا يعمل؟".

"إنه يبيع تجهيزات لدور العبادة والمعابد: منابر، وأشياء من هذا القبيل؛ مستخدمة وجديدة".

"مم، وهل يفعل هذا في أوروبا؟".

"عندما تحتاج دار عبادة في سويسرا إلى منبر جديد، يمكن أن يحضره من ألسوند، وقد ينتهي الأمر بالقديم في مخزن في ستوكهولم أو نارفيك. إنه يسافر طوال الوقت، ويغيب أكثر مما يبقى في المنزل، خاصة في الشهور القليلة الماضية".

سحبت مجّة من لفافة تبغها وأضافت في تلك الأثناء: "إنه ليس نصرانياً".
"لا؟".

هزّت رأسها، وارتفع الدخان في حلقة كثيفة من الشفتين الحمراءين اللتين تعلوهما تجاعيد صغيرة متقاربة.

"كان والداه ممّن يتّبعون العنصرة، وترعرع على ذلك. لقد ذهبت إلى اجتماع واحد فقط. لكن، هل تعرف أمراً؟ أظن أن ذلك مروّع حقاً، حين يبدأون التكلم بلغات مختلفة وكل تلك الأشياء. هل ذهبت إلى أي اجتماعات مثل تلك؟".

قال هاري: "ذهبت مرّتين، مع الفيلا دلفيين".

"لمّ ذهبت؟".

"ذهبت إلى هناك للعثور على شخص قال إنه سيذهب إلى المحكمة ليكون شاهداً لي".

"حسناً، أتمنى أن تكون قد وجدت شاهداً".

هزّ هاري رأسه.

"قالوا إنه لم يعد يذهب إلى هناك، وإنه لا يعيش في أيّ من

العناوين التي زوّدتُ بها. لذا لا، لم أنجح في مسعاي بالتأكيد".

تجرّع هاري شرابه وأشار إلى المشرب، فيما أشعلت فيبكي لفافة تبغ أخرى.

قالت: "حاولت رؤيتك في أثناء النهار، في مكان عملك".

"أوه، حقاً؟".

فكّر هاري في صوت الأنفاس الذي سمعه على المجيب الآلي.
"نعم، لكن قيل لي إنها ليست قضيتك".

"إذا كنت تفكرين في قضية كامبلا لوين، فهذا صحيح".
"لذا، تكلمت مع الشخص الآخر؛ ذاك الذي يبدو رشيقياً".
"أتقصدين توم والر؟".

"نعم، أخبرته بضعة أشياء عن كامبلا، من النوع الذي لم يكن
بمقدوري قوله حين كنتم هناك".

"لِمَ لا؟".

"لأن أندرس كان جالساً قربي".

سحبت مجّة طويلة من لفافة تبغها. "إنّه لا يتحمّل أن أقول شيئاً
يحط من قدر كامبلا، ويستشيط غضباً رغم أنه بالكاد يعرفها". هزّت
كتفيها.

"لا أظن أن قولي الحقيقة يحمل ازدراء لها، لكن أندرس يظن ذلك.
أفترض أن السبب يرجع إلى تربيتنا، وأعتقد أنه يظن في الواقع أن كل
النساء يجب أن يقضين حياتهن من دون إقامة علاقة إلا مع رجل واحد
فقط". أطفأت لفافة تبغها، وأضافت بصوت خافت: "وبالكاد كانت كامبلا
تفعل ذلك".

"حسناً، هل أقامت كامبلا علاقات مع أكثر من رجل واحد؟ كيف
تعرفين هذا؟ هل سمعت أصواتاً؟".

"في الشتاء لم نسمع شيئاً. لكن في الصيف، حين كانت النوافذ
مفتوحة. تعرف، الصوت...".

"ينتقل عبر الهواء".

"بالضبط. اعتاد أندرس أن ينهض ويخلق نافذة غرفة النوم بعنف. وإذا
علّقت مصادفة بالقول: يخرج البخار من رأسها الآن على سبيل المزاح،
حسناً، كان يستشيط غضباً ويذهب للنوم في غرفة الجلوس".

"إذاً، هل ذهبت لزيارتي لتخبريني بهذا؟".

"نعم، وهناك شيء آخر. تلقيت اتصالاً هاتفياً. في البداية ظننت أنه
أندرس، لكنني أسمع عادة أصواتاً أخرى حين يتصل. فهو يتصل دائماً من
شارع ما في بلدة أوروبية ما. الغريب أن الصوت يبدو دائماً نفسه؛ وكأنه
يتصل من المكان نفسه في كل مرة. على كل حال، بدا ذلك مختلفاً. كنت
سأضع السماعة مكانها من دون أن أعير الأمر أي اهتمام، لكن مع قضية

كاميلا وغياب أندرس...".

"ماذا؟".

"حسناً، لم يكن شيئاً مهماً".

ارتسمت على وجهها ابتسامة متعبة، وفكّر هاري أنها ابتسامة رائعة. "كان الصوت صوت شخص يتنفس فقط عبر الهاتف. ظننت أنه شيء مخيف، لذا أردت إخبارك عنه. قال والر إنه سيتوثق من الأمر، لكنني لا أظن أنه بمقدورهم اكتشاف الرقم الذي تمّ الاتصال منه. يحدث عادة أن يعود القتلة إلى مسرح الجريمة، أليس كذلك؟".

قال هاري: "أظن أن هذا يحدث غالباً في الروايات البوليسية. لم أكن لأعير الأمر اهتماماً كبيراً لو كنت مكانك".

أدار كأسه، وشعر أن مفعول الشراب قد بدأ.

"هل هناك احتمال بأن تكوني وشريكك تعرفان ليزبيث بارلي؟".

نظرت فيبكي إلى عينيه وقد ارتفع حاجباها الرفيعان عالياً. "المرأة التي اختفت؟ لماذا بحق الله سنعرفها؟".

تمتم هاري: "أنت محقة، لماذا بحق الله ستعرفانها؟". وتساءل عما جعله يطرح ذلك السؤال.

شارفت الساعة على التاسعة حين خرجا معاً إلى الرصيف بجانب

أندروتر.

كان على هاري أن يسير من دون أن يترنّح.

قال هاري: "أعيش في آخر الشارع. ماذا عن...؟".

أمالت فيبكي رأسها وابتسمت. "لا تقل أي شيء ستندم عليه لاحقاً يا

هاري".

"أندم؟!".

"كنت تتكلم في نصف الساعة الأخيرة من دون توقف عن راكيل تلك.

لم تنس، أليس كذلك؟".

"قلت إنها لا تريدني".

"نعم، وأنت لا تريدني أيضاً. تريد راكيل، أو بديلة عنها".

وضعت يدها على ذراعه.

"لو أن الأمور كانت مختلفة، ربما كان بمقدوري أن أتخيل أنني هي

لبعض الوقت، لكنّ الأمر ليس كذلك، وسيعود أندرس إلى المنزل قريباً".

هزّ هاري كتفيه وثبّت نفسه.

قال: "حسناً، دعيني أرافقك إلى باب منزلك".

"إنه يبعد مئتي متر يا هاري".

"يمكنني تدبّر أمري".

ضحكت فيبكي بصوت عالٍ، ووضعت ذراعها تحت ذراعه.

مشيا ببطء نزولاً في أولفالسفين، وقد تجاوزتهما سيارات خاصة وسيارات أجرة فارغة، وهواء المساء يداعب وجنتيهما كما يفعل في أوصلو في شهر تموز. أرهف هاري السمع إلى همهمة صوتها المنتظمة، وتساءل عما تفعله راكيل آنذاك.

توقفا خارج البوابة الحديدية السوداء.

"عمت مساء يا هاري".

"مم، هل ستستقلين المصعد؟".

"وماذا في ذلك؟".

"لا شيء". وضع هاري يديه في جيبى سرواله في محاولة للحفاظ على

توازنه. "اعتني بنفسك، عمت مساء".

ابتسمت فيبكي، ثم مشت إليه، وشمّ هاري عطرها حين قبّلت وجنته.

همست: "ربما مرة أخرى، من يعرف؟".

أغلقت البوابة خلفها بسلاسة مصدرة طقّة خافتة. ووقف هاري هناك

محاولاً أن يتمالك نفسه حين أثار شيء في نافذة قاعة العرض أمامه

انتباهه. لم تكن تشكيلة شواهد القبور ما أثار انتباهه، وإنما شيء ظهر في

انعكاس الصورة على الزجاج؛ سيارة حمراء متوقفة بجانب الرصيف على

الطرف الآخر من الطريق. ولو أن هاري كان مهتماً بالسيارات قليلاً، لعرف

ربما أن تلك الدمية الرائعة هي توميكايرا زز - ر.

تمتم هاري هامساً: "تباً لك"، ونزل عن الرصيف ليجتاز الشارع، لكن

سيارة أجرة تجاوزته مطلقة بوقاً مدويًا. ذهب إلى السيارة الرياضية، ووقف

بجانب باب السائق، فنزلت نافذة سوداء من دون إصدار أي صوت.

قال هاري: "ماذا تفعل هنا بحق الله؟ هل تتجسس عليّ؟".

تثاءب توم والر مجيباً: "مساء الخير يا هاري. أنا أراقب شقة كاميليا

لوين، وأشاهد من يدخل ومن يخرج. فكما تعرف، إنّ عودة المجرمين إلى

مسرح الجريمة ليست مجرد عبارة فارغة".

قال هاري: "بلى، إنها كذلك. هذا بالضبط ما هي عليه".

"لكن، كما أدركت ربّما، هذا كل ما لدينا. لم يترك لنا القاتل أشياء

كثيرة نعمل عليها".

قال هاري: "لا نعرف أن الرجل...".

قاطع والر: "أو المرأة".

هزّ هاري كتفيه وثبتّ نفسه، فيما فُتح باب الراكب المجاور للسائق.
"اصعد يا هاري، أود أن أتحدث إليك".

حملق هاري إلى الباب المفتوح، ولوّح بيده. سار خطوة جانبية أخرى
ليثبتّ نفسه، ثم مشى حول السيارة وركب.

سأل والر وهو يخفض صوت الموسيقى: "هل لديك فكرة؟".

قال هاري، وهو يتلوّى على المقعد الصغير الضيق: "نعم، لدي فكرة".
"وهل توصلت إلى الاستنتاج الصحيح؟".

"من الواضح أنك تحب السيارات الرياضية اليابانية الحمراء". رفع هاري
يده وضرب على لوحة القيادة ببعض القوة. "مادة صلبة. أخبرني...". ركّز
هاري على أسلوب كلامه. "هل جلست أنت وسفير أولسن في السيارة على
هذه الحال وتحديثها في غرونلوكا ليلة مقتل إيلين؟".

نظر والر إلى هاري وقتاً طويلاً قبل أن يفتح فمه ويجيب: "هاري،
ليست لدي أي فكرة عمّا تتكلم عنه".

"لا؟ عرفت أن إيلين قد ذكرت اسمك وقالت إنك زعيم تنظيم تهريب
الأسلحة، أليس كذلك؟ كنت أنت من توثّق من قيام سفير أولسن بقتلها
قبل أن تخبر أي أحد آخر. وعندما قيل لك إنني أتعبّ سفير أولسن،
أسرعت إلى ترتيب الأمر حتى يبدو وكأنه قد شهر السلاح في أثناء
محاولتك اعتقاله؛ تماماً كما حدث مع الرجل الآخر في هافنلاغريت. إنه نوعٌ
من التخصص الذي تبرع فيه؛ إعدام معتقلين مثيرين للمتاعب".
"أنت مثل يا هاري".

"لقد قضيت سنتين وأنا أحاول الحصول على شيء ضدك يا والر، هل
تعرف هذا؟".

لم يجب والر.

ضحك هاري وضرب على لوحة القيادة مجدداً، فسمعا صوت طقطقة
ينذر بالسوء.

"عرفت طبعاً! الأمير والوريث الشرعي يعرف كل شيء. كيف تفعل
هذا؟ أخبرني".

لمح والر عبر النافذة الجانبية رجلاً يخرج من كباب غاردن؛ توقف
الرجل ونظر في الاتجاهين قبل أن يمشي نزولاً نحو دار العبادة. لم ينبس
أي منهما بكلمة حتى دخل الرجل الطريق بين المقبرة والمستشفى.
همهم والر: "لا بأس. يمكنني الإدلاء باعتراف بسهولة إن كان هذا ما

تريده. لكن، تذكر أنك عندما تسمع اعترافاً فستتورط فوراً في معضلات بغيضة".

"البغيض محبب إلي".

"أنزلت بسفير أولسن القصاص الذي يستحقه".

أدار هاري رأسه ببطء نحو والر الذي كان يسترخي وقد أسند رأسه، وعيناه شبه مغمضتين.

"لكن، ليس لأنني كنت أخشى أنه سيكشف عن تعاوننا معاً. ذلك الجزء من نظريتك غير صحيح".

"حقاً؟".

تنهّد والر. "هل تتساءل عما يجعل أشخاصاً مثلنا يفعلون ما يفعلونه".
"لا أفعل أبداً أي شيء آخر".

"ما أقدم ذكرياتك يا هاري؟".

"ماذا؟".

"أقدم ذكرياتي ترجع إلى ليلة انحنى فيها والدي فوقي في السرير".
لامس والر المقود.

"لا بد أنني كنت في الرابعة أو الخامسة، وشممت رائحة التبغ والأمان. تعرف أن الآباء لديهم رائحة خاصة بهم. اعتاد المجيء إلى المنزل بعد أن آوي إلى السرير، وكنت أعرف أنه يذهب إلى العمل قبل وقت طويل من استيقاظي في الصباح. كنت أعرف أنني إذا فتحت عيني، فسيتسم ويربت على رأسي، ثم يذهب مجدداً. لذا تظاهرت بأنني نائم حتى يبقى وقتاً أطول. أحياناً، عندما كانت الكوابيس تنتابني عن امرأة تجوب الشوارع باحثة عن دم الأطفال، كنت أفتح عيني حين ينهض ليذهب وأطلب منه الجلوس معي مدة أطول. كان يجلس قربي في حين أستلقي هناك مشدوهاً وأنا أهدق إليه. هل كان الأمر نفسه يحصل مع والدك يا هاري؟".

هزّ هاري كتفيه. "كان والدي مدرّساً، وكان دائماً في المنزل".

"بيت الطبقة الوسطى إذاً".

"شيء من هذا القبيل".

أوما والر.

"كان والدي عاملاً، مثل والدي أفضل صديقين لي؛ غير وسولو. كانا يعيشان في الشقة فوقنا تماماً في بلدة أوصلو القديمة حيث ترعرعت. الحي الشرقي من أوصلو مكان كئيب، لكنه كان مبنى جيداً ونظيفاً يمتلكه

الاتحاد. لم نكن نعتبر أنفسنا من الطبقة العاملة، وإمّا كان والدانا من رجال الأعمال؛ جميعنا كذلك. امتلك والد سولو متجرًا، ولعب كل أفراد الأسرة دوراً فيه. عمل كل الرجال في حيننا بجد، لكن لم يعمل أي منهم بجدّ مثل والدي؛ فقد كان يعمل منذ الفجر وحتى الغروب، ليلاً ونهاراً. كان مثل آلة لا تنطفئ إلا أيام الأحد. لم يكن أيّ من والديّ نصرانياً تماماً، ودرس والدي العلوم الدينية نصف سنة في مدرسة مسائية؛ لأنّ جدّي أراد أن يصبح رجل دين. ولكن، عندما توفي جدّي تخلى عن الأمر. مع ذلك، كنا نذهب إلى دار عبادة فالرنغا كل أحد، ورافقنا والدي في ما بعد إلى إكبرغ أو أوستماركا. عند الخامسة، كنا نبدل ثيابنا ونتناول وجبة الأحد في غرفة الجلوس. ربما يبدو هذا مملاً، لكنني سأخبرك الآتي: كنت أتطلع إلى يوم الأحد طوال الأسبوع.

يوم الاثنين، كان والدي يخرج إلى العمل مجدداً، وبدا أن هناك دائماً عملاً في البناء يحتاج إنجازَه إلى وقت إضافي. اعتاد القول: بعض الأموال أبيض من البياض، وبعضها رمادي، وبعضها أسود. كانت تلك هي الطريقة الوحيدة لادّخار أي شيء في ذلك النوع من العمل. عندما بلغت الثالثة عشرة، انتقلنا غرباً إلى منزل يُحيط به بستان تفاح، وقال والدي إن الوضع أفضل هناك. كنت الشخص الوحيد في الصف الذي لم يكن والداه محامين، أو اقتصاديين، أو طبيين، أو صاحبي مهنة أخرى. كان جارنا قاضياً ولديه ابن في مثل عمري، وتمرّى والدي أن أصبح مثله، وقال إنني إذا أردت أن أعمل في إحدى تلك المهن، فمن المهم أن يكون لدي أصدقاء في السلك؛ لأعرف القواعد واللغة والقوانين غير المكتوبة. على كل حال، لم أصبح والابن صديقين قطّ، وإمّا أصبح كلبهم بمثابة صديق لي؛ كلب رعي ألماني كان يقف على الشرفة وهو ينبح كل الليل. كنت أستقل القطار بعد المدرسة إلى بلدة أوسلو القديمة وألتقي غير وسولو هناك بدلاً من ذلك. دعت والدي ووالدي كل الجيران إلى حفل شواء، لكنهم جميعاً قدّموا أعذاراً ورفضوا دعوتنا بتهذيب؛ باستثناء شخص واحد. يمكن أن أتذكر رائحة الشواء، والضحكات الخشنة الصادرة من الحداثق الأخرى في ذلك الصيف. بالمقابل، لم نتلق أي دعوة مماثلة".

رگز هاري على أسلوب كلامه. "هل لهذه القصة مغزى؟".

"أنت من يجب أن يقرر هذا، هل أتوقف؟".

"لا، تابع، لا يوجد شيء خاص أرغب برؤيته على شاشة التلفاز الليلة".

"في أحد الآحاد، كنا في طريقنا إلى دار العبادة كالمعتاد، وكنت أقف

في الشارع بانتظار والدي ووالدي، وأنا أشاهد كلب الرعي الألماني يثور في الحديقة مزمجراً وناجحاً في وجهي من الطرف الآخر للسياح. لا أعرف لماذا فعل ذلك، ولكنني ذهبت وفتحت البوابة، وربما فكرت حينها في أنه غاضب لأنه كان بمفرده. عندها، قفز الكلب عليّ، وأوقعني أرضاً، وعصّ وجنتي مباشرة، ولا تزال الندبة واضحة".

أشار والر إلى وجهه، لكن هاري لم ير شيئاً.
"استدعى القاضي الكلب من الشرفة فأفلتني، ثم أمرني بأن أخرج من حديقته. صرخت والدي في وجهه، ووجد والدي صعوبة في نطق أي كلمة حين انطلقنا بالسيارة إلى قسم الإسعاف. لدى عودتنا، كان هناك خط أسود سميك من الغرز يمتد من ذقني إلى تحت أذني. ذهب والدي لرؤية القاضي، وعندما عاد كانت عيناه تقدحان شرراً ولم يقل شيئاً. تناولنا الطعام يوم الأحد بصمت تام. أفقت في تلك الليلة متسائلاً عما أيقظني، فقد كان الهدوء يطبق على كل شيء، ثم أدركت أن كلب الرعي الألماني قد توقف عن النباح. سمعت الباب الأمامي يُغلق، وعرفت فطرياً أننا لن نسمع أبداً ذلك الكلب ينبح مجدداً. عندما فُتح باب غرفة نومي بهدوء أغمضت عيني بقوة، لكنني رغم ذلك لمحت المطرقة، وشممت رائحة التبغ والأمان، وتظاهرت بأنني نائم".

مسح والر بقعة غبار غير مرئية عن المقود.
"فعلت ما فعلته لأننا نعرف أن سفير أولسن قد قضى على إحدى زميلاتنا. فعلت ذلك من أجل إيلين يا هاري. تعرف الآن أنني قد قتلت الرجل، فهل ستبلغ عني أم لا؟".

حدّق هاري إليه ببساطة، فيما أغمض والر عينيه.
"لم يكن لدينا إلا دليل ظرفي ضد أولسن يا هاري، وكان سيفلت بفعلته. ما كنت سأسمح لذلك بأن يحدث. هل كنت ستسمح بحدوث ذلك يا هاري؟".

أدار والر رأسه ليقابل نظرة هاري الصارمة بالمثل.
"هل كنت ستفعل هذا لو كنت مكاني؟".

بلع هاري ريقه.
"كان هناك شخص شاهدك برفقة سفير أولسن في السيارة؛ شخص بدا مستعداً للإدلاء بشهادته، لكنك على الأرجح عرفت ذلك، صحيح؟".
هزّ والر كتفيه.

"تكلّمت مع أولسن في عدّة مناسبات. فقد كان مجرماً. وعملنا يلزمنا

بمراقبة هذا النوع من الناس يا هاري".
"فجأة، لم يعد الشخص الذي شاهدك يرغب بالتكلم عن الأمر. لقد
تحدّثت إليه، أليس كذلك؟ لقد هدّدته كي يلتزم الصمت".
هزّ والر رأسه.

"لا يمكنني الرد على هذا النوع من الأسئلة. حتى إذا قررت الانضمام
إلى فريقنا، فستعرف أن القاعدة الذهبية تقضي بأن تعرف ما هو ضروري
جداً من أجل أداء دورك فقط. قد يبدو هذا صارماً، لكنه يجدي نفعاً،
ومفيدٌ لنا".

سأله هاري: "هل تكلمت مع كفنست؟".
"كفنست لا يعدو عن كونه إحدى طواحين الهواء الخاصة بك يا
هاري. إنسه، ومن الأفضل أن تفكّر في نفسك".
مال مقترباً من هاري وأخفض صوته. "ماذا ستخسر؟ ألقِ نظرة جيدة
على المرأة...".

طرفت عينا هاري.
قال والر: "صحيح، أنت رجل بلغ الأربعين تقريباً، وتعاني مشكلة
الإدمان على احتساء الشراب، وليست لديك وظيفة أو أسرة أو مال".
"للمرة الأخيرة". حاول هاري أن يصرخ، لكنه لم يستطع لأنه ثمل. "هل
تكلمت مع... كفنست؟".

عدّل والر جلسته على مقعده مجدداً.
"اذهب إلى المنزل يا هاري، وفكّر في الجهة التي تدين لها بشيء.
هل هي قوة الشرطة التي أكلتك لحماً ورمتك عظماً؟ أم مديروك الذين
فروا مثل فئران خائفة حين شمّوا رائحة مشكلة؟ أم إنك تدين لنفسك
بشيء ما؟ لقد كدحت سنة بعد أخرى لإبقاء شوارع أوصلو آمنة نسبياً في
بلد يحمي مجرميه أكثر من موظفيه الحكوميين. أنت في الواقع أحد أفضل
الرجال في مهنتك يا هاري، وتمتلك بخلاف الآخرين موهبة في ذلك، لكنك
تحصل على أجر زهيد. يمكن أن أقدم لك خمسة أضعاف ما تكسبه اليوم،
لكن هذا ليس الجزء الأكثر أهمية في الأمر. يمكن أن أقدم لك عرضاً
يحفظ كرامتك يا هاري. الكرامة، فكّر في هذا".

كافح هاري ليركّز بصره على والر، لكن وجهه كان مشوشاً. تحسس
بأصابعه الباب بحثاً عن المقبض، لكنه لم يجده. سيارات يابانية لعينة. مال
والر نحوه ودفح الباب ففتحه.

قال والر: "أعرف أنك كنت تحاول العثور على كفنست، لكن دعني

أوفّر عليك العناء. نعم، تكلمت مع أولسن في غرونلوكا في ذلك المساء، لكن هذا لا يعني أن لي يداً في مقتل إيلين. أبقيت فمي مغلقاً حتى لا أعقد الأمور. يمكن أن تفعل ما يحلو لك، لكن صدّقي، ليس لدى روي كفنست ما يقوله ويستحق الاستماع إليه".
"أين هو؟".

"هل سيشكل إخبارك عن مكانه أي فرق بالنسبة إليك؟ هل ستصدّقي حينها؟".

قال هاري: "ربما، من يعرف؟".

تنهّد والر.

"32 سوغنسفانفين. إنّه يبقى في غرفة الجلوس في قبو طليق والدته".
استدار هاري ولوّح لسيارة أجرة قادمة نحوه وقد أضيئت لوحاتها.
قال والر: "لكنه هذا المساء يتدرّب مع جوقة مينا، على مسافة ليست بعيدة عن هنا مشياً على الأقدام. إنهم يتدربون في قاعة دار عبادة غامل أكر".

"غامل أكر؟".

ضغط سائق سيارة الأجرة الخاوية على المكابح متردداً، ثم زاد السرعة مجدداً وانطلق مبتعداً في اتجاه مركز المدينة. ظهرت على وجه والر ابتسامة ساخرة.

"لست مضطراً إلى التخلي عن معتقداتك لتعتنق عقيدة جديدة يا هاري".

الفصل الثاني عشر:

الأحد. دار العبادة

كانت الساعة الثامنة من بعد ظهر يوم الأحد. ثناءً ببيارني مولر، وأوصد درج مكتبه، ثمّ مد ذراعه ليطفئ مصباح الطاولة. كان متعباً ولكنه مسرور من نفسه، فقد توقفت أسوأ حملة قامت بها وسائل الإعلام بعد حادثتي إطلاق النار والاختفاء، واستطاع العمل خلال عطلة نهاية الأسبوع من دون إزعاج، وسرعان ما انخفضت كومة الأوراق التي تكدّست على طاولته. كان بمقدوره الآن الذهاب إلى المنزل والاستمتاع بكأس شراب، ومشاهدة إعادة نغمة موسيقى على التلفاز. وضع إصبعه على المفتاح، وألقى نظرة أخيرة على سطح الطاولة المرتّب. عندها، لاحظ المغلف البني المكتنز، لكنه لم يتذكر أنه أخذه من صندوق بريده يوم الجمعة، وبدا واضحاً أنه كان متوارياً خلف كومة الأوراق.

تردّد، فقد كان من الممكن أن ينتظر المغلف حتى الغد. ضغط على المغلف، وشعر بشيء ما داخله، شيء لم يستطع أن يحدده فوراً. فتحه بسكين الرسائل، لكنه لم يجد رسالة، أدار المغلف رأساً على عقب، لكن لم يقع شيء منه. هزّه بقوة فسمع شيئاً ينفصل عن البطانة، ويضرب الطاولة، ويقفز عليها إلى الهاتف ثم إلى النشافة، ويستقر على جدول المناوبة. فجأة، شعر بألم معدته مجدداً. تكوّر بيارني مولر على نفسه ثم نهض وهو يلهث طالباً الهواء. انقضت بضع دقائق قبل أن يستطيع الوقوف منتصباً ويتصل برقم. ولو لم يكن يشعر بألم شديد لربما لاحظ أن رقم الهاتف الذي اتصل به للتو يخص الاسم الذي كتب على المغلف؛ والذي يُشير إلى الشخص الموجود في المناوبة حالياً.

كانت ماريت مغرمة؛ مجدداً.

ألقت نظرة على درجات قاعة دار العبادة. دخل الضوء من النافذة الدائرية في الباب الذي يحمل النجم، وأضاء وجه الفتى الجديد روي. كان يتكلم إلى إحدى الفتيات الأخريات في الجوقة، وأدركت أنها تفكّر منذ عدّة أيام آنذاك في الطريقة التي تسمح له بملاحظتها، لكن سرعة البديهة تخلّت عنها. لم يكن الذهاب إليه والتكلم معه بداية سيئة، لكنها أرادت أن تنتظر وتتحبّب الفرصة المناسبة. كان قد تحدّث في أثناء تدريب الجوقة في الأسبوع الماضي بصوت عالٍ وواضح عن ماضيه، واعتناقه المذهب الفيلاذلفي، وعن كونه نازياً جديداً قبل أن يُنقذ! كانت إحدى الفتيات الأخريات قد سمعت إشاعة بأن لديه وشماً نازياً كبيراً في مكان ما من جسده. اتّفنن

على أن ذلك فظيع، لكن ماريت شعرت أن الفكرة نفسها جعلت جسدها يرتعش إثارة، وعرفت في قرارة نفسها أن ذلك سبب وقوعها في الحب. إنه أمر جديد وغير مألوف، وتلك الإثارة رائعة، وعرفت أنها ستكون في نهاية المطاف مع شخص آخر؛ شخص مثل كريستيان، قائد الجوقة. كان كلا والديه في الجماعة، وقد بدأ هو للتو يعظ في اجتماعات الشباب، في حين أن أشخاصاً مثل روي ينتهي أمرهم غالباً بين المرتدين. كانوا قد تدرّبوا وقتاً طويلاً في ذلك المساء، فهم يتمرنون على أغنية جديدة، وقد أدّوا عملياً كل أغانيهم أيضاً. يفضّل كريستيان القيام بذلك حين ينضم إليهم أعضاء جدد، لإظهار مدى براعتهم. وهم يتمرنون عادة في غرفهم الخاصة في غيثميرسفين، لكن المكان مغلق بسبب العطلات الوطنية، لذا لجأوا إلى قاعة دار عبادة غامل أكر في أكرسباكن. وعلى الرغم من تجاوز الوقت منتصف الليل، إلا أنهم وقفوا في الخارج بعد تدريبات الجوقة. كانت أصواتهم تطنُّ مثل مجموعة حشرات، وبدت هناك إثارة إضافية في الجو ذلك المساء، ربما بسبب الحرارة، أو ربما لأن الأعضاء المتزوجين والخطابين في الفرقة كانوا في عطلة، لذا لم تكن هناك ابتسامات، وإمّا نظرات عتب انصبت على الأفراد الأصغر سناً حين اعتبروا أن الغزل قد تجاوز الحدود. نطقت ماريت بأول شيء يجول في ذهنها رداً على صديقاتها، فيما كانت تختلس نظرة أخرى إلى روي، وتتساءل عن مكان الوشم.

وكرّتها إحدى صديقاتها، وأومأت نحو رجل يصعد إلى أكرسباكن. همست إحدى الفتيات: "انظرن، إنه ثمل".

قالت أخرى: "يا له من رجل مسكين!".

كانت صوفي هي التي قالت ذلك، وهي تقول دائماً أشياء مشابهة. أومأت الأخريات، وفعلت ماريت الشيء نفسه، ثم أدركت أن هذه هي الفرصة التي تبحث عنها. ومن دون أن تتردد لحظة واحدة، تركت مجموعة صديقاتها ووقفت في درب الرجل.

توقف ونظر نحو الأسفل إليها، فقد كان أطول مما توقعت.

سألت ماريت بصوت عالٍ وواضح وهي تبتسم: "هل أنت متدين؟". كان وجه الرجل أحمر، ورؤيته مشوشة. توقف الحديث خلفها فجأة، واستطاعت أن ترى بطرف عينها أن روي والفتيات على الدرجات وقد استداروا نحوها.

تكلم الرجل بخنّة: "لا، يا للأسف! هل تعرفين روي كفنست؟".

شعرت ماريت أن التورّد يخضّب وجهها، وعلقت كلماتها في حلقها.
سأل الرجل: "حسناً؟ هل هو هنا؟".
نظرت إلى رأس الرجل قصير الشعر وإلى نعليه، ثم تورّدت كثيراً فجأة.
هل هذا الرجل أحد النازيين الجدد؟ أهو شخص من ماضي روي؟ أهو
شخص جاء للانتقام من خيانتته؟ أو لإقناعه بالعودة إليهم؟
"أنا...".

لكن الرجل كان قد تخطّأها آنذاك.
استدارت نحو الخلف، في الوقت المناسب لترى روي وهو يتراجع
مسرعاً إلى قاعة دار العبادة ويغلق الباب خلفه بعنف.
مشى الرجل الثمل بخطوات واسعة على الحصى التي صرّت تحت
قدميه، والجزء الأعلى من جسده منحنيّ مثل صارٍ عصفت به الريح فجأة.
زلّت قدمه أمام الدرجات ووقع على ركبتيه.
قالت إحدى الفتيات: "أوه، يا للهول!".
نهض الرجل مجدداً.

رأت ماريت كريستيان وهو يتراجع إلى الخلف بسرعة حين سعد
الرجل الدرجات. وقف على الدرجة العليا، متمائلاً إلى الأمام والخلف، وترنّح
لحظة وكاد يسقط إلى الورا، ثم استعاد سيطرته على نفسه، وتشبث
بمقبض الباب.

وضعت ماريت يدها على فمها.
دفع الباب، لكن لحسن الحظ كان روي قد أوصده.
صرخ الرجل بصوت أثقله الشراب: "تباً!". مال إلى الخلف، ثم دفع
رأسه إلى الأمام وضرب الباب به.
سمعوا صوت تحطم الزجاج حين اصطدم جبينه بالنافذة الدائرية،
ووقعت الشظايا على الدرجات.

صرخ كريستيان: "توقف! لا يمكنك...".
استدار الرجل إلى الخلف وفغر فمه. كانت قطعة مثلثة من الزجاج
تبرز من جبينه، والدم يسيل منه في شريط رفيع يتشعب عند جسر أنفه.
لم ينبس كريستيان بكلمة أخرى.

فتح الرجل فمه وبدأ يصرخ، وكان الصوت حاداً مثل نصل فولاذي.
بدأ يهاجم الباب مجدداً بغضب لم تشهده ماريت من قبل، وهو يضرب
البوابة البيضاء الصلبة بقبضتين مشدودتين. عوى مثل ذئب، وضرب الباب
مراراً وتكراراً؛ وبدت ضرباته مثل ضربات فأس في سكون الصباح في غابة.

شرع بعد ذلك يضرب نجماً من الحديد المزخرف معلّقاً على النافذة الدائرية. ظنّت أنها سمعت صوت جلد يتمزّق فيما بدأ رذاذ الدم يخفي لون الباب الأبيض.

صرخ أحدهم: "ليفعل أحد ما شيئاً". ورأت كريستيان يُخرج هاتفه الخلوي.

تحرّر النجم الحديدي، وانهار الرجل على ركبتيه فجأة. تقدّمت ماريت منه، فيما كان الآخرون يتراجعون، لكنها اقتربت أكثر مدركة أن قلبها يخفق بقوة في صدرها. أمام الدرجات شعرت بيد كريستيان على كتفها فتوقفت. سمعت الرجل يلهث طالباً الهواء وهو يجلس على إحدى الدرجات، مثل سمكة تحتضر على أرض جافة، وبدا وكأنه يبكي.

* * *

عندما جاءت سيارة الشرطة لتأخذه بعد ربع ساعة، كان متكوراً على الدرجات. ساعده على الوقوف، وسمح لهم بأن يقودوه إلى السيارة من دون أي مقاومة. سألت إحدى الشرطيات إن كان أحد منهم قد أصيب بضرر يود الإبلاغ عنه، ولكنهم هزّوا رؤوسهم فقط مذهولين. ذهبت السيارة بعد ذلك، وكل ما بقي هو ليل الصيف الدافئ. خطر في بال ماريت أن الأمر قد انتهى وكأن شيئاً لم يحدث. وبالكداح لاحظت روي وهو يخرج شاحباً ومرهقاً، ثم اختفى أو وضع كريستيان ذراعه حولها. حدّقت إلى النجم المتضرر المعلّق على النافذة، ورأت أنه ملتوٍ، واثنان من رؤوسه الخمسة يبرزان إلى الأعلى وواحد إلى الأسفل. وعلى الرغم من الحر في تلك الليلة، شدّت سترتها حول كتفيها بإحكام. كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل، وضيء القمر ينعكس على نوافذ مقر قيادة الشرطة. مشى بيارني مولر عبر موقف السيارات الخالي إلى مبنى الاحتجاز، وعندما دخل، ألقى نظرة سريعة في أرجاء المكان. لم يكن أحد جالساً إلى طاولات الاستقبال الثلاث، وكان شرطيان يحدّقان إلى التلفاز في غرفة الحراس. وبوصفه معجباً قديماً بتشارلز برونسون، تعرّف مولر الفيلم؛ أمنية موت، وعرف أكبر الشرطين سنّاً، غروث، المعروف أيضاً باسم "الحزين"؛ بسبب الندبة البنية التي تمتد من عينه اليسرى إلى أعلى وجنته. كان غروث قد عمل في مبنى الاحتجاز وقتاً طويلاً لا يتذكره مولر، والجميع يعرفون أنه يدير المكان. صرخ مولر: "مرحباً؟".

رفع غروث إصبعه من دون أن يشيح ببصره عن شاشة التلفاز، وأشار إلى الشرطي الأصغر سنًا الذي استدار متردداً ليواجهه. عرض مولر بطاقة هويته للحظة، لكن ذلك بدا غير ضروري، فقد كانا يعرفانه.

صرخ مولر: "أين هول؟".

"الأحمق؟". شخر غروث حين رفع تشارلز برونسون بندقيته ليثار. قال الشرطي الأصغر سنًا: "في الزنزانة رقم خمسة كما أظن. توثق من أحد الحراس هناك؛ إن عثرت على أحدهم".

قال مولر: "شكرًا". ودخل عبر الباب المؤدي إلى الزنانات.

كانت هناك مئة زنزانة احتجاز تقريباً، وعدد النزلاء يختلف وفقاً للموسم، وهذا موسم ركود بالتأكيد. لم يزعج مولر نفسه بالذهاب إلى غرفة الحراس، وبدأ يمشي في الأروقة بين الحجيرات المعدنية، فيما صدى وقع خطواته يتردد في المكان. لطالما اشمئز من مبنى الاحتجاز. أولاً، كان احتجاز أشخاص أحياء هناك أمراً سخيلاً. ثانياً، بدا الجو هناك جو حياة الدرك الأسفل المحطمة. ثالثاً، كان يعرف الأمور التي تجري هناك، كما حدث حين اتهم سجين غروث بأنه يستخدم خرطوم مياه ضده، لكن SEFO رفضت الادعاء حين أخرجوا الخرطوم واكتشفوا أنه لا يصل إلى الزنزانة التي زعم أن ذلك يحدث فيها. بدا أن أعضاء SEFO هم الأشخاص الوحيدون في مقر قيادة الشرطة الذين لا يعرفون أنه حين عرف غروث بوجود إزعاج بسيط، قام بقص جزء من خرطوم المياه. لم يكن للزنزانة رقم خمسة، مثل كل الزنانات الأخرى، قفل ومفتاح، وإنما مجرد أداة أساسية لفتح الباب من الخارج.

كان هاري جالساً على الأرضية ورأسه بين يديه. وأول شيء لاحظته مولر هو أن الضمادة على يده اليمنى ملطخة بالدماء. رفع هاري رأسه ببطء ونظر إليه. كانت هناك لصوقاً على جبينه، وعيناه متورمتين وكأنه كان يبيكي. وشم في الزنزانة رائحة قيء.

سأل مولر: "لماذا لم تستلقِ على السرير؟".

همس هاري بصوت لا يمكن تعرفه: "لا أريد أن أنام، لا أريد أن

أحلم".

افتعل مولر حركة بوجهه لإخفاء حقيقة أنه ارتعش. كان قد رأى هاري مكتئباً من قبل، ولكن ليس هكذا؛ ليس إلى هذا الحد. فهو لم يره قط منهاراً.

تتحنح. "لنذهب".

لم يُلقِ غروث "الحزين" والشرطي الأصغر سنًا أيّ نظرةٍ عليهما حين تجاوزا غرفة الحراس، لكن مولر شاهد هزة رأس غروث القوية. تقياً هاري في موقف السيارات، ووقف منحنيًا إلى الأمام، وهو يبصق ويطلق الشتائم، في حين أشعل مولر لفافة تبغ وأعطاه إياها. قال مولر: "حصل هذا الأمر خارج أوقات الدوام، لذا سيبقى غير رسمي".

غصّ هاري بضحكته. "شكرًا لك أيها المدير. إنه أمر جيد أن أعرف أنني سأطرد بسجل أفضل قليلاً مما ينبغي". "ليس هذا سبب ما قلته، وإلا كان سيتوجب عليّ إيقافك عن العمل فوراً".

"ما الأمر إذًا؟".

"أريد محققًا مثلك في الأيام القليلة القادمة. أعني محققًا ناجحًا كما يحصل حين تكون صاحبًا. والسؤال الآن هو إن كان بمقدورك البقاء صاحبًا". شدّ هاري قامته وزفر دخان لفافة التبغ. "تعرف أنني أستطيع فعل هذا أيها المدير، ولكن هل أريد فعله؟". "لا أعرف. هل تريد فعل هذا يا هاري؟". "يجب أن يكون لديك سبب أيها المدير". "نعم، أفترض أن لديّ سببًا".

نظر مولر إلى مفتشه بإمعان، وفكّر في الوضع. كانا هناك، واقفين وسط موقف سيارات فارغ، في إحدى ليالي الصيف في أوصلو، تحت ضوء القمر ومصباح مليء بحشرات ميتة. فكّر في كل الأشياء التي اختبرها معًا، كل الأمور التي أنجزها وتلك التي لم ينجزها. فعلى الرغم من كل شيء، وبعد كل تلك السنوات، هل سيحدث الأمر هكذا، بطريقة عادية جدًا، ويذهب كل منهما أخيرًا في حال سبيله؟

قال مولر: "منذ أن عرفتكم لم يكن هناك إلا شيء واحد فقط يجعلك تمضي قدمًا، وهو العمل".

لم يُجب هاري.

"لديّ مهمة لك، إن أردتها".

"وما هي...؟".

"تلقيت هذه في مغلف بني اليوم. وكنت أحاول العثور عليك منذ

ذلك الوقت".

فتح مولر يده وتفحص رد فعل هاري. سقط ضوء القمر والمصباح على راحة كف مولر وعلى أحد أكياس قسم الطب الشرعي. قال هاري: "حسناً، أين باقي جسدها؟". كان الكيس يحتوي إصبعاً طويلاً ونحيلة ذات ظفر مطلي باللون الأحمر. كان هناك خاتم حول الإصبع، والجوهرة فيه على شكل نجم بخمسة رؤوس. قال مولر: "هذا كل ما لدينا. الإصبع الوسطى من اليد اليسرى".

"هل استطاع الطب الشرعي تعرّف الإصبع؟".

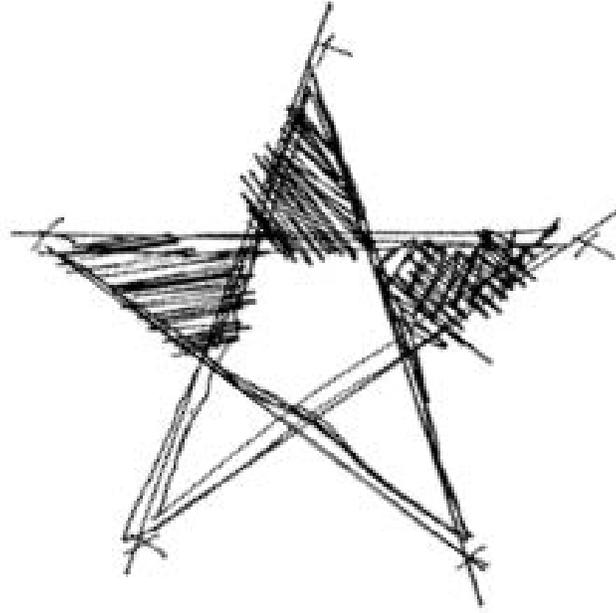
أوماً بيارني مولر.

"أبهذه السرعة؟".

ضغط مولر بيده على بطنه وأوماً مجدداً.

قال هاري: "حسناً، لا بدّ أنها إصبع ليزبيث بارلي".

القسم الثالث



الفصل الثالث عشر:

الاثنين. لمسة

أنتِ تظهرين على شاشة التلفاز يا عزيزتي، وهناك جدار كامل منك؛ اثنتا عشرة نسخة منك، كلها تتحرك بانسجام؛ نسخ بأشكال متدرّجة من اللون والظل. أنتِ تمشين على طول جسر في باريس، وتتوقفين، ثم ترفعين قارورة وترمقينني بتلك النظرة الباردة والمملوءة بغضاً، ثم تديرين ظهركِ لي. هذا يجدي نفعاً، فالرفض ينفع في كل مرة، وأنتِ تعرفين هذا يا عزيزتي، أليس كذلك؟

ينتهي الخبر آنذاك، وترمقينني باثنتي عشرة نظرة متجهمة، في حين تقرئين اثني عشر نبأ متشابهاً، وأنا أقرأ من 24 شفة حمراء، لكنك صامتة وأنا أحب صمتك.

تظهر صورة فيضان في مكان ما في أوروبا. انظري يا حبيبتي، نحن نخوض في الشوارع. أحرك إصبعي على شاشة تلفاز وأرسم نجمك. وعلى الرغم من أن التلفاز لا يعمل، إلا أنني أشعر بالحقل الكهربائي بين الشاشة المغبرة وإصبعي. الكهرباء، الحياة في صندوق، ولمستي هي التي تعيد إليه الحركة.

يقابل طرف أحد رؤوس النجم الرصيف خارج المبنى المشيد من آجر أحمر على الطرف الآخر من تقاطع الطرق يا عزيزتي. يمكنني الوقوف هنا في المتجر والنظر إليه بإمعان عبر ثغرات بين الأجهزة. هذا أحد أكثر تقاطع الطرق ازدحاماً في أوصلو، وتوجد عادة صفوف طويلة من السيارات في الخارج. لكن، اليوم لا توجد سيارات إلا في شارعين يخرجان مثل شعاعين من القلب الإسفلتي. خمس طرق يا عزيزتي. أنتِ في السرير طوال اليوم بانتظاري، لكن يجب أن أفعل هذا ثم آتي. إذا أحببت يمكنني إخراج الرسالة من خلف الجدار والهمس بالكلمات لك. "عزيزتي! أفكر فيك طوال الوقت، ولا أزال أشعر بشفتيك...".

أفتح باب المتجر لأخرج، فتغمر أشعة الشمس المكان. أشعة الشمس، سأكون معك قريباً.

لقد بدأ اليوم بطريقة سيئة بالنسبة لمولر. كان في الليلة السابقة قد أخرج هاري من الزنزانة، ثم استيقظ في الصباح وهو يشعر بالآلام في معدته التي بدت مثل كرة شاطئ منفوخة كثيراً.

بدا أن الأمر سيء.

لكن، عند الساعة التاسعة لم تكن الأمور سيئة جداً حين دخل هاري صاحياً على ما يبدو غرفة اجتماعات شعبة مكافحة الجريمة في الطابق السادس. كان يجلس إلى الطاولة آنذاك توم والر، وبتي لون، وأربعة من المحققين الآخرين المسؤولين عن استراتيجية القضية، إضافة إلى زميلين متخصصين استُدعيا من إجازتهما في الليلة الماضية.

بدأ مولر: "صباح الخير لكم جميعاً. أفترض أنكم تعرفون تماماً ما بين أيدينا هنا: إنهما قضيتان، وربما جريمتا قتل، مع بعض الدلائل، إلا أن الجاني شخص واحد. باختصار، يبدو الأمر مثيراً للشك؛ مثل الكابوس الذي ينتابنا جميعاً في مرحلة ما".

وضع مولر شريحة العرض الأولى في الجهاز.

"ما نراه إلى اليسار هو يد كاميليا لوين اليسرى بسبابتها المبتورة. وإلى اليمين، يمكننا رؤية الإصبع الوسطى ليد ليزبيث بارلي اليسرى التي أرسلت إلي بالبريد. وعلى الرغم من عدم وجود جثة لإجراء المطابقة، إلا أن بتي حدّدت الإصبع لدى مقارنة بصمتها بتلك التي رفعتها من شقة بارلي. إنها مبادرة جيدة وعمل رائع يا بتي".

تورّدت بتي خجلاً فيما نقرت بقلم رصاص على دفتر ملاحظاتها، وحاولت أن تبدو طبيعية.

بدّل مولر شريحة العرض.

"وجدنا هذا الحجر الكريم تحت جفن كاميليا؛ ألماسة حمراء على شكل نجم بخمسة رؤوس. وكان هذا الخاتم الموجود إلى اليمين يحيط بإصبع ليزبيث. كما ترون، الألماسة على الخاتم أفتح لوناً، لكن الشكل متماثل".

قال والر: "لقد حاولنا معرفة المكان الذي جاءت منه الألماسة الأولى، لكننا لم ننجح. أرسلنا صوراً إلى اثنتين من أكبر مؤسسات صقل الألماس في أنتويرب، لكنهما قالتا إن هذا النوع من العمل جرى على الأرجح في مكان آخر في أوروبا، وأشارتا إلى روسيا أو جنوب ألمانيا".

قالت بتي: "اتصلنا بخبيرة ألماس تعمل لمصلحة دي بيرز، أكبر شارٍ للألماس الخام في العالم حالياً. ووفقاً لها، يمكن استخدام قياس الطيف والتصوير المقطعي المجهرى لنحدّد بدقة المكان الذي جاءت منه الألماسة. ستأتي من لندن هذا المساء على متن طائرة لمساعدتنا".

رفع ماغنوس سكار - أحد المحققين اليافعين والجديد نسبياً في شعبة مكافحة الجريمة - يده. "بالعودة إلى ما قلته في البداية يا سيدي، لا أفهم لماذا يمثل هذا كابوساً إن كانت جريمة مزدوجة. بالمحصلة، نحن نبحث عن

قاتل واحد فقط بدلاً من اثنين، لذا يستطيع الجميع هنا العمل على القضية نفسها. برأيي، يجب أن يكون العكس...".

سمع ماغنوس سكار نحنة عميقة، وتحول اهتمام المجتمعين إلى حيث بقي هاري هول مسترخياً على كرسيه حتى ذلك الوقت.

سأل هاري: "ما اسمك مجدداً؟".

"ماغنوس".

"اللقب".

"سكار". قال الصوت بانزعاج. "يجب أن تتذكر -".

"لا يا سكار، لن أتذكر. لكن، حاول أنت أن تتذكر ما سأقوله لك الآن. عندما يواجه المحققون جريمة متعمدة - وفي هذه القضية؛ جريمة تم التخطيط لها بعناية - فهم يعرفون أن الجاني لديه عدد من الأفضليات الواضحة. ربما يكون قد أزال كل الأدلة الشرعية، وحضر حجة غياب تبدو قوية في وقت الوفاة، وتخلص من السلاح وغير ذلك. لكن هناك شيئاً لا يستطيع القاتل إخفاؤه - إن جاز التعبير - عن التحقيق أبداً، وما هو؟".

طرفت عينا ماغنوس سكار عدة مرات.

قال هاري: "الحافز. إنه شيء أساسي، أليس كذلك؟ الحافز، ومنه نبدأ تحقيقنا، وهو أساسي جداً ولكننا ننساه أحياناً. يأتي يوم ما ويظهر الحافز فجأة: إذ يخرج القاتل في أسوأ كوابيس كل محقق، أو في حلم فاحش؛ كل شيء يعتمد على الطريقة التي يفكر بها ذهنك. والكابوس قاتل لا حافز لديه، أو لأكون أكثر تحديداً، ليس لديه حافز يستطيع البشر إدراكه".

"أنت الآن ترسم صورة شرير على الجدار أيها المفتش هول، أليس كذلك؟". نظر سكار إلى الآخرين. "فنحن لا نعرف بعد إن كان هناك حافز خلف هاتين الجريمتين أم لا".

تنحى توم والر.

رأى مولر العضلات في فك هاري تشتد.

قال والر: "إنه محق".

قال سكار: "طبعاً أنا محق. من الواضح أن -".

"اخرس يا سكار، المفتش هول محق. لقد عملنا على هاتين القضيتين لمدة عشرة أيام وخمسة عشر يوماً على التوالي، من دون أن نجد شيئاً واحداً قد يمثّل صلة بين ضحيتي هاتين الجريمتين. وعندما تكون الصلة الوحيدة بين الضحيتين هي الطريقة التي قُتلتا بها، والشعائر والأشياء التي تبدو كرسائل مشفرة، نبدأ بالتفكير في كلمة اقترحت أنا ألا ننطقها بصوتٍ

عالٍ، لكنها تدور في أذهاننا جميعاً. أقترح أيضاً أن يُبقي سكار والشباب الآخرون الجدد من الكلية أفواههم مغلقة من الآن فصاعداً، وأن يفتحوا آذانهم حين يتكلم المفتش هول".

أطبق الصمت على الغرفة.

رأى مولر هاري يحدّق إلى والر.

قال مولر: "لتلخيص الأمر، ينبغي أن نحاول إبقاء شيئين في أذهاننا في الوقت نفسه. فمن ناحية، يجب أن نعمل على نحو منظم؛ وكأنهما جريمتا قتل عاديّتان. ومن ناحية أخرى، يجب أن نرسم صورة شرير بشع وكبير وبدين على الجدار. لا أريد أن يتكلم أحد غيري إلى الصحافة، والاجتماع القادم عند الساعة الخامسة. باشروا العمل الآن".

كان الرجل الذي يجلس تحت الكشاف أنيقاً بثيابه الصوفية، وكان يمسك غليون شرلوك هولمز ويهتز على عقبيه وهو ينظر إلى المرأة التي ترتدي أسماً بالية أمامه بعين العطف.

"كم تقترح أن تدفع لي مقابل الدروس؟". أعادت المرأة رأسها إلى الخلف ووضعت يديها على وركيها.

"أوه، أعرف الأجر المناسب. حصلت صديقة لي على دروس بالفرنسية مقابل ثمانية عشر بنساً في الساعة من سيد فرنسي حقيقي. حسناً، لا يمكن أن تطلبي مني المبلغ نفسه لتعليمي لغتي، لذا لن أدفع أكثر من شلن. اقبلي أو ارفضني".

جلس ويلهلم بارلي في الصف الثاني عشر وترك دموعه تجري بحرية. شعر بها تسيل على عنقه وتحت قميصه التايلندي الحريري، وفوق صدره، قبل أن تتابع طريقها نزولاً إلى بطنه. لن تتوقف.

رفع يده أمام فمه حتى لا يشتمت نشيجه انتباه الممثلين أو مدير المسرح في الصف الخامس.

وجل حين شعر بيد على كتفه. وحين استدار رأى رجلاً طويلاً ينحني فوقه. جعله إحساس داخلي يتسمّر في مكانه.

همس بصوت مختنق: "نعم؟".

همس الرجل: "هذا أنا، هاري هول، من الشرطة".

أبعد ويلهلم بارلي يده عن فمه وأمعن النظر إلى وجه هاري، ثم قال وقد ظهر الارتياح في صوته: "طبعاً، هذا أنت. آسف أيها المفتش، المكان مظلم جداً، وظننت...".

جلس الشرطي على المقعد بجانب ويلهلم وسأله: "ماذا ظننت؟".
"أنت ترتدي ثياباً سوداء". نظّف ويلهلم أنفه بمنديل.
"ظننت أنك رجل دين، جاء... حاملاً أبناء سيئة. تفكير غبي، أليس كذلك؟".

لم يجب الشرطي.
"جئت إليّ في لحظة عاطفية جيّاشة أيها المفتش. فنحن نقوم بالتجربة النهائية اليوم. انظر إليها".
"من؟".

"إليزا دوليتل، هناك. عندما أراها على المسرح، أظن للحظة أنها ليزبيث، وأني كنت أحلم باختفائها فقط". كان ويلهلم يسحب أنفاساً عميقة ويرتعش. "لكن، حين بدأت تتكلم اختفت عزيزتي ليزبيث".
اكتشف ويلهلم أن الشرطي يحدّق إلى المسرح مذهولاً.
"إنه تشابه صارخ، أليس كذلك؟ لهذا أحضرتها إلى هنا. كان يجب أن تكون مسرحية ليزبيث الموسيقية".

شرع هاري يقول: "هل هي...؟".
"نعم، تلك شقيقتها".
"تويا؟ أعني تويا".
"استطعنا إبقاء الأمر سراً حتى الآن. المؤتمر الصحفي في وقت لاحق اليوم".

"حسناً، لا بد أن هذا سيسهم في الدعاية قليلاً".
استدارت تويا حول نفسها، وأطلقت شتيمة بصوت عالٍ حين تعثرت.
رفع شريكها ذراعيه إحباطاً، وبحث بصره عن المخرج.
تنهّد ويلهلم.

"الدعاية ليست كل شيء. فكما ترى، هناك عمل كثير ينبغي إنجازه. لديها موهبة خام نوعاً ما، لكن الظهور على خشبة المسرح الوطني مختلف تماماً عن إنشاد أغاني رعاة بقر في مركز اجتماعي في بلدة صغيرة وسط النرويج. قضيت سنتين وأنا أعلم ليزبيث طريقة التصرف على المسرح. لكن، مع تلك هناك، يجب أن نفعل ذلك خلال أسبوعين".
"إذا كنت أزعجك، فيإمكانني مناقشة الأمر بسرعة كبيرة يا سيد بارلي".
"ماذا تقصد بقولك مناقشة الأمر بسرعة؟".

حاول ويلهلم أن يفسر التعبير الذي بدا على وجه هاري في الظلام.
كان الخوف قد أطبق ببرائه عليه مجدداً، وعندما فتح هاري فمه، تغلبت

الفطرة على ويلهلم وقاطعه.

"أنت لا تزعجني إطلاقاً أيها المفتش. أنا المنتج فحسب، كما تعرف، شخص يجعل الأمور تتحرك. الآخرون يتولون المسؤولية الآن".
لوح بيده نحو المسرح فيما كان الرجل الذي يرتدي ثياباً صوفية يعلن بصوت عالٍ في تلك اللحظة:

"سأجعل من هذه المتشردة البائسة دوقة".

قال بارلي: "مخرج، مصمم مسرحي، ممثلون. منذ الغد، سأكون مجرد مشاهد أتابع هذه...". استمر بالتلويح بيده في الهواء حتى تذكر الكلمة "الكوميديا".

"حسناً، يجب علينا جميعاً أن نكتشف مواهبنا".

أطلق ويلهلم ضحكة جوفاء، لكنه صمت حين رأى رأس المخرج يستدير فجأة نحوه. فمال إلى الشرطي وهمس: "أنت محق، كنت راقصاً لمدة 20 سنة، وراقصاً سيئاً جداً إن أردت أن تعرف. لكن، هناك دائماً نقص كبير في الراقصين الذكور في الأوبرا، لذا يقبلون كل من يحسن الرقص قليلاً. على كل حال، نجب على التقاعد حين يصبح عمرنا 40 عاماً، ثم يتوجب علينا إيجاد شيء جديد. أدركت آنذاك أن موهبتي الحقيقية تكمن في تمرين الآخرين على الرقص. إنها إدارة المسرح أيها المفتش، وهذا هو الشيء الوحيد الذي يمكنني القيام به. لكن، هل تعرف أمراً؟ نصح مثيرين للشفقة عند أدنى إشارة إلى النجاح، ولأن الأمور تسير على ما يرام في بضع مسرحيات، نصدّق أنه في وسعنا التحكّم بكل المتغيرات، وأننا نرسم قدرنا في كل المجالات، ثم يحدث شيء مثل هذا، ونكتشف أن لا حول لنا ولا قوة. أنا...".

توقف ويلهلم فجأة.

"أجعلك تشعر بالملل، أليس كذلك؟".

هزّ الرجل الآخر رأسه وتنحنح. "الأمر يتعلق بزوجتك".

أغمض ويلهلم عينيه قليلاً، وكأنه ينتظر سماع ضوضاء عالية منقّرة.

"استلمنا طرداً يحتوي إصبعاً مبتورة، وأخشى أنها إصبعها".

بلع ويلهلم ريقه بصعوبة. كان قد اعتبر نفسه دائماً رجل حب، لكنه يشعر الآن أنها تكبر مجدداً؛ تلك الكتلة تحت قلبه الموجودة دائماً هناك؛ الورم الذي يدفعه إلى حافة الجنون.

"هل تعرف أمراً أيها المفتش؟ هذا مريح تقريباً، فقد عرفت طوال

الوقت أنه سيلحق ضرراً بها".

"ماذا؟!"

لاحظ ويلهلم نبرة دهشة وقلق في صوت الرجل الآخر.
"هل يمكن أن تعديني بشيء يا هاري؟ هل يمكنني أن أدعوك هاري؟".
أوما الشرطي.
"اعثر عليه، جده يا هاري، وعاقبه. أنزل به عقاباً قاسياً. هل تعديني؟".
ظنَّ ويلهلم أنه رأى الرجل الآخر يوماً، لكنه لم يكن واثقاً، فقد
شوّهت دموعه كل شيء.

بعد ذلك، اختفى الرجل، وسحب ويلهلم نفساً عميقاً وحاول التركيز
على المسرح مجدداً.

صرخت تويبا: "لا! سأتصل بالشرطة، سأفعل".

جلس هاري في مكتبه محدّقاً إلى سطح الطاولة. شعر بتعب شديد،
ولم يكن يعرف إن كان بمقدوره فعل المزيد.

كانت أعمال الليلة السابقة الطائشة - هذه المرة في الزنزانة وليفة
أخرى من الكوابيس - قد أرخت بظلالها عليه. بدا أن الاجتماع مع ويلهلم
بارلي، على كل حال، هو الذي استنزف قواه؛ بسبب جلوسه هناك ومنحه
وعداً بإمساك الجاني، ثم دهشته حين قال بارلي إن زوجته قد أُصيبت
بضرر. أدرك هاري أنه إذا كان واثقاً بشيء واحد فقط، فهو أن ليزبيث
بارلي ميتة.

كان هاري قد شعر بحاجة ملحة إلى احتساء الشراب منذ اللحظة
التي استيقظ فيها في ذلك الصباح. أولاً، مثل توقّ جسدي، ثم خوف
وذعر؛ لأنه قد حال بينه وبين دوائه بعدم أخذه قارورته أو أي مال معه
إلى العمل. كان الألم يدخل آنذاك مرحلة جديدة أضحى فيها وجعاً في
الجسد كله، وشعوراً بالرعب التام من أنه سيتمزق أشلاء. كان العدو في
الأسفل يسحب السلاسل ويجذبها، والكلاب تزمجر من التجويف؛ في مكان
ما في بطنه تحت قلبه. يا للهول! كم يبغضها. كان يكرهها بقدر كرهها
له.

نهض هاري على قدميه، فقد تذكّر أنه أخفى نصف قارورة من
الشراب في خزانة الملفات يوم الاثنين. هل خطر له ذلك للتو؟ أم إنه كان
مدركاً هذا الأمر طوال الوقت؟ كان هاري معتاداً على خداعه نفسه بمئات
الطرائق. كاد يفتح الدرج حين رفع بصره فجأة، فقد لاحظ حركة، ورأى
إيلين تبسّم له من صورتها. هل جُنَّ؟ أم إن فمها قد تحرك آنذاك؟
تمتم: "ما الذي تنظرين إليه أيتها السيئة؟"، وفي اللحظة التالية تماماً،

وقعت الصورة عن الجدار، وارتطمت بالأرضية، وتحطم الزجاج إلى شظايا. حدّق هاري إلى إيلين التي كانت تبتسم له برباطة جأش من الإطار المكسور، ووضع يده اليمنى على موضع الألم تحت الضمادات. وعندما استدار ليفتح الدرج لاحظ شخصين واقفين عند المدخل، وأدرك أنهما هناك منذ بعض الوقت، وأن انعكاس صورتيهما على زجاج إطار الصورة هو ما رآه يتحرك. قال أوليغ وهو ينظر إلى هاري بمزيج من الاستغراب والخوف: "مرحباً".

بلع هاري ريقه، وأفلتت يده الدرج وهو يجيب: "مرحباً يا أوليغ". كان أوليغ ينتعل خفّين، ويرتدي سروالاً أزرق وكنزة منتخب البرازيل الوطني الصفراء. عرف هاري أن كنزته تحمل الرقم تسعة واسم رونالدو من الجهة الخلفية، فقد اشتراها له من محطة وقود في أحد الآحاد، حين كان في طريقه مع راكيل وأوليغ إلى نورفيل للتزلج. قال توم والر: "وجدته في الطابق الأسفل". كانت يده على رأس أوليغ. "كان يسأل عنك في الاستقبال، لذا أحضرته إلى هنا. إذًا، أنت تلعب كرة القدم يا أوليغ؟".

لم يُجب أوليغ، وإنما نظر إلى هاري فحسب، بتينك العينين الداكنتين اللتين تشبهان عيني والدته، واللتين يمكن أن تكونا لطيفتين جداً أحياناً، وقاسيتين جداً وعمدتي الرحمة أحياناً أخرى. في تلك اللحظة، لم يعرف هاري حالهما، لكن المكان كان معتماً آنذاك. سأل والر مبتسماً وهو يداعب شعر الفتى: "هل أنت مهاجم؟". حدّق هاري إلى أصابع زميله القوية مشدودة الأوتار، وإلى خصلات شعر أوليغ الداكنة على قفا يد والر السمراء - شعر ينتصب من تلقاء نفسه - وشعر بقدميه تهتزتان تحته. قال أوليغ، وعيناه لا تزالان ثابتتين بقوة على هاري: "لا، أنا أَلعب في الدفاع".

قال والر وهو ينظر إلى هاري مستفسراً: "مرحى يا أوليغ. لا يزال لدى هاري تمرين ملاكمة وهمي هنا - أنا أفعل الشيء نفسه حين يغضبني شيء ما - لكن، ربما كان بإمكاننا أنا وأنت الصعود إلى الأعلى ورؤية المنظر من شرفة السطح، في حين يرتّب هاري الأمور هنا". قال أوليغ بصراحة: "سأبقى هنا". وأوماً هاري.

"لا بأس، سعدت بلقائك يا أوليخ".
ربت والر على كتف الفتى وغادر المكان، في حين وقف أوليخ عند المدخل.

سأل هاري: "كيف وصلت إلى هنا؟".
"بواسطة الميترو".

"بمفردك؟".

أوماً أوليخ.

"هل تعرف راكيل أنك هنا؟".

هزَّ أوليخ رأسه.

"ألا تريد أن تدخل؟". كان حلق هاري جافاً.

قال أوليخ: "أريدك أن تأتي إلى المنزل".

بعد أربع ثوانٍ من قيام هاري بالضغط على الجرس، فتحت راكيل

الباب، وبدت عيناها تستشيطان غضباً.

"أين كنت؟".

ظنَّ هاري للحظة أن السؤال موجه إلى كليهما قبل أن يتجاوزه

بصرها وتبتسم ابتسامة كبيرة لأوليخ.

قال أوليخ مطأطئاً رأسه: "لم يكن لديّ أحد لألعب معه. لذا، سعدت

على متن المترو وتوجهت إلى البلدة".

"الميترو! بمفردك؟ لكن، كيف...؟". خذلها صوتها.

قال أوليخ: "تسللت إلى الخارج. ظننت أنك ستكونين سعيدة يا أمي.

بالمحصلة، قلت إنك أنت أيضاً تريدين...".

احتضنت راكيل أوليخ فجأة بين ذراعيها.

"هل تدرك كم قلقت عليك يا فتاي؟".

ونظرت إلى هاري شزراً حين عانقت أوليخ.

* * *

وقفت راكيل وهاري بجانب السياج في مؤخر الحديقة، وحدّقا نحو الأسفل؛ إلى أوصلو ومضيقتها البحري، وهما يلتزمان الصمت. برزت المراكب التي تنتقل في البحر الأزرق مثل مثلثات بيضاء صغيرة. استدار هاري ليواجه المنزل، ورأى طيور الصيف ترتفع عن المرج وترفرف بأجنحتها بين أشجار التفاح أمام النوافذ المفتوحة. كان المنزل كبيراً، تكسوه ألواح خشبية سوداء، كان منزلاً مبنياً للشتاء، لا للصيف.

نظر هاري إليها، ورأى ساقها العاريتين. كما رأى أنها ترتدي سترة

قطنية حمراء رقيقة مغلقة الأزرار فوق فستان أزرق بسيط. تلالأت الشمس على قطرات العرق على جلدها العاري تحت القلادة التي تضعها حول عنقها والتي ورثتها عن والدتها. استغرق هاري في التفكير أنه يعرف كل شيء عنها: رائحة السترة القطنية، ورائحة جلدها حين يفرز عرقاً وملحاً، وما تريده من حياتها، ولماذا لم تقل شيئاً. كل تلك المعرفة من دون فائدة.

سأل: "كيف تجري الأمور؟".

قالت: "لا بأس، لقد استأجرت كوخاً خشبياً. لكن، لا يمكننا الذهاب إليه قبل آب. لقد تأخرت في ذلك". كانت النبرة عادية، والالتهام بالكاد واضحاً. "هل آذيت يدك؟".

قال هاري: "إنه مجرد جرح".

تحركت خصلة شعر على وجهها، وقاوم الرغبة في إبعادها. قالت: "جاء شخص لتقييم المنزل أمس".

"تقييمه؟! أنت لا تفكرين في بيعه، أليس كذلك؟".

"المنزل كبير جداً بالنسبة إلى شخصين فقط يا هاري".

"نعم، لكنك تحبين هذا المنزل. لقد ترعرت فيه، وكذلك أوليغ".

"لا داعي إلى تذكيري. أدركت أن الصيانة في الشتاء تكلف ضعف ما

قد تخيلت، والآن يجب تجديد السطح. إنه منزل قديم".

راقب هاري أوليغ وهو يركل الكرة باتجاه باب المرأب. ركل الكرة

بقوة مجدداً، وعندما رفع قدمه أغمض عينيه ورفع ذراعيه لجمهور خيالي من المشجعين.

"راكيل".

تنهدت. "ما الأمر يا هاري؟".

"ألا يمكنك على الأقل أن تنظري إلي حين أتكلم؟".

"لا". لم يكن صوتها غاضباً أو منزعجاً، وإنما كانت ببساطة تقول

الحقيقة.

"هل سيشكل أي فرق إن توقفت؟".

"لا يمكنك أن تتوقف يا هاري".

"أعني عن عمل الشرطة".

"خمنت هذا".

ركل العشب وقال: "ربما لن يكون لدي خيار آخر".

"حقاً؟".

"لا".

"لماذا السؤال الافتراضي إذا؟".

نفخت خصلة الشعر بعيداً عن وجهها.

"يمكنني العثور على عمل يسمح لي بالبقاء في المنزل لوقت أطول،

والاعتناء بأوليغ. يمكننا -".

"توقف يا هاري!". كان صوتها مثل ضربة سوط. أحتت رأسها وشبكت

ذراعيها؛ وكأنها قد تجمدت في الشمس الحارقة.

همست: "الجواب هو لا. لن يحدث ذلك أي فرق. ليس عمك هو

المشكلة، وإنما...".

شهمت، ثم استدارت إلى الخلف ونظرت إلى عينيه.

"إن المشكلة هي أنت يا هاري. أنت المشكلة".

رأى هاري الدموع تترقق في عينيه.

همست: "اذهب الآن".

أراد أن يقول شيئاً، لكنه غير رأيه. وبدلاً من ذلك، أوماً نحو المراكب

المبحرة في المضيق.

قال: "أنت محقة، أنا المشكلة. سأحدث إلى أوليغ ثم سأغادر".

مشى بضع خطوات، ثم توقف واستدار إلى الخلف. "لا تبعي المنزل

يا راكيل. لا تفعلي هذا، هل تسمعين؟ سأخرج بحلّ ما".

ابتسمت رغم دموعها، وهمست: "أنت رجل غريب". ومدّت يدها

وكانها ستداعب وجنته، لكنه كان بعيداً عنها، فتركتها تنزل مجدداً. "اعتنِ

بنفسك يا هاري".

عندما غادر هاري، سرت قشعريرة على عموده الفقري. كانت الساعة

5:15، وسيكون عليه الإسراع للوصول إلى الاجتماع.

أنا في المبنى، وتفوح منه رائحة قبو. أقف متسماً تماماً، وأمعن النظر

إلى الأسماء على لوح الإعلانات أمامي. يمكنني سماع أصوات ووقع خطوات

على السلام، لكنني لست خائفاً. فهم لا يستطيعون رؤيتي، لكنني لست

خفياً. هل سمعت؟ لا يمكنهم رؤيتي، لكنني... هذه ليست مفارقة يا

عزيزتي، وقد عبّرت عنها بتلك الطريقة فقط لتبدو كذلك. يمكن صياغة كل

شيء لينطوي على مفارقة، وهذا ليس صعباً، فالمفارقات الحقيقية لا وجود

لها؛ مفارقات حقيقية، ها ها. هل ترين كم هذا سهل؟ إنها مجرد كلمات،

وافتقار إلى الدقة في اللغة. لقد انتهيت من الكلمات، ومن اللغة. أنا أنظر

إلى ساعتى. هذه هى لغتى، وهى واضحة ولا مفارقات فىها. أنا مستعد.

الفصل الرابع عشر:

الاثنين. باربرا

كانت باربرا سفندسن قد بدأت تفكر في الوقت كثيراً مؤخراً. ولم يكن ذلك يعني أنها فيلسوفة بطبيعتها، فمعظم الناس الذين تعرفهم سيقولون العكس تماماً. لم تكن قد فكّرت في الأمر من قبل قط، ولم تظن يوماً أن هناك وقتاً لكل شيء، وأن هذا الوقت يُستنفد تدريجياً. كانت قد أدركت منذ بضع سنوات خلت أنها لن تنجح أبداً بوصفها عارضة أزياء، وأنها يجب أن تكون راضية بلقب عارضة سابقة. بدا ذلك جيداً؛ حتى إن كانت الكلمة المشتقة من الهولندية تعني "رجل صغير". لقد قال لها بيتر ذلك، كما أخبرها معظم الأشياء التي ظن أنها يجب أن تتعلمها، وقد وقر لها عملاً في مشرب هيد أون. وبسبب الحبوب، لم تشعر بالرغبة بالذهاب مباشرة من العمل إلى جامعة بليندرن، حيث كانت تدرس لتصبح متخصصة بعلم الاجتماع.

على كل حال، كان زمن بيتر والحبوب وحلم أن تصبح عالمة اجتماع قد انتهى، ووجدت نفسها في أحد الأيام وحيدة مع ديون دراسة لم تنته، وحبوب يجب أن تدفع ثمنها، وعمل في أكثر المشارب إثارة للملل في أوصلو. تخلت باربرا عن كل شيء، واقتضت مالا من والديها وذهبت إلى لشبونة لتضع حياتها على السكة الصحيحة، وربما لتتعلم البرتغالية. قضت في لشبونة وقتاً رائعاً، ومضت الأيام بسرعة، لكن ذلك لم يزعجها. كان الوقت ببساطة شيئاً يأتي ويذهب، حتى لم يعد المال يصل إليها، ولم يعد ماركو مخلصاً إلى الأبد، وانتهت المتعة. عندها، عادت إلى الوطن وهي تحمل بضع تجارب إضافية، وقد تعلمت مثلاً أن إكستاسي في البرتغال أرخص منه في النرويج، لكنه يثير الفوضى في حياتك بالطريقة نفسها، وأن البرتغالية لغة صعبة جداً، والوقت مورد محدود ولا يمكن تعويضه.

خرجت بعد ذلك مع كل من رولف ورون ورولان بالترتيب، وسمحت لنفسها بأن تبقى معهم لبعض الوقت. بدا الأمر ممتعاً أكثر مما هو عليه فعلاً؛ باستثناء حالة رولاند الذي كان رائعاً، لكن الوقت انقضى ورولان معه.

عندما انتقلت إلى غرفتها القديمة في منزل والديها، توقف العالم عن الدوران وتباطأ الوقت. لم تعد تخرج، وتمكّنت من الإقلاع عن الحبوب، وبدأت تمعن التفكير في أنها ربما تستأنف دراستها. في تلك الأثناء، أدت عملاً مؤقتاً لمصلحة القوى البشرية، وبعد عقد عمل مدته أربعة أسابيع مع

مؤسسة محامين تدعى هيل وثن ووترليد، الواقعة جغرافياً في ساحة كارل برنرز، وهرمياً في أدنى مستوى للمحامين المتخصصين بتحصيل الديون، عُرض عليها عمل دائم.

حدث ذلك قبل أربع سنوات.

كان سبب قبولها بالعمل أساساً أنها اكتشفت أنه في مكاتب هيل وثن ووترليد يمضي الوقت أبطأ من أي مكان آخر عرفته سابقاً. بدأت عجلة الوقت تتقدم ببطء في اللحظة التي دخلت فيها المبنى المشيد من آجر أحمر، وضغطت على الرقم 5 في المصعد. انقضى بعض الوقت قبل أن ينزلق البابان عائدين إلى مكانيهما ويرتفع المصعد ببطء. استطاعت باربرا التي كانت متوارية تماماً خلف النضد أن تراقب حركة العقرب الثاني على الساعة فوق المدخل وتكتكة الثواني والدقائق والساعات؛ وكأنها حلزون بطيء. كان بمقدورها أن تجعل الوقت يتوقف تماماً في بعض الأيام؛ الأمر كله مسألة تركيز. كان الشيء الغريب أن الوقت ينقضي على ما يبدو بسرعة أكبر بالنسبة إلى الأشخاص الآخرين حولها؛ وكأنهم موجودون في أبعاد زمنية موازية لها ولكنها مختلفة. رنَّ الهاتف أمامها باستمرار ودخل الناس المكان وخرجوا منه وكأنهم في فيلم صامت، لكن بدا أن كل شيء يحدث على نحو منعزل عنها؛ وكأنها إنسانة آلية ذات أجزاء ميكانيكية، تتحرك بسرعة مثل كل شخص غيرها، فيما حياتها تمضي قدماً بحركة بطيئة.

كان الأسبوع الماضي فقط استثناءً، فقد أفلس مكتب تحصيل ديون كبير نسبياً فجأة، وبدأ الجميع يركضون في كل مكان ويقومون بإجراء اتصالات هاتفية؛ وكأنهم مجانيين. أخبرها وترليد أنه موسم مفتوح لتسيير النسور على حصص جديدة من السوق، وأن هذه هي الفرصة الذهبية للارتقاء بين نخبة رواد السوق، وسأل باربرا في الصباح إن كان بمقدورها البقاء وقتاً أطول ذلك اليوم، وقال إن هناك اجتماعات مع زبائن من الشركة المفلسة حتى الساعة 6:00، وإنهم يريدون منح الانطباع بأن كل شيء منتظم في هيل وثن ووترليد. كالعادة، حدّق وترليد إلى صدرها حين تكلم معها، وكالمعتاد ابتسمت، ودفعت تلقائياً كتفيها إلى الخلف كما قال لها بيتر حين كانت تعمل في هيد أون. بدا ذلك فعلاً غير إراديّ، فالجميع يتباهون بما لديهم، أو على الأقل هذا ما عرفته باربرا سفندسن. كان الشخص الذي دخل في تلك اللحظة تحديداً مثلاً على ذلك، وبدا أنها على استعداد للمراهنة بأي شيء على أنه لا يتمتع بشيء يستحق النظر إليه تحت الخوذة، ونظارة السباق، والمنديل المعقود حول فمه، وأن ذلك على

الأرجح سبب مواصلته العمل. قال إنه يعرف المكتب الذي ينبغي إيصال الطرد إليه، ومشى ببطء في الرواق مرتدياً سروالاً ضيقاً، واستطاعت إلقاء نظرة جيدة على ردفه الجميلين. كانت خادمة التنظيف التي ستأتي قريباً مثلاً آخر، فهي تغطي كل جسدها، لكنها تتمتع بأسنان رائعة. لذا، ما الذي كانت تفعله؟ نعم، كانت تتجول مبتسمة ومتباهية مثل التمساح. كانت باربرا تراقب العقرب الثاني على الساعة حين فُتح الباب. كان الرجل الذي دخل قصيراً ورياناً قليلاً، ويتنفس بصعوبة، ويكسو البخار نظارته، لذا افترضت باربرا أنه قد صعد الدرج. عندما بدأت عملها قبل أربع سنوات، لم تكن تعرف الفرق بين بذلة ثمنها ألفا كرون من دريسمان أو برادا، ولكن، شيئاً فشيئاً تمرّنت على ذلك، ولم يعد بمقدورها الآن أن تحكم على البذلات فقط، وإنما على ربطات العنق والأحذية أيضاً؛ العنصر الأكثر ثباتاً في تحديد مستوى الخدمة التي ينبغي أن تقدمها. لم يبدُ الوافد الجديد مثيراً للاهتمام على نحو خاص حين وقف هناك منظفاً نظارته. في الواقع، ذكرها بالبدين في سينفيلد الذي لم تتذكر اسمه؛ لأنها لا تشاهد البرنامج أصلاً. على كل حال، إذا كانت الملابس تدل على شيء - وهي كذلك - فإن البذلة المقلّمة، وربطة العنق الحريرية، والحذاء المصنوع يدوياً تبعث على التفاؤل بأن هيل وثن ووترليد سيحظون قريباً بزبون مهم.

قالت راسمة على ثغرها ثاني أفضل ابتساماتها: "صباح الخير، هل يمكنني مساعدتك؟". كانت تحتفظ بأفضل ابتساماتها لليوم الذي يدخل فيه رجل يمكن أن يكون شريك حياتها.

ابتسم الرجل بالمقابل وقال: "أمل هذا". وأخرج منديلاً من جيب سترته ووضعه على جبينه. "لدي اجتماع، لكن سيكون لطفاً كبيراً منك أن تحضري لي كأساً من الماء أولاً".

ظنّت باربرا أن بمقدورها تمييز لكنة أجنبية، لكنها لم تستطع تحديدها بدقة. وعلى الرغم من ذلك، زادت الطريقة المؤدبة - لكن الأمرة - قناعتها بأن هذا الزبون مهم جداً.

قالت: "طبعاً، لحظة واحدة".

تذكّرت في أثناء سيرها في الممر أن وترليد قد ذكر شيئاً عن مكافأة محتملة لكل الموظفين إن ارتفعت أرقامهم السنوية جيداً تلك السنة، وربما يمكن للشركة أيضاً أن تفكر في شراء جهاز لتبريد الماء مثل تلك التي رأتها في أماكن أخرى. فجأة، حدث شيء آنذاك، فقد تسارع الوقت، وقفز إلى

الأمم. لم يدم ذلك إلا بضع ثوانٍ فقط ثم عاد الوقت ليصبح بطيئاً مجدداً. لكنّ بدا - وعلى نحو لا يمكن تفسيره - أن الثواني قد سُرقت منها.

ذهبت إلى مرحاض السيدات، وفتحت الصنبور فوق إحدى المغاسل الثلاث. سحبت كوباً بلاستيكياً من الصندوق وانتظرت، في حين وضعت إصبعها تحت الماء؛ إنه فاتر، لذا سيتوجب على الرجل في الخارج أن يتحلّى بالصبر. قالوا اليوم عبر المذياع إن درجة الحرارة في نوردماركا ستكون نحو 22 درجة مئوية، لكن إذا تركت الماء يتدفق وقتاً طويلاً كفاية، فستصبح مياه الشرب التي تأتي من بحيرة ماريدال باردة على نحو رائع. حدّقت إلى إصبعها وتساءلت: كيف سيكون الوضع عندما يصبح الماء بارداً حقاً، ستصبح إصبعها بيضاء وستفقد كل إحساس بها تقريباً؛ إصبع الخاتم في يدها اليسرى. متى ستضع خاتم الزواج؟ تمّت من قبل أن يصبح قلبها أبيض وتفقد كل مشاعرهما. شعرت بتيار هواء ثم توقف، لذا لم تزعج نفسها بالاستدارة إلى الخلف. كان الماء لا يزال دافئاً، والوقت ينقضي؛ يجري مثل المياه. هراء، لن تبلغ عامها الثلاثين قبل 20 شهراً أخرى، وأمامها متسعٌ من الوقت.

جعلها صوت ما ترفع بصرها، وشاهدت على صفحة المرأة بابي حجيرتين أبيضين. هل دخل شخص من دون أن تلاحظ؟ كادت تفزع حين أصبح الماء بارداً مثل الجليد فجأة. هناك تجاوب عميقة تحت الأرض؛ لا بد أنه جاء من هناك، ولهذا هو بارد جداً. وضعت الكوب تحت الصنبور وسرعان ما امتلأ كله. شعرت بحاجة ملحة إلى الإسراع، والخروج من المكان. وحين استدارت أوقعت الكوب على الأرض. "هل أخفتك؟".

بدا الصوت قلقاً حقاً.

قالت ناسية أن تدفع كتفيها إلى الخلف: "آسفة، أنا عصبية قليلاً اليوم". انحنت إلى الأسفل لتمسك الكوب ثم أضافت: "في الواقع، أنت في مرحاض السيدات".

كان الكوب قد دار حول نفسه وتوقف، وهو لا يزال يحتوي على بعض الماء. وعندما مدّت يدها نحوه، رأت انعكاس وجهها على السطح الدائري الأبيض. إضافة إلى وجهها، على الحافة الخارجية للانعكاس الضئيل، رأت شيئاً يتحرك. مجدداً، بدا لها أن الوقت ينقضي ببطء؛ ببطء شديد. وضبطت نفسها مرة أخرى وهي تفكّر أن الوقت ينفد.

الفصل الخامس عشر:

الاثنين. فينا أموريس

توقفت سيارة هاري الفورد الحمراء والبيضاء المتهالكة أمام متجر التلفاز. بدت سيارتا الشرطة وسيارة والر الرياضية الحمراء وكأنها قد نُثرت عشوائياً قرب الأرصفة حول تقاطع الطرق الذي يحمل اسماً جميلاً هو ساحة كارل برنرز.

ركن هاري سيارته، ثم أخرج الإزميل الأخضر من جيب سترته ووضع على مقعد الراكب. عندما لم يعثر على مفاتيح سيارته في شقته أخذ سلكاً وإزميلاً معه في أثناء تجوّله في الحي. وجد سيارته العزيزة مجدداً في ستنسبرغاتا، ومفاتيحها بالتأكيد في مقبس التشغيل. كان الإزميل الأخضر مناسباً لثني باب السيارة حتى يستطيع رفع القفل بواسطة السلك. عبّر هاري ممر المشاة وضوء إشارة المرور أحمر، وسار ببطء؛ فجسده لم يكن يسمح له بالتحرك بسرعة كبيرة. ألمه بطنه ورأسه، والتصق قميصه المبلل بالعرق بظهره. كانت الساعة 5:55، وقد تدبّر أمره من دون دوائه حتى ذلك الوقت، لكنه لم يكن يقطع أي وعود لنفسه.

أشارت اللوحة في الردهة إلى أن مؤسسة المحامين هيل وثن ووترليد في الطابق الخامس. تأوه هاري، وألقى نظرة على المصعد، واكتشف أن بابه يُفتح جانبياً وليس مزوداً بحاجب شبكي داخلي.

كان المصعد من صنع شركة كون، وعندما أُغلق البابان المعدنيان اللامعان انتابه شعور بأنه داخل علبة قصديرية مغلقة بإحكام. حاول هاري ألا يصغي إلى صوت المصعد حين ارتفع، وأغمض عينيه، لكنه فتحهما مجدداً بسرعة حين خُيل إليه أنه يرى شقيقته فيما كان مغمض العينين. فتح أحد أفراد الشرطة بزيه الرسمي الباب إلى منطقة المكاتب. وقال مشيراً إلى الممر، إلى يسار طاولة الاستقبال: "إنها هناك". "هل هناك أي أفراد شرطة في الداخل؟".

"إنهم في طريقهم إلينا".

"سيقدرّون بالتأكيد أن تغلق المصعد والباب في الأسفل".
"حسناً".

"هل يوجد أحد هنا من الطب الشرعي؟".

"لي وهانسن. لقد جمعا معاً كل الأشخاص الذين كانوا لا يزالون هنا حين عُثِرَ عليها. إنهما يستجوبانهم الآن في إحدى غرف الاجتماعات".
مشى هاري في الممر. كان السجاد رثاً، وهناك نسخٌ بالية من كنوز

وطنية، وأدرك أنها مؤسسة قد شهدت أياماً أفضل، أو ربما لم تشهدها على الإطلاق.

كان الباب المؤدي إلى مرحاض السيدات مفتوحاً قليلاً، وكنتم السجادة صوت خطوات هاري حين اقترب منه. استطاع هاري سماع صوت توم والر، فتوقف في الخارج، بدا له أن والر يتكلم عبر هاتفه الخليوي. "إذا كان من عنده، فمن الواضح أنه لم يعد يمر عبرنا. لا بأس، اترك الأمر لي".

دفع هاري الباب ورأى والر في وضعية القرفصاء، فرفع هذا الأخير بصره إليه.

"مرحباً يا هاري، سأكون معك بعد دقيقة".

وقف هاري على العتبة، ينظر إلى المشهد ويستمتع إلى صوت الطقطقة البعيدة الصادرة عن هاتف والر في الخلفية.

كانت الغرفة كبيرة على نحو مدهش؛ أربعة أمتار بخمسة تقريباً. فيها حجيرتا مرحاض بيضاوان وثلاث مغاسل بيضاء تحت مرآة طويلة. ألقى أضواء النيون في السقف وهجاً قوياً على الجدران البيضاء والأرضية الآجرية البيضاء. بدا غياب اللون لافتاً للأنظار، ربما كانت تلك الخلفية هي ما جعل الجثة تبدو مثل عمل فني؛ عرض معدّ بعناية. كانت المرأة يافعة وضيئلة القد، تبدو ساجدة وجبينها يلامس الأرض، إلا أن ذراعها تحت جسدها. رأى أن تنورتها قد رُفعت فوق ملابسها الداخلية، كاشفة عن سروال داخلي أصفر فاتح، وأن هناك شريطاً ضيقاً أحمر داكناً من الدماء يسيل في الفسحة بين رأسها وفتحة التصريف، وبدا أنه مرسوم تقريباً لإحداث أكبر تأثير ممكن.

كانت الجثة متوازنة، وترتكز على خمس نقاط؛ القدمين، والركبتين والجبين. جعلت البذلة التي ترتديها والوضعية الغريبة والكفل العاري، هاري يفكر في أمينة سر تعد نفسها لعلاقة مع مديرتها. أنماط متكررة مجدداً، ووفقاً لما يعرفه، بدا من الممكن أن تكون المديرية.

قال والر: "حسناً، لكن لا يمكننا التعامل مع هذا الآن. اتصل بي هذا المساء".

وضع المفتش هاتفه في جيبه الداخلي، لكنه بقي جالساً القرفصاء. لاحظ هاري أن يده الأخرى على جلد المرأة الأبيض، تحت حافة ثيابها الداخلية مباشرة؛ ليوازن نفسه كما افترض.

قال والر وكأنه كان يقرأ أفكار هاري: "ستكون صوراً جيدة، أليس

كذلك؟".

"من هي؟".

"باربرا سفندسن، عمرها ثمانية وعشرون عاماً من بستوم. كانت موظفة الاستقبال هنا".

جثا هاري بجانب والر.

قال والر: "تلقت رصاصة في قفا رأسها كما ترى. لا بد أن ذلك حدث باستخدام المسدس الموجود تحت المغسلة هناك. لا تزال رائحة البارود تفوح منه".

نظر هاري إلى المسدس الأسود على الأرضية في زاوية الغرفة. كانت هناك كتلة سوداء معدنية كبيرة متصلة بنهاية الماسورة.

قال والر: "سيسكا زبرويوفكا. تشيكي، مع كاتم صوت مصنوع له خصيصاً".

أوماً هاري، وشعر بالرغبة ليسأل إن كان المسدس أحد الأسلحة التي يستوردها والر، أو إن كان ذلك ما يتحدث بشأنه عبر الهاتف. قال هاري: "وضعية غير معتادة".

"نعم. تخميني أنها كانت منحنية نحو الأسفل، أو جاثية وسقطت إلى الأمام".

"من وجدها؟".

"إحدى المحاميات. تلقت غرفة التحكم الاتصال عند الخامسة وإحدى عشرة دقيقة".

"هل من شهود؟".

"لم يرَ أحد من الذين تكلمنا معهم حتى الآن شيئاً. لا شيء غير مألوف، لا أشخاص مشبوهين جاءوا أو ذهبوا في الساعة الأخيرة. قال أحد الزوار الذين كان لديهم اجتماع مع أحد المحامين إن باربرا تركت طاولة الاستقبال لتجلب له كأساً من الماء عند الخامسة وخمس دقائق ولم تعد قط".

"هل جاءت إلى هنا؟".

"أفترض هذا. المطبخ بعيد عن مكتب الاستقبال".

"لكن، ألم يرَها أحد آخر في طريقها إلى هنا؟".

"ذهب الشخصان اللذان يعملان في المكتبين الموجودين بين الاستقبال والمراحيض إلى المنزل قبل ذلك، وأولئك الذين لا يزالون هنا كانوا إما في مكاتبهم أو في إحدى غرف الاجتماعات".

"ماذا فعل هذا الزائر حين لم تعد؟".
"كان لديه اجتماع عند الخامسة، وعندما لم تعد موظفة الاستقبال نفذ صبره وبحث في المكان حتى عثر على مكتب المحامي الذي ينبغي أن يلتقيه".

"إذاً، كان يعرف الطريق".
"لا، قال إنها أول مرة يأتي فيها إلى هنا".
"حسناً، وهو آخر شخص نعرف أنه رآها حية".
"نعم".

لاحظ هاري أن والر لم يحرّك يده.
"إذاً، لا بد أن ذلك حدث بين الخامسة والخامسة وإحدى عشرة دقيقة".

"هذا ما يبدو، نعم".
نظر هاري نحو الأسفل، إلى دفتر ملاحظاته، وقال بصوت خافت: "هل يجب أن تفعل هذا؟".
"ماذا؟".

"أن تلمسها".
"ألا تحب هذا؟".
لم يجب هاري، ومال والر مقترباً منه.
"هل تلمح إلى أنك لم تلمس جثة قط يا هاري؟".
حاول هاري أن يكتب، لكن قلمه لم يعمل.
ضحك والر بصوت خافت. "لست مضطراً إلى الرد، يمكنني رؤية ذلك على ملامح وجهك. لا خطب في كون المرء فضولياً يا هاري. فهذا أحد أسباب انضمامنا إلى سلك الشرطة، أليس كذلك؟ الفضول والإثارة؛ مثل اكتشاف حال الجلد حين يكون المرء ميتاً، حين لا تكون الجثة دافئة أو باردة جداً".
"أنا...".

أوقع هاري قلمه حين أمسك والر يده قائلاً: "تحسس".
ضغط والر يد هاري على فخذ المرأة المتوفاة. كان هاري يتنفس بصعوبة عبر أنفه، وأول شيء فكّر فيه هو أن يسحب يده، لكنه لم يفعل. كانت يد والر على يده دافئة وجافة، لكن جلده لا يبدو بشرياً، وإنما مطاطياً ودافئاً قليلاً.

"هل يمكنك تحسسها؟ إنها الإثارة يا هاري، وأنت تشعر بها أيضاً،

أليس كذلك؟ لكن، كيف ستجدها حين ينتهي هذا العمل؟ هل ستفعل الشيء نفسه مثل الرجال المساكين الآخرين؟ أم ستبحث عنها في متاجر الفيديو أو في قعر إحدى قواريرك؟ أم إنك تريدها في حياة حقيقية؟ تحسّس يا هاري، فهذا ما نعرضه عليك؛ حياة حقيقية. نعم أم لا؟".
تنحّح هاري.

"أقول فحسب إن خبراء الطب الشرعي سيودون فحص الجثة قبل أن نلمس أيّ شيء".

أبقى والر بصره على هاري وقتاً طويلاً، ثم طرفت عيناه بفرح وأفلت يده. "أنت محق، هذه غلطتي".
ثم نهض وخرج من المكان.

اشتدت آلام معدة هاري، لكنه حاول سحب أنفاس عميقة والبقاء هادئاً. لم تكن بتي لتسامحه قطّ إن تقياً في مسرح الجريمة.
وضع وجنته على الأرضية الآجرية الباردة، ثم رفع سترة باربرا حتى يستطيع رؤية ما يوجد تحتها. شاهد تحت ركبتها كوباً أبيض، لكن ما لفت انتباهه حقاً هو يدها.
همس هاري: "تياً، تياً".

عند الساعة 6:20 دخلت بتي مسرعة مكاتب هيل وثن ووترليد. كان هاري جالساً على الأرض، ومستنداً إلى الجدار خارج غرفة مراحيض السيدات، وهو يشرب من كوب بلاستيكي أبيض.
توقفت بتي أمامه، ووضعت صندوقها المعدنيين على الأرض، ومسحت بقفا يدها جبينها الرطب الأحمر.

"آسفة، كنت أستلقي على الشاطئ في إنغريستراندي. اضطرت للذهاب إلى المنزل أولاً لتبديل ثيابي، ثم قيادة السيارة إلى كيولبرغاتا لأجلب المعدّات. ولقد أصدر شخص أحمق أمراً بإغلاق المصعد، لذا كان علي الصعود على الدرج للوصول إلى هنا".

"همم، فعل الشخص المعني ذلك على الأرجح لحماية الدليل. هل دسّت الصحافة أنفها في الأمر؟".

"هناك بعض المراسلين الذين يسترخون تحت الشمس في الخارج. عددهم ليس كبيراً، فهذا موسم الإجازات".

"أخشى أن الإجازات قد انتهت".

"كشّرت بتي. هل تعني...؟".

"تعالى معي".

دخل هاري الحمام قبلها وجلس القرفصاء.
"انظري تحتها، إلى يدها اليسرى. لقد بُترت بنصرها".
تأوهت بتي.

قال هاري: "لا توجد دماء كثيرة، لذلك لا بدّ أن ذلك قد حدث
بعد أن توفيت. ولدينا هذا أيضاً". رفع الشعر عالياً فوق أذن باربرا
اليسرى.

غصّنت بتي أنفها: "قرط؟".

"على شكل قلب، ومختلف تماماً عن القرط الفضي الذي تضعه في
أذنها الأخرى. وجدت القرط الآخر على الأرضية في إحدى الحجيرات. لذا،
يبدو أن القاتل قد وضع هذا القرط في أذنها. المضحك أن بالإمكان فتحه.
انظري كيف. أهي محتويات غير عادية أم ماذا؟".

أومأت بتي قائلة: "ألماسة حمراء على شكل نجم ذي خمسة رؤوس".
"إذاً ماذا لدينا؟".

نظرت بتي إليه ثم سألته: "هل يمكننا قول الكلمات بصوت عالٍ
الآن؟".

"قاتل متسلسل؟".

كان بيارني مولر يتكلم بهمس عبر الهاتف، مما جعل هاري يضغط
هاتفه الخلوي بقوة على أذنه حتى يسمعه.
قال هاري: "نحن في مسرح الجريمة، والنمط نفسه. يجب أن تحرّك
المياه الراكدة وتلغي الإجازات أيها المدير. سنحتاج إلى كل شخص يمكنك
الاستعانة به".

"هل هي محاكاة لجريمة قتل؟".

"محال. نحن الوحيدون الذين نعرف التفاصيل عن البتر والألماسات".
"هذا مزعج جداً يا هاري".

"القتلة المتسلسلون المريحون نادرون أيها المدير".

صمت مولر بضع لحظات. "هاري؟".

"لا أزال هنا أيها المدير".

"سأطلب منك قضاء أسابيعك الأخيرة في مساعدة توم والر على حلّ
هذه القضية. أنت الشخص الوحيد في شعبة مكافحة الجريمة الذي يملك
خبرة في جرائم القتل المتسلسلة. أعرف أنك سترفض، لكنني سأطلب هذا
منك على كل حال، فقط لجعلنا نتحرك يا هاري".

"لا بأس أيها المدير".

"هذا أهم من الاختلافات بينك وبين توم... ماذا قلت؟".
"قلت إنه لا بأس بذلك".
"هل تعني هذا؟".

"نعم. يجب أن أذهب الآن. سنكون هنا معظم المساء، لذا سيكون جيداً أن تعقد أول اجتماع للمشاركين في القضية غداً. يقترح توم الساعة الثامنة".

سأل مولر ذاهلاً: "توم؟".
"توم والر".

"أعرف من هو، لكنني لم أسمعك قط تستخدم اسمه الأول من قبل".
"الآخرون ينتظرونني أيها المدير".
"حسناً".

أعاد هاري الهاتف إلى جيبه، وقذف الكوب البلاستيكي إلى سلة المهملات، ثم أوصد على نفسه في إحدى الحجيرات في قسم الرجال وتشبث بكرسي المرحاض وهو يتقيأ.

بعد ذلك، وقف أمام المغسلة والصنبور مفتوح وهو ينظر إلى نفسه على صفحة المرآة. أصغى إلى طنين الأصوات الصادر من الممر، وسمع مساعد بتي يحث الناس على البقاء خلف الحواجز، ووالر يطلب من شرطيين معرفة من كان بجوار المبنى، وماغنوس سكار يصرخ على زميل له قائلاً إنه يريد شطيرة لحم مع الجبن ومن دون بطاطا.

عندما تدفق الماء البارد أخيراً، وضع هاري رأسه تحت الصنبور. ترك الماء يجري على وجنته، ويصل إلى أذنيه، وفوق عنقه، وقميصه، نزولاً على طول كتفيه ووصولاً إلى ذراعيه. شرب بنهم، ورفض الإصغاء إلى العدو في أعماقه، ثم ركض إلى المرحاض وتقيأ مجدداً.

في الخارج، كان المساء قد حلّ سريعاً، وساحة كارل برنرز مقفرة حين خرج هاري من المبنى، وأشعل لفافة تبغ، ورفع يده لإبعاد أحد نسور الصحافة الذي اقترب منه. توقف الرجل، وعرفه هاري؛ إنه غيندم، ألم يكن ذلك اسمه؟ كان قد تحدّث معه بعد القضية في سيدني. لم يكن غيندم أسوأ من الآخرين، وربما كان أفضل قليلاً أيضاً.

كان المتجر الذي يبيع أجهزة تلفاز لا يزال فاتحاً أبوابه، فدخله هاري. لم يكن هناك أحد باستثناء رجل بدين يرتدي قميصاً داخلياً متسخاً، ويجلس خلف النضد يقرأ صحيفة. كان قد وضع على النضد مروحة كهربائية تدفع الهواء نحو خصلات شعره الموزعة بعناية لإخفاء صلعه،

وتحمل رائحة عرقه إلى كل أرجاء المتجر. تنفس بعمق حين عرض عليه هاري شارته وسأله إن كان قد رأى أحداً مشبوهاً داخل المتجر أو خارجه. قال: "إنهم جميعاً مشبوهون هنا. هذه المنطقة في حال سيئة". سأل هاري بجفاء: "هل هناك أحد يبدو لك أنه قد يقتل أحداً آخر؟".

أغمض الرجل إحدى عينيه بقوة. "ألهذا السبب توجد سيارات شرطة كثيرة هنا؟".
أوماً هاري.

هزَّ الرجل كتفيه وبدأ يقرأ الصحيفة مجدداً.
"من منا لم يفكر في قتل شخص ما في وقت أو آخر أيها الشرطي؟".
توقف هاري في أثناء خروجه حين رأى سيارته ظاهرة على إحدى شاشات التلفاز. تنقلت عدسة آلة التصوير في ساحة كارل برنرز، وتوقفت حين وصلت إلى المبنى المشيد من الآجر الأحمر، ثم عادت الصورة إلى أخبار القناة الثانية. وفي اللحظة التالية، ظهر عرض أزياء. مجَّ هاري من لفافة تبغه بقوة وأغمض عينيه. رأى راكيل قادمة نحوه على ممر، لا بل على اثني عشر ممراً. مشت عبر الجدار الذي يحمل أجهزة التلفاز ووقفت أمامه، ويدها على وركيها، ثم رمقته بنظرة ثابتة، ودفعت رأسها إلى الوراء، واستدارت إلى الخلف مغادرة المكان. ففتح هاري عينيه مجدداً.
كانت الساعة الثامنة، وحاول ألا يتذكر أن هناك مشرباً قريباً، في تروندهايمسفين.

عرف أن أصعب أوقات المساء بانتظاره، ثم هناك الليل.
أصبحت الساعة العاشرة مساءً. وعلى الرغم من أن الزئبق قد انخفض درجتين، إلا أن الهواء كان لا يزال حاراً وساكناً، ولم يكن هناك أي نوع من النسيم. بدا قسم الطب الشرعي مهجوراً باستثناء مكتب بتي حيث لا يزال المصباح مُناراً. كانت الجريمة في ساحة كارل برنرز قد قلبت اليوم كله رأساً على عقب، وكانت بتي لا تزال في مسرح الجريمة حين اتصل زميلها بيورن هولم ليقول لها إن هناك امرأة في الاستقبال من دي بيرز قد جاءت لتفحص بعض الألباسات.

عادت بتي مسرعة، وكانت آنذاك مركزة على المرأة القصيرة المفعمة بالحيوية أمامها التي تتكلم الإنكليزية الممتازة المتوقعة من شخص هولندي يعيش في لندن.

"للألباس بصمات جغرافية تجعل من الممكن - نظرياً - اقتفاء أثره

للوصول إلى المالك؛ لأنه يجري إصدار شهادات تذهب إلى كل مكان مع
الجوهرة وتدل على مصدرها، ولكن ليس في هذه الحالات، كما أخشى".
سألت بتي: "لِمَ لا؟".

"لأن الألماسين اللتين رأيتهما من ذلك النوع الذي ندعوه الألماس
الدموي".

"أيرجع سبب ذلك إلى اللون الأحمر؟".

"لا، بل لأنهما على الأرجح جاءتا من مناجم كيوفو في سيراليون.
يقاطع كل تجار الألماس في العالم الأحجار القادمة من سيراليون؛ لأن قوات
متمردة تسيطر على مناجم الألماس هناك، وتصدره لتمويل حرب لا تدور
رحاها لسبب سياسي، وإنما من أجل المال، ومن هناك جاء الاسم؛ الألماس
الدموي. أظن أن هذه الألماسات جديدة، وأفترض أنها قد هُرِّبت من
سيراليون إلى بلد آخر حيث أصدرت شهادات مزورة تدّعي أنها جاءت من
مناجم معروفة في جنوب أفريقيا على سبيل المثال".

"هل لديك أي فكرة عن الدول التي يجري تهريبها إليها؟".

"ينتهي الأمر بمعظمها في الدول الشيوعية السابقة. عندما انهار الستار
الحديدي، كان على الخبرة المكتسبة في صنع أوراق ثبوتية مزيفة أن تجد
منفذاً جديداً، وشهادات الألماس التي تبدو أصلية تكلف مالاً جماً. على كل
حال، هذا ليس السبب الوحيد الذي يجعلني أحدد أوروبا الشرقية".
"لماذا؟".

"لقد سبق لي أن رأيت هذه الألماسات ذات شكل النجم من قبل.
هُرِّبت من جمهورية ألمانيا الديمقراطية وتشيكوسلوفاكيا السابقتين. ومثل هذه
الحجارة، كانت الألماسات من نوعية رديئة".
"نوعية رديئة؟".

"قد تبدو الألماسات الحمراء جميلة، لكنها أرخص ثمناً من الألماسات
البيضاء النقية. توجد في الحجارة التي وجدتها بقايا كثيرة من الكربون غير
المتبلور، ما يجعلها أقل نقاءً مما قد يرغب المرء. وإذا حاولت صقل ألماسة
لصنع نجم، فمن الأفضل ألا تستخدمي ألماساً نقياً".

"إذاً، ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا". أغمضت بتي عينيها.

"إنه مجرد تخمين جيد. إذا لم يكن هناك شيء آخر، فبإمكانني اللحاق
برحلة المساء للعودة إلى لندن...".

فتحت بتي عينيها ونهضت. "سامحيني أرجوك، فقد كان يوماً طويلاً
ومتعباً. لقد ساعدتنا كثيراً. شكراً جزيلاً لك على مجيئك".

"لا داعيَ إلى الشكر. أمل فقط أن يساعدكم ذلك في القبض على الشخص الذي فعل هذا".

"نحن أيضاً نأمل ذلك. سأستدعي لك سيارة أجرة".
في أثناء انتظار بتي رداً من سيارات أجرة أوصلو، لاحظت أن خبيرة الألباس تنظر إلى يدها اليمنى التي تحمل الهاتف فابتسمت.
"هذه ألباسة جميلة جداً. يبدو خاتمك مثل خاتم خطوبة".
تورّدت وجنتا بتي من دون أن تعرف السبب تماماً.
"أنا لست مخطوبة. إنه خاتم الخطوبة الذي أهدها والدي لوالدتي، وورثته أنا حين توفيت".
"حسناً، هذا يفسر سبب وضعك إيّاه في يدك اليمنى".
"ماذا؟".

"نعم، كنت ستضعينه عادة في يدك اليسرى، أو في الإصبع الوسطى من يدك اليسرى، لأكون دقيقة".
"الإصبع الوسطى؟ كنت أظن أن البنصر هي الإصبع التي يوضع فيها خاتم الزواج".
"ليس إن كنت تصدّقين معتقدات المصريين نفسها".
"ما الذي يعتقدونه؟".

"يظنون أن وريد الحب، فينا أموريس، يذهب مباشرة من القلب إلى الإصبع الوسطى في اليد اليسرى".
بعد أن وصلت سيارة الأجرة وغادرت المرأة، وقفت بتي لحظة وهي تنظر إلى يدها؛ إلى الإصبع الوسطى في يدها اليسرى تحديداً، ثم اتصلت بهاري.

قال هاري حين أنهت كلامها: "كان المسدس تشيكياً أيضاً".
قالت بتي: "ربما كان هناك رابط ما".
قال هاري: "ربما. ماذا كان الوريد يدعى مجدداً؟".
"فينا أموريس".

تمتم هاري: "فينا أموريس"، ثم أنهى المكالمة.

الفصل السادس عشر:

الاثنين. حوار

أنتِ نائمة. أضع يدي على وجهك. هل اشتقت إليّ؟ أقبل بطنك...
وتبدئين بالارتعاش. رقص أقزام. أنتِ صامتة. تتظاهرين بالنوم. يمكن أن
تستيقظي الآن. لقد عُثر عليك.

جلس هاري على سريره منتصباً. انقضت بضع ثوانٍ قبل أن يدرك أن
صرخته هي التي أيقظته. حدّق إلى العتمة، وأمعن النظر إلى الظلال
بجانب الستائر وخزانة الثياب.

وضع رأسه على الوسادة مجدداً. ما الذي كان يحلم به؟ كان في
غرفة مظلمة، وكان هناك شخصان يتحركان نحو بعضهما في السرير،
ووجهاهما محجوبان. شغل مصباحه اليدوي، وأوشك أن يسلب ضوءه عليهما
حين أيقظته صرخته.

نظر هاري إلى الأرقام الظاهرة على الساعة الموجودة على الطاولة
بجانب سريره، ورأى أن الوقت لا يزال أقل بساعتين ونصف من الساعة.
يمكنه في هذه المدة أن يحلم بذهابه إلى الجحيم والعودة منه مجدداً.
لكن عليه أن ينام، ويجب أن يفعل هذا. سحب نفساً عميقاً؛ وكأنه
سيغوص تحت الماء، ثم أغمض عينيه.

الفصل السابع عشر:

الثلاثاء. صور

راقب هاري العقرب الثاني على ساعة الحائط فوق رأس توم والر. كان عليهم جلب المزيد من الكراسي ليجلس الجميع في قاعة الاجتماعات الكبيرة داخل المنطقة الخضراء في الطابق السادس. ساد جوٌّ من الوقار تقريباً في الغرفة؛ فلم تكن هناك أحاديث، أو تناول قهوة، أو قراءة صحف، وإنما أشخاص يخربشون فقط على دفاتر ملحوظاتهم بصمت، بانتظار أن تبلغ الساعة 8:00. عدَّ هاري 17 رأساً، وكان ذلك يعني أن شخصاً واحداً فقط لم يأت بعد. وقف توم والر في المقدمة شابكاً ذراعيه، وهو يحدِّق إلى ساعته الرولكس.

تحرك العقرب الثاني على ساعة الحائط، توقف ثم ارتعش وثبت في مكانه.

قال توم والر: "لنبدأ".

سمعوا خشخشة حين شدَّ الجميع بانسجام قاماتهم على كراسيهم. "سأتولى الإشراف على هذا التحقيق، بمساعدة هاري هول". استدارت رؤوس بعض الأشخاص الذين يجلسون إلى الطاولة باندهاش، ونظروا نحو هاري الذي جلس في نهاية الغرفة.

تابع والر: "أولاً، أود أن أشكر أولئك الذين قطعوا إجازاتهم من دون أن يتذمروا. أخشى أنه سيُطلب منكم أن تضحوا بأكثر من إجازاتكم في الأيام القادمة، وأنا لست واثقاً أنه بمقدوري التواجد معكم جميعاً لأشكركم شخصياً. لذا، لنقل إن عبارة شكراً لكم هذه لكل الشهر، اتفقنا؟".

كانت هناك ابتسامات وانحناءات رؤوس حول الطاولة؛ كما بيتسم المرء وينحني لقائد فرقة مستقبلي، كما ظنَّ هاري.

"هذا يوم مميز بطرائق عديدة".

شغل والر الجهاز، فظهرت الصفحة الأولى من داجبلاديت على الشاشة خلفه. قاتل متسلسل طليق؟ ليست هناك صور، وإنما ذلك العنوان المثير فقط بأحرف كبيرة. كان نادراً آنذاك أن تستخدم أي وسيلة إعلامية تكن احتراماً للمهنة علامات استفهام على الصفحة الأولى، وما يعرفه قلة من الناس - لا أحد منهم في الغرفة ك 615 - هو أن قرار إضافة علامة الاستفهام قد اتُّخذ قبل بضع دقائق فقط من ذهاب الصحيفة إلى الطباعة بعد اتصال المحرِّر المناوب برئيسه - الذي يقضي إجازته في تفدستراند - طالباً النصيحة.

قال والر: "لم يكن لدينا قاتل متسلسل في النزويج - كما نعرف على الأقل - منذ أن جُنَّ جنون أرنفين نيست في الثمانينيات. القتلة المتسلسلون نادرون جداً، لذا سيجذب هذا اهتماماً خارج حدود النزويج. نحن حالياً محط أنظار الجميع أيها القوم".

لم يكن توقف توم والر اللاحق لإحداث التأثير المطلوب ضرورياً، فقد أدرك كل الموجودين أهمية القضية حين أبلغهم مولر بها عبر الهاتف في الأمسية السابقة.

قال والر: "حسناً، إذا كان لدينا قاتل متسلسل حقاً الآن، فهناك بعض الأفضليات لمصلحتنا. أولاً، هناك شخص بيننا قد حقق في قضية قاتل متسلسل وألقى القبض عليه، وأفترض أنكم جميعاً تعرفون دور المفتش هول اللامع في سيدني. هاري؟".

رأى هاري الوجوه تستدير نحوه فتنحج. شعر أن صوته يهدد بخذلانه فتنحج مجدداً.

"لست واثقاً أن العمل الذي أنجزته في سيدني يمثل تحقيقاً نموذجياً". حاول أن يبتسم بسخرية. "فكما قد تتذكرون، لقد انتهى بي الأمر وأنا أطلق النار على الرجل".

لم يكن هناك ضحك، ولا حتى أثر بسيط لابتسامة. لم يكن هاري قائد فرقة مستقبلياً.

قال والر وهو ينظر إلى ساعته الرولكس مجدداً: "يمكن أن نتخيل نتائج أسوأ من تلك يا هاري. يعرف الكثيرون منكم عالم النفس شتال أون الذي لجأنا إليه طالبين نصيحة خبير في عدّة قضايا. لقد وافق على الحضور وتقديم عرض موجز لنا عن ظاهرة القاتل المتسلسل. بالنسبة إلى بعضكم، لا يعد هذا شيئاً جديداً، لكن مراجعة بعض الأشياء القديمة لن تضر. يجب أن يكون هنا خلال -".

ارتفعت كل الرؤوس حين فُتح الباب، وكان الرجل الذي دخل يلهث بصوت عال. رأوا فوق كرشه الكبيرة التي تبرز من السترة الصوفية ربطة عنق برتقالية عريضة، ونظارة صغيرة جداً تجعل المرء يتساءل إن كان من الممكن الرؤية من خلالها. كانت قمة رأسه تلمع، فيما جبينه يتلألأ بالعرق، وإلى الأسفل من ذلك حاجبان داكنان، مصبوغان ربما، لكنهما على كل حال مشدبان بأناقة.

قال والر: "اذكر الذئب...".

أكمل شتال أون وهو يُخرج منديلاً من جيب سترته ويجفف جبينه:

"يظهر لك! الجو حار جداً هنا!".

ذهب إلى آخر الطاولة وألقى حقيته الجلدية البنية البالية على الأرضية بعنف.

"صباح الخير سيداتي وسادتي. إنَّ رؤيتي عدداً كبيراً من الشبان مستيقظين في هذا الوقت من اليوم أمرٌ لطيف. لقد قابلت بعضكم من قبل، في حين لم ألتقِ بعضكم الآخر قبل اليوم".
ابتسم هاري، فلم يكن بالتأكيد أحد أولئك الذين لم يلتقهم من قبل. إذ سبق لهاري أن ذهب لرؤية أون بشأن مشكلة إدمانه على الشراب قبل عدة سنوات. لم يكن أون خبيراً في معالجة الإفراط في تناول الشراب، لكن كان على هاري الاعتراف بأنَّ علاقة ما قد تطوّرت بينهما ووصلت إلى حدود الصداقة.

"أخرجوا دفاتر ملحوظاتكم أيها الكسالى!". علق أون سترته على كرسي وتابع:

"تبدون وكأنكم في جنازة، وربما يكون هذا صحيحاً في بعض النواحي، لكنني أريد رؤية بعض الابتسامات قبل أن أغادر هذا المكان، وهذا أمر. انتبهوا جيداً لما سأقوله؛ لأنني أصفر في كلامي".
أمسك أون قلم تخطيط من تحت اللوح وبدأ يكتب بسرعة كبيرة وهو يتكلم:

"هناك سبب قوي للظن بأن القتل المتسلسلين قد وجدوا منذ وجد الإنسان على الأرض. على كل حال، يعتبر الكثيرون ما يدعى خريف رعب عام 1888 أول قضية قاتل متسلسل في العصر الحديث. إنها أول قضية موثقة عن قاتل متسلسل حافزه جنسي محض. قتل الجاني خمس نساء قبل أن يختفي في الهواء، ومُنح لقب جاك السّفاح، لكنه أخذ هويته الحقيقية معه إلى القبر. أشهر مساهماتنا الوطنية في القائمة ليست أرنفين نيست الذي - كما تتذكرون جميعاً - سَمَّ عشرين مريضاً أو نحو ذلك في الثمانينيات، وإنما بيلي غينيس التي كانت حالة نادرة: فهي قاتلة متسلسلة. غادرت إلى أمريكا وتزوجت رجلاً سيئاً عام 1902، واستقرت في مزرعة خارج لابورت في ولاية إنديانا. أقول إنه كان رجلاً سيئاً لأنه كان يزن سبعين كيلوغراماً وهي تزن 120".

شدَّ أون حمّالتي سرواله قليلاً. "إذا سألتموني عن رأيي فسأقول إن وزنها كان مناسباً".

سادت موجة ضحك.

"قتلت تلك السيدة الريانة زوجها، وبعض الأطفال، وعدداً غير معروف من الخاطبين الذين أغوتهم إلى المزرعة عبر إعلانات عاطفية في صحف شيكاغو. اكتُشفت جثثهم في أحد أيام عام 1908 حين احترقت المزرعة تماماً في ظروف غامضة، وعُثر بينها على جذع امرأة محترق وضخم على نحو غير معتاد، وكانت الجثة مبتورة الرأس. افترض الجميع أن يبلي وضعت المرأة هناك لتضليل المحققين وجعلهم يظنون أنها هي. تلقت الشرطة عدّة تقارير من شهود قالوا إنهم رأوا يبلي في أماكن مختلفة من أمريكا، لكن لم يُعثر عليها قطّ. وهذا هو قصدي أيها الأصدقاء الأعزاء. لسوء الحظ، قضيتا جاك وبيلي حالتان نموذجيتان عن قاتلين متسلسلين".

أنهى أون الكتابة بضربة عنيفة من قلم التخطيط على اللوح. "فهم لا يُعتقلون أبداً".

نظر الحشد إليه بصمت.

قال أون: "إذًا، مفهوم القاتل المتسلسل مثير للخلاف مثل كل شيء آخر سأخبركم به الآن. ويعزى السبب في ذلك إلى أن علم النفس لا يزال في مرحلة الطفولة، ولأن علماء النفس يحبون الاختلاف بطبيعتهم. سأخبركم بما نعرفه عن القتل المتسلسل، فنحن لا نعرف شيئاً عنهم بالقدر نفسه. بالمناسبة، إن عبارة قاتل متسلسل تعبير يعتبره الكثير من علماء النفس البارعين خالياً من أي معنى؛ لأنه يستخدم لوصف مجموعة من الأمراض الذهنية التي يدعي علماء نفس آخرون عدم وجودها. هل هذا واضح؟ حسناً، بعضكم يبتسم على كل حال، ولا بأس بذلك".

نقر أون بسبابته على أول جملة كان قد كتبها على اللوح.

"القاتل المتسلسل النموذجي رجل أبيض، عمره يتراوح ما بين 24 و40 سنة. كقاعدة، إنّه يتصرف وحده، ولكن يمكن أن يعمل مع أشخاص آخرين؛ أزواجٍ مثلاً. الوحشية ضد الضحية تشير إلى أنه يتصرف وحيداً. يمكن أن يكون الضحايا أيّاً كان، وإلا فهم ينتمون عادة إلى مجموعة القاتل العرقية نفسها، وفي حالات استثنائية ربما يكونون معروفين له".

"يجد القاتل المتسلسل عادة الضحية الأولى في منطقة يعرفها جيداً. في المخيلة العامة، هناك دائماً طقوس خاصة ترافق الجرائم، وهذا ليس صحيحاً. ولكن، عندما تحدث طقوس ما فعلاً، فهي ترافق دائماً مع قتل متسلسل".

أشار أون إلى اللوح حيث كان قد كتب "اضطراب عقلي/اضطراب

اجتماعي".

"على كل حال، الميزة الأكثر وضوحاً للقاتل المتسلسل هي أنه أمريكي،

ووحده الله - وربما عدد من أساتذة علم النفس في بليندرن - يعلم السبب. لذا يبدو من المثير للاهتمام أن الناس الذين يعرفون الكثير عن جرائم القتل المتسلسلة - مكتب التحقيقات الاتحادي، والأمريكيون المشتغلون بالقانون - يميزون بين نوعين من القتلة المتسلسلين: المضطرب عقلياً والمضطرب اجتماعياً. يظن الأساتذة الذين ذكرتهم أن كلاً من التمييز والمفهوم خاطئ. ولكن، في وطن القاتل المتسلسل تتقيد معظم المحاكم بقوانين مكنوغتن التي تقضي بأن المضطرب عقلياً هو ذاك الذي لا يعرف ما يفعله في أثناء ارتكابه الجريمة. لهذا السبب، وبخلاف المضطرب اجتماعياً، يفلت المضطرب عقلياً من عقوبة السجن أو الإعدام. وفي ما يتعلق بالقتلة المتسلسلين، برأيي إنهم، همم...".

تنشّق رائحة قلم التخطيط ورفع أحد حاجبيه دلالة على دهشته.
رفع والر يده، فأوماً أون.

شرع والر يقول: "الحكم الملائم أمر مثير للاهتمام. ولكن، أولاً يجب أن نقبض عليه. هل لديك أي نصيحة عملية يمكننا الاستفادة منها؟".
"هل أنت مجنون؟ أنا عالم نفس، أليس كذلك؟".
سرت بعض الضحكات، وأحنى أون رأسه راضياً.
"نعم، سأصل إلى ذلك أيها المفتش والر. دعني أولاً أقول إنه إذا نغد صبر أي منكم، فاعلموا أنكم ستواجهون وقتاً عصيباً. فاستناداً إلى التجارب، لا شيء يستغرق وقتاً أطول من القبض على قاتل متسلسل، إن كان من النموذج الخاطئ على كل حال".

"ما النموذج الخاطئ؟". كان ماغنوس سكار هو من طرح السؤال.
"أولاً، لنلقِ نظرة على الطريقة التي يميز بها أشخاص يرسمون صوراً نفسية لمصلحة مكتب التحقيقات الاتحادي بين المضطربين عقلياً وأولئك المضطربين اجتماعياً. المضطرب عقلياً غالباً ما يكون فرداً منعزلاً من دون عمل، أو حتى تعليم، لديه سجل إجرامي وعدد من المشكلات الاجتماعية، بخلاف المضطرب اجتماعياً الذي يكون شخصاً ذكياً وناجحاً ويعيش حياة طبيعية. يبرز المضطرب عقلياً بوضوح ويصبح بسهولة موضع شبهة، في حين أن المضطرب اجتماعياً يمكن أن يختفي بين الحشود. يصاب الجيران والأصدقاء دائماً بصدمة حين يكتشفون أن الشخص الذي يعرفونه مضطرب اجتماعياً. كنت أتكلم مع عاملة نفس تعمل محللة لمصلحة مكتب التحقيقات الاتحادي، وأخبرتني أن أول شيء تفكر فيه هو توقيت عمليات القتل. فالجرائم تستغرق وقتاً بالطبع، وإن معرفة الوقت الذي وقعت فيه

الجريمة - أي يوم من أيام الأسبوع، أو إن كانت قد حصلت في عطلة نهاية الأسبوع، أو في إحدى العطلات الوطنية - تعتبر دليلاً مفيداً لها. إذ إن الاحتمال الأخير يشير إلى أن القاتل لديه عمل، وهذا يزيد من احتمال أنهم يتعاملون مع مضطرب اجتماعياً".

سألت بتي لون: "إذاً، إذا قتل رجلنا في أثناء عطلة وطنية، فهل هذا يدل على أن لديه عملاً وأنه مضطرب اجتماعياً؟".

"من السابق لأوانه نوعاً ما استخلاص مثل هذه النتائج طبعاً، لكن مع أخذ ذلك بالحسبان وما نعرفه حتى الآن، أقول ربما. هل هذا عملي كفاية بالنسبة إليك؟".

قال والر: "إنه عملي نعم، ولكنه أيضاً نبأ سيئ إن كنت أفهمك كما ينبغي؟".

"صحيح. يشبه رجلنا كثيراً النموذج الخاطئ من القتلة المتسلسلين المضطربين اجتماعياً".

منح أون المجتمعين بضع ثوانٍ ليستوعبوا ما قاله ثم تابع. "وفقاً لعامة النفس الأمريكية جويل نوريس، يخضع القاتل المتسلسل لعملية ذهنية من ست مراحل في كل عملية. الأولى تدعى مرحلة الهالة؛ حيث يفقد الشخص تدريجياً إدراكه الحقيقة. أما مرحلة الرمز، المرحلة الخامسة، فهي عملية القتل نفسها؛ ذروة القاتل المتسلسل، أو لأكون أكثر دقة القاع؛ لأن القتل لا يستطيع أبداً تلبية الآمال وتوقعات التحرر من العقد والتطهر التي يربطها القاتل بإزهاق حياة. لهذا السبب ينتقل القاتل مباشرة إلى المرحلة السادسة، وهي مرحلة الاكتئاب، التي تقود إلى مرحلة هالة جديدة يبني نفسه فيها، مستعداً لعملية القتل التالية".

قال بيارني مولر الذي دخل من دون أن يلاحظه أحد ووقف بجانب الباب: "إذاً، إنه يتحرك في دوائر مثل آلة الحركة السيّارة".

قال أون: "باستثناء أن آلة الحركة السيّارة تكرر العمليات من دون

أي تغييرات. على كل حال، يخضع القاتل المتسلسل لعملية تغيّر سلوكه على المدى الطويل، وتتميز - لحسن الحظ - بتناقص مستوى السيطرة. ولكن، لسوء الحظ يتزايد مستوى الوحشية. يكون التعافي من الجريمة الأولى هو الأصعب دائماً، ولذا تكون ما تدعى مدة الخمول بعد ذلك هي الأكثر طولاً، وتتجم عنها مرحلة هالة طويلة يبني فيها ذاته استعداداً لجريمة القتل التالية، ويمنح نفسه وقتاً طويلاً نسبياً للتخطيط لها. إذا كان القاتل قد أولى عناية كبيرة للتفاصيل في مسرح الجريمة، ونقذ الطقوس بدقة، وبدا

أن خطر انكشاف أمره ضئيل، فإن هذا يدل على أنه لا يزال في بداية العملية. في هذه المرحلة، يتعلم إتقان تقنيته ليصبح أكثر فاعلية، وهذه أسوأ مرحلة بالنسبة إلى الأشخاص الذين يحاولون إلقاء القبض عليه. على كل حال، بعد أن يقتل عدّة مرات، تصبح أوقات الخمول عادة أقصر فأقصر، وبالتالي يصبح وقت التخطيط أقل، ويصبح مسرح الجريمة أكثر فوضوية، وتنفذ الطقوس بدقة أقل، ويخاطر كثيراً. يشير كل هذا إلى أن إحباطه يتزايد، أو - سأقول هذا بطريقة مختلفة - يتصاعد تعطّشه للدم، فيفقد السيطرة على نفسه، ويصبح اعتقاله أسهل. ولكن، إذا فشلت في هذه المرحلة محاولة القبض عليه، فسيصاب بالذعر ويتوقف عن القتل لبعض الوقت. وبهذه الطريقة، سيكون لديه متسع من الوقت ليهدأ، وسيعيد العمل من البداية مجدداً. أمل ألا تكون هذه الأمثلة محبطة كثيراً".

قال والر: "سننحو. هل يمكنك قول شيء لنا عن هذه القضية تحديداً؟".

رد أون: "لا بأس. لدينا هنا ثلاث جرائم قتل متعمّدة -".
شرع سكار مجدداً: "اثنتان في الوقت الحالي، أمّا ليزبيث بارلي فمفقودة فقط".

قال أون: "إنها ثلاث جرائم، صدّقي أيها الشاب".
تبادل بعض أفراد الشرطة النظرات. بدا أن سكار يريد قول شيء ما، لكنه بدّل رأيه، فتابع أون كلامه.
"اقتُرت جرائم القتل الثلاث بفارق الأيام نفسه بين واحدة وأخرى، ونُفذت طقوس البتر في القضايا الثلاث. إنه يبتز إصبعاً واحدة، ويعوّض عن ذلك بمنح الضحية ألماسة. التعويض، بالمناسبة، ميزة معروفة مع هذا النوع من الوحشية والقتلة النموذجيين الذين ترعرعوا وفقاً لمبادئ أخلاقية صارمة. ربما يكون هذا دليلاً يمكنكم متابعته؛ لأنه لم يعد هناك الكثير من الأخلاق في منازل النزويج".
لم يضحك أحد.
تنهّد أون.

"هذا يدعى دعاية المشنقة. لا أحاول أن أكون متهكماً هنا، ويمكنني على الأرجح توضيح مقصدي على نحو أفضل، ولكنني أحاول ألا أدع هذه القضية تدفني قبل أن نبدأ، وأنصحكم بفعل الشيء نفسه. على كل حال، في هذه القضية تحديداً، تشير الأوقات الفاصلة بين عمليات القتل وحقيقة

أن الطقوس قد نُفِّذت إلى سيطرة على النفس وإلى أن القاتل ما زال في مرحلة باكرة".

تنحني أحدهم بهدوء.

قال أون: "نعم يا هاري؟".

قال هاري: "اختيار الضحية والمكان".

فرك أون ذقنه بسبابته وهو يفكر للحظة، ثم أوماً. "أنت محق يا هاري".

تبادل الآخرون حول الطاولة نظرات استفسار.

صرخ سكار: "محق بشأن ماذا؟".

قال أون: "يشير اختيار القاتل للضحية والمكان إلى العكس؛ إلى أن القاتل يتحرك بسرعة إلى المرحلة التي يفقد فيها السيطرة على نفسه ويبدأ بالقتل من دون تمييز".

سأل مولر: "وكيف هذا؟".

تكلم هاري من دون أن يرفع بصره عن الطاولة. "وقعت حادثة إطلاق النار الأولى، ضد كاميليا لوين، في شقتها حيث تعيش بمفردها. استطاع القاتل الدخول والخروج من دون أي مخاطرة باعتقاله أو تعرّفه، وتمكّن من تنفيذ عملية القتل والطقوس من دون إزعاج. لكنه أقدم على مخاطرة حين اختار الضحية الثانية. فقد اختطف ليزبيث بارلي من وسط منطقة سكنية، في وضوح النهار، باستخدام سيارة على الأرجح، ومن الواضح أنها سيارة تحمل لوحة تسجيل. أمّا عملية القتل الثالثة فهي بالطبع محض ضربة حظ؛ فقد حصلت في حمام خاص بالسيدات في مبنى مكاتب. صحيح أنها وقعت بعد ساعات الدوام المعتادة، ولكن كان هناك عدد كبير من الأشخاص، ويجب أن يحالفه الحظ حتى لا يُقبض عليه أو على الأقل حتى لا يراه أحد".

استدار مولر نحو أون. "إذاً، ماذا نستنتج؟".

قال أون: "إننا لا نستطيع أن نستنتج شيئاً. أفضل ما يمكننا افتراضه هو أنه مضطرب اجتماعياً مندمج جيداً في المجتمع. ولا نستطيع أن نعرف إن كان على وشك أن يُجن جنونه أو إن كان لا يزال يسيطر على نفسه".

"ما الذي يمكن أن نتوقعه؟".

"أحد السيناريوهين أننا على وشك أن نشهد حمام دم، لكن هناك فرصة بأن نتمكن من اعتقاله؛ لأنه سيقدم على مخاطرة ما. السيناريو الآخر

أن تكون هناك أوقات فاصلة أطول بين جريمة وأخرى. لكن كل تجاربنا تشير إلى أننا لن نستطيع القبض عليه في المستقبل المنظور. اختر ما شئت".

سأل مولر: "لكن، أين يجب أن نبدأ البحث؟".

"إذا صدقت زملائي المغرمين بالإحصائيات فسأقول بين المهووسين، ومعذبي الحيوانات، والمغتصبين، والمولعين بإشعال الحرائق، وهذه الفئة الأخيرة خاصة، لكنني لا أصدّقهم. لسوء الحظ، ليست لديّ بدائل. لذا، أفترض أن الجواب هو: ليست لديّ فكرة".

وضع أون غطاء قلم التخطيط مكانه، وبدا الصمت ثقيلاً. نهض توم والر من مكانه.

"حسناً يا قوم، لدينا عمل نقوم به. في البداية، أريد أن تقابلوا كل من تكلمنا معهم حتى الآن. أريد التوثق من كل القتلة المدانين، وأريد تقريراً عن كل المجرمين الذين أُدينوا بعمليات اغتصاب أو إحراق مبانٍ". راقب هاري والر في أثناء توزيعه المهمات، ولاحظ كفاءته وثقته بنفسه، والسرعة والمرونة اللتين يتعامل بهما مع اعتراضات عملية ذات صلة بالموضوع، وقوته الذهنية وحزمه حين لا تكون الاعتراضات مقبولة.

أشارت الساعة فوق الباب إلى 9:15. كان اليوم قد بدأ للتو، وشعر هاري آنذاك باستنفاد طاقته؛ مثل أسد عجوز يحتضر تأخر عن القطيع، في حين كان سابقاً قد تحدّى القائد. لم يكن ذلك يعني أنه قد أظهر أي طموح لقيادة القطيع، لكن الأمور بدأت تنهار على كل حال. كان كل ما يستطيع فعله هو الاستلقاء على الأرض، والأمل يحدوه أن يلقي شخص ما عظمة له، وقد رمى له أحدهم عظمة، وكبيرة أيضاً.

منحت الأصوات المكتومة في غرف الاستجواب الصغيرة هاري شعوراً بأنه يتكلم من تحت لحاف.

قال الرجل القصير والبدين، وهو يمرّ يده على ربطة عنقه الحريرية: "أستورد معينات سمعية". كان مشبك ذهبي صغير يثبت ربطة عنقه بالقميص الأبيض.

كرّر هاري، وهو ينظر للأسفل إلى ورقة المقابلة التي أعطاه توم والر إياها: "هل قلت معينات سمعية؟". كان الرجل قد كتب في خانة الاسم أندريه كلوزن وتحت خانة المهنة رجل أعمال.

سأل كلوزن: "هل تعاني من مشكلات في السمع؟". لم يستطع هاري أن يعرف إن كان معنياً بالتهكم أم إن كان كلوزن ساخراً بطبعه.

"حسناً، إذاً، هل كنت في مكتب هيل وثن ووترليد لتتكلم عن معينات سمعية؟"

"أردت فقط تقوياً لعقد وكالة. أخذ أحد زملائكم نسخة منه بعد ظهر أمس".

أشار هاري إلى ملف أمامه: "هذا؟".
"بالضبط".

"كنت أنظر إليه الآن. إنه موقّع قبل سنتين. هل سيتم تجديده؟".
"لا، أردت فقط أن أتوثق من أنني لم أُخدع".
"الآن؟".

"أن أكون متأخراً أفضل من ألا أفعل ذلك أبداً".
"ألم تستشر محاميك الخاص؟".

"بلى، لكنه لم يقل شيئاً كما أخشى". ظهر لمعان حشوة أسنان ذهبية حين ابتسم كلوزن وتابع الكلام: "طلبت اجتماعاً تمهيدياً لسماع ما يمكن لمؤسسة المحامين هذه تقديمه".

"ووافقت على هذا الاجتماع قبل عطلة الأسبوع؟ مع مؤسسة متخصصة بتحصيل الديون؟".

"أدركت ذلك في أثناء الاجتماع فقط. أعني، المدة القصيرة قبل مناقشة قضية مهمة".

قال هاري: "لكن، إذا كنت تبحث عن محامٍ جديد، فلا بد أنك قد ربّبت اجتماعات مع عددٍ منهم. فهل يمكن أن تخبرنا عنهم؟".
لم ينظر هاري إلى وجه أندريه كلوزن، فليس هذا هو المكان الذي ستكشف فيه كذبة عن نفسها. كان هاري قد عرف فور لقائهما أن كلوزن أحد أولئك الأشخاص الذين لا يحبون أن تشي تعابير وجوههم بما يفكرون فيه، ربما بسبب الخجل، وربما لأن مهنته تتطلب وجهاً صارماً، أو ربما لأنه في ماضيه كان تمالك النفس يعتبر فضيلة أساسية. أبقى هاري عينيه مفتوحتين بحثاً عن دلائل أخرى؛ كأن ترتفع يده عن حجره لتداعب ربطة عنقه مجدداً، لكنها لم تفعل. جلس كلوزن هناك وهو ينظر إلى هاري؛ لم يكن يحدّق إليه، ولكن جفنيه كانا ثقيلين وكأنه يجد الوضع مزعجاً، ومملاً قليلاً.

قال كلوزن: "لم يرغب معظم المحامين الذين اتصلت بهم في عقد اجتماعات إلى ما بعد انتهاء الإجازات. كانت هيل وثن ووترليد أكثر ميلاً إلى المساعدة. أخبرني: هل أنا مشتبه فيه في أي شيء؟".

قال هاري: "الجميع مشتبه فيهم".
"لا بأس بهذا". قال كلوزن ذلك بالإنكليزية بلكنة بي- بي - سي
بالضبط.

"لقد لاحظت أن لهجتك مميزة".
"حقاً؟ لقد سافرت كثيراً في السنوات الأخيرة، ربما هذا هو السبب".
"إلى أين تسافر؟".

"في الواقع، أقصد داخل النرويج في معظم الأحيان. أزور مستشفيات
ومؤسسات، وإلا أكون غالباً في سويسرا، في المعمل حيث يصنعون المعينات
السمعية. يجب أن تواكب المستجدات المهنية وتعرف كيفية تطوّر المنتجات".
ظهرت مجدداً السخرية التي لا يمكن تمييزها في نبرة صوته.
"هل أنت متزوج؟ هل لديك أسرة؟".

"إذا نظرت إلى الاستثمار التي ملأها شريكك، فسترى أنني لست
كذلك".

نظر هاري إلى الاستثمار. "نعم، أرى هذا. إذاً، أنت تعيش في... لنز...
تراس غيمل؟".

قال كلوزن: "لا، أعيش مع ترولز".
"بالضبط، أعرف".

"حقاً؟". ابتسم كلوزن، وانخفض جفناه إلى الأسفل قليلاً. "ترولز كلب
صيد ذهبي".

شعر هاري بالصداع، وعرف من نظرة ألقاها على قائمته أن لديه أربع
مقابلات قبل الغداء، وخمساً بعده. ولم تكن لديه الطاقة لينهيها كلها.
طلب من كلوزن أن يخبره مجدداً عما قد حدث، منذ دخوله المبنى
في ساحة كارل برنرز وحتى وصول الشرطة.
قال وهو يتثاءب: "بكل سرور".

استرخى هاري على كرسيه، فيما كان كلوزن يخبره بفصاحة وثقة
بالنفس، عن كيفية وصوله في سيارة أجرة، واستقلاله المصعد إلى المكتب،
وحديثه الموجز مع موظفة الاستقبال وطلبه منها كوب ماء، وانتظارها لمدة
خمس دقائق أو ستّ، ثم تجوّله عندما لم تعد في المكاتب، وعثوره على
اللوحه الاسمية للسيد هيل على بابه.

رأى هاري من ملحوظات والر أن هيل قد أكّد أن الوقت الذي قرع
فيه كلوزن على الباب كان 5:05.

"هل رأيت أحداً يدخل حمام السيدات أو يخرج منه؟".

"لم يكن بمقدوري رؤية الباب من حيث كنت جالساً في الاستقبال، ولم أرَ أحداً في أثناء دخولي أو خروجي حين ذهبت إلى المكتب. في الواقع، لقد كرّرت هذا عدّة مرات من قبل".

قال هاري، وهو يتثأب بصوتٍ عالٍ ويمرّر يده على وجهه: "وستكون هناك مرات أخرى". في تلك اللحظة، قرع ماغنوس سكار على نافذة غرفة الاستجواب ورفع ساعة معصمه. تعرّف هاري إلى وترليد الذي يقف بجانبه، فأوماً موافقاً وألقى نظرة على استمارة الاستجواب.

"يقال هنا إنك لم ترَ أي أشخاص مشبوهين يدخلون الاستقبال أو يخرجون منه حين كنت جالساً هناك".
"هذا صحيح".

قال هاري، وهو يضع الاستمارة في ملف ويضغط على زر الإيقاف في المسجل: "حسناً، شكراً جزيلاً لك على تعاونك حتى الآن. سنتصل بك بالتأكيد مجدداً".

قال كلوزن وهو ينهض: "لم أرَ أشخاصاً مشبوهين".
"ماذا؟".

"قلت إنني لم أرَ أي شخص مشبوه في الاستقبال، ولكن كانت هناك خادمة التنظيف التي دخلت وذهبت إلى المكاتب".
"نعم، لقد تكلمنا معها. قالت إنها ذهبت مباشرة إلى المطبخ ولم ترَ أحداً".

نهض هاري ونقل بصره نزولاً على القائمة. كانت المقابلة التالية عند الساعة 10:15 في الغرفة الرابعة.

قال كلوزن: "ورجل خدمة التوصيل طبعاً".
"خدمة التوصيل؟".

"نعم، لقد خرج من الباب الأمامي قبل أن أذهب للبحث عن المحامي. لا بد أنه أوصل شيئاً ما أو أخذ غرضاً ما. لماذا تنظر إليّ على هذا النحو أيها المفتش؟ إنّه شخص عادي في مكتب حمامة، وليس - بصراحة كبيرة - شخصاً يثير الشبهات".

بعد مرور نصف ساعة، وبعد التوثق من مؤسسة الحمامة وعدّة شركات لخدمات التوصيل في أوصلو، اتضح لهاري شيء واحد: لم يسجّل أحد استلام أي شيء أو تسليمه على الإطلاق في مكاتب هيل وثن ووترليد يوم الاثنين.

بعد ساعتين من مغادرة كلوزن مقر قيادة الشرطة، وقبل أن تصل

الشمس إلى كبد السماء، اتصلوا به مجدداً في مكتبه، واستدعوه لوصف الرجل مجدداً.

لم يستطع إبلاغهم الكثير: الطول متر و80، وبنيته عادية. لم يكن كلوزن قد أمعن النظر تحديداً إلى صفات الرجل الجسدية، فهو يعتبر ذلك الشيء غير ممتع أو ملائم للرجال كما قال، وكرّر أن الرجل كان يرتدي ما يرتديه رجال خدمة التوصيل الذين يستقلون الدراجات الهوائية عادة؛ قميص درّاج أصفر وأسود ضيقاً قليلاً، وسروالاً قصيراً، وينتعل حذاء ركوب دراجة طقطع حتى حين مشى على السجاد. كان وجهه مخفياً بالخوذة والنظارة. سأل هاري: "ماذا عن فمه؟".

قال كلوزن: "كانت قطعة قماش بيضاء تغطي فمه؛ كما يفعل مايكل جاكسون. ظننت أن العاملين في خدمات التوصيل يضعونها لحماية أنفسهم من استنشاق غازات العوادم".

"في نيويورك وطوكيو نعم. ولكن هذه أوسلو".
هزّ كلوزن كتفيه. "حسناً، لم يخطر ببالي أن ذلك غريب".
مُنح كلوزن إذناً بالانصراف، وذهب هاري إلى مكتب توم. كان والر جالساً إلى مكتبه وقد وضع السماعة على أذنه، وهو يتمتم: هه - هه - ومم - مم حين دخل هاري.
قال هاري: "أظن أن لدي فكرة عن طريقة دخول القاتل شقة كامبلا لوين".

وضع توم والر السماعة مكانها من دون أن ينهي المحادثة.
"هناك آلة تصوير فيديو مرتبطة بجهاز الاتصال البيني على المدخل الرئيس في المبنى حيث تعيش، أليس كذلك؟".

"نعم؟". مال والر إلى الأمام.
"من الذي يستطيع أن يرنّ أي جرس، ويحجب وجهه عن آلة التصوير، ويبقى رغم ذلك واثقاً أنه سيسمح له بالدخول؟".
"بابا نويل؟".

"بصعوبة، لكنك ستسمح بدخول شخص يحمل طرداً أو باقة أزهار؛ رجل خاص بخدمة التوصيل، أليس كذلك؟".
ضغط والر زرّاً على هاتفه.

"انقضت أكثر من أربع دقائق بقليل منذ لحظة وصول كلوزن وحتى رؤيته الرجل مغادراً مروراً عبر الاستقبال. عادةً، يدخل العامل المكان، ويسلم الغرض، ثم يخرج مجدداً، ولا يقضي أربع دقائق وهو يتسكّع في المكان".

أوما والر ببطء وقال: "عامل في خدمة التوصيل على دراجة هوائية. هذا بسيط على نحو مبدع. شخص لديه سبب معقول للاتصال بكل أنواع الناس، ويضع قطعة قماش حول فمه. شخص يراه الجميع، ولكن لا يلاحظه أحد".

قال هاري: "حصان طروادة. إنها مكيدة حلم بالنسبة لقاتل متسلسل".
"لا أحد سيفكر في عامل خدمة توصيل يغادر مكاناً ما بسرعة كبيرة. إنه يستخدم وسيلة نقل غير مسجلة، وهي على الأرجح الطريقة الأكثر فاعلية للهروب في مدينة". وضع والر يده على الهاتف.
"سأجعل بعض الرجال يستفسرون عن عامل في خدمة التوصيل مع دراجة هوائية في أماكن الجرائم وأوقات وقوعها".
قال هاري: "هناك شيء آخر يجب أن نفكر فيه".
قال والر: "نعم، إذا كنا سنحدّر الناس من عمّال غرباء".
"صحيح. هل ستناقش هذا مع مولر؟".

"نعم، ويا هاري...".

توقف هاري في المدخل.

قال والر: "عمل جيد".

أوما هاري ثم غادر.

بعد ثلاث دقائق سرت إشاعة في شعبة مكافحة الجريمة أن هاري لديه دليل.

الفصل الثامن عشر:

الثلاثاء. النجم الخماسي

ضغط نيكولاي لوب برفق على المفاتيح، وبدأت النغمات الصادرة من البيانو مرهفة وواهنة في الغرفة الخالية؛ كونشيرتو البيانو رقم 1 لبيتر إيتش تشايكوفسكي. يظنُّ عدد من عازفي البيانو أنها غريبة وتفتقر إلى الذوق المرهف، ولكن بالنسبة إلى أذني نيكولاي، لم يكن أحد قد كتب قط موسيقى أجمل منها. كان يشعر بحنين إلى الوطن حين يعزف المقاطع القليلة التي يحفظها عن ظهر قلب، وهي دائماً النغمات التي تبحث أصابعه عنها تلقائياً حين يجلس إلى البيانو غير المدوزن في غرفة الاجتماعات في مبنى دار عبادة غامل أكر.

نظر إلى خارج النافذة المفتوحة، ورأى طيوراً تزقزق في المقبرة. ذكّر ذلك بفصول الصيف في لينغراد، ووالده الذي كان قد اصطحبه إلى ساحات المعارك القديمة خارج البلدة حيث دُفن جدّه، وكل أعمام نيكولاي في مقابر ضخمة طواها النسيان.

قال والده حينها: "اسمع كم تبدو زقزقتها جميلة". أدرك نيكولاي وجود شخص يتنحج فاستدار إلى الخلف. شاهد رجلاً طويلاً يرتدي قميصاً تائياً وجينزاً، ويقف في المدخل، وهناك ضمادة ملتفة حول يده. كان أول شيء فكّر نيكولاي فيه أنه أحد مدمني الممنوعات أولئك الذين يظهرون بين الفينة والأخرى. صرخ نيكولاي: "هل يمكنني مساعدتك؟". جعل الصدى الذي تردد في أرجاء الغرفة صوته يبدو أقل وداً مما أراد.

تخطى الرجل العتبة وقال: "أمل هذا. لقد جئت للتكفير عن ذنوبي". قال نيكولاي: "أنا مسرور جداً. لكن، أخشى أنني لا أستطيع تلقي أيّ اعترافات هنا. هناك قائمة في الردهة مع جدول زمني، وسيكون عليك الذهاب إلى دار العبادة الخاصة بنا في إنكوغنيوغاتا".

تقدم الرجل منه، واستنتج نيكولاي من الدائرتين السوداوين حول عينيه المحققنتين أنه لم ينم منذ بعض الوقت.

"أريد أن أكفر عن ذنبي لأنني حطمت النجم على الباب". انقضت بضع ثوانٍ قبل أن يدرك نيكولاي ما يشير الرجل إليه. "أوه، أفهمك الآن. لا علاقة لهذا بي أبداً، باستثناء أنه بمقدوري رؤية النجم متحرراً من مكانه ومقلوباً رأساً على عقب". ابتسم. "وهذا أمر غير ملائم في دار عبادة؛ لأعبر عن الأمر بلطف".

"إِذَا، أَنْتِ لَا تَعْمَلِ هُنَا؟".

هَزَّ نِيكُولَايَ رَأْسَهُ.

"نَظَرْتُ إِلَى اسْتِئْجَارِ هَذِهِ الْغُرْفِ أحياناً. أَنَا مِنْ دَارِ عِبَادَةِ الْأَمِيرَةِ
أُولْغَا الْبَابُويَةِ الْمُبْجَلَةِ".

رَفَعَ هَارِي حَاجِبِيهِ.

أَضَافَ نِيكُولَايَ: "دَارُ الْعِبَادَةِ الْأَرْتُوذُكْسِيَّةِ الرَّوسِيَّةِ. أَنَا رَجُلٌ دِينٍ
وإِدَارِي. يَجِبُ أَنْ تَذْهَبِ إِلَى مَكْتَبِ دَارِ الْعِبَادَةِ وَتَرَى إِنْ كَانَ بِمَقْدُورِكَ
الْعَثُورَ عَلَى شَخْصٍ يَسَاعِدُكَ هُنَاكَ".

"حَسَنًا، شُكْرًا".

لَمْ يَتَحَرَّكَ الرَّجُلُ لِيُغَادِرَ.

"إِنَّهُ تَشَايِكُوفْسْكِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ كُونشِيرْتُو الْبِيَانُو الْأُولَى؟".

قَالَ نِيكُولَايَ وَفِي صَوْتِهِ دَهْشَةٌ وَاضِحَةٌ: "صَحِيحٌ". لَمْ يَكُنِ النَّوِيْجِيُونُ
مِنْ يُمْكِنِ أَنْ يُقَالَ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ أَشْخَاصٌ مَثْقُفُونَ. فَضْلًا عَلَى ذَلِكَ، كَانَ
الرَّجُلُ يَرْتَدِي قَمِيصًا تَائِيًا وَيَبْدُو مِثْلَ مَتَشْرَدٍ.

قَالَ الرَّجُلُ: "اعْتَادْتُ وَالِدَتِي أَنْ تَعزِفَهَا لِي. قَالَتْ إِنَّهَا صَعْبَةٌ".

"كَانَتْ لَدَيْكَ أُمُّ رَائِعَةٍ تَعزِفُ لَكَ مَقْطُوعَاتٍ مُوسِيقِيَّةٍ تَظُنُّ أَنَّهَا
صَعْبَةٌ".

"نَعَمْ، لَقَدْ كَانَتْ رَائِعَةً".

كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ أَرَبِكُ نِيكُولَايَ فِي ابْتِسَامَةِ الرَّجُلِ الْمَائِلَةِ. فَقَدْ بَدَتْ
ابْتِسَامَتُهُ غَرِيبَةً؛ إِذْ كَانَتْ شَفْتَاهُ مَفْتُوحَتَيْنِ وَمَغْلَقَتَيْنِ فِي آنٍ مَعًا. لَكِنَّهُ عَلَى
الْأَرْجَحِ يَحْمَلُ الْأَمْرَ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَمَلُ، كَالْمَعْتَادِ.

قَالَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَتَحَرَّكَ نَحْوَ الْبَابِ: "شُكْرًا عَلَى مَسَاعِدَتِكَ".

"لَا دَاعِي إِلَى الشُّكْرِ".

حَوَّلَ نِيكُولَايَ اهْتِمَامَهُ إِلَى الْبِيَانُو وَرَكَّزَ عَلَيْهِ. ضَغَطَ عَلَى أَحَدِ الْمَفَاتِيحِ
بِرَفْقٍ كَفَايَةٍ لِيَتَحَرَّكَ، وَلَكِنْ لَمْ يَخْرُجْ صَوْتٌ مِنْهُ - شَعْرٌ بِاللَّبَادِ عَلَى شَرِيْطِ
الْبِيَانُو - وَعِنْدَهَا أُدْرِكُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ سَمِعَ الْبَابَ يُغْلَقُ. اسْتَدَارَ إِلَى
الْخَلْفِ، فَرَأَى الرَّجُلَ وَاقِفًا هُنَاكَ، وَيَدُهُ عَلَى مَقْبِضِ الْبَابِ، فِيمَا هُوَ يَحْدِّقُ
إِلَى النِّجْمِ قَرِبَ النَّافِذَةِ الْمَحْطَّمَةِ.

"هَلْ مِنْ خُطْبٍ مَا؟".

رَفَعَ الرَّجُلُ بَصْرَهُ قَائِلًا: "لَا، كُنْتُ أَتَسَاءَلُ فَقَطْ عَمَّا عَنِيتَهُ حِينَ قَلْتُ
إِنَّهُ مِنْ غَيْرِ الْمَلَائِمِ أَنْ يَكُونَ النِّجْمُ مَقْلُوبًا رَأْسًا عَلَى عَقْبٍ".

أَطْلَقَ نِيكُولَايَ ضِحْكَةً تَرَدَّدَ صَدَاها بَيْنَ الْجِدْرَانِ.

"إنه النجم الخماسي المقلوب، أليس كذلك؟".
بدا واضحاً لنيكولاي من التعبير الظاهر على وجه الرجل أنه لم يفهم.
"النجم الخماسي رمز ديني قديم، ليس للنصرانية فقط. فكما ترى، إنه
نجم ذو خمسة رؤوس، يتشكّل من خط متصل يتقاطع مراتٍ عديدة: وُجد
منقوشاً على شواهد قبور يعود تاريخها إلى عدّة آلاف من السنين. على كل
حال، عندما يُعلّق رأساً على عقب، وأحد رؤوسه إلى الأسفل واثنان إلى
الأعلى، فهو يدل على شيء مختلف تماماً؛ على طقوس مخيفة".
"طقوس مخيفة!".

طرح الرجل أسئلته بصوت هادئ وحازم، مثل شخص معتاد على تلقي
الأجوبة، كما ظن نيكولاي.
"دراسة الشر".

استدار نيكولاي على كرسي البيانو. هل أساء الحكم على الرجل؟ بدا
أنه حاد الذكاء بالنسبة إلى شخص مدمن على الممنوعات أو متشرد.
قال الرجل وكأنه يجيب عن أفكاره: "أنا شرطي، ونحن نطرح الأسئلة
عادة".

"حسناً، لكن لماذا تسأل عن هذا الأمر خاصة؟".
هزّ الرجل كتفيه. "لا أعرف. لقد رأيت هذا الرمز مؤخراً، لكنني لم
أعد أتذكر المكان الذي رأيته فيه. لست واثقاً إن كان هذا شيئاً مهماً أم
لا".

قال نيكولاي، وهو يضغط برفق على ثلاثة مفاتيح: "تنافر، عدم
انسجام".

بعد الظهر، فتحت أولوغ سيفرتسن البابين المؤديين إلى الشرفة قبالة
بيورفيكا، ثم جلست على كرسي وراقبت القطار وهو يتجاوز منزلها. كان
منزلها عادياً تماماً، فهو يقع في مبنى منفصل مشيّد من الآجر الأحمر
ويعود تاريخه إلى عام 1891، لكن الاستثنائي حقاً هو موقعه. تقع دارة
فيل - التي سُمّيت كذلك تيمناً بالرجل الذي صممها - بجانب السكة
الحديدية خارج محطة أوصلو المركزية تماماً، وداخل ساحة السكك الحديدية.
كان أقرب الجيران إليها بعض الأكواخ والورشات العائدة إلى السكك
الحديدية النرويجية. بُنيت دارة فيل لإسكان مدير المحطة وأسرته وخدمه،
وصُمّمت جدرانها سميكة جداً حتى لا يستيقظ مدير المحطة وزوجته كلما
مرّ قطار بجانب المنزل. إضافة إلى ذلك، كان مدير المحطة قد طلب من
البناء - الذي حظي بالعمل بسبب شهرته في استخدام ملاط خاص يجعل

الجدران متينة جداً - تقوية المبنى. فقد أراد مدير المحطة أن يتلقى السائق - في حال خروج قطار ما عن سكتته واصطدامه بالمنزل - الصدمة وليس هو وأفراد أسرته. ولكن، حتى الآن لم يصطدم أي قطار بمنزل مدير المحطة الأنيق القائم في ذلك المكان المنعزل والغريب، مثل قلعة في الجو فوق حصى سوداء تلمع عليها السكك وتتلوى مثل أفاعٍ تحت الشمس. أغمضت أولوغ عينيها واستمتعت بدفء الشمس.

لم تكن في شبابها تحب الشمس، فقد كان جلدها يصبح أحمر اللون ويؤلمها، وقد اشتاقت إلى فصول الصيف الباردة والرطوبة في شمالي غربي النرويج. أصبحت عجوزاً الآن، فهي تبلغ من العمر 80 عاماً تقريباً، وتفضل الحار على البارد، والضوء على الظلام، والصحة على الانعزال، والصوت على الصمت.

لم تكن على هذه الحال في العام 1941، وحين كانت في السادسة عشرة من عمرها؛ حين غادرت أفريقيا وذهبت إلى أوسلو على تلك السكة نفسها وبدأت بالعمل كخادمة للغروبنفوهرر إرنست شواب وزوجته راندي في دارة فيل. كان هو رجلاً طويلاً وحسن المظهر، وهي سليمة أسرة أرستقراطية. شعرت أولوغ بالرهبة في الأيام القليلة الأولى. على كل حال، لقد عاملها برفق واحترام، وسرعان ما أدركت أولوغ أنه ليس هناك شيء لتخاف منه ما دامت تقوم بعملها بالكفاءة والدقة المشهورتين - ليس عبثاً - عن الألمان.

كان إرنست شواب مسؤولاً عن WLTA، لاندترانسبورتا بتيلونغ الجيش الألماني؛ إدارة النقل، واختار بنفسه المنزل بجانب محطة السكك الحديدية. عملت زوجته راندي أيضاً على الأرجح في WLTA، لكن أولوغ لم ترها قط ترتدي بزّة رسمية. كانت غرفة أولوغ تواجه الجنوب، وتطل على الحديقة والسكك. وفي أثناء الأسابيع الأولى، أبقته قعقة القطارات، والصفارات الحادة، وكل الضوضاء الأخرى مستيقظة طوال الليل، لكنها اعتادت عليها تدريجياً. وعندما عادت إلى منزلها في أول إجازة لها بعد سنة، استلقت على السرير في المنزل الذي نشأت فيه، وهي تصغي إلى الصمت والهدوء وتحن إلى أصوات الحياة والأحياء.

أشخاص أحياء؛ رأت الكثير منهم في دارة فيل في أثناء الحرب. كان آل شواب ناشطين جداً اجتماعياً، وكان الألمان والنرويجيون يحضرون معاً مناسبات اجتماعية. لو كان الناس يعرفون فقط أفراد نخبة المجتمع النرويجي الذين كانوا يذهبون إلى هناك، فيأكلون ويشربون ويدخنون في

ضيافة الجيش الألماني فما الذي كان سيحصل؟ كان أول الأشياء التي طُلب منها أن تفعلها بعد الحرب هو أن تحرق بطاقات الدعوة التي بحوزتها، وفعلت ما أمرت به ولم تقل قط كلمة لأحد. لقد شعرت طبعاً بين الحين والآخر بالرغبة في التمرد على واقعها حين ظهرت صور الأشخاص أنفسهم في الصحافة التي تكلمت عن العيش تحت رزح الاحتلال الألماني. على كل حال، أبقت فمها مغلقاً لسبب واحد فقط: عندما حلّ السلام، هددوا بإبعاد ابنها اليافع عنها إن تفوهت بأي كلمة، وكان كل ما تملكه أو تقدّره في العالم، وبدا واضحاً أن الخوف تغلغل فيها جيداً. أغمضت أولوغ عينيها قليلاً تحت أشعة الشمس الباهتة التي بدت واهنة آنذاك، ويمكن النظر إليها بعد أن تألقت ضياءً طوال اليوم، وفعلت أفضل ما بوسعها لتقتل أزهارها في الأصص قرب النوافذ. ابتسمت أولوغ وفكرت: يا للهول! كم كانت يافعة! لا أحد آنذاك كان يافعاً مثلها. هل تحن إلى أيام الصبا؟ ربما لا، ولكنها تحن إلى الصحبة، والحياة، وإلى وجود أشخاص يتحركون حولها. لم تفهم قط ما عنوه حين قالوا إن العجائز يبقون وحدهم، لكنها الآن...

لم يكن الأمر يتعلق ببقائها وحدها، وإنما بعدم وجود شخص يحتاج إليها. كانت قد أُصيبت بحزن شديد لدى استيقاظها في الصباح وهي تعرف أن بمقدورها البقاء في السرير طوال اليوم من دون أن يحدث ذلك فرقاً لأحد.

كان هذا هو السبب الذي جعلها تستقبل مستأجرة؛ شابة مرحة من تروندلاغ.

بدا غريباً التفكير في أن إينا، الأكبر سناً ببضع سنوات فقط مما كانت عليه هي حين انتقلت إلى أوسلو، تقيم الآن في الغرفة نفسها التي سكنت فيها لسنوات. كانت تستلقي في الليل مستيقظة على الأرجح، وهي تفكر في أنها تحن إلى الابتعاد عن ضجيج حياة المدينة، والعودة إلى سكون مكان صغير في شمالي تروندلاغ.

ربما كانت أولوغ مخطئة، فإينا لديها صديق جيد. ورغم أنها لم تره، إلا أنها سمعت من غرفة نومها وقع خطواته في أثناء صعوده على السلم الخلفية المؤدية إلى مدخل غرفة إينا. لم يكن من الممكن منع إينا من استقبال رجال في غرفتها، بخلاف ما حدث مع أولوغ حين عملت خادمة، من دون أن يعني هذا أنها أرادت ذلك على كل حال. كان أملها الوحيد ألا يأتي أحد ويأخذ إينا بعيداً، فقد أصبحت صديقتها المقربة، ومثل ابنة

لها أيضاً؛ الابنة التي لم تُرزق بها قط.

على كل حال، كانت أولوغ تدرك أن العلاقة بين سيدة عجوز وفتاة يافعة مثل إينا ستكون على النحو التالي: الشابة هي التي تقدّم الصداقة دائماً والعجوز هي من يتلقاها، لذا حرصت على ألا تكون متطفلة. كانت إينا ودودة دائماً، ولكن أولوغ ظنّت أن للأمر علاقة بالإيجار الزهيد. كان هناك نوع من الطقس الثابت بينهما؛ إذ تحضّر أولوغ بعض الشاي، وتقرع على باب إينا وهي تحمل صينية من البسكويت عند الساعة 7:00 مساءً تقريباً، فهي تفضّل أن تأكلها هناك. بدا الأمر غريباً، لكن تلك الغرفة لا تزال هي نفسها التي تشعر فيها أولوغ بأنها في ديارها. تحدّثنا سابقاً عن كل شيء تحت أشعة الشمس، وبدأت إينا مهتمة بالحرب خاصة، وبما قد حدث في دارة فيل. أخبرتها أولوغ عن ذلك، وكم أحب إرنست ورندي بعضهما، وكيف جلسا لساعات في غرفة المعيشة وهما يتكلمان فقط ويلمسان بعضهما برفق، ويعدان خصل الشعر عن وجهي بعضهما... أخبرتها أولوغ كيف راقبتهما أحياناً سراً من خلف باب المطبخ، ووصفت شكل إرنست شواب الذي كان مشدود القامة، وشعره الأسود الكثيف، وجبينه العالي المكشوف، وكيف يمكن لتعبير عينيه أن يتغير بين المزاح والجدية، والغضب والضحك، والثقة بالنفس لدى مواجهة الأمور الكبيرة في الحياة والارتباك الطفولي لدى مواجهة الأشياء الصغيرة التافهة. راقبت في معظم الأحيان راندي شواب بشعرها الأحمر اللامع، وعنقها الأبيض، وعينيها اللامعتين اللتين كانت قزحيّتاها زرقاوين فاتحتين محاطتين بدائرتين زرقاوين داكنتين. كانتا أجمل عينين رأتهما أولوغ في حياتها.

عندما رأتهما على تلك الحال، ظنّت أولوغ أن الاثنين مخلوقان لبعضهما، وأنهما شقيقا روح ولا شيء يمكنه تفريقهما أبداً. وأخبرت إينا أنه رغم ذلك، كان الجو السعيد في حفلات دارة فيل يتحول إلى مشاجرات غاضبة عندما يغادر الضيوف إلى منازلهم.

بعد إحدى تلك المشاجرات، وذهب أولوغ لتناول قسطاً من النوم، قرع إرنست على بابها ودخل غرفة نومها. ومن دون أن يُنير المصباح، جلس على حافة سريرها وأخبرها أن زوجته قد غادرت المنزل غاضبة وذهبت إلى فندق لتقضي الليلة هناك. شمّت أولوغ رائحة الشراب تنبعث من أنفاسه، لكنها كانت يافعة ولم تعرف ماذا يجدر بها أن تفعل حين طلب منها رجل يكبرها بعشرين عاماً، رجل تحترمه وتقدره وتحبه قليلاً، أن تنزع ثوب نومها حتى يراها عارية.

لم يمّسها في الليلة الأولى، وإنما نظر إليها فقط، وداعب وجنتها، وأخبرها أنها جميلة، بل أكثر جمالاً مما يمكن أن تفهم يوماً، ثم نهض. وفي أثناء مغادرته الغرفة بدا على وشك الإجهاش بالبكاء. وقفت أولوغ وأغلقت بابي الشرفة. كانت الساعة السابعة تقريباً. ألقت نظرة خاطفة على الباب في أعلى السلام الخلفية، فرأت زوجاً من الأحذية الرجالية الأنيقة على الممسحة خارج باب إينا، وعرفت أن لديها زائراً. جلست أولوغ على سريرها وأرهفت السمع. عند الساعة الثامنة تماماً فُتح الباب، وسمعت صوت شخص ينتعل حذاءه وينزل على السلام. ولكن، تناهى إليها صوت آخر؛ صوت جر قدمين، وخذش، مثل براثن كلب. ذهبت إلى المطبخ، ووضعت بعض الماء الساخن على الغاز لتحضير الشاي. وعندما قرعت على باب إينا بعد بضع دقائق، دُهشت حين لم ترد عليها، لا سيما وأنه كان باستطاعتها سماع موسيقى خافتة صادرة من غرفتها.

قرعت الباب مجدداً، لكنها لم تتلقَّ جواباً رغم ذلك.
"إينا؟"

دفعت أولوغ الباب قليلاً ففُتح. كان أول شيء لاحظته أن الجو خانق هناك. رأت النافذة مغلقة، والستائر مسدلة، والظلام حالكاً في الداخل.
"إينا؟"

لم يُجب أحد، وفكّرت أولوغ في أنها ربما تكون نائمة، لذا دخلت الغرفة، وألقت نظرة خلف الباب حيث يوجد السرير، ولكنها وجدت فارغاً. بدا ذلك غريباً. كانت عيناها العجوزان قد اعتادتتا على الظلام آنذاك، فرأت إينا. كانت تجلس على الكرسي الهزاز بجانب النافذة وهي تبدو نائمة، فعيناها مغمضتان، ورأسها مائل إلى الجانب. لم تعرف أولوغ حتى ذلك الوقت من أين يأتي صوت الموسيقى الخافت. توجهت نحو الكرسي قائلة: "إينا".

غير أنّ المستأجرة لم تتحرك. لذا، حملت أولوغ الصينية بإحدى يديها ووضعت الأخرى بهدوء على جبين الشابة.

سُمع صوت مكتوم حين ارتطم إبريق الشاي بالسجادة، تبعه مباشرة فنجانان، ووعاء سكر فضي يحمل شعار النسر الإمبراطوري الألماني، وطبق وست قطع من بسكويت ماريلاند.

في اللحظة نفسها التي ارتطم فيها فنجانا شاي أولوغ - أو على نحو

أكثر دقة، فنجانا أسرة شواب - بالأرضية، رفع شتال أون كوبه؛ أو على نحو أكثر دقة كوب قسم شرطة أوصلو.

أمعن بيارني مولر النظر إلى الإصبع الصّغيرة والريانة والمنتفخة لعالم النفس، وفكر في قرارة نفسه: كم تبدو هذه الإصبع صغيرة وبدينة.

كان مولر قد دعا إلى اجتماع في مكتبه. وبالإضافة إلى أون، طلب من أولئك الذين يقودون التحقيق - توم والر وهاري هول وبتي لون - الحضور.

بدوا جميعاً منهكين، ربما لأن الأمل الذي أشرق مع اكتشاف أمر عامل خدمة التوصيل الزائف قد بدأ يتلاشى.

كان توم والر قد أنهى للتو استعراض نتائج المعلومات الذي طلبوها عبر التلفاز والمذياع. تبين أنهم تلقوا أربعاً وعشرين مكاملة، ثلاث عشرة منها من أشخاص يعرفونهم ويتصلون بهم دائماً، سواء أراوا شيئاً أم لا، بينما كانت سبعة اتصالات من بين الاتصالات الأحد عشر الأخرى من عمال خدمة توصيل يعملون في وظائف حقيقية. وأخبرهم المتصلون الأربعة الآخرون ما يعرفونه مسبقاً؛ عن رؤيتهم رجلاً يُشبه من وُصف قرب ساحة كارل برنرز يوم الاثنين عند الساعة الخامسة من بعد الظهر تقريباً. ما كان جديداً هو رؤيته وهو يقود دراجته في تروندهايمسفين. وجاءت المكاملة الوحيدة المثيرة للاهتمام من سائق سيارة أجرة رأى دراجاً يرتدي قميصاً أصفر وأسود ويضع خوذة ونظارة خارج مدرسة الفنون والعلوم التطبيقية، صاعداً في أولفالسفين في الوقت الذي قُتلت فيه كامبلا لوين. ولم تكن أي من شركات التوصيل قد أدّت عملاً في مكان قريب من منطقة أولفالسفين في ذلك الوقت من اليوم. وبعد ذلك اتصل شخص من شركة فورستمان لخدمات التوصيل وقال إنه قد مرّ بأولفالسفين في طريقه إلى مقهى في سانت هانشوغن لتناول الشراب.

قال مولر: "بكلمات أخرى، لم تفدنا تحريّاتنا بشيء".

قال والر: "لا نزال في الأيام الأولى".

أوماً مولر، لكن تعبير وجهه دلّ على أنه غير متفائل. وباستثناء أون، كان جميع من في الغرفة يعرفون أن ردود الأفعال الأولى مهمة، فالناس ينسون بسرعة.

سأل مولر: "ما الذي قيل في معهد الطب الشرعي الذي غاب بعض موظفيه؟ هل وجدتم شيئاً يمكن أن يساعد في تحديد هوية رجلنا؟".

قال والر: "أخشى أن الجواب لا. لقد أجّلوا تشريح جثث أخرى

ومنحوا جثتنا الأولوية. لكن، لم نتوصل إلى شيء حتى الآن. إذ لم يُعثر على ماء رجل، أو دم، أو شعر، أو أي شيء آخر. الدليل الحسي الوحيد الذي تركه القاتل هو ثقب الرصاص".

قال أون: "هذا مثير للاهتمام".

سأل مولر بعزيمة واهنة نوعاً ما عما يُثير الاهتمام في ذلك. فأجاب أون: "هذا مثير للاهتمام؛ لأنه يدل على أنه لم يهاجم الضحايا لهدف جنسي، وهذا أمرٌ غير معتاد إطلاقاً لدى القتلة المتسلسلين". قال مولر: "ربما لا يتعلق الأمر بالجنس".

هزّ أون رأسه وهو يُجيب: "الحافز جنسي دائماً، على الدوام". قال هاري: "ربما يكون مثل بيتر سيلرز في فيلم كنت هناك: أحب أن أرى".

حدّق الآخرون إليه من دون أن يفهموا أبداً ما يرمي إليه. "أعني، ربما لا يحتاج إلى مسهنٍ ليحقق رغبته الجنسية". تفادى هاري نظرة والر وتابع:

"ربما يكون القتل ورؤية الجثة كافيين له".

قال أون: "قد يكون هذا صحيحاً. ما يحدث عادة هو أن القاتل يريد إشباع رغبته، لكنه ربما كان يحقق ذلك من دون أن يترك أثراً في مسرح الجريمة، أو ربما كان بإمكانه السيطرة على نفسه والانتظار حتى يصبح في مكان آمن".

أطبق الصمت بضع ثوانٍ، وعرف هاري أنهم جميعاً يفكرون في الشيء نفسه الذي يفكر فيه. ماذا فعل القاتل بالمرأة التي اختفت، ليزبيث بارلي؟ "ماذا عن السلاحين اللذين عثرنا عليهما في مكاني جريميتين من بين الجرائم الثلاث؟".

قالت بتي: "لقد توثقنا منهما. أظهرت الاختبارات أنهما سلاحا الجريميتين بنسبة 99.9 بالمائة".

قال مولر: "هذا جيد كفاية. هل لديكم أي فكرة عن المكان الذي جاء السلاحان منه؟".

هزّت بتي رأسها. "كما يحدث دائماً، لقد أزيلت الأرقام المتسلسلة، والعلامات هي نفسها التي رأيناها على معظم الأسلحة التي صادرناها". قال مولر: "حسناً. إذًا، إنها أسطورة أخوية تهريب السلاح مجدداً. أنا واثق أن رجال الاستخبارات السرية، POT، سيقبضون عليهم قريباً، ألا تظنون هذا؟".

قال والر: "يعمل رجال الإنترنت على القضية منذ أكثر من أربع سنوات من دون أن تثمر جهودهم عن شيء".
استرخى هاري على كرسيه، وأرجع ظهره إلى الخلف، واختمس نظرة خاطفة إلى والر. وعندما فعل ذلك شعر - مدهوشاً - بشيء لم يشعر به من قبل نحو والر: الإعجاب. إنه الإعجاب نفسه الذي تشعر به نحو حيوانات مفترسة أتقنت ما تفعله لتنجو.
تنهّد مولر وقال: "أعرف، نحن صفر اليدين، ولم يمنحنا خصمنا حتى الآن أي دليل. هل لدى أحدكم أي أفكار مبدعة؟".
"لست واثقاً تماماً من أنها فكرة...".
"تابع يا هاري".

"إنه مجرد إحساس داخلي يتعلق بأماكن الجرائم. هناك شيء مشترك بينها جميعها، لكن ليس بمقدوري وضع إصبعي عليه بعد. وقعت جريمة القتل الأولى في شقة في أولفالسفين، والثانية على بعد نحو كيلومتر إلى الشمال الغربي منها في سانرغاتا، والثالثة على بعد المسافة نفسها مجدداً من هناك، ولكن هذه المرة نحو الشرق؛ في مبنى مكاتب بجانب ساحة كارل برنرز. إنه يتحرّك. ولكن، ينتابني شعور بأن هناك منطقاً ما خلف هذا".

سألت بتي: "ما هو؟".
قال هاري: "إنها منطقته. يمكن لعالم النفس على الأرجح أن يشرح هذا".

استدار مولر نحو أون الذي كان يتناول رشفة من الشاي آنذاك. "هل لديك أي تعليق يا أون؟".
كشّر أون قائلاً: "حسناً، إنه ليس إيرل غراي".
"لم أعنِ الشاي".

تنهّد أون ثمّ قال: "كانت دعابة يا مولر. أعرف ما ترمي إليه يا هاري. يبدو أن لدى القاتل أولويات قصوى في ما يتعلق بالمواقع الجغرافية للجرائم. هنا، يمكننا بصريح العبارة أن نميّز بين ثلاثة نماذج".
عدّ أون على أصابعه: "هناك القاتل الثابت الذي يغوي ضحاياه، ويستدرجهم إلى منزله أو يجبرهم على المجيء إليه، ويقتلهم هناك. وهناك القاتل المحلي الذي يعمل في منطقة محددة، مثل جاك السقّاح، لكن إقليمه قد يكون بسهولة البلدة كلها. أخيراً، هناك القاتل المتنقل الذي يقوم على الأرجح بمعظم عمليات القتل من دون وازع. انتقل أوتيس تول وهنري

لي لوكاس من ولاية إلى أخرى في الولايات المتحدة، وقتلا أكثر من ثلاثمئة شخص هناك".

قال مولر: "حسناً، لكنني لا أفهم تماماً المنطق الذي كنت تتكلم عنه يا هاري".

هزَّ هاري كتفيه وأجاب: "كما كنت أقول أيها المدير، إنه مجرد إحساس داخلي".

قالت بتي: "هناك شيء تشترك فيه الجرائم كلها".

استدار الآخرون نحوها؛ وكأنهم يعملون بجهاز تحكم عن بعد، فتورّدت وجنتاها فوراً، وبدا أنها ندمت على ما قالتها. على كل حال، تجاهلت ذلك وتابعت: "إنه يتطفّل على الأماكن التي تشعر فيها النساء بأنهن بأمان: منزل الضحية، الشارع في وضح النهار، حمّام السيدات في مكان العمل". قال هاري: "أحسنتِ يا بتي"، ونظرت إليه فوراً شاكرة.

وافق أون: "إنها ملحوظة جيدة أيتها الشابة. ونظراً إلى أننا نتكلم عن أمّاط حركة، أود إضافة شيء آخر. القتلة من النوع المضطرب اجتماعياً واثقون جداً بأنفسهم؛ كما يبدو واضحاً في هذه القضية. وإحدى الصفات التي تميّزهم هي أنهم يتابعون التحقيق عن كثب، ويحاولون انتهاز أي فرصة ليكونوا على مقربة مما يجري. وربما يعتبرون التحقيق لعبة بينهم وبين الشرطة، وقد عبّر الكثيرون عن سعادتهم برؤية أفراد الشرطة مرتبكين". قال مولر شابكاً يديه معاً: "هذا يعني أن هناك شخصاً ما يجلس في مكان ما مستمتعاً بما نحن عليه من ارتباك الآن. هذا كل شيء اليوم". قال هاري: "هناك شيء إضافي واحد فقط. الألباسات التي تركها القاتل على أجساد الضحايا...".

"نعم، ما بها؟".

"إنها ذات خمسة رؤوس، مثل نجم خماسي تقريباً".

"تقريباً؟ وفقاً لما أعرفه، إنها نجوم خماسية تماماً".

"يُرسّم النجم الخماسي من خط متصل يتداخل مع بعضه".

هتف أون: "آه! ذلك النجم الخماسي الذي يُرسّم بخط ذهبي. إنّه

شكل مثير جداً للاهتمام. بالمناسبة، هل تعرفون أن هناك نظرية تقول إنه في زمن الفايكنغ حاول السلتك جعل النرويج تعتنق النصرانية، لذا صنعوا نجماً خماسياً مبعجلاً ووضعوه في جنوبي النرويج واستخدموه لتحديد مواقع البلدات ودور العبادة؟".

سألت بتي: "وما علاقة هذا بالألباسات؟".

قال هاري: "أنا لا أتحدّث عن الألباسات، وإنما عن الشكل؛ النجم الخماسي. أعرف أنني قد رأيته في مكان ما، في أحد أماكن الجرائم، لكنني لا أتذكر أيها وأين. قد يبدو هذا هراء، لكنني أظن أنه مهم".
قال مولر واضعاً ذقنه على يديه: "إذاً، أنت تتذكر أنك رأيت شيئاً لا تتذكر أين رأيته تماماً، ولكنك تظن أنه مهم".
فرك هاري وجهه بقوة بكلتا يديه وقال:

"عندما تذهب إلى مسرح جريمة، تركز كثيراً. وعندها، تصبح معظم الأشياء المحيطة بك والتي يستوعبها دماغك أكثر مما يمكنك التفكير فيه. ولكنها ببساطة تبقى عالقة في ذاكرتك حتى يحدث شيء ما؛ حتى يبرز شيء جديد، وتجتمع قطعة من الصورة مع أخرى، لكنك وقتها لا تتذكر من أين جاءت القطعة الأولى، ويخبرك إحساسك الداخلي أن هذا الأمر مهم. كيف يبدو هذا؟".

قال أون متثائباً: "مثل دُهان".

نظر الثلاثة الآخرون إليه.

قال: "ألا يمكنكم على الأقل أن تبتسموا حين أُلقي دعابة؟ هاري، يبدو أن عقلك يعمل على نحو طبيعي تماماً. ليس هناك شيء لتخاف منه".

قال مولر: "أظن أن هناك أربعة عقول هنا فعلت ما يكفي في يوم واحد"، ونهض من مكانه.

في تلك اللحظة رنَّ الهاتف أمامه. "أنا مولر... لحظة فقط".
مرّر السّاعة إلى والر الذي أمسكها ووضعها على أذنه.
"نعم؟".

سُمع صرير كراسٍ، لكن والر أشار لهم بيده لكي ينتظروا.
وقال وهو ينهي المكالمة: "رائع!".

استدار الآخرون إليه باهتمام متجدد.

"لقد اتصلت شاهدة. قالت إنها رأت درّاجاً يخرج من مبنى سكني في أولفالسفين قرب المقبرة بعد ظهر الجمعة حين قُتلت كاميلا لوين. تذكّرت ذلك لأنها ظنّت أنه أمر غريب جداً أن يضع قطعة قماش بيضاء حول فمه. لم يكن العامل الذي عرّج على سانت هانشوغن يضع قطعة قماشية مماثلة".

"وماذا أيضاً؟".

"لم تعرف رقم المبنى في أولفالسفين، لكن سكار أقلّها إلى هناك

وأشارت إلى المبنى الذي تبين أنه يضم شقة كامبلا".
ضرب مولر يده بقوة على سطح الطاولة وقال: "أخيراً!".
كانت أولوغ جالسة على السرير ويدها حول عنقها، وهي تشعر
بنبضها يعود إلى طبيعته ببطء.
همست بصوت أضحى أجشّ ولا يمكن تمييزه آنذاك: "كم أخفنتي".
قالت إينا وهي تتناول آخر قطعة من بسكويت ماريلاند: "أسفة جداً.
لم أسمعك حين دخلت".
قالت أولوغ: "أنا التي يجب أن أعتذر عن اقتحامي الغرفة على هذا
النحو. لم أر أنك تضعين تينك...".
"السمّاعتين". ضحكت إينا قائلة: "ربما كانت الموسيقى عالية؛ كول
بورتر".

"تعرفين أنني لا أتابع الموسيقى المعاصرة".
"كول بورتر موسيقي جاز قديم، وميت في الواقع".
"يا للهول! فتاة يافعة مثلك لا يجب أن تستمع إلى أشخاص ميتين".
ضحكت إينا مجدداً وهي تتذكر ما حصل عندما شعرت بشيء يمسُّ
عنقها منذ قليل؛ إذ رفعت يدها تلقائياً وأصابت الصينية وطقم الشاي
عليها، ولا تزال هناك طبقة رقيقة من السكر الأبيض على السجادة.
"أعارني أحدهم أسطواناته".
قالت أوليغ: "يا لها من ابتسامة مخادعة! هل هو صديقك النبيل؟".
ندمت على السؤال في اللحظة التي طرحته فيها. ستظن إينا الآن أنها
كانت تتجسس عليها.

قالت إينا وعيناها تومضان: "ربما".
"إنه أكبر سنّاً منك إذًا، أليس كذلك؟". أرادت أولوغ أن تخبرها على
نحو غير مباشر بأنها لم تخرج من غرفتها لتختلس نظرة إليه. "أعني لأنه
يحب الموسيقى القديمة".
أدركت أن هذه هي الطريقة الخاطئة لقول ذلك أيضاً. فهي الآن
تطرح أسئلة وتتطفّل مثل عجوز مهذار. وفي لحظة دعر، خُيّل إليها أن إينا
ستبحث عن شخص آخر لتعيش عنده.
"أكبر قليلاً، نعم".

أربكت ابتسامة إينا اللعوب أولوغ.
"مثلك أنت والسيد شواب ربما".
ضحكت أولوغ مع إينا بسعادة، فقد شعرت بالارتياح.

قالت إينا فجأة: "تخيّلي فحسب، كان جالساً حيث تجلسين الآن بالضبط".

مرّرت أولوغ يدها فوق البطانية على السرير.
"نعم، أتخيل".

"عندما كان يبكي في ذلك المساء، هل فعل ذلك لأنه لم يستطع الحصول عليك؟".

كانت أولوغ لا تزال تداعب البطانية، وبدا ملمس الصوف الخشن جيداً تحت يدها. قالت: "لا أعرف. لم أجرؤ على السؤال. وبدلاً من ذلك، فكّرت في أجوبة خاصة بي؛ تلك التي تعجبني كثيراً، والتي يمكنني رؤيتها في أحلامي ليلاً. ربما كان ذلك سبب شعوري القوي بالحب".
"هل خرجتما معاً؟".

"نعم، أخذني مرة في سيارته إلى بيغدوي. ذهبنا للسباحة، أعني لقد سبحت في حين جلس هو وراقبني. كان يدعوني حوريته".

"هل اكتشفت زوجته أن زوجها هو والد الجنين حين حملت؟".
رمقت أولوغ إينا بنظرة متأنية، ثم هزّت رأسها. "غادرا البلاد في أيار عام 1945، ولم أرها مجدداً قطّ. لم أكتشف أنني حامل إلا في تموز".
ضربت أولوغ البطانية بيدها. "لكن، لا بد أنك تشعرين بالملل والتعب من قصصي القديمة يا عزيزتي. لنتكلم عنك. من هو صديقك النبيل؟".
"إنه رجل رائع".

كان الدهول لا يزال بادياً على وجه إينا؛ تماماً كما يحصل عادة حين تخبرها أولوغ عن أول وآخر حبيب لها، إرنست شواب.
قالت إينا وهي تفتح درجاً في الطاولة وتُخرج علبة صغيرة مربوطة بشريط ذهبي: "لقد منحني شيئاً. قال إنني يجب ألا أفتحه حتى يخطبني".

ابتسمت أولوغ وداعبت وجنة إينا. كانت سعيدة من أجلها. "هل أنتِ مغرمة به؟".

"إنّه مختلف عن الآخرين. إنه ليس... إنه ذو تفكير قديم، ويريد أن ننتظر. مع... تعرفين ماذا".

أومأت أولوغ وقالت: "يبدو أنه جاد".

"نعم". وأفلتت منها تنهيدة صغيرة.

قالت أولوغ: "يجب أن تتوثقي من أنه الرجل الملائم لك قبل المضي

قدماً".

قالت إينا: "أعرف. وهذا صعب جداً. لقد كان هنا، وقبل أن يغادر أخبرته أنني بحاجة إلى وقت للتفكير. قال إنه يفهم وإنما أصغر منه سنًا".

أوشكت أولوغ أن تسأل إينا إن كان لديه كلب، ولكنها أحجمت عن ذلك في الوقت الملائم. كانت قد دسّت أنفها وتطفّلت بما فيه الكفاية. مرّرت يدها فوق البطانية للمرة الأخيرة ونهضت. "سأعود بعد أن أحضّر المزيد من الشاي يا عزيزتي".

كان إلهاماً. ليس أعجوبة وإنما مجرد إلهام.

كانت قد انقضت نصف ساعة منذ أن غادر الآخرون، وقد أنهى هاري قراءة نسختين عن المقابلتين اللتين جرتا مع المرأتين اللتين تعيشان معاً قبالة ليزبيث بارلي. أطفأ مصباح القراءة على الطاولة، وطرفت عيناه في الظلام. خطر له الأمر فجأة؛ ربما لأنه أطفأ المصباح كما يفعل المرء حين يأوي إلى السرير، أو ربما لأنه توقف عن التفكير لحظة. أياً كان السبب، بدا الأمر وكأن شخصاً ما قد قذف صورة واضحة وصافية في ذاكرته.

ذهب إلى المكتب حيث يُحتفظ بمفاتيح أماكن الجرائم، ووجد المفتاح الذي كان يبحث عنه، ثم قاد سيارته إلى بوابة صوفيز، وحمل مصباحه اليدوي ومشى إلى أولفالسفين. كان الوقت منتصف الليل تقريباً، والطابق الأول موصداً، والمصبغة مغلقة. شاهد في المتجر الذي يبيع شواهد قبور كشافاً عند النافذة يسلم الضوء على عبارة "ارقد بسلام".

دخل هاري شقة كاميلو لوين.

لم تكن أي من قطع الأثاث أو أي شيء آخر قد حُرّك من مكانه. لكن، رغم ذلك، تردد وقع خطواته في المكان. بدا أن وفاة المالكة قد أكسبت الشقة خواءً طبيعياً لم يكن موجوداً من قبل، وانتابه في الوقت نفسه شعور بأنه ليس بمفرده. كان هاري يثق بوجود الروح، ولم يكن ذلك يعني أنه متدين جداً، ولكنه شيء يخطر على باله دائماً حين يرى جثة: إذ تبدو الجثة مجردة من شيء ما؛ شيء لا علاقة له بعمليات التغيير الجسدية التي تخضع الجثث لها. إذ تبدو الجثث مثل أصداف حشرات فارغة في شبكة عنكبوت؛ الكائن اختفى، والضوء تلاشى، وذلك الشفق الوهمي الذي يشع من نجوم اندثرت منذ أمدٍ بعيد ليس موجوداً. كان الجسد يفقد روحه، وغياب الروح ذاك هو ما يجعل هاري يثق بوجودها. لم ينر المصباح، فقد بدا ضوء القمر الذي يصل إليه عبر النافذة

كافياً. ذهب مباشرة إلى غرفة النوم حيث أضاء مصباحه اليدوي ووجهه إلى العارضة الخشبية الرئيسة بجانب السرير. سحب شهيقاً حاداً، فلم يكن ما رآه سابقاً قلباً حول مثلث كما ظنَّ أول مرة.

جلس هاري على السرير، ومرّر أطراف أنامله فوق الأثلام في العارضة. كانت الخدوش في الخشب البني العتيق واضحة جداً، وبدا واضحاً أيضاً أنه خدش طويل يتكون من خطوط مستقيمة تستدير لتعود في الاتجاه المعاكس وتتقاطع مع بعضها مشكلة نجماً خماسياً.

وجه هاري المصباح إلى الأرضية فرأى طبقة رقيقة من الغبار، وعدداً من علب سائل التنظيف على الخشب. كان واضحاً أن كاميليا لوين لم تقم بالتنظيف قبل قتلها. لكن هناك، بجانب إحدى قوائم السرير، رأى ما كان يبحث عنه: نشارة خشب.

استلقى هاري على السرير، واكتشف أن الفراش طري وناعم. حدّق نحو الأعلى إلى السقف المائل وحاول أن يفكّر. إذا كان القاتل حقاً هو من نقش النجم على العارضة فوق السرير، فما الذي يعنيه ذلك؟ تمت هاري مغمضاً عينيه: "ارقدي بسلام".

شعر بتعب شديد منعه من التفكير بوضوح. كان هناك سؤال آخر يدور في ذهنه: لماذا لم يلاحظ حقاً النجم الخماسي؟ لماذا لم يربط الأمرين معاً؛ النجم والألماسات؟ أم إنه فعل؟ ربما استعجل كثيراً، وربما ربط بغير وعي النجم الخماسي بشيء آخر؛ شيء قد رآه في أحد أماكن الجرائم، لكنه لم يستطع تحديده.

حاول تكوين صورة ذهنية عن أماكن الجرائم.

ليزيث في سانرغاتا، وباربرا في ساحة كارل برنرز، وكاميليا هنا في الحمام، في الغرفة المجاورة. كانت عارية تقريباً وجلدها رطب، فقد تحسّسه. كان الماء الساخن قد جعلها تبدو ميتة منذ وقت أقل مما حدث فعلاً. لقد تحسّس جلدها، وراقبته بتي، لم يستطع التوقف عن لمسها. بدا الأمر مثل تمريره أصابعه على مطاط دافئ وألمس. رفع بصره عنها، ووقتها فقط شعر بسيل الماء الدافئ من الدُش. انتقل بصره إلى الأسفل مجدداً، ورآها تحدّق إليه نحو الأعلى ووميض غريب يظهر في عينيها. وجل وسحب يده، فتلاشت نظرتها؛ مثلما تختفي الصورة التي تظهر على شاشة تلفاز حين يُطفأ الجهاز. هذا غريب - كما فكّر - ووضع يده على وجنتها. انتظر حتى بلل الماء الساخن الذي يسيل من الدُش ثيابه، وعاد الوميض ببطء. وضع يده الأخرى على بطنها، فنبضت عيناها بالحياة، وشعر بجسدها يهتز

تحت أصابعه. عرف أنها لمسة أعادتها إلى الحياة، وأنها من دون هذه اللمسة ستختفي؛ ستموت. وضع جبينه على جبينها، وجرى الماء نزولاً إلى داخل ثيابه، فبلل جلده واستقر مثل مرشح دافئ بينهما. لاحظ آنذاك أن عينيها ليستا زرقاوين بل بنيتين، وأن شفيتها لم تعودا شاحبتين، وإنما أصبحتا حمراوين ومفعمتين بالحيوية. راكيل، وضع شفتيه على شفيتها، وارتد إلى الخلف حين اكتشف أنهما باردتان مثل الجليد. حدقت إليه، وتحرك فمها. "ماذا تفعل؟".

توقف قلب هاري عن الخفقان؛ جزئياً لأن صدى الكلمات بقي عالماً في الغرفة وعرّف أنه ليس حلمًا، وجزئياً لأن الصوت لم يكن صوت امرأة، لكن ذلك حدث على الأغلب؛ لأنه شاهد شخصاً واقفاً أمام السرير يميل فوقه.

بدأ قلبه يخفق مجدداً، وقلب نفسه في محاولة منه لتلمس المصباح الذي كان لا يزال مضاءً. سقط المصباح على الأرض محدثاً صوتاً مكتوماً، ثم تدحرج في دائرة؛ مما جعل شعاع الضوء وظل الشخص يجريان على الجدران، ثم أضيء مصباح السقف. بهر الضوء عيني هاري، وكان أول رد فعل قام به أنه رفع ذراعيه أمام وجهه. انقضت ثانية، ولم يحدث شيء؛ لا صرخات، أو ضربات، فأخفض هاري ذراعيه.

تعرف إلى الرجل الواقف أمامه.

سأل الرجل: "ما الذي تسعى إليه بحق الله؟".

كان يرتدي ثوب حمام زهرياً، ولكن بخلاف ذلك لم يبدو أنه قد نهض من النوم آنذاك. وظهرت تصفيفة شعره الجانبية أنيقة. كان أندرس نيغارد.

قال نيغارد وهو يدفع كوباً من القهوة أمام هاري: "أيقظتني الضوضاء. كانت أول فكرة خطرت لي أن شخصاً ما قد أدرك أن المكان خالٍ في الأعلى فاقتحمه. لذا سعدت لأتوثق من الأمر".

قال هاري: "مفهوم. لكن، أظن أنني قد أوصدت الباب خلفي".

"لديّ مفتاح المشرف على المبنى؛ تحسباً فقط".

سمع هاري وقع خطوات فاستدار إلى الخلف. ظهرت فيبيكي كنوستن في المدخل مرتدية ثوب استحمام، ووجهها يبدو نعساً، وشعرها الأحمر مشعث في كل الاتجاهات. بدت من دون مستحضرات تجميل، وفي ضوء المطبخ

القوي، بدت أكبر سنّاً مما رآها من قبل. وجلت حين اكتشفت أنه هناك. تمتت وبصرها ينتقل بين هاري وشريكها: "ماذا يجري؟". قاطعها هاري فوراً حين رأى هواجسها: "كنت أتفقد بضعة أشياء في شقة كاميليا. جلست على السرير وأغمضت عينيّ بضع ثوانٍ فغفوت. سمع نيغارد أصواتاً فأيقظني. كان يوماً طويلاً". ومن دون أن يتوثق تماماً من السبب، تئاب هاري على نحو مبالغ فيه.

حدّقت فيبكي إلى شريكها في السكن وسألته: "ماذا ترتدي؟". نظر أندرس نيغارد إلى ثوب الاستحمام الزهري وكأنه قد أدرك للتو أنه يرتديه. "عجباً، لا بد أنني أبدو مثل رجل يرتدي ملابس امرأة". وضحك بصوت خافت. "إنه هدية اشتريتها لك يا حبيبتي. كان لا يزال في حقيبتني، وهو كل ما استطعت إيجاده بسرعة. تفضلي". حلّ الحزام، ثم خلع الثوب ورماه إلى فيبكي التي دُهشت لكنها التقطته.

قالت مرتبكة: "شكراً لك". خرخر: "بالمناسبة، أنا مدهوش لرؤيتك مستيقظة. ألم تتناولي حبة المنوم؟". ألقت فيبكي نظرة محرجة على هاري، ثم تمتت: "عمتما مساءً"، وغادرت.

ذهب أندرس إلى آلة تحضير القهوة وأعاد الإبريق إلى مكانه. كان ظهره وأعلى ذراعيه شاحبين؛ أبيضين تقريباً. لكن ذراعيه من الأسفل بنيّتان، مثل أذرع سائقي الشاحنات في فصل الصيف. بدا التناقض الصارخ نفسه واضحاً على ركبتيه.

قال: "عادة، تستغرق في نومٍ عميقٍ طوال الليل". "وأنت لا تفعل هذا؟".

"كيف عرفت؟".

"حسناً، لأنك تعرف أنها تستغرق في نوم عميق". "هذا ما تقوله".

"ولأنك تستيقظ عندما يمشي شخص ما على الأرضية في الطابق الأعلى؟".

نظر أندرس إلى هاري وأوماً. "أنت محق أيها المفتش، أنا لا أنام.

ليس الأمر سهلاً بعد كل ما حدث. فأنا أستلقي مستيقظاً ومفكراً ومستنتجاً كل أنواع النظريات الممكنة".

تناول هاري رشفة من قهوته وسأله: "هل هناك شيء تريد مشارطتنا إياه؟".

هزّ أندرس كتفيه قائلاً: "لا أعرف الكثير عن مجرمين يقتلون أشخاصاً كثيرين؛ إن كانت هذه هي الحال حقاً".

"إنها ليست كذلك. إنه قاتل متسلسل، والفرق كبير".

"صحيح. لكن، ألم تلاحظ أن الضحايا يجمع بينهم شيء مشترك؟".

"إنهن نساء يافعات. هل هناك أي شيء آخر؟".

"إنهن لسن عفيفات، أو لم يكن كذلك".

"حقاً؟".

"يمكن أن تقرأ عن هذا في الصحف. ما قرأته عن ماضي أولئك

النساء يتكلم عن نفسه".

"كانت ليزبيث بارلي امرأة متزوجة، ووفقاً لما أعرفه كانت مخلصة

لزوجها".

"بعد أن تزوجت أصبحت كذلك، ولكنها قبل ذلك كانت عضواً في

فرقة تسافر إلى كل أنحاء البلاد وتعزف الموسيقى. لست ساذجاً جداً، أليس

كذلك أيها المفتش؟".

"حسناً، ماذا تستنتج من هذا التشابه إذاً؟".

"لقد جعل القاتل نفسه مسؤولاً عن معاقبة المذنبات؛ لأن ديننا يُحرم

الزنا".

أوماً هاري ورفع معصمه ليتوثق من الوقت. "سأسجل ملحوظة عن

هذا".

حرك نيغارد كوبه بعصبية وسأله: "هل وجدت ما كنت تبحث عنه؟".

"يمكنك قول هذا. وجدت نجماً خماسياً. أفترض أنك تعرف ما يعنيه

هذا بفضل عملك في الديكور الداخلي لدور العبادة".

"أتعني نجماً بخمسة رؤوس؟".

"نعم. إنه مرسوم بخط واحد متصل. هل لديك أي فكرة عما قد

يشير إليه مثل هذا الرمز؟".

كان رأس هاري مائلاً فوق الطاولة، ولكنه يتفحص وجه نيغارد خلسة.

قال نيغارد: "إنه يُشير إلى أشياء كثيرة. الرقم خمسة أهم رقم في

السحر الأسود. هل هناك رأس واحد يبرز نحو الأعلى أم اثنان؟".

"واحد".

"إذًا، إنّه لا يشير إلى أمر شرير. ربما يرمز النجم الذي تصفه إلى الحيوية والشغف. أين وجدته؟".

"على عارضة خشبية فوق سريرها".

قال نيغارد: "أوه، فهمت. إنّه رمز بسيط إذًا".

"حقًا؟".

"إنه رمز وثني. كان يُنقش فوق الأسرة أو المداخل لإبعاد الفرس".

"الفرس؟!".

"الفرس، نعم، كما في الكوايبس. إنها أنثى تجثم على صدر شخص نائم فتنتابه كوايبس سيئة. ظن الوثنيون أنها روح، ولا غرابة في ذلك؛ لأن كلمة "فرس" مشتقة من مير وهي كلمة هندو - ألمانية".

"يجب أن أعترف أنني لا أعرف الكثير عن هذه اللغة".

"إنها تعني الموت". حدّق نيغارد نحو الأسفل؛ إلى كوب قهوته وتابع:

"أو لأكون أكثر تحديداً جريمة".

كانت هناك رسالة من راكيل على جهاز المجيب الصوتي الخاص بهاري حين وصل إلى المنزل. تساءلت إن كان بمقدور هاري البقاء مع أوليغ في حوض السباحة في فرونغر في اليوم التالي؛ لأن لديها موعداً مع طبيب الأسنان من الساعة الثالثة وحتى الخامسة. كان أوليغ من طلب ذلك، كما قالت.

جلس هاري واستمع مجدداً إلى الرسالة الصوتية مراراً وتكراراً؛ ليتوثق إن كان بمقدوره سماع أي أنفاس، مثل المكاملة التي تلقاها قبل بضعة أيام، لكن من دون طائل.

نزع ثيابه وأوى إلى فراشه عارياً. في الليلة السابقة، كان قد أخرج اللحاف من الغطاء ونام متدثراً بالغطاء فقط. ركله بعد مضيّ بعض الوقت ونام. وحين علقت قدمه في الفتحة، ذعر واستيقظ على صوت القماش القطني وهو يتمزّق. كان الظلام في الخارج قد بدأ يتخذ لوناً رمادياً، فرمى ما تبقى من غطاء اللحاف على الأرض، واستلقى مواجهاً الجدار.

جاءت بعد ذلك، وجلست منفرجة الساقين فوقه، ودفعت اللجام في فمه وسحبته، فاستدار رأسه. مالت فوقه، ونفخت أنفاسها الحارة في أذنه؛ كتّين ينفث ناراً. رسالة صامتة، هسيس على المجيب الصوتي. ضربت بالسوط خاصرتيه، وردفيه، وكان الألم عذباً، وقالت إنها ستكون المرأة الوحيدة التي يمكن أن يحبها، لذا يجب أن يعرف هذا منذ البداية.

لم تتركه حتى أشرقت الشمس على آجر السطح العالي.

الفصل التاسع عشر:

الأربعاء. تحت الماء

عندما أوقف هاري سيارته خارج حوض السباحة المكشوف في فرونغر قبل الساعة الثالثة بقليل، أدرك إلى أين ذهب كل الناس الذين بقوا في أوصلو. إذ كان هناك صف يمتد مئة متر أمام نافذة التذاكر. قرأ فيردنز غانغ في أثناء تقدم الناس ببطء إلى الأمام نحو ملاذهم المليء بالكور. لم يكن هناك شيء جديد في قضية القاتل المتسلسل. ولكن، لا تزال هناك معلومات كافية تغطي أربع صفحات كاملة. كانت العناوين مبهمه نوعاً ما وموجهة إلى قرّاء يتابعون القضية منذ بعض الوقت، وتحدّث الصحفيون عن الجرائم تحت عنوان: عمليات قتل عامل التوصيل. أصبح كل شيء معروفاً، ولم تعد الشرطة متقدمة على الصحافة ولو خطوة واحدة. وخبّر هاري أن الاجتماعات الصباحية مع المحرّرين ستكون مماثلة لتلك التي عقدها مع المحققين الآخرين في القضية. قرأ إفادات الشهود أنفسهم الذين قابلوهم في مقر قيادة الشرطة؛ لكنهم ذكروا أشياء أكثر للصحافة. وقرأ استطلاعات صحفية قال الناس فيها إنهم خائفون، أو خائفون جداً أو مرتعبون. كما قرأ مقالا عن شركات خدمات توصيل تقول فيه إنها تظن أنها يجب أن تتلقى تعويضاً لأنها لا تستطيع إنجاز عملها إن لم يسمح لها الناس بالدخول. وفي نهاية المطاف، إن إلقاء القبض على هذا الرجل من مسؤولية السلطات، أليس كذلك؟ لم يعد يُقال إن الصلة بين جريمتي عامل التوصيل واختفاء ليزبيث بارلي افتراضية، وإنما هي حقيقة. وقد أظهرت صورة كبيرة تحت عنوان تؤدي دور الشقيقة تويها هارانغ وويلهلم بارلي واقفين أمام المسرح الوطني، ويقول التعليق تحت الصورة: "لا نية لدى المنتج النشيط بالإلغاء".

انتقل بصر هاري نزولاً على النص الرئيس حيث نُقل عن ويلهلم

بارلي قوله:

"يجب أن يتم العرض؛ وهذه ليست مجرد عبارة مبتذلة، وإنما هي شيء جدّي في نطاق عملنا. وأعرف أن ليزبيث كانت ستدعمنا في هذا، بغض النظر عما حدث لها. إنه أمر طبيعي أن يكون للموقف تأثير، ولكن على الرغم من ذلك نحن نحاول أن نكون إيجابيين. سيكون العرض تقدمة منّا لليزبيث؛ فهي فنانة رائعة لم تدرك إمكانياتها بعد، ولكنها ستثبت هذا يوماً ما. ولا يمكنني ببساطة أن أسمح لنفسني بالتفكير في خلاف هذا".

عندما عبر هاري المدخل أخيراً، توقف ونظر حوله. أدرك أن 20 سنة

تقريباً قد انقضت منذ أن جاء للمرة الأخيرة إلى حوض السباحة المكشوف في فرونغر. ولكن، باستثناء التجديدات الخارجية للمباني، وحوض سباحة أزرق كبير في الطرف الضحل لم يتغير الكثير. كانت رائحة الكلور لا تزال تفوح، وكان رذاذ رائع يأتي من فتحات الدُّش إلى حوض السباحة مشكلاً أقواس قزح صغيرة. وكان هناك وقع خطوات على الإسفلت، وأطفال مرتعشون في بزات سباحة رطبة يقفون في صفٍّ في الظل أمام الكشك. وجد راكيل وأوليغ على المنحدر العشبي أسفل حوض سباحة الأولاد. "مرحباً".

ابتسمت راكيل، ولكنّ بدا من الصعب معرفة ما تفعله عينها خلف نظارة غوتشي الكبيرة. كانت ترتدي ثوب سباحة من قطعتين أصفر اللون. لم تكن نساء كثيرات يستطعن جعل ثوب سباحة أصفر من قطعتين يبدو جيداً، لكن راكيل واحدة من أولئك النساء القليلات. صرخ أوليغ، ورأسه مائل إلى الجانب في محاولة منه لإخراج الماء من أذنه: "هل تعرف أمراً؟ لقد قفزت عن لوح الأمتار الخمسة". جلس هاري على العشب بجانبهما، وكانت هناك مسافة كبيرة بينهم على البساط.

"أنت الآن تخبرني أكاذيب كبيرة".

"أنا أخبرك الحقيقة، حقاً".

"خمسة أمتار؟! أنت مجازف حقيقي".

"هل قفزت من قبل عن ارتفاع خمسة أمتار يا هاري؟".

"كثيراً".

"من ارتفاع سبعة أمتار؟".

"حسناً، نفّذت دورة في الهواء".

ألقي هاري نظرة ذات مغزى على راكيل، لكنها كانت تنظر إلى أوليغ الذي توقّف فجأة عن هز رأسه وسأل بصوت خافت: "ومن ارتفاع عشرة أمتار؟".

رفع هاري بصره إلى حوض السباحة؛ حيث كانت كل صرخات السرور تنبعث، وكذلك صوت المنقذ الجهوري. عشرة أمتار. برز برج القفز مثل منصة بيضاء وسوداء مقارنة مع السماء الزرقاء. لم يكن صحيحاً أنه لم يأت إلى هذا المكان منذ 20 سنة، فقد جاء في ليلة صيف منذ بضع سنوات. كان وكريستين قد دخلا حينها من فوق السياج، وصعدا الدرجات على برج القفز واستلقيا جنباً إلى جنب على اللوح في الأعلى، وقد بقيا على تلك

الحال وتكلما مطولاً، والحصيرة الخشنة القاسية تلتصق بجلديهما، والسماء المرصعة بالنجوم تتلألأ فوقهما، وظنَّ آنذاك أنها الحب الوحيد الذي سيحظى به يوماً.

قال: "لا. لم أقفز قط عن ارتفاع عشرة أمتار."
"مطلقاً؟"

سمع هاري الخيبة في صوت أوليغ.
"مطلقاً. لقد غطست فقط."

قفز أوليغ من مكانه. "غطست؟ لكن هذا أروع. هل شاهدك أشخاص كثير؟"

هزَّ هاري رأسه وأجاب: "فعلت هذا في الليل، وكنت بمفردي".
تأوه أوليغ: "ما فائدة ذلك؟ ما فائدة التحلي بالشجاعة إن لم يرك أحد؟"

"أتساءل عن ذلك أيضاً بين الحين والآخر."

حاول هاري أن يرى عيني راكيل، لكن نظارتها بدت داكنة جداً. كانت قد حزمت حقيبتها، وارتدت فوق ثوب السباحة قميصاً تائياً وتنورة قماشية قصيرة زرقاء.

قال هاري: "لكن هذا أصعب ما في الأمر؛ أقصد أن تكون بمفردك، من دون أن يشاهدك أحد."

قالت راكيل: "شكراً على إسدائي هذا المعروف يا هاري. هذا فضل منك حقاً".

قال: "بكل سرور، استغريقي كل الوقت الذي تحتاجين إليه".

قالت: "الذي يحتاج إليه طبيب الأسنان. وآمل ألا يكون طويلاً جداً".
سأل أوليغ: "كيف أتيت؟"

قال هاري من دون أن يشيخ بناظريه عن راكيل: "بالطريقة المعتادة".
قالت: "سأعود عند الخامسة، فلا تتحرّكاً من مكانكما".

قال هاري: "لن نتحرّك". وندم على ذلك فوراً. لم يكن الوقت أو

المكان مناسبين ليبدو بائساً، وسيحظى بمناسبات أفضل.

راقبها هاري وهي تذهب إلى أن اختفت، وتساءل عن مدى صعوبة الحصول على موعد في منتصف عطلة وطنية.

سأل أوليغ: "هل ستراقبني وأنا أقفز من ارتفاع خمسة أمتار؟"

قال هاري وهو يخلع قميصه: "طبعاً".

حدّق أوليغ إليه متسائلاً: "ألا تعرّض جسمك للشمس أبداً يا هاري؟"

"إطلاقاً".

بعد أن قفز أوليخ مرتين، خلع هاري جينزه وانضم إليه على لوح القفز. جذب سروال الملاكمة الفضفاض الذي كان يرتديه ويحمل علم الاتحاد الأوروبي نظرات مستنكرة من بعض الصبية في الصف حين كان يخبر أوليخ عن كيفية تنفيذ حركة غطس يثني جسمه في أثنائها، ويمد يديه في الهواء.

"الخدعة أن تبقى أفقياً في الهواء. يبدو الأمر غريباً حقاً، إذ يظن الناس أنهم سيهبطون على بطونهم، ولكن في اللحظة الأخيرة...".
ضغط هاري إبهامه على سبابته.

"... تتحني من وسطك، وتخرق سطح الماء بيديك وقدميك في الوقت نفسه".

ركض هاري وقفز، وسمع صفارة المنقذ حين انحنى نحو الأمام وارتطم سطح الماء بجبينه.

سمع صوتاً يعلو عبر المجهر حين خرج من الماء: "أنت هناك، قلت إن لوح الأمتار الخمسة محظور".

أشار أوليخ من حيث يقف على لوح القفز، فرفع هاري إبهاميه دلالة على أنه قد فهم.

خرج من الماء، ونزل بحذر على السلام، ثم وقف بجانب إحدى النوافذ التي تطل على حوض السباحة. مرّ إصبعين على الزجاج البارد، ورسم صورة على بخار الماء، في حين حدّق إلى البيئة الخضراء والزرقاء تحت الماء. رأى على السطح ثياب سباحة، وأقداماً تركل، وحدود سحابة في السماء الزرقاء، وفكّر في أندروتر.

وصل أوليخ وتوقف فجأة وسط غيمة من الفقاع. ولكنه بدلاً من السباحة إلى السطح، ركل مرتين وسبح إلى النافذة حيث رأى هاري واقفاً. نظرا إلى بعضهما. كان أوليخ يتسم، ويلوّح بذراعيه ويشير إليه، وبدا وجهه شاحباً، ومخضراً. لم يستطع هاري سماع أيّ صوت يصدر من داخل حوض السباحة، ورأى فقط فم أوليخ يتحرك وشعره الأسود يطفو عديم الوزن فوق رأسه ويتراقص مثل أعشاب بحرية، فيما كان يشير إلى الأعلى. ذكّر ذلك هاري بشيء ما؛ شيء لم يكن يرغب أن يفكّر فيه في تلك اللحظة. وفيما كان واقفاً هناك، وأوليخ في الجانب الآخر؛ خلف الزجاج، والشمس ترسل سياطها اللاذعة من السماء، وسط كل أصوات الحياة المرحة حوله، لكن في صمت مطلق، شعر هاري بهاجس مفاجئ وبأنّ هناك شيئاً

مريعاً على وشك أن يحدث.

نسي كل ذلك في اللحظة التالية، واستبدل الهاجس بشعور آخر حين ركل أوليغ بقدميه واختفى عن الأنظار. بقي هاري في مكانه للحظات، وبصره ثابت على الخطوط التي كان قد رسمها على زجاج حوض السباحة؛ شاشة التلفاز الخاوية. عرف آنذاك أين سبق له أن رأى صورة النجم الخماسي.

"أوليغ!". أسرع يصعد على السلام.

عموماً، لم يكن كارل مهتماً بالناس كثيراً. وعلى الرغم من أنه كان يدير متجرّاً يبيع أجهزة التلفزة في ساحة كارل برنرز منذ ما يزيد على 20 عاماً، لكنه لم يهتم مطلقاً باكتشاف بعض التفاصيل عن شبيهه بالاسم؛ الذي تحمل الساحة اسمه، أو بمعرفة أي شيء عن الرجل الطويل الواقف أمامه حاملاً شارة الشرطة، أو الفتى ذي الشعر الرطب الواقف بجانبه، أو الفتاة التي يتكلم الشرطي عنها؛ تلك التي عثروا عليها في الحمام في مكتب المحاماة عبر الشارع. كان الشخص الوحيد الذي يهتم به كارل آنذاك هو الفتاة على غلاف في مين وعمرها، وإن كانت قد جاءت فعلاً من تونسبرغ وتحب التعرض للشمس عارية على شرفة منزلها حتى يستطيع الرجال الذين يمرّون بجانبها رؤيتها.

قال الشرطي: "كنت هنا في يوم مقتل باربرا سفندسن".

قال كارل: "إن كان هذا ما تقوله".

قال الشرطي وهو يشير بإصبعه: "هل يمكنك رؤية التلفاز بجانب

النافذة؟ إنه ليس متصلاً بقابس".

قال كارل وهو يدفع في مين جانباً: "فيليبس. رائع، أليس كذلك؟

خمسون هرتزاً، شاشة مسطحة، صوت مجسّم، تيلتكست، مذياع. يُباع بسبعة كرونات وتسعة شلن، لكن يمكنك الحصول عليه مقابل خمسة كرونات وتسعة شلن".

"لقد رسم شخص ما شيئاً على الغبار المتجمع على شاشة التلفاز، هل

تراه؟".

تنهّد كارل: "حسناً إذًا، خمسة كرونات وستة شلن".

قال الشرطي: "لا أهتم إطلاقاً بالتلفاز اللعين. أريد أن أعرف من فعل

هذا".

قال كارل: "لماذا؟ لم أكن أفكر حقاً في الإبلاغ عن ذلك".

مال الشرطي فوق النضد، وأدرك كارل من لون وجهه أنه لا يحب

الأجوبة التي يحصل عليها.
"أصغ إليّ جيداً، نحن نحاول العثور على قاتل، ولديّ سبب يدفعني إلى الظن أنه كان هنا يرسم على شاشة ذلك التلفاز. هل هذا واضح كفاية؟".

أوماً كارل صامتاً.
"ممتاز. والآن، أريد منك التفكير جيداً".
استدار الشرطي حين رنّ جرس خلفه، وظهرت امرأة تحمل صندوقاً معدنياً في المدخل.

قال الشرطي مشيراً: "تلفاز فيليبس".
أومات من دون أن تنبس بكلمة، وجثمت أمام الجدار حيث يوجد التلفاز وفتحت صندوقها.

حدّق كارل إليهما بعينين مشدوهتين.
قال الشرطي: "حسناً؟".
كان قد بدأ يتضح لكارل أن هذا أهم من ليز من تونسبرغ.
تمتم: "لا يمكنني تذكّر كل من دخل إلى هنا". ممّا يعني أنه لا يتذكر أحداً.

كان الأمر على تلك الحال فعلاً، فالوجوه لا تعني له شيئاً، وقد نسي حتى وجه ليزا آنذاك.

قال الشرطي: "لا أريد أن أعرفهم جميعاً، وإنما ذلك الشخص فقط.
تبدو الأمور هادئة قليلاً هنا اليوم".
هزّ كارل رأسه مدعناً.

سأل الشرطي: "ماذا إن عرضت عليك بعض الصور؟ هل ستتعرف إليه؟".

"لا أدري. لم أذكرك...".

قال الفتى: "هاري...".

"لكن، هل رأيت أحداً يرسم على شاشة التلفاز؟".

"هاري...".

كان كارل قد رأى شخصاً في المتجر في ذلك اليوم، وخطر له ذلك حين دخل رجال الشرطة وسألوه إن كان قد شاهد أي شيء مشبوه. كانت المشكلة أن ذلك الشخص لم يفعل شيئاً يلفت الانتباه، باستثناء وقوفه وتحديقه إلى شاشات التلفاز. لذا، ماذا كان يجدر به أن يقول؟ أيقول إن شخصاً لا يتذكر وجهه دخل متجره وتصرّف على نحو مريب ويسبّب فوضى

كبيرة واهتماماً غير مرغوب فيه بالمتجر؟
قال كارل: "لا، لم أرَ أحداً يرسم على شاشة التلفاز".
تمتم الشرطي شيئاً ما.
"هاري...". أمسك الفتى قميص الشرطي. "إنها الساعة الخامسة".
شدَّ الشرطي قامته ونظر إلى ساعة معصمه وقال: "بتي، هل يمكنك
رؤية شيء؟".

قالت: "من المبكر قول أي شيء. هناك علامات كافية، لكنه مرّر
إصبعه، لذا من الصعب العثور على بصمة كاملة".
"اتصلي بي".

رنَّ الجرس فوق الباب مجدداً، وأصبح كارل والمرأة صاحبة الصندوق
الحديدي بمفردهما في المتجر.

أمسك صورة ليز من تونسبرغ مجدداً، لكنه بدّل رأيه. ترك وجهها
نحو الأسفل وذهب إلى الشرطة. كانت تنظف بفرشاة صغيرة نوعاً من
المسحوق رشته على الشاشة، واستطاع رؤية ذلك آنذاك؛ الرسم على الغبار.
كان الوقت وقت توفير، حتى في التنظيف، لذا لم يكن مفاجئاً أن الرسم
لا يزال هناك بعد مرور بضعة أيام، لكن المفاجئ هو الرسم بحد ذاته.
سأل: "ماذا يفترض أن يكون هذا؟".

قالت: "لا أدري. لقد قيل لي اسمه للتو".

"وما هو؟".

"نجم خماسي الرؤوس".

الفصل العشرون:

الأربعاء. بناء دار العبادة الكبرى

التقى هاري وأوليغ راكيل في أثناء خروجها من حوض السباحة المكشوف في فرونغر. ركضت نحو أوليغ وأحاطته بذراعيها في حين نظرت شزراً إلى هاري.

همست: "ماذا تظن أنك فاعل؟".

وقف هاري هناك مُرخياً يديه إلى جانبيه، وهو ينقل ثقله من قدم إلى أخرى. كان يعرف أن بمقدوره منحها جواباً، وأن يقول إن ما فعله محاولة لإنقاذ أشخاص في المدينة، لكن قوله ذلك سيكون كذبة. كانت الحقيقة أن ما فعله ويفعله دائماً شيء خاص به، لكنه يترك كل من حوله يدفعون الثمن، والأمر دائماً على تلك الحال، وسيبقى دائماً كذلك. وإذا أنقذ حياة بعض الأشخاص فسيكون ذلك مكافأة له. ولكنه قال بدلاً من ذلك: "أنا آسف". كانت تلك هي الحقيقة على كل حال.

قال أوليغ مبتهجاً: "ذهبنا إلى مكان قصده القاتل المتسلسل". لكنه صمت فجأة حين رأى نظرة الاستنكار على وجه والدته. شرع هاري بالقول: "حسناً -".

فقاطعته راكيل قائلةً: "لا تفعل، ولا تحاول حتى".

هزَّ هاري كتفيه، وابتسم لأوليغ بحزن.

"دعيني أقلكما إلى المنزل".

كان يعرف الرد قبل أن يسمعه. لذا، وقف وراقبهما وهما يتعدان. مشت راكيل بخطوات واسعة ونشيطة إلى الأمام، فيما استدار أوليغ ولوَّح له، فلوَّح له هاري بالمقابل.

كان المطعم في الطابق الأعلى من مقر قيادة الشرطة. وقف هاري قرب الباب وجال ببصره في أرجاء الغرفة. وباستثناء شخص جالسٍ إلى إحدى الطاولات وقد أدار ظهره، كانت المساحة الكبيرة خالية تماماً. كان هاري قد قاد سيارته من متنزه فرونغر مباشرة إلى مقر قيادة الشرطة، وعرف في طريقه عبر الأروقة في الطابق السادس أن مكتب توم والر شاغر، لكن المصباح يعمل.

ذهب هاري إلى المنضدة حيث أُغلقت المصاريع الفولاذية، ونظر إلى

التلفاز المعلق في الزاوية. راقب كرة تنزل ممّا يشبه القمّع. ومع أن الصوت كان خافتاً جداً إلا أنه سمع صوت امرأة يقول "خمسة، الرقم هو

خمسة". حالف الحظ أحدهم، وصرَّ كرسي بجانب الطاولة.
"مرحباً يا هاري، المَقْصِف مغلق". كان توم.
قال هاري: "أعرف".

فكّر هاري في ما قد سألته راكيل عنه؛ في ما يفعله حقاً.
"كنت أفكّر في تدخين لفافة تبغ فحسب".
أوماً هاري نحو الباب إلى شرفة السطح التي تستخدم عملياً كغرفة
للتدخين على مدار العام.

كان المنظر من شرفة السطح رائعاً، لكن الهواء حارٌّ كما في الأسفل
في الشارع. كانت شمس بعد الظهر ترسل أشعتها المائلة على البلدة، وقد
استقرت على بيورفيكا؛ وهي منطقة من أوصلو تضم "أتوستراد"، ومستودعاً
لمستوعبات الشحن، وملاذاً للمدمنين، لكنها ستشهد قريباً بناء دار أوبرا
وفنادق وشقق لأصحاب الملايين. بدا أن الثروة قد بدأت تعصف بالمدينة
برمتها، ممّا جعل هاري يفكّر في السلّور في إفريقيا؛ السمك الأسود الكبير
الذي لا يدرك ضرورة السباحة إلى المياه العميقة حين يقلّ منسوب المياه،
ويعلق في النهاية في إحدى البرك الطينية التي تجف ببطء. كانت أعمال
البناء كلها قد بدأت، وتبرز الرافعات مثل ظلال زرافات تحت شمس
الأصيل.

"سيكون المكان رائعاً حقاً".

لم يكن قد سمع توم وهو يقترب.
"سنرى".

مجّ هاري من لفافة تبغه، ولم يكن واثقاً ممّا سيردّ به عليه.
قال والـر: "سيعجبك. إنها فقط مسألة اعتياد على الأمر".
استطاع هاري رؤية أسماك السلّور تستلقي أمامه في الطين بعد جفاف
آخر المياه، وذبولها تتخبّط، فيما أفواهاها مفتوحة في محاولة للتعوّد على
تنفّس الهواء.

"لكنني أريد جواباً يا هاري. يجب أن أعرف إن كنت معنا أم لا".
الغرق في الهواء، ربما لم يكن موت أسماك السلّور أسوأ من موت أي
كائن آخر. كان يُفترض بالموت غرقاً أن يكون لطيفاً نسبياً.
قال هاري: "اتصلت بتي، وقد توثقت من البصمات في متجر التلفاز".
"جيد".

"إنّها مجرد بصمات جزئية، والمالك لا يتذكر شيئاً".
"هذا مؤسف. يقول أون إنهم حصلوا على نتائج جيدة من التنويم

المغناطيسي لشهود نسوا ما رأوه في السويد. ربما يجب أن نجرب ذلك".
"بالتأكيد".

"وهناك معلومة مثيرة للاهتمام من الطب الشرعي هذا الأصيل، عن
كاميلا لوين".
"ماذا؟".

"تبين أنها حامل في الشهر الثاني. لكن، لا أحد ممن تكلمنا معهم من
معارفها يعلم من قد يكون الوالد. لا أفترض أن لذلك علاقة بموتها، لكن
سيكون مثيراً للاهتمام أن نعرف".
"حسناً".

وقفا صامتين، ثم ذهب والر نحو الدرايزين ومال من فوق الحافة.
"أعرف أنني لا أعجبك يا هاري، ولا أطلب منك أن تُعجب بي بين
ليلة وضحاها". صمت قليلاً ثم تابع: "لكن، إذا كنا سنعمل معاً فيجب أن
نبدأ من مكان ما، وأن نكون ربما أكثر انفتاحاً في التعامل مع بعضنا".
"انفتاحاً؟".

"نعم، هل يبدو هذا خطراً؟".
"قليلاً".

ابتسم توم والر. "اتفقنا، لكن يمكنك أن تبدأ. اسألني عن أي شيء
تود معرفته عني".

"أي شيء أود معرفته؟".

"نعم، أي شيء على الإطلاق".

"هل كنت أنت من أطلق النار...؟". ثم صمت هاري، وبعد ذلك قال:
"لا بأس. أريد أن أعرف ما الذي يجعلك تصمد؟".
"ماذا تعني؟".

"ما الذي يجعلك تستيقظ في الصباح وتفعل ما تفعله؟ ما الذي
تسعى إليه؟ ولماذا؟".

"فهمت". أمعن توم التفكير في الأمر لبعض الوقت، ثم أشار إلى
الرافعات.

"هل ترى تلك؟ هاجر جدُّ جدِّي من إسكتلندا مع 6 أغنام سذرلاند
ورسالة من جمعية البنائين في أبردين. ساعد في بناء المنازل التي تراها على
طول أكرسلفا وإلى الشرق على طول خط السكة الحديدية. لاحقاً، هذا
أبناؤه حذوه، وأبناؤهم أيضاً، وصولاً إلى والدي. اتخذ جدِّي لنفسه لقباً
نرويجياً، لكن عندما انتقل إلى الغرب من أوصلو، أعاده والدي سيرته الأولى.

والر، والر؛ الجدار. لم يكن اسماً يتباهى به، لكنه ظنّ أيضاً أن أندرسن اسم شائع جداً بالنسبة إلى قاضٍ مستقبلي".
راقب هاري والر، وحاول رؤية الندبة على ذقنه. "إذاً، كنت تتدرب لتصبح قاضياً؟".

"كانت تلك هي الخطة حين بدأت بدراسة الحقوق، وربما كنت سأستمر لو لم يحدث ما حدث".
"ماذا حدث؟".

هزَّ والر كتفيه. "توفي والدي في حادثة في العمل. هذا غريب، لكن عندما يختفي والدك من الوجود تكتشف فجأة أن الخيارات التي اتخذتها كانت له ولك على حدٍ سواء. أدركت فوراً أن لا شيء يجمعني مع طلاب الحقوق الآخرين، وأفترض أنني كنت مثالياً وساذجاً. فقد ظننت أن هذا كله يتعلق برفع راية العدالة ودفع الدولة الديمقراطية الحديثة إلى الأمام. على كل حال، اكتشفت أن معظم الناس يفكرون في الحصول على لقب ووظيفة وميزات كافية؛ لإثارة إعجاب ابنة الجيران في أولرن. حسناً، هل درست الحقوق لأنك أردت ذلك...".
أوما هاري.

قال والر: "ربما كان هذا في المورثات. على كل حال، أحببت دائماً بناء أشياء كبيرة؛ منذ أن كنت صغيراً. بنيت قصوراً كبيرة بقطع الليغو، أكبر بكثير من الأشياء التي بناها كل الأولاد الآخرين. أدركت حين كنت أدرس الحقوق أنني مجبول من طينة مختلفة عن كل أولئك الأشخاص ذوي العقول الصغيرة والأفكار الهامشية. وبعد شهرين من جنازة والدي تقدمت بطلب إلى كلية الشرطة".

"وأنهيت تخرّجك وأنت في المرتبة الأولى؛ وفقاً للشائعات".
"في المرتبة الثانية".

"وهنا في مقر قيادة الشرطة كان عليك أن تبني قصرك؟".
"لم أضطر إلى هذا، ولن يكون عليّ القيام بهذا يا هاري. عندما كنت صغيراً أخذت قطع الليغو من أولاد آخرين لجعل مباني كبيرة كفاية. إنّ هذا يتعلّق بما تريده. هل تريد منزلاً صغيراً ضيقاً لأشخاص حياتهم بائسة وخالية من المتعة، أم تريد بناء دور أوبرا ودور عبادة، ومبانٍ مهيبة تحدد الطريق إلى شيء أروع؛ شيء يمكن أن تكافح من أجله".
مرّر والر يده على طوال الدرابزين الفولاذي.

"بناء دور العبادة حرفة مهمة يا هاري. في إيطاليا، يمنحون البنّائين

الذين يموتون في أثناء تشييدهم دار عبادة منزلة مهمة. وعلى الرغم من أن بناء دور العبادة الكبرى يعملون من أجل البشرية، إلا أنه لا توجد واحدة في تاريخ البشر لم تؤسس على عظام البشر ودماء الإنسان. اعتاد جدّي على قول هذا، وستبقى الحال هكذا على الدوام. لقد استُخدمت دماء أسرتي كملاط للعديد من الأبنية التي يمكنك رؤيتها من هنا. أريد ببساطة المزيد من العدالة للجميع، وسأستخدم مواد البناء الضرورية لتحقيق هذا".

أمعن هاري النظر إلى وهج لفافة تبغته وقال:

"وهل أنا مادة بناء؟".

ابتسم والر. "هذه إحدى الطرائق لوصف الأمر، لكن الجواب هو نعم، إن أردت. أنا لدي بدائل...".

لم يمه الجملة، لكن هاري عرف النهاية: "... لكن أنت لا".

سحب هاري مجّة طويلة من لفافة تبغته وسأل بصوتٍ خافت: "ماذا

إن وافقت على الانضمام إليكم؟".

رفع والر أحد حاجبيه ورمق هاري بنظرة ثابتة قبل أن يجيب.

"ستكّلف بأول مهمة لك، وستنفذها وحدك ومن دون طرح أي أسئلة. فعل الجميع قبلك هذا؛ لإثبات ولائهم".

"وما هي؟".

"ستكتشف هذا في الوقت المناسب، لكنها تعني حرق جسور".

"هل تعني خرق القانون النرويجي؟".

"على الأرجح".

قال هاري: "آه! كي يكون لديكم شيء ضدي، وتوثقوا من أنني لن

أشي بكم".

"ربما كنت سأعبر عن ذلك بطريقة مختلفة، لكن الفكرة وصلت".

"ما الذي نتكلم عنه هنا؟ أهو تهريب؟".

"لا يمكنني إخبارك بعد".

"كيف يمكن أن تتوثق من أنني لست مُخبراً من POT أو SEFO؟".

مال والر أكثر فوق الدرابزين وأشار إلى الأسفل. "هل تراها يا

هاري؟".

ذهب هاري إلى الحافة ونظر إلى الأسفل نحو المتنزه. كان الناس لا

يزالون مستلقين على العشب الأخضر مستمتعين بآخر أشعة الشمس.

قال والر: "تلك التي ترتدي ثوب سباحة من قطعتين أصفر اللون. إنه

لون جميل، أليس كذلك".

تهيّجت معدة هاري، فشَدَّ قامته مجدداً.

قال والر من دون أن يشيخ بصره عن المرج: "نحن لسنا أغبياء. إذ إننا نتبع الذين نريد أن ينضموا إلينا. إنها ترتدي ثياباً أنيقة، وهي ذكية ومستقلة؛ مما يمكنني رؤيته. لكنها طبعاً تريد ما تريده كل النساء؛ فهي تريد رجلاً يمكنه أن يعيّلها، إنه علم أحياء صرف. ليس لديك متسع من الوقت، فالنساء مثلها لا يبقين وحدهن طويلاً".

سقطت لفافة تبغ هاري من فوق الحافة، وتركت خلفها شريطاً من

الشرارات.

قال والر: "لقد أصدرتوا تحذيراً من حرائق غابات في كل أوستلاند

أمس".

لم يُجب هاري، وارتعش فقط حين شعر بيد والر على كتفه.

"بصراحة، لقد انتهت المهلة النهائية يا هاري. لكن، لإظهار مدى لطفنا،

سأمنحك يومين إضافيين. إذا لم أسمع شيئاً بحلول ذلك الوقت، فسيكون

العرض لاغياً".

بلع هاري ريقه بصعوبة وحاول إخراج كلمة واحدة، لكن لسانه رفض

إطاعته وبدت غدده اللعابية مثل قاع نهرٍ جافٍ في إفريقيا. استطاع فعل

ذلك أخيراً. "شكراً".

استمتعت بتي لون بعملها، وأعجبها الروتين والإجراءات الأمنية، ومعرفة

أنها ماهرة في عملها، وأن الآخرين في معهد الطب الشرعي في 21 إيه

كيولبرغاتا يعرفون هذا أيضاً. ونظراً إلى أن العمل هو الشيء الوحيد في

حياتها الذي تعتبره مهماً، بدا ذلك سبباً وجيهاً كفاية بالنسبة إليها لتنهض

في الصباح الباكر، في حين أن كل شيء آخر ألحانٌ إضافية. عاشت في منزل

والدتها في أوبسال وحظيت بالطابق الأعلى كله لنفسها، وانسجمت المرأتان

معاً على نحو رائع. كانت دائماً فتاة والدها حين كان على قيد الحياة،

وافترضت أن ذلك سبب انضمامها إلى سلك الشرطة؛ لتكون مثله. لم تكن

لديها هوايات، وعلى الرغم من أنها وهالفورسن، الشرطي الذي يشاطر

هاري مكتبه، قد أصبحت ثنائياً نوعاً ما، إلا أنها لم تكن مقتنعة بذلك.

كانت قد قرأت في مجلة نساء أن هذا النوع من الشك طبيعي، وأنها

يجب أن تُقدم على المخاطر، لكن بتي لم تكن تحب المجازفات، أو الشك،

ولذا تستمتع بعملها.

في أثناء نشأتها كانت تتورّد خجلاً من فكرة أن يكون هناك شخص

يفكر فيها، وقضت معظم وقتها وهي تستنبط طرائق مختلفة للاختباء. كانت لا تزال تشعر بالخجل، لكنها وجدت أماكن جيدة لتختبئ فيها. بدا أن بمقدورها الجلوس بهدوء وسكينة لساعات بين جدران قسم الطب الشرعي البالية المبنية من آجر أحمر وهي تفحص البصمات، وتقارير المقذوفات، وتسجيلات الفيديو، وتقارن أصواتاً، وتحليلات حمض نووي أو أنسجة، وآثار أقدام، ودماء، وعدداً لا ينتهي من الأدلة التقنية التي قد تحل قضايا معقدة ومثيرة للجدل. كانت قد اكتشفت أيضاً أن العمل ليس خطراً تقريباً كما يبدو، وقد استطاعت حتى ذلك الوقت أن تتكلم بصوت عالٍ ووضوح. وتمكنت من كبت فزعها بشأن الخجل، وإراقة ماء وجهها، وملابسها، ووقوفها هناك مكشوفة وهي تشعر بالخزي من شيء لا تعرفه. اعتبرت المكتب في كيولبرغاتا قلعتها، والبزة الرسمية وواجباتها المهنية درعها الذهنية.

أظهرت الساعة أن الوقت 12:30 ظهراً حين رنَّ الهاتف على طاولة مكتبها؛ مقاطعاً قراءتها تقرير المختبر عن إصبع ليزبيث بارلي. بدأ قلبها يخفق بسرعة خوفاً حين رأت على الشاشة أن المتصل يرنُّ من "رقم غير معروف"، وذلك يعني أنه هو. "بتي لون".

كان هو، وجاءت كلماته مثل موجة ضربات. "لماذا لم تتصلي بي بشأن البصمات؟". حبست أنفاسها مجدداً قبل أن ترد. "قال هاري إنه سيمرر الرسالة". "شكراً لك، لقد تلقيتها. في المرة القادمة، اتصلي بي أولاً، هل هذا مفهوم؟".

بلعت بتي ريقها، ولم تعرف إن كان ذلك بسبب الخوف أو الغضب. "لا بأس".

"هل هناك شيء آخر أخبرته به ولم تقولي لي؟". "لا، باستثناء أنني قد حصلت على النتائج من المختبر بشأن ما يوجد تحت الظفر الذي أرسل إلينا عبر البريد".

"إصبع إيزبيث بارلي؟ ما هو؟".

"براز".

"ماذا؟".

"براز".

"شكراً جزيلاً لك، أعرف ما هو. هل لديك أي فكرة من أين جاء؟".

"آه، نعم".

"تصحيح، أقصد من أي شخص جاء".
"لا أعرف يقيناً، ولكن يمكن أن أخمن".
"هلاً تفضّلت...".

"يحتوي البراز دماً، ربما من جراء باسور، وفي هذه الحال تحديداً، إنه دم من زمرة ب. سبعة في المئة فقط من سكان البلد يحملون زمرة الدم هذه. ويلهلم بارلي متبرع بالدم مسجّل. إنه -".
"حسناً، وماذا تستنتجين من هذا؟".

قالت بتي بسرعة: "لا أدري".
"لكنك تعرفين أن الشرح منطقة حسّاسة يا بتي، لدى الرجال والنساء، أم إنك نسيت؟".

أغمضت بتي عينيها بقوة. أرجوك يا الله، لا تدعه يبدأ مجدداً، ليس مجدداً. حدث ذلك منذ وقت طويل، وقد بدأت تنسى وتُخرجه من نظامها، لكن صوته بقي هناك، لطيفاً وقاسياً، مثل جلد أفعى.
"أنتِ بارعة في لعب دور الفتاة العادية يا بتي. أحببتُ هذا، وأعجبني الأمر حين تظاهرت أنك لا تريدينه".
أنت تعرف شيئاً، وأنا أعرف شيئاً، ولا أحد آخر يعرف شيئاً، كما فكّرت.

"هل يفعل لك هالفورسن ما فعلته أنا؟".

قالت بتي: "سأضع السّماعة الآن".

خشخش ضحكته في أذنيها، وعرفت آنذاك أن لا مكان لديها لتختبئ فيه، وأنه يمكنهم العثور عليها في أي مكان؛ تماماً كما وجدوا النساء الثلاث في الأماكن التي يشعرون فيها بالأمان. لم تكن هناك قلعة، ولا درع.
كان أويستن جالساً في سيارته في صف سيارات الأجرة في بوابة ثريسيس، مصغياً إلى شريط رولينغ ستونز حين رنّ الهاتف.
"سيارات أجرة أوسلو -".

"مرحباً يا أويستن، أنا هاري. هل معك أحد في السيارة؟".

"زيد وعبيد فقط".

"ماذا؟".

"أعظم فرقة في العالم".

"أويستن".

"نعم؟".

"ستونز ليست أعظم فرقة في العالم، وليست حتى ثاني أعظم فرقة في العالم. إنها الفرقة الأكثر مغالاة في التقدير في العالم، ولم يكن زيد وعبيد من كتب خيول جامحة، وإنما غرام بارسونز".
"هذه أكاذيب وأنت تعرف هذا! سأنهاي المكاملة -".

"مرحباً؟ أويستن؟".

"قل لي شيئاً لطيفاً، بسرعة".

"تحت إبهامي ليس لحناً سيئاً، ومنفى في الشارع الرئيس رائع أيضاً".
"لا بأس، ماذا تريد؟".

"أحتاج إلى مساعدة".

"إنها الثالثة صباحاً، ألا يجب أن تكون نائماً الآن؟".

قال هاري: "جافاني النوم، وأخاف كلما أغمضت عيني".

"أهو الكابوس السابق نفسه؟ ذاك الشيء المتعلق بالمصعد؟".

"أعرف تماماً ما سأراه وأشعر بالخوف نفسه في كل مرة. هل يمكنك

المجيء إلى هنا بسرعة؟".

"لا يعجبني هذا يا هاري".

"بأي سرعة ستأتي؟".

تنهَّد أويستن. "امنحني ست دقائق".

كان هاري واقفاً في المدخل مرتدياً جينزه فقط حين صعد أويستن

السلام.

جلسا في غرفة المعيشة من دون أن يشعلا المصابيح.

"هل لديك شراب شعير؟". نزع أويستن قبعته السوداء التي تحمل

شعار بلايستيشن، ودفع خصلة شعر رقيقة مبللة بالعرق إلى الخلف.

هزَّ هاري رأسه.

قال أويستن، وهو يضع علبة فيلم آلة تصوير سوداء على الطاولة:

"خذ هذه. أنا أضمنها لك. فلونيبام، نوم أكيد، حبة واحدة أكثر من كافية".

حدَّق هاري إلى العلبة. "لم أطلب منك المجيء لهذا السبب يا

أويستن".

"حقاً!".

"لا. أريد أن أعرف كيف تحل شيفرة ما، وكيف تتحايل عليها؟".

"هل تعني اختراق شيء ما؟". رمق أويستن هاري بنظرة دهشة وقال:

"هل تريد اختراق كلمة سر؟".

"نوعاً ما. هل قرأت عن القاتل المتسلسل في الصحيفة؟ أظن أنه

يرسل إلينا شيفرات".

أنار هاري مصباحاً وقال: "انظر إلى هذا".

قرأ أويستن الورقة التي وضعها هاري على الطاولة يامعان. "نجم؟".

"نجم خماسي. ترك لنا شيفرتين في اثنين من أماكن الجرائم. كان

أحدهما منقوشاً على عارضة خشبية فوق السرير، والآخر مرسوماً على الغبار المتراكم على شاشة تلفاز في متجر قبالة مسرح الجريمة".

تفحص أويستن النجم وأوماً. "وأنت، هل تظن أن بمقدوري إخبارك

عماً يعنيه؟".

"لا". نظر هاري إليه وتابع: "لكنني كنت آمل أن تخبرني شيئاً عن

مبادئ اختراق الشيفرات".

"كانت الشيفرات التي اخترقتها رياضية يا هاري، ومع الشيفرات

الشخصية ستكون الدلالات مختلفة تماماً. مثلاً، لا يمكنني حتى الآن فك

شيفرة ما تقوله النساء حقاً".

"تخيّل أن هذا كلا الأمرين؛ منطق بسيط ومعنى مجازي".

"لا بأس، لنتكلم عن التشفير والشيفرات. لترى ذلك أنت بحاجة إلى

كُلّ من المنطق وما يدعى تفكيراً تناظرياً. يعني الأخير أن تستخدم اللا
وعي والحدس، وبكلمات أخرى ما لا تدرك أنك تعرفه سابقاً، ثم تجمع

التفكير النمطي مع تعرف الأنماط. هل سمعت بالان تورينغ؟".

"لا".

"إنّه إنكليزي. لقد فكّ شيفرات الألمان في أثناء الحرب. وباختصار، لقد

جعلهم يخسرون الحرب العالمية الثانية. قال إنه من أجل فكّ شيفرة ما

يجب عليك أولاً أن تعرف النطاق الذي يعمل فيه خصمك".

"ما الذي يعنيه بهذا؟".

"إذا كان بمقدوري شرح ذلك بهذه الطريقة فسأقول إنه يعني

المستوى الواقع فوق الأحرف والأرقام، فوق اللغة؛ الأجوبة التي لا تخبرك

كيف وإيها لماذا. هل تفهم؟".

"لا، لكن أخبرني كيف تفعل هذا".

"لا أحد يعرف. إنها أشبه بالموهبة".

"لنفترض أنني أعرف السبب، فما الذي يحدث بعد هذا؟".

"يمكن أن تسلك الطريق الطويلة، وتختبر كل البدائل حتى تموت".

"لست أنا من سيموت، وليس لديّ وقت إلا لسلوك الطريق

المختصرة".

"لا أعرف إلا طريقة واحدة فقط؟".

"وما هي؟".

"غشية".

"طبعاً غشية".

"لا أمزح. تحدّث إلى البيانات باستمرار حتى تتوقف عن التفكير الواعي. إنه مثل إجهاد عضلة حتى تتشنج وتبدأ بالتحرك من تلقاء نفسها. هل رأيت من قبل قدم متسلق تتشنج وهو عالق في الجبال؟ حسناً، الأمر مماثل. دخلت عام 1988 حساب مصرف دن نورسك في أربع ليالٍ، باستخدام أربع نقاط مجمّدة من مادة مخدّرة. إذا فكّ لا وعيك الشيفرة، فستصل إلى هناك، وإذا لم يفعل...".

"ماذا؟".

ضحك أويستن قائلاً: "فسأفك أنا شيفرتك. أقسام علم النفس مملوءة بأشخاص مثلي".

"مم، غشية؟".

"غشية، حدس، وبعض المساعدة الصيدلية...".

أمسك هاري العلبة السوداء ورفعها أمامه.

"هل تعرف أمراً يا أويستن؟".

"ماذا؟".

رمى العلبة عبر الطاولة فالتقطها أويستن.

"كنت أكذب بشأن تحت إبهامي".

وضع أويستن العلبة على حافة الطاولة وعقد رباطي زوج بالٍ جدّاً من أحذية بوما كان قد اشتراه قبل وقت طويل من عودة أزياء الماضي.

"أعرف. هل ترى راكيل؟".

هزّ هاري رأسه.

"هذا ما يزعجك، أليس كذلك؟".

قال هاري: "ربما. لقد عُرض علي عمل. لا أعرف إن كان بمقدوري

رفضه".

"حسناً، من الواضح أنك لا تتكلم عن العمل الذي عرضه مديري

عليك".

ابتسم هاري.

قال أويستن وهو ينهض: "آسف، لست الرجل المناسب لتسألني عن

نصيحة بشأن العمل. سأضع العلبة هنا، وافعل بها ما تشاء".

الفصل الحادي والعشرون:

الخميس. بغماليون

نظر رئيس النُّدُل إليه من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه، فقد منحته ثلاثون سنة في العمل حاسة شم للمشكلات، وتفوح من هذا الرجل رائحة كريهة من مسافة بعيدة. لم تكن المشكلة سيئة كثيراً. وفي الحقيقة، إن فضيحة كبيرة من وقت إلى آخر هي ما يتوقعه زبائن مقهى مسرح فيينا. يجب أن تكون مشكلة من النوع الصحيح، كما حدث حين أنشد فنانون يافعون طموحون من بهو مقهى المسرح أنهم نجوم المستقبل، أو حين ادعى ممثل رئيس ثمل من المسرح الوطني بصوت عالٍ أن الملحوظة الإيجابية الوحيدة التي يمكنه قولها عن الممول الشهير الذي يجلس إلى الطاولة المجاورة هي أنه شاذ، ويُستبعد أن يُنجب ذرية. على كل حال، لم يبدُ أن الشخص الواقف أمام رئيس النُّدُل لديه شيء ذكي أو بارع يقوله، وأوحى مظهره بنوعٍ مملٍّ من المشكلات: فاتورة غير مدفوعة، ثمالة وشجار. كانت الإشارات الخارجية - جينز أسود، وأنف أحمر، ورأس أصلح - قد جعلته يظن أنه أحد عاملي المسرح الثملين الذين يعيشون في قبو بورنز. ولكن، عندما طلب الرجل أن يتكلم إلى ويلهلم بارلي عرف أنه أحد جرذان المجاري من صحفيي توتسروبيكلرن الذين يقصدون مطعم الهواء الطلق لو ليد. لم يكن يحترم الصحفيين الذين نهشوا من دون حرج ما تبقى من بارلي المسكين بعد الاختفاء المأساوي لزوجته الفاتنة. سأل رئيس النُّدُل، وهو ينظر إلى دفتر الحجز: "هل أنت واثق أن السيد المعني هنا؟". رغم أنه يعرف تماماً أن بارلي قد جاء عند الساعة العاشرة بالضبط؛ كما هي عادته، وجلس إلى طاولته المعتادة في الشرفة المحاطة بالزجاج قبالة ستورتينغاستا. كان الشيء الغريب - الذي أثار قلق رئيس النُّدُل قليلاً بشأن حالة بارلي العقلية - أن المنتج المرشح قد اقترب غلطة في ما يتعلق باليوم، وجاء الخميس بدلاً من يومه المعتاد، الأربعاء. قال الرجل الذي كان يقف أمامه: "انس الأمر، يمكنني رؤيته". وابتعد. كان هاري قد عرف ويلهلم بارلي من شعر رقبته. ولكن، عندما اقترب منه بدأ يتساءل إن كان مخطئاً.

"سيد بارلي؟"

"هاري!"

أشرفت عينا ويلهلم، لكنهما فقدتا البريق بالسرعة نفسها. كانت وجنتاه غائرتين، والجلد الذي بدا معافى وأسمر من التعرُّض للشمس قبل عدة أيام

تغطيه الآن طبقة من مسحوق أبيض باهت. تراءى له أن ويلهلم بارلي قد تقلص، وبدت كتفاه العريضتان أضيق.

"أتناول معي الرنكة؟". أشار ويلهلم إلى الطاولة أمامه. "إنها أفضل ما في أوسلو، وأتناولها كل أربعاء. يقولون إنها مفيدة للقلب، ولكن ذلك يعني مسبقاً أن لديك واحداً، والناس الذين يأتون إلى هذا المقهى...". فتح ويلهلم ذراعيه ليشير إلى الغرفة الخاوية تقريباً.

قال هاري وهو يجلس: "لا، شكراً".
"تناول رغيفاً من الخبز على الأقل". مدَّ ويلهلم يده إلى سلة الخبز.
"هذا هو المكان الوحيد في النرويج الذي يمكن أن تأكل فيه خبز شمرة يحتوي على بذور كاملة. إنه ممتاز مع الرنكة".
"أريد قهوة فقط، شكراً لك".

أشار ويلهلم إلى النادل.

"كيف وجدتني هنا؟".

"ذهبت إلى المسرح".

"آه! طلبت منهم أن يقولوا إنني خارج المدينة. الصحفيون...".
حاكى ويلهلم حركة خانقة بيديه. لم يكن هاري واثقاً إن كان يُفترض بذلك أن يعبر عن وضع ويلهلم أو عما يودُّ أن يفعله بالصحفيين.
قال هاري: "أظهرت لهم بطاقة الشرطة وقلت إن الأمر مهم".
"جيد، جيد".

كان اهتمام ويلهلم منصباً على مكان ما أمام هاري حين وصل النادل وهو يحمل فنجاناً ثانياً، وسكب القهوة من دلة موجودة على الطاولة.
انسحب النادل، وتنحج هاري، فوجل ويلهلم وانتبه له.

"إذا كنت قد جئت بأخبار سيئة، فأريد سماعها فوراً يا هاري".
هزَّ هاري رأسه وهو يشرب قهوته.

أغمض ويلهلم عينيه وتمتم شيئاً غير مسموع.

سأل هاري: "كيف حال المسرحية؟".

ابتسم ويلهلم بوهن.

"اتصلت امرأة من القسم الثقافي في داجبلاديت أمس وطرحت السؤال نفسه تماماً. شرحت لها الطريقة التي يجري بها الجانب الفني، ولكن تبين لي أن ما تريد معرفته حقاً هو إن كانت الدعاية المرتبطة باختفاء ليزبيث الغامض وحلول شقيقتها محلها جيدة لمبيعات التذاكر".

حرَّك عينيه.

قال هاري: "حسناً، هل هي كذلك؟".
"هل أنت مجنون يا رجل؟". دوى صوت ويلهلم محدراً. "إنه الصيف،
والناس يريدون الاستمتاع، لا أن يحزنوا على امرأة لا يعرفونها. لقد فقدنا
مصدر الجذب الرئيس: ليزبيث بارلي، نجمة الغناء المغمورة من أرض
مجهولة. فقدانها قبل ليلة الافتتاح ليس جيداً للعمل!".
استدارت بضعة رؤوس في أماكن بعيدة في الغرفة، لكن ويلهلم تابع
كلامه بالصوت العالي نفسه.
"لم نبع أي تذكرة تقريباً. حسناً، باستثناء ليلة الافتتاح؛ فقد نفدت
تذاكر تلك الليلة مثل كعك ساخن. الناس متعطشون جداً إلى الدماء،
ويودون أن يشموا رائحة فضيحة. أساساً يا هاري، نحن نعتمد تماماً على
آراء حماسية للدفع بهذا العمل قدماً. لكن، الآن...".
ضرب ويلهلم بقبضته على غطاء المائدة الأبيض فقفزت دلة القهوة في
الهواء.

"... لا يمكنني التفكير في شيء أقل أهمية من العمل اللعين!".
حدق ويلهلم إلى هاري، وأشارت كل الدلائل إلى أن الثوران سيستمر
إلى أن مسحت يد خفية، من دون أي سابق إنذار، الغضب عن وجهه.
بدا للحظة مذهولاً، وكأنه لا يعرف مكانه، ثم اختلج وجهه فجأة، فأخفاه
بسرعة بيديه. رأى هاري رئيس النُدل يرمقهما بنظرة غريبة مملوءة أملاً.
تمتم ويلهلم من خلف أصابعه: "أعتذر. أنا لا أتصرف هكذا عادة... لم
أزل قسطاً من النوم... أوه تباً، أنا مثير للشفقة!".
نشج، وبدا صوته خليطاً من الضحك والبكاء، ثم ضرب الطاولة بيده
مجدداً وافتعل تكشيرة استطاع تحويلها إلى بسمة متكلفة من نوع ما.
"بماذا يمكنني مساعدتك يا هاري؟ تبدو واهن العزيمة؟".
"واهن العزيمة؟".

"أقصد أنك تبدو حزينا، ومكتئباً، ومنقبض الصدر".
هز ويلهلم كتفيه ووضع ملء شوكة من لحم الرنكة والخبز في فمه
المفتوح، ولمع جلد السمكة فيه. تقدم النادل من الطاولة بصمت، وسكب
الشراب في كأس ويلهلم.
قال هاري: "يجب أن أسألك عن شيء ربما يكون حميمياً على نحو
غير لطيف؟".

هز ويلهلم رأسه فيما كان يتجرع شرابه مع الطعام.
"كلما ازدادت الحميمة، قلّ الإزعاج يا هاري. تذكر أنني فنان".

"لا بأس".

تناول هاري رشفة أخرى من القهوة، وجهّز نفسه ذهنياً.
"وجدنا آثار براز ودم تحت ظفر ليزبيث، وطابق التحليل الأوّلي زمرة دمك. أود أن أعرف إن كنا بحاجة إلى إجراء تحليل حمض نووي عليه".
توقف ويلهلم عن المضغ، ثم وضع سبابة يده اليمنى على شفّتيه،
وحدّق إلى الفراغ حزيناً.

قال: "لا، لا داعي إلى الإزعاج".

"إذاً، كانت إصبعها على تماسٍ مع... برازك".

"أقمنا علاقة في الليلة التي سبقت اختفاءها. نحن نقيم علاقة كل ليلة، وكنا سنفعل ذلك في أثناء النهار أيضاً لو لم يكن الجو حاراً جداً في الشقة".

"وبعد ذلك...".

"أتساءل إن كنا قد مارسنا ركوب الفرس؟".

"آه!".

"أتساءل إن كانت قد دسّت إصبعها في...؟ كما تفعل في كل مرة،
لكن بحذر؛ لأن ستين في المئة من الرجال النزويجين في مثل عمري
مصابون بالباسور. لهذا السبب لم تكن ليزبيث تترك أظفارها تطول كثيراً.
هل تمارس ركوب الفرس يا هاري؟".

غصّ هاري بقهوته.

سأل ويلهلم: "أتفعل ذلك بمفردك؟ يجب أن تفعل ذلك يا هاري،

بوصفك رجلاً خاصة، أقصد أن تدع نفسك عرضة للمسّات في أماكن
حسّاسة جداً. إذا تحلّيت بالجرأة، فستكتشف أنك ستحظى بنطاق أحاسيس
أكبر مما تخيلت. إذا انغلقت على نفسك فستبعد الآخرين عنك وستبقى
بمفردك، ولكنّ إذا كنت منفتح الذهن ولين العريكة وأظهرت ثقة بالنفس،
فستمنح الآخرين فرصة للاقتراب منك".

كان ويلهلم يلوّح بشوكتته.

"طبعاً، الأمر لا يخلو من المخاطرة. إذ يمكن أن يدمّرك ويمزّقوك

أشلاء من الداخل، ولكن يمكن أيضاً أن يحبّوك، وعندها ستحظى بكل
محبتهم يا هاري، وسيصبحون لك. نقول إن الرجل يسيطر على المرأة في
أثناء علاقة، ولكن هل هذا صحيح؟ من يسيطر على الآخر؟ فكّر في ذلك
يا هاري".

فكّر هاري في ذلك.

"الأمر نفسه مع الفنانين. يجب أن نكون منفتحي الذهن، وأن نجعل أنفسنا ليني العريكة، وندع الآخرين يندمجون معنا. ولنحظى بفرصة أن نكون محبوبين يجب أن نجازف بأن نُدمّر من الداخل. نحن نتكلم عن رياضة عالية المخاطر يا هاري، وأنا سعيد لأنني لم أعد أرقص".
عندما ابتسم ويلهلم، سألت دمعتان - واحدة من كل عين - على مسارين متوازيين على وجنتيه حتى اختفتا في لحيته.
"أنا أفقدتها يا هاري".

رگز هاري على غطاء المائدة، وفكر في أن يغادر، ولكنه بقي مكانه. أخرج ويلهلم منديلاً ونظف أنفه بصوت عالٍ قبل أن يسكب ما تبقى في قارورة الشراب في كأسه.
"لا أريد أن أقحم نفسي في شؤونك يا هاري. ولكن، عندما قلت لك إنك تبدو واهن العزيمة أدركت أنك تبدو دائماً على هذه الحال. هل هي امرأة؟".

حرك هاري كوب قهوته.
"أيرجع السبب إلى عدّة نساء؟".
كان هاري على وشك أن يرد بإجابة ستثير أسئلة أخرى، لكن شيئاً ما جعله يبدّل رأيه، وأوماً.
رفع ويلهلم كأسه قائلاً: "إن السبب هو النساء دائماً، هل لاحظت هذا؟ من فقدت؟".

نظر هاري إلى ويلهلم. كان هناك شيء ما في تعبير المنتج الملتحي؛ صدق متألم، وانفتاح واضح ميّزه، وأدرك أن بمقدوره الوثوق به.
قال هاري: "مرضت والدي وتوفيت حين كنت شاباً".
"والآن، هل تفتقدتها؟".
"نعم".

"لكن هناك عدّة نساء، أليس كذلك؟".
دفع هاري كتفيه إلى الأمام. "قبل ستة شهور قُتلت زميلة لي. راكيل فتاتي...". توقف هاري.
"نعم، ما بها؟".

"هذا ليس مثيراً للاهتمام".
"أخمن أنكما قد تطرقتما إلى صلب الموضوع". تنهّد ويلهلم. "وذهب كل منكما في حال سبيله".
"لم نفعل، لكنها تريد ذلك. أحاول أن أجعلها تبدّل رأيها".

"آه، ولماذا تريد الانفصال؟".

"بسبب ما أنا عليه. إنها قصة طويلة، لكن النسخة القصيرة أنني أنا المشكلة، وتود أن أكون مختلفاً".

"هل تعرف أمراً؟ لديّ فكرة. اصطحبها إلى مسرحيتي".
"لماذا؟".

"لأن سيدي اللطيفة مقتبسة من أسطورة إغريقية عن بغماليون النحات الذي يقع في غرام إحدى منحوتاته؛ قلات الجميلة. عندها، يتوسل إلى فينوس لكي تبث الحياة في التمثال حتى يستطيع الزواج منها، ويُسمع تضرّعه. ربما ستثبت المسرحية لراكيل ما يمكن أن يحدث حين تحاول أن تغيّر شخصاً آخر".

"أَنْ من حفر حفرة لأخيه وقع فيها؟".

"على العكس. يحقق بغماليون الذي يقوم بدوره الأستاذ هيغنز نجاحاً مطلقاً في ما عقد العزم عليه في سيدي اللطيفة. أنا أنتج فقط مسرحيات تنتهي نهايات سعيدة، وهذا هو شعاري في الحياة. وإذا لم تكن النهاية سعيدة، فأنا أبتكر واحدة".

هزّ هاري رأسه وابتسم ابتسامة مائلة. "راكيل لا تحاول تغييرني. إنها امرأة ذكية، وستذهب في حال سبيلها بدلاً من ذلك".

"يخبرني حدسي أنها تريد استعادتك. سأرسل إليك بطاقتين لليلة الافتتاح".

أشار ويلهلم إلى النادل لكي يُحضر الفاتورة.

سأل هاري: "ما الذي يجعلك تظن أنها تريد عودتي بحقّ الله؟ أنت لا تعرف شيئاً عنها".

"أنت محق، وأنا أتكلم هراء. احتساء الشراب الأبيض مع وجبة صباحية فكرة جيدة، لكن نظرياً فقط. أنا أشرب أكثر مما ينبغي حالياً، أعتذر".

جاء النادل حاملاً الفاتورة، فوَقَّعها ويلهلم من دون أن ينظر إليها، وطلب منه أن يضعها مع الفواتير الأخرى، ثم غادر النادل.

"إنّ اصطحاب امرأة إلى مسرحية في ليلة الافتتاح بتذكريتين مخصصتين للشخصيات المهمة لا يمكن أن يضر". ابتسم ويلهلم. "صدّقني، لقد جرّبت هذا الأمر من قبل".

ذكّرت ابتسامة ويلهلم هاري بابتسامة والده الحزينة؛ ابتسامة رجل يتطلع قدماً إلى المستقبل؛ لأن الأشياء التي تجعله يبتسم موجودة فيه.

"شكراً جزيلاً لك، لكن...".

"من دون اعتراض. إذا لم يكن هناك شيء آخر، فستكون الدعوة ذريعة لتتصل بها إن لم تكونا تتكلمان معاً حالياً. سأرسل لك التذكريتين يا هاري. أظن أن ليزبيث كانت ستحب هذا، وتويا ستوافق عليه. ستكون مسرحية رائعة".

عبث هاري بغطاء المائدة. "دعني أفكر في الأمر."
"ممتاز، سأحرّك بعض المياه الراكدة قبل أن أذهب للنوم". نهض ويلهلم.

"بالمناسبة". وضع هاري يده في جيب سترته وأخرج ورقة قائلاً: "عثرنا على هذا الرمز قرب اثنين من أماكن الجرائم، ويدعى النجم الخماسي. هل تتذكر رؤيته في أي مكان بعد اختفاء ليزبيث؟".
أمعن ويلهلم النظر إلى الصورة. "لا يمكنني القول إنني رأيته، لا".
مدّ هاري يده إلى الصورة.
"انتظر لحظة". حدّق ويلهلم إلى الصورة مجدداً وهو يحكُّ لحيته.
انتظر هاري.

قال ويلهلم: "لقد رأيته، ولكن أين؟".

"هل رأيته في الشقة؟ أم بجانب السلام؟ أم في الشارع؟".
هزّ ويلهلم رأسه.

"ليس في أيّ من هذه الأماكن، وليس مؤخراً، وإنما في مكان آخر؛
قبل وقت طويل. لكن، أين؟ هل هذا مهم؟".
"ربما. اتصل بي إن خطر لك شيء".

عندما افترقا وقف هاري وحدّق نحو الأعلى إلى درامنسفين حيث
تلقى الشمس أشعتها على خطوط الترام، وحيث الهواء الساخن يمنح انطباعاً
بأنّ العربات تطفو في الجو.

الفصل الثاني والعشرون:

الخميس والجمعة

الإلهام

إن شراب جيم بيم مصنوع من الجاودار والشعير و75 بالمئة من الذرة التي تمنحه طعمه الحلو المميز، وتميزه عن باقي الأنواع. يأتي الماء في جيم بيم من نبع قرب معمل التقطير في كليرموت، كنتاكي، حيث يصنعون أيضاً الخميرة الخاصة التي يزعم بعض الناس أنها تُحضّر وفقاً للوصفة التي استخدمها جاكوب بيم عام 1795. يُخزّن المنتج أربع سنوات على الأقل قبل أن يرسل إلى كل أنحاء العالم ويشتريه هاري هول الذي لا يعير جاكوب بيم أي اهتمام على الإطلاق، ويعرف أن الهراء المتعلق بنبع المياه خدعة تسويقية للتنافس مع فارييس؛ الماء المعدني النزويجي، ونبع فارييس، والنسبة الوحيدة التي يهتم بها هي تلك المكتوبة بأحرف صغيرة على اللصاقة. وقف هاري أمام الثلجة وهو يحمل في يده سكيناً ذات غمد، ويحدّق إلى قارورة السائل الذهبي المائل إلى البني. كان عارياً؛ فقد أرغمته الحرارة الخانقة في الغرفة على التجرد من ثيابه الداخلية التي كانت لا تزال رطبة وتفوح منها رائحة الكلور.

كان قد امتنع عن احتساء الشراب لمدة أربعة أيام آنذاك، والأسوأ قد انتهى، كما قال لنفسه. لكنّ ذلك لم يكن صحيحاً، فالأسوأ بعيد عن النهاية. كان أون قد سأله مرة عن سبب احتسائه الشراب، وقد أجابه هاري حينها من دون تردد: "لأنني أشعر بالعطش". يندب هاري، بطرائق مختلفة، حقيقة أنه يعيش في مجتمع ترجح فيه سلبيات الشراب على إيجابياته. لم تكن أسبابه للبقاء صحيحاً تتعلق بالمبادئ، وإنما كانت عملية؛ إذ بدا مُرهقاً جداً أن تكون مدمناً على الشراب وتكون المكافأة حياة قصيرة وتعيسة من الملل والألم الجسدي. بالنسبة إلى رجل ثمل، تتألف الحياة من الثمالة والأوقات الفاصلة بينها. وكان التساؤل حول أيّ منها هو الحياة الحقيقية سؤالاً فلسفياً لم يحظ قطّ بوقت كافٍ للبحث فيه؛ لأنّ الجواب لن يمنحه حياة أفضل على كل حال، أو أسوأ. ووفقاً لقانون الشمالى الأساسي في الحياة - "العطش الكبير" - إنّ كل شيء جيد - كل شيء - سيتلاشى عاجلاً أم آجلاً. كانت تلك طريقته في النظر إلى المعادلة حتى التقى راكيل، وقد منح ذلك الامتناع عن الشراب بعداً جديداً، لكنه لم يُبطل قانون الشمالى. لم يعد الآن قادراً على تحمّل الكوابيس، إذ يسمع صرخات أخته، أو يرى الرعب في عينيها القاسيتين اللتين تفتقران إلى

الحيوية حين يرتفع رأسها نحو السقف في المصعد. تحرّكت يده نحو الخزانة، ولم يكن بمقدوره أن يترك حجراً من دون أن يقلبه، ووضع السكين ذات الغمد بجانب جيم بيم وأغلق باب الخزانة، ثم عاد إلى غرفة النوم. لم يُبْرِ المصباح، وكان شعاع من ضوء القمر يدخل من بين الستائر. بدت الوسائد والفرش وكأنها تحاول أن تخلص نفسها من غطاء السرير الرطب والمجعد.

أوى إلى السرير. كانت المرة الأخيرة التي نام فيها من دون أن يرى كابوساً حين غفا بضع دقائق على سرير كامبلا لوين. لقد حلم بالموت آنذاك أيضاً، لكن الفرق أنه لم يشعر بالخوف، وأدرك أنه يمكن للإنسان أن يوصل على نفسه. لكن، يجب أن ينام، وفي النوم لا أحد يستطيع الاختباء. أغمض هاري عينيه.

تحرّكت الستائر وارتعش شعاع ضوء القمر، ولمع على الجدار فوق رأس السرير والعلامات السوداء الناتجة عن استعمال سكين، والتي نُقِشت من دون شك بقوة كبيرة؛ لأن الحفر في الخشب كان عميقاً. شكّل خط الحفر المتصل نجماً كبيراً ذا خمسة رؤوس.

استلقت على السرير وهي تصغي إلى حركة السير في الخارج، في ترويسكا، وإلى تنفسه العميق المنتظم بجانبها. ظنّت أحياناً أن بمقدورها سماع صرخات من حديقة الحيوانات، لكن ربما كانت مجرد قطارات ليلية في الطرف الآخر من النهر يستخدم سائقوها المكابح قبل أن تدخل المحطة الرئيسية. قال إنه يحب أصوات القطارات حين تخرج من ترويا، الواقعة على قمة علامة الاستفهام البنية التي يشكّلها نهر فلتافا في طريقه عبر براغ. كان المطر يهطل.

بقي خارج المنزل طوال اليوم، في برنو كما قال. وعندما سمعته أخيراً يفتح قفل الباب الأمامي لشقتهم هدأت. سمعت كشط حقيبته على أرضية الردهة قبل أن يدخل غرفة النوم، وتظاهرت أنها نائمة، لكنها راقبته سراً وهو يعلّق ببطء وهدوء ثيابه على المشجب، ويلقي بين الفينة والأخرى نظرة إلى المرأة بجانب الخزانة ليراها. تسلل بعد ذلك إلى السرير، وكانت يده باردتين، وجلده دبقاً بعرق جاف. أقاما علاقة على صوت المطر المنهمر على السقف الآجري، ثم نام بعد ذلك مثل طفل. عادة، كانت تنام بعد انتهاء العلاقة، لكنها استلقت الآن مستيقظة.

تظاهرت أنها لا تعرف ما يبقيها مستيقظة رغم أن ذهنها عاد دائماً إلى الشيء نفسه؛ إلى أنها قد عثرت على شعرة شقراء طويلة قليلاً على

ردن ستره بزته حين كانت تنظفها بالفرشاة بعد يوم من عودته إلى المنزل من أوصلو، وإلى التفكير في أنه سيعود إلى أوصلو يوم السبت وستكون تلك الرحلة هي الرابعة في أربعة أسابيع، وأنه لم يخبرها بعد عما يفعله هناك. طبعاً، من الممكن أن تكون الشعرة من أي كائن حي؛ من رجل أو حتى من كلب.

بدأ يشخر.

عادت أفكارها إلى الوقت الذي التقيا فيه، وإلى وجهه البشوش وثقته بنفسه وصراحته التي أساءت تفسيرها على أنها تعني أنه شخص منفتح على الآخرين. كان قد جعلها تذوب مثل ثلوج الربيع في ساحة فاكلاف. ولكن، عند وقوع فتاة بسهولة في حبال رجل فسيكون هناك دائماً شك ينتابها بأنها ليست الوحيدة التي قد وقعت بالطريقة نفسها.

عاملها باحترام، ومثل نذ له تقريباً، رغم أنه يستطيع أن يحصل على أي من الفتيات في برلوف. كان كسباً مفاجئاً لها، والشخص الوحيد الذي حظيت به يوماً، والوحيد الذي يمكن أن تخسره. جعلها تيقن أنها من هذا الأمر تتوخى الحذر، ومنعها من طرح أسئلة عن الأماكن التي يذهب إليها، ومن يكون برفقتهم، وماذا يعمل حقاً.

على كل حال، حدث شيء ما جعل معرفتها أن بمقدورها الثقة به أمراً ضرورياً؛ إذ أصبح لديها شيء أكثر قيمة قد تخسره. لم تقل له أي شيء بعد، ولم تكن هي نفسها واثقة بالأمر قبل ذهابها إلى الطبيب منذ ثلاثة أيام.

انسلت من السرير ومشيت على أطراف أصابع قدميها على الأرضية. ضغطت بحذر مقبض الباب إلى الأسفل وهي تراقب وجهه في المرآة فوق خزانة الملابس، ثم خرجت إلى الرواق، وأغلقت الباب خلفها بحرص. كانت الحقيبة رمادية بلون الرصاص، وحديثة وتحمل علامة سامسونايت التجارية. بدت جديدة تقريباً، إلا أن جانبيها مخدوشان ويحملان لصاقات ممزقة من نقاط تفتيش أمنية وأسماء أماكن لم تسمع بها من قبل. رأت في الضوء الخافت أن أرقام القفل هي 0-0-0؛ كما هي حاله دائماً. لم تكن بحاجة إلى محاولة فتح الحقيبة، فهي تعرف أنها لن تفتح. لم تر الحقيبة مفتوحة قط، باستثناء المرة التي كانت مستلقية فيها على السرير وشاهدته وهو يخرج ثياباً من الأدراج ويضعها فيها. رأت أرقام القفل بمحض المصادفة في المرة الأخيرة التي حزم ملابسه فيها، ولحسن حظها كانت أرقام القفل واضحة بالنسبة إليها. لم يكن حفظ ثلاثة أرقام

صعباً بالنسبة إليها؛ ليس حين تضطر إلى ذلك. لم يكن صعباً أن تنسى كل شيء آخر وتتذكر الأرقام الثلاثة الخاصة بغرفة في فندق حين يتم الاتصال بها وإخبارها أن خدماتها مطلوبة، أو ما يجب أن ترتديه، وأي أشياء خاصة أخرى.

أرهفت السمع، وبدا شخيره مثل منشار خافت الصوت من خلف الباب. كانت هناك أشياء تتعلّق بها ولا يعرفها؛ أشياء ينبغي ألاّ يعرفها؛ أشياء أُرغمت على فعلها. لكن ذلك من الماضي الآن. وضعت أطراف أناملها على المسنّات فوق الأرقام وأدارتها، وفكّرت أن المستقبل هو الشيء الوحيد المهم من الآن فصاعداً.

فُتح القفل مُصدراً تَكَّة خافتة. حدّقت من وضعية الجثو، ورأت تحت القفل، وفوق قميص أبيض، غرضاً معدنياً أسود قبيحاً. لم تكن بحاجة إلى لمسه لتعرف أنه حقيقي، فقد سبق لها أن رأت مسدساً من قبل، في سنواتها السابقة.

بلعت ريقها، وحين شعرت أنها على وشك أن تذرّف الدموع، ضغطت بأصابعها على عينيها. همست مرتين باسم والدتها لنفسها، ولم يستمر شعورها ذاك إلا بضع ثوان فقط.

سحبت بعد ذلك نفساً عميقاً مهدّئاً. عرفت أن عليها تجاوز ذلك؛ أن عليهما تجاوزه. هذا يفسر على الأقل سبب عدم إخباره إيّاها الكثير عن مهنته، وما يجعله يكسب تلك الأموال الطائلة التي يبدو واضحاً أنه يجنيها. وقد خطرت لها الفكرة، أليس كذلك؟

حزمت أمرها. كانت هناك أشياء لا تعرفها، أشياء ينبغي ألاّ تعرفها. أوصدت الحقيقية وأعدت أرقام القفل إلى الصفر. أرهفت السمع وهي تقف قرب الباب قبل أن تفتحه بحذر وتنسل إلى الداخل. شاهدت مستطيلاً من الضوء على السرير، ولو ألقت نظرة على المرأة قبل أن تغلق الباب، لرأت إحدى عينيه مفتوحة. لكنها كانت مستغرقة بأفكارها جداً، أو بالأحرى كانت مستغرقة بالفكرة التي راودتها مراراً وتكراراً وهي مستلقية على السرير ومصغية إلى حركة السير في الخارج، والصرخات من حديقة الحيوانات، وتنفّسه العميق المنتظم. كان المستقبل هو الشيء الوحيد المهم من الآن فصاعداً.

صرخة، صوت تحطّم قارورة على الرصيف، تبعتهما ضحكة بصوتٍ أجش. ثم سُمعت شتائم ووقع خطوات تجري مبتعدة نحو بوابة صوفيز في اتجاه استاد بيسلت.

حدّق هاري إلى السقف، وأصغى إلى أصوات الليل في الخارج. كان قد نام ثلاث ساعات من دون أحلام قبل أن يستيقظ ويبدأ بالتفكير في النساء الثلاث، ومكاني الجريمتين، ورجل واحد يعرض ثمناً جيداً لروحه. حاول أن يجد شيئاً منظماً في ذلك، وأن يفكّ الشيفرة ويرى النمط، ويفهم البُعد الأعلى من النموذج الذي أشار أويستن إليه، ويعرف الإجابة عن السؤال الذي يسبق كيف، وهو لماذا؟!

لماذا يرتدي شخص ما ملابس عامل خدمة توصيل ويقتل امرأتين وربما ثلاثاً أيضاً؟ لماذا جعل الأمر صعباً جداً بالنسبة إليه حين اختار مسارح جرائمه؟ لماذا ترك رسائل؟ تشير كل النماذج السابقة للقتلة المتسلسلين إلى أن حافزهم جنسي، فلماذا لا يوجد أي دليل على وجود عنف جنسي في حالتها كاميليا لوين وباربرا سفندسن؟

شعر هاري بالصداع فركل غطاء اللحاف بعيداً عنه واستلقى على جانبه. توهجت الأرقام الحمراء على ساعة المنبّه مشيرة إلى 2:51 من بعد منتصف الليل. كان السؤالان الأخيران اللذان طرحهما هاري موجهين إليه: لماذا يتمسك بروحه بقوة إن كانت تحطّم قلبه؟ ولماذا يزعج نفسه بشأن نظام يكرهه؟

وضع قدميه على الأرضية، ثم ذهب إلى المطبخ وحدّق إلى باب الخزانة فوق المغسلة. سكب ماءً من الصنبور في كأس مملأها حتى الحافة، ثم فتح درج أدوات المائدة وأخرج العلبة السوداء. نزع الغطاء الرمادي وألقى المحتويات على راحة كفه. كانت حبة واحدة ستجعله ينام، فيما ستجعله حبتان مع كأس من جيم بيم عصبي المزاج، وفي حال تناول ثلاث حبات أو أكثر فقد تكون العواقب خطيرة وغير متوقعة.

فتح هاري فمه على اتساعه، ورمى ثلاث حبات فيه وبلعها مع ماء فاتر.

ذهب بعد ذلك إلى غرفة الجلوس، وشغل أسطوانة ديوك إلينغتون التي كان قد اشتراها بعد رؤيته جين هاكمان جالسة في حافلة وهي تستمع إلى بعض معزوفات البيانو الأكثر إثارة للكآبة في كل ما سمعه هاري.

جلس على كرسي ذي ذراعين كالأجنحة.

كان أويستن قد قال: "لا أعرف إلا طريقة واحدة فقط".

عاد هاري بذاكرته إلى البداية؛ إلى اليوم الذي تجاوز فيه أندروتر متثاقلاً في طريقه إلى العنوان في أولفالسفين. الجمعة، سانرغاتا، الأربعاء،

كارل برنرز، الاثنين، ثلاث نساء. اليد اليسرى، ثلاث أصابع مبتورة؛ السبابة أولاً، ثم الوسطى، ثم إصبع الخاتم. ثلاثة أماكن؛ مبانٍ فيها جيران، ولكن لا يوجد أفراد من الأسرة. مبنى شقق قديم منذ مطلع القرن الماضي، وبناء من الثلاثينيات، ومبنى مكاتب من الأربعينيات. مصاعد، يمكنه رؤية أرقام الطوابق فوق أبواب المصاعد. كان ماغنوس سكار قد تكلم مع عمال في خدمة التوصيل محترفين في أوصلو والمقاطعة المحيطة بها، ولم يتمكنوا من مساعدته في ما يتعلّق بمعدّات الدراجة الهوائية أو الكنزة الصفراء، ولكنهم استطاعوا من خلال عقود التأمين - التي تتضمن خدمات طوارئ - الحصول على موجز عن كل الأشخاص الذين اشترؤا في الشهور الستة الماضية درّاجات مكلفة من النوع الذي استخدمه القاتل.

شعر بإحساس الخدر يتسلل إليه، ووخز الكرسي الخشن فخذه وردفيه العارية.

الضحايا: كاميليا؛ موظفة في مكتب إعلاني، عزباء، عمرها 28 سنة، سمراء، ريّانة قليلاً. ليزبيث؛ مغنية، متزوجة، عمرها 33 سنة، شقراء، نحيلة. باربرا؛ موظفة استقبال، عمرها 28 سنة، تعيش مع والديها، شقراء نوعاً ما. كانت النساء الثلاث حسناوات، ولكنهنّ لسن رائعات الجمال. أوقات الجرائم - على افتراض أن ليزبيث قُتلت فوراً - كلّ منها حصلت في عطلة نهاية الأسبوع، في الأصيل، وبعد ساعات العمل.

كان ديوك إلينغتون يعزف بسرعة؛ وكان رأسه مملوء بمقطوعات موسيقية يريد إخراجها منه. بدا أنه قد توقف عن العزف تماماً آنذاك، وأنه يضيف فقط نقاط الوقوف الأساسية.

لم يكن هاري قد استعرض خلفيات الضحايا، أو تكلم مع أقاربهن وأصدقائهن، وإنما قرأ التقارير من دون أن يجد شيئاً يلفت انتباهه. لم يكن الجواب موجوداً هناك، أو يتعلّق بهوية كلّ من الضحايا، وإنما يتعلّق بما يفعلنه وما يمثّلنه. بالنسبة إلى ذلك القاتل، لم تكن الضحايا أكثر من نساء غريبات تم اختيارهن عشوائياً تقريباً؛ مثل كل شيء حوله. كانت المسألة تتعلّق برؤية لمحة عن الأمر، ومشاهدة النموذج.

عملت المواد الكيميائية بعد ذلك بقوة، وبدا من تأثيرها أنها عقاقير هلوسة أكثر من كونها حبوباً منومة. وأفسح التفكير مجالاً للأفكار، فأبحر فيها من دون أي سيطرة عليها إطلاقاً - وكأنه في برميل - في نهر. خفق الوقت ونبض مثل كون يتوسّع، وعندما استرد وعيه، كان كل شيء حوله ساكناً، ولم يسمع إلا صوت إبرة مشغّل الأسطوانات وهي تخدش اللصاقة.

ذهب إلى غرفة النوم، وجلس على حافة السرير واضعاً ساقاً فوق أخرى، وركّز اهتمامه على النجم الذي بدأ بعد مرور بعض الوقت يتراقص أمام عينيه، فأغمضهما. كان الأمر يتعلق بإبقائه في مجال الرؤية فقط. عندما أشرقت الشمس في الخارج، أضحى كل شيء وراءه. جلس وسمع ورأى، ولكنه كان يحلم. أيقظه صوت ما على السلام، فرفع رأسه وركّز على النجم الذي لم يعد يتراقص.

لم يتراقص أي شيء، وانتهى الأمر، فقد رأى النموذج. كان النموذج لرجل خدرٍ يبحث يائساً عن مشاعر حقيقية؛ أحرق ساذج يصدّق أنه حيث يوجد شخص يُحب تجد الحب، وحيث توجد أسئلة تجد أجوبة؛ نموذج هاري هول. ضرب رأسه على الجدار في نوبة غضب، ورأى شرارات أمام عينيه قبل أن يسقط على سريره. وقع بصره على ساعة المنبه وكانت تشير إلى الخامسة وخمس وخمسين دقيقة، واكتشف أن غطاء اللحاف رطب ودافئ.

ثم - وكان شخصاً ما قد ضغط على زرّ المصباح - فقد الوعي. كانت تسكب القهوة في كوبها. همهم دانكي وقلّب صفحات أوبرفر التي اشتراها من الفندق عند الزاوية، كما اشترى قطع كروسان طازجة كانت هلينكا - صاحبة المخبز المحلي - قد حضّرتها منذ قليل. لم تسافر إلى الخارج من قبل، باستثناء رحلة قامت بها إلى سلوفاكيا فقط التي لم تكن بعيدة حقاً، لكنه طمأنها إلى أنه يوجد في براغ الآن كل ما يوجد في المدن الكبيرة في أوروبا. كانت تريد أن تسافر، وقبل أن تلتقيه، وقع رجل أعمال أمريكي في حبها، وقد قُدّمت له هدية من قبل عميل تجاري في براغ؛ مدير في إحدى شركات الصيدلة. كان رجلاً لطيفاً وبريئاً ورياناً وعلى استعداد لمنحها كل شيء إن ذهبت معه إلى المنزل في لوس أنجلوس. طبعاً وافقت، ولكنها عندما أخبرت قوّادها وأخاها توماس، ذهب إلى غرفة الأمريكي وهدّده بسكين. غادر الأمريكي في اليوم التالي ولم تره مجدداً قط. بعد أربعة أيام، كانت تجلس مكتئبة في فندق غراند أوروبا وتحتمي الشراب حين ظهر. جلس على كرسي في مؤخر الغرفة وراقبها وهي تتجاهل رجالاً مزعجين. كان ذلك ما أعجبه فيها؛ ليس حقيقة أنها مطلوبة من رجال آخرين، ولكن أنها لا تكترث إطلاقاً بتوددهم إليها، وأعجب بعدم مبالاتها العفوية وبساطتها الكاملة.

سمحت له أن يشتري لها كأساً من الشراب، وشكرته، ثم مشت إلى منزلها بمفردها.

في اليوم التالي، رنّ جرس شقة القبو الصغيرة التي تسكنها في
ستراسنايس. لم يخبرها قط كيف اكتشف المكان الذي تقيم فيه، ولكن
حياتها تحوّلت من رمادية إلى حمراء وردية بطرفة عين. وشعرت بالسعادة
والسرور.

أصدرت الصحيفة حفيماً حين قلب ورقة.
كان يجب أن تعرف. ولولا المسدس في الحقيبة ما كانت لتفكر في
الأمر كثيراً.

قرّرت أن تنسى وتمحوّ من ذاكرتها كل شيء باستثناء الشيء المهم؛
إنهما سعيدان، وهي تحبه.

كانت تجلس على المقعد وهي لا تزال ترتدي رداءها، وكانت تعرف
أنه يحبها بالرداء. بالمحصلة، كانت تعرف شيئاً عمّا يعجب الرجال، والخدعة
ألاً تفشي السر. نظرت نحو الأسفل إلى حجرها، وبدأت تبتسم؛ لم يكن
بمقدورها أن تتوقف.

قالت: "لديّ شيء أخبرك به".

"ما - ذا؟". خفقت الصحيفة مثل شرع يواجه الريح.

قالت وهي تشعر أن ابتسامتها تتسع: "عدي ألا تغضب".

قال من دون أن يرفع بصره: "لا يمكن أن أعدك بهذا".

تجمّدت ابتسامتها. "ماذا...".

"أخمن أنك ستخبريني أنك قد فتّشت حقيبتني حين استيقظت في

الليل".

لاحظت لأول مرة أن نبرته مختلفة، ولم تعد رتيبة. وضع الصحيفة

جانباً، ونظر إلى عينيها.

الحمد لله لأنها لم تعد مضطرة إلى الكذب عليه، وعرفت أنه لم يكن

بمقدورها فعل ذلك مطلقاً، ولديها البرهان الآن. هزّت رأسها، ولاحظت أنه

ليس بمقدورها السيطرة على تعابير وجهها.

رفع حاجباً، فبلعت ريقها.

تكتك العقرب الثاني في ساعة المطبخ الكبيرة التي اشترتها من إيكّا

بماله بصمت.

ابتسم وتابع قائلاً: "ووجدت أكواماً من الرسائل من حبيباتي، أليس

كذلك؟".

طرفت عيناها وهما مغرورقتان بالدموع.

مال إلى الأمام. "أنا أمزح يا إيفا. هل هناك خطب ما؟".

أومات، ثم همست بسرعة وكأن هناك حاجة إلى الاستعجال: "أنا حامل. أنا... نحن... سنُزق بطفل".
جلس هناك مذهولاً وهو يحدّق أمامه؛ فيما كانت تتكلم عن شكوكها، وعن زيارتها الطبيب الذي أكد حملها. وعندما أنهت كلامها، نهض وغادر المطبخ، ثم عاد وأعطاهها علبة سوداء صغيرة.
قال: "أزور والدتي".
"ماذا؟".

"كنت تتساءلين عما أفعله في أوسلو. كنت أزور والدتي".
"هل والدتك على قيد الحياة؟". كانت تلك أولى أفكارها. هل لديه أمٌ حقاً؟! لكنها أضافت: "أهي في أوسلو؟".
ابتسم وأوماً نحو العلبة: "ألن تفتحيها يا ليلنغ؟ إنها لك، من أجل الطفل".

طرفت عيناها مرتين قبل أن تهدأ كفاية لتفتحها. قالت وهي تشعر بأن عينيها تمتلئان دموعاً: "إنها جميلة".
"أحبك يا إيفا مارفانوفاً". عادت الرتابة إلى نبرته.
ابتسمت رغم دموعها، وحضنته بذراعيها هامسة: "سامحني، سامحني. حبك هو كل ما أحتاج إليه، والباقي غير مهم. لا داعي إلى أن تخبرني شيئاً عن والدتك، أو المسدس...".
شعرت بجسده يتصلّب بين ذراعيها، فوضعت فمها على أذنه هامسة: "رأيت المسدس، لكنني لا أريد أن أعرف شيئاً، هل تسمع؟".
حرّر نفسه من عناقها وقال: "نعم، حسناً. أنا آسف يا إيفا، ولكن لا مفرّ، ليس الآن".

"ماذا تعني؟".
"يجب أن تعرفي من أنا؟".
"لكنني أعرف من أنت يا عزيزي".
"أنتِ لا تعرفين ما أفعله".
"لست متأكدة من أنني أريد أن أعرف".
"يجب أن تعرفي".
أخذ العلبة منها، وأخرج القلادة التي بداخلها ورفعها إلى الأعلى وهو يقول: "هذا ما أفعله".

لمعت الألماسة التي كانت على شكل نجم مثل عين محب حين عكست ضوء الصباح المتسلل من نافذة المطبخ. "وهذا". وأخرج يده من

جيب سترته، فرأت المسدس نفسه الذي كانت قد رأته في الحقيبة، لكنه أطول وهناك قطعة سوداء كبيرة متصلة بنهاية ماسورته. لم تكن إيفا مارفانوا تعرف الكثير عن الأسلحة، ولكنها تعرف هذه القطعة السوداء؛ إنها كاتم صوت، وهذا الاسم ملائم لها.

استيقظ هاري على رنين الهاتف، وشعر كما لو أنّ شخصاً ما قد حشا منشفة في فمه. حاول أن يربطه بلسانه، غير أنّه بدا بالنسبة إليه كرهيف خبز بائت عالق على سقف حلقة. كانت الساعة على الطاولة بجانب سريره تشير إلى العاشرة وسبع عشرة دقيقة. اختلط في ذهنه شيء ما بين الذكرى والصورة. ذهب إلى غرفة الجلوس فيما كان الهاتف يرنّ للمرة السادسة.

رفع السماعة. "هاري، من؟".

"أردت فقط أن أعتذر".

كان هذا الصوت هو الصوت الذي أمل دائماً أن يسمعه. "راكيل؟".
قالت: "إنه عملك، ولا يحق لي أن أغضب. أنا آسفة".

جلس هاري على الكرسي. كان شيء ما يحاول أن يخرج من أعماق أحلامه المنسية تقريباً.

قال: "لك كل الحق في أن تغضبي".

"أنت شرطي، ويجب على أحدهم أن يحرسنا".

قال هاري: "أنا لا أتكلم عن العمل".

لم تُجب، وانتظر.

قالت بصوتٍ متهدج: "أشتاق إليك".

قال: "أنتِ تشتاقين إلى الشخص الذي تتمنين أن أكون عليه، في حين

أشتاق أنا

إلى -".

قالت مثل أغنية تُقطع في منتصف مقدمتها: "مع السلامة".

جلس هاري محدّقاً إلى الهاتف؛ مبتهجاً ومكتئباً في الوقت نفسه. قام جزء من حلم الليلة الماضية بمحاولة أخيرة للخروج إلى السطح، واصطدم بالجانب السفلي من الجليد الذي أصبح أسمك بمرور كل ثانية مع انخفاض درجة الحرارة. فتّش الطاولة الصغيرة بحثاً عن لفائف تبغ فوجد عُقباً في المنفضة. كان لسانه لا يزال خدرًا قليلاً، وعرف أن راكيل على الأرجح استنتجت من تلعثمه أنه فقد وعيه مجدداً، ولم يكن ذلك بعيداً عن الحقيقة؛ إلا أن مزاجه لم يكن جيداً ليتناول المزيد من السمّ نفسه.

ذهب إلى غرفة النوم ونظر إلى الساعة على الطاولة بجانب السرير.
إنه وقت الذهاب إلى العمل. شيء ما...
أغمض عينيه.

علق صدى موسيقى ديوك إلينغتون في قناته السمعية. لم يكن هناك شيء، وعليه أن يبحث في مكان أبعد. تابع الإصغاء، فسمع صرخة ألم الترام ووقع خطوات هر على السطح وخشخشة تنذر بالسوء بين أوراق البتولا الخضراء في الساحة. في مكان أبعد أيضاً، سمع أصواتاً في الساحة، وطققة المعجون في أطر النوافذ، وقعقة في غرفة القبو، وصوت كشط ثاقب، وصوت حذائه في الردهة. سمع والدته تهمس له تهويده للأطفال؛ كما اعتادت أن تفعل قبل أن يذهب إلى النوم. ثم عاد إلى الحلم مجدداً.
كان أعمى، ويجب أن يكون كذلك؛ لأنه يسمع فقط.

سمع صوت غناء خافتاً مع نوعٍ من تمتمة تضرعات في الخلفية، وقدّر من الصدى أنه في غرفة كبيرة تشبه قاعة دار العبادة، لكنه سمع بعد ذلك قطرات تسقط على نحو متواصل، وتردد من تحت السقف العالي المقنطر - إن صح ذلك - صوت أجنحة ترفرف. أهى طيور حمام؟ ربما كان رجل دين يقود مجموعة، لكن الشعائر بدت غريبة وغير مألوفة؛ مثل الروسية تقريباً أو التكلم بلغات متعددة. شارك المحفل في أداء مزموور؛ وسمع لحناً غريباً، ولم يسمع كلمات مألوفة مثل المسيح أو مريم. فجأة، بدأ المحفل بالغناء، وشرعت الأوركسترا في العزف، وتعرّف اللحن، من التلفاز. انتظروا لحظة، سمع شيئاً يتدحرج؛ إنها كرة، توقفت.
قال صوت امرأة: "خمسة، الرقم هو خمسة". الشيفرة.

الفصل الثالث والعشرون:

الجمعة. رقم بشري

كانت تجليات هاري بمثابة قطيرات صغيرة باردة كالجليد ضربته على رأسه. طبعاً، لم يعد يستطيع برفعه بصره ومتابعته سقوط القطيرات، العثورَ على الصلة المناسبة. بدا ذلك الإلهام مختلفاً؛ فقد بدا كهبة، أو سرقة، أو معروف لا يستحقه؛ موسيقى يمكن أن تأتي إلى أشخاص مثل ديوك إلينغتون، جاهزة، مباشرة من حلم. كان كل ما عليه فعله هو أن يجلس ويعزفها.

كان هاري يقوم بذلك بالضبط، وقد استدعى جمهور الحفل الموسيقي إلى مكتبه عند الساعة 1:00، ما منحه متسعاً من الوقت ليجهّز الجزء الأساسي؛ الجزء الأخير من الشيفرة. من أجل ذلك احتاج إلى نجم القطب، ولوحة نجوم.

في طريقه إلى العمل عرّج إلى مكتبة ليشتري مسطرة، ومنقلة، وبوصلتين، وقلم حبر جافاً بأرفع رأس موجود لديهم، وعدداً من الأوراق الشفافة. بدأ العمل حين وصل إلى مكتبه، وجد خريطة كبيرة لأوسلو كان قد مرّرها سابقاً، فأعاد ترتيبها ولصقها ببعضها، ونظّف سطح لوح الإعلانات، وثبّت الخريطة بالدبابيس على الجدار الطويل في مكتبه مجدداً. رسم بعد ذلك دائرة على ورقة شفافة، وقسمها إلى خمسة قطاعات كل منها 72 درجة بالضبط، وباستخدام قلم الحبر الجاف والمسطرة وصل كل أبعد نقطتين عن بعضهما بخط واحد متصل. وعندما أنهى العمل، رفع الورقة الشفافة إلى الضوء؛ نجم خماسي.

لم يجد هاري المسلاط في قاعة الاجتماعات، لذا ذهب إلى غرفة الاجتماعات الخاصة بشعبة مكافحة الجريمة حيث يلقي رئيس المفتشين إيفارسون محاضراته المعتادة - معروفة بين الزملاء بعبارة "كيف أصبحت ذكياً جداً" - على مسامح مجموعة من المناوبين في العطلة.

قال هاري، وهو يسحب الشريط الكهربائي من المقبس ويدفع عربة المسلاط ليتجاوز إيفارسون المذهول: "أولوية قصوى".

وعندما عاد إلى مكتبه، وضع الورقة الشفافة على المسلاط، ووجّه بقعة الضوء نحو الخريطة وأطفأ الضوء الرئيس.

في الغرفة المعتمدة التي تفتقر إلى النوافذ سمع صوت تنفسه وهو يدير الورقة الشفافة، ويقرب المسلاط منها ويبعده عنها، ويعدّل تركيز الخط الأسود للنجم حتى حصل على مطابقة. كان النجم مطابقاً، ولا بد له أن

يكون كذلك. حدّق إلى الخريطة، وأحاط رقمي شارعين بدائرتين وأجرى عدداً من المكالمات الهاتفية. أصبح مستعداً آنذاك.

عند الساعة 1:05 كان بيارني مولر، وتوم والر، وبتي لون، وشتال أون جالسين على كراسٍ مستعارة، ومحتشدين في مكتب هاري وهالفورسن المشترك، وهم صامتون مثل فئران.

قال هاري: "إنها شيفرة، وبسيطة جداً. شيء مشترك كان يجب أن نراه منذ وقت طويل. حصلنا عليه واضحاً جداً؛ إنه رقم عددي". نظروا إليه.

قال هاري: "خمسة".
"خمسة؟".

"الرقم هو خمسة".

راقب هاري الوجوه الأربعة المرتبكة. حدث شيء بعد ذلك كان قد اختبره أحياناً، وتكرر حدوثه بمرور الوقت؛ بعد أوقات طويلة من تناول الشراب. فمن دون أي سابق إنذار، اهتزت الأرض، وانتابه شعور بأنه سيسقط، وفقد كل إحساس بالواقع. لم يكن هناك أربعة زملاء جالسين أمامه في المكتب، ولم يكن يعمل على قضية جنائية، ولم يكن اليوم صيفياً دافئاً في أوصلو، ولم يكن أوليغ وراكيل قد وُجداً مطلقاً. عرف أن نوبة الذعر القصيرة قد تتبعها نوبات أخرى، فتشبّث بالأرض بأطراف أصابع قدميه.

رفع هاري كوب قهوته وشرب ببطء في حين استجمع رباطة جأشه. عقد العزم على أنه عندما يسمع صوت الكوب يوضع على الطاولة سيعود إلى هنا؛ إلى هذا الواقع.

وضع الكوب على الطاولة، فاستقر مصدراً صوتاً مكتوماً.

قال هاري: "السؤال الأول: لقد ترك القاتل علامته على كل الضحايا باستخدام ألماسة، كم رأساً لها؟".

قال مولر: "خمسة".

"السؤال الثاني: بتر أيضاً إصبعاً واحدة من اليد اليسرى لكل ضحية. كم عدد الأصابع الموجودة في اليد؟ السؤال الثالث: وقعت جريمتا القتل وجريمة الخطف خلال ثلاثة أسابيع متعاقبة، أيام الجمعة والأربعاء والاثنين على التوالي؛ كم يوماً بين كلٍّ منها؟".

أطبق الصمت لحظة.

قال والر: "خمسة".

"والوقت؟".

تنحج أون مجيباً: "الساعة الخامسة تقريباً".

"السؤال الخامس والأخير: بدا ظاهرياً أن عناوين الضحايا قد اختيرت عشوائياً، ولكن أماكن الجرائم تشترك في شيء واحد. بتي؟".

تجهمت وهي تُجيب: "خمسة؟".

حدق الأربعة إلى هاري مذهولين.

صرخت بتي قبل أن تتوقف في منتصف الجملة وتتورّد: "أوه، تبا..."

أسفة، أعني... في الطابق الخامس. توفيت كل الضحايا في الطابق الخامس".
"بالضبط".

بدأ الإدراك يبرز على وجوه الآخرين في حين ذهب هاري إلى الباب.

"خمسة". نطقها مولر وكأنها كلمة مقزّزة للنفس قد بلعها للتو.

حلّ ظلام حالك حين ضغط هاري على زر المصباح، ولم يكن

بمقدورهم سماع شيء إلا صوته وهو يتحرك بينهم.

"الرقم خمسة، رقم مألوف في عددٍ من الطقوس؛ في السحر الأسود،

والعرافة، وفي مختلف الديانات. في عدّة كتابات يُشار إلى الرقم خمسة

بوصفه رقماً بشرياً؛ لأن لدينا خمس حواس، ونمرّ في خمس مراحل في

الحياة".

سمعوا طقّة، وظهر فجأة أمامهم في الظلام وجه مضاء شاحب فيه

محجرا عينين غائرتين سوداوين ونجم على الجبين. تبعت ذلك غمغمة

همسات خافتة.

"آسف...".

أدار هاري المسلاط فانتقلت بقعة الضوء من وجهه إلى الجدار الأبيض.

"هذا، كما ترون، نجم خماسي، مثل الذي وجدناه منقوشاً ومرسوماً

قرب جثتي كاميليا لوين وباربرا سفندسن. كيف يفيدنا هذا مجدداً يا

شتال؟".

أخذ عالم النفس نفساً عميقاً وأجاب: "ليست لديّ أي فكرة حقاً. أنا

أشمئز من العلوم الصرفة".

قال هاري: "حسناً. صنعت نسخة بسيطة باستخدام منقلة، وهي جيدة

كفاية لتوضيح أهدافنا".

سأل مولر: "أهدافنا؟".

"لقد عرضت عليكم حتى الآن مصادفات رقمية ربما تكون ضربة حظ.

إيكم البرهان على أنها ليست كذلك".
قال هاري: "وقعت جرائم القتل الثلاث على حافة دائرة مركزها وسط
أوسلو. إضافة إلى هذا، تبعد عن بعضها اثنتين وسبعين درجة بالضبط. وكما
ترون هنا، أماكن الجرائم تقع...".

همست بتي: "... على أطراف ثلاثة رؤوس من النجم".
قال مولر مذهولاً: "يا للهول! هل تعني أنه... أنه قد منحنا...".
قال هاري: "لقد منحنا نجم القطب. إنها شيفرته... ليخبرنا عن الجرائم
الخمس. لقد اقترف ثلاثاً حتى الآن، ولا تزال هناك اثنتان، يجب أن تحدثا،
وفقاً للنجم، هنا وهنا".

أشار هاري إلى الدائرتين اللتين كان قد رسمهما على الخريطة حول
المكانين.

قال توم والر: "ونعرف متى".

أوما هاري.

قال مولر: "يا للهول! وبوجود خمسة أيام بين كل جريمة وأخرى،
سيقترف الجريمة التالية...".

قالت بتي: "السبت".

قال أون: "غداً".

قال مولر للمرة الثالثة: "يا للهول!". بدا مندهشاً وقلقاً جداً.
تابع هاري كلامه، فيما قاطعته أصوات الآخرين المهتاجة، في حين
ارتفعت الشمس عالياً في سماء الصيف الفاتحة الصافية فوق أشعة بيضاء
صغيرة لمراكب تقوم بمحاولات فاترة وبطيئة لتشق طريق عودتها إلى
اليابسة. في بيورفيكا عند التقاطع المرتفع المعروف شعبياً باسم "آلة السير"،
تحركت حقيبة عامل خدمة توصيل بفعل تيارات الهواء الدافئ فوق
الطرق التي تداخلت مع بعضها مثل أفاعٍ متشابكة في جحر. على الطرف
المواجه للبحر، من مستودع تخزين في موقع المبنى المستقبلي لدار الأوبرا،
كان هناك رجل يعمل جاهداً ليجد وريداً تحت تقرح ملتهب سابقاً،
ويقطب جبينه عبوساً مثل نمر هزيل يقف قرب فريسته مدركاً أن عليه
أن يسرع قبل أن يظهر ضبع.

قال توم والر: "انتظر لحظة. كيف عرف القاتل أن ليزبيث بارلي

تعيش في الطابق الخامس إن كان ينتظر في الشارع؟".

قالت بتي: "لم يكن ينتظر في الشارع، وإنما على السلام. توثقتنا مما

قاله بارلي عن عدم إغلاق الباب على نحو ملائم، وهذا صحيح. راقب

المصعد ليري إن كان هناك أحد سينزل من الطابق الخامس، واختبأ في الممر المؤدي إلى القبو تحسباً لظهور أحد ما".
قال هاري: "جيد يا بتي، وبعد ذلك؟".
"تبعها إلى الشارع و... لا، ذلك خطر جداً. أوقفها حين خرجت من المصعد، واستخدم كلوروفورم".

قال والر بحزم: "لا، هذا ينطوي على مجازفة كبيرة، ولو فعل ذلك لتوجب عليه أن يحملها إلى سيارة متوقفة في الخارج. وإذا شاهدهما أحد فسيعرف بالتأكيد طراز السيارة وربما سيحفظ الرقم".
قال مولر: "لم يستخدم الكلوروفورم، وكانت السيارة متوقفة بعيداً قليلاً. هددها بمسدس وجعلها تمشي أمامه في حين تبعها مخفياً السلاح في جيبه".
قال هاري: "بغض النظر عما حدث، تمّ اختيار الضحايا عشوائياً. مفتاح الحل هو المكان الذي اقتُرِف فيه الجريمة. لو استقلّ ويلهلم بارلي المصعد نزولاً من الطابق الخامس بدلاً من زوجته لكان هو الضحية".
قال أون: "إذا كان ما تقوله صحيحاً، فرمّا يفسّر هذا أيضاً سبب عدم الاعتداء على النساء جنسياً. إذا لم يكن المجرم...".
"القاتل".

"... القاتل قد اختار الضحايا، فهذا يعني أن حقيقة أن كلهن نساء محض مصادفة. في هذه الحال، لم تُقتل الضحايا لأهداف جنسية على وجه التحديد، وإما الفعل نفسه هو الذي يمنحه شعوراً بالرضا".
قالت بتي: "ماذا عن حمّام السيدات؟ لم يكن ذلك عشوائياً. ألم يكن حرياً برجل أن يذهب إلى حمّام الرجال إن لم يكن جنس الضحية مهماً؟ لم يكن ليخطر حينها بلفت الأنظار في أثناء دخوله أو خروجه".
قال هاري: "رهما. لكن، إذا كان قد استعد جيداً كما يبدو أنه فعل، فلا بدّ أنه عرف أن هناك رجالاً أكثر من النساء في مكتب المحاماة. هل فهمت؟".

طرفت عينا بتي بقوة.

قال والر: "إنّه تفكير منطقي يا هاري. في حمّام السيدات كانت فرصة إزعاجه في أثناء قيامه بطقوسه أقل".
كانت الساعة 2:08 حين أنهى مولر الجلسة. "حسناً يا قوم، هذا كافٍ بشأن الأموات. هلاً نركّز على الأحياء".

كانت الشمس قد بدأت النصف الثاني من قطعها المكافئ، والظلال تقترب من ساحة مدرسة مقفرة في توين حيث كل ما يمكن سماعه هو

الصوت الرتيب الصادر عن ارتطام كرة قدم بجدار ما. في مكتب هاري المغلق بإحكام، أصبح الهواء رطباً وكريه الرائحة. استقر رأس النجم إلى يمين ساحة كارل برنرز على عقار بجانب إنسيوفين في كامبن. كان هاري قد شرح أن البناء الواقع تحت طرف النجم قد شُيّد عام 1912 ليكون ما عُرف آنذاك "بدار السل"، لكنه حوّل بعد ذلك إلى مسكن للطلاب؛ في البداية لطلاب الاقتصاد المحليين، ثم لتلاميذ التمريض، وأخيراً للطلاب عامة. أشار الرأس الأخير في النجم الخماسي إلى شبكة من خطوط متوازية سوداء.

سأل مولر: "أهي خطوط السكة الحديدية من محطة أوسلو؟ لا أحد يعيش هناك، أليس كذلك؟".

قال هاري، وهو يشير إلى مربع صغير حُجِب عن الرؤية: "انتبه".
"لا بد أن ذلك مستودع تخزين، إنه -".

قال والر: "لا، الخريطة صحيحة. في الواقع، يوجد منزل هناك. ألم تلاحظوه حين سافرتم على متن القطار؟ ذلك المنزل المنفصل الغريب المبني من آجر أحمر، القائم وحده. هناك حديقة و...".

قال أون: "أنت تعني دارة فيل، منزل مدير المحطة. إنه معروف تماماً، وأفترض أنه تحوّل إلى مكاتب الآن".

هزّ هاري رأسه وأبلغهم أن مكتب السجلات الوطنية لديه وثيقة عن شخص يعيش هناك؛ سيدة عجوز اسمها أولوغ سيفرتسن.
قال هاري: "لا يوجد طابق خامس في المبنى الطلابي أو في منزل مدير المحطة".

سأل والر وهو يستدير نحو أون: "هل سيوقفه ذلك؟".

هزّ أون كتفيه قائلاً: "لا أظن هذا، لكننا نتكلم الآن عن توقّع

مميزات سلوك فردي؛ وهنا تخمينك مثل تخميني".

قال والر: "لا بأس. يمكن أن نقول إنه سيضرب في المبنى الطلابي غداً، وأفضل فرصة لنا أن ننظم عملية ونخطّط لها بعناية. هل نحن متفقون؟".
أوماً كل الجالسين حول الطاولة.

قال والر: "حسناً، سأتصل بسيفرت فالكيد من القوات الخاصة وأبدأ

العمل على التفاصيل فوراً".

استطاع هاري رؤية شرارة تقدح في عيني توم والر. كان يفهمه؛

الفعل، الاعتقال، الشعور بالفريسة، جوهره عمل الشرطة.

قال هاري: "سأذهب مع بتي إلى بوابة سكويغاردز لنرى إن كنا

نستطيع لقاء سيفرتسن".

صرخ مولر لسمعه هاري بسبب ارتفاع الصوت الناجم عن إرجاع الكراسي إلى الوراء: "توخيا الحذر. لا ينبغي أن تتسرب أي معلومة. تذكر ما قاله أون بشأن رجال القوات الخاصة؛ أولئك الذين يتجولون في أماكن قريبة من التحقيق".

كانت الشمس تنخفض، والحرارة ترتفع.

الفصل الرابع والعشرون:

الجمعة. أوتو تانغن

قلب أوتو تانغن نفسه إلى جانبه. كان يتصبب عرقاً بعد ليلة استوائية أخرى، لكن ذلك لم يكن ما أيقظه. مَدَّ يده إلى الهاتف وصرَّ السرير المكسور تحته على نحو يندر بالسوء. كان السرير قد غار نحو الأسفل في منتصف ليلة قبل أكثر من سنة عندما أقام أوتو علاقة مع أود - ريتا، من المخبز. آنذاك كانت أود - ريتا مجرد فتاة يافعة نحيلة، فيما تجاوز أوتو وزن 110 كيلوغرامات ذلك الربيع. كان الظلام حالاً في الغرفة حين اكتشفا أن الأسرة مصنوعة لتتحمل الحركة على طولها، وليس على عرضها. كانت أود - ريتا تحته، واضطر أوتو إلى اصطحابها إلى قسم الإسعاف في هونفوس بعد إصابتها بكسر في عظمة الترقوة. استشاط غضباً حينها، وهددت ساخطة أن تخبر نيلز؛ شريكها وصديق أوتو الحميم، والوحيد أيضاً. في ذلك الوقت، كان وزن نيلز 115 كيلوغراماً، وكان معروفاً بطبعه الناري. ضحك أوتو كثيراً حين هددته إلى درجة أنه لم يعد بمقدوره أن يتنفس بسهولة. ومنذ ذلك الوقت، تعبس أود - ريتا في وجهه غاضبة كلما دخل المخبز. أحزنه ذلك؛ لأن تلك الليلة بقيت - رغم كل شيء - ذكرى واضحة له جداً، وكانت آخر مرة يقيم فيها علاقة أيضاً. لهث عبر الهاتف قائلاً: "هاري للصوتيات".

كان قد سمى الشركة تيمناً بالدور الذي أدّاه جين هاكمان في الفيلم الذي حدّد بطرق عديدة مهنة أوتو وحياته المستقبلية: المحادثة، فيلم فرانسيس فورد كوبولا من عام 1974 عن خبير تنصّت. لم يكن أحد في دائرة معارف أوتو الضيقة قد رآه، لكن أتو شاهده 38 مرة. وعندما أدرك مقدار المعلومات التي يمكن أن تمنحك إياها معدات تقنية بسيطة عن حياة أشخاص آخرين، اشترى بعمر 15 سنة ميكروفونه الأول، واكتشف ما يتكلم عنه والده ووالدته في غرفة النوم. وفي اليوم التالي، بدأ يدخر لشراء أول آلة تصوير.

أصبح عمره الآن 35 سنة ولديه نحو 100 ميكروفون، و24 آلة تصوير، وابن عمره أحد عشر عاماً من امرأة كان قد أمضى الليلة معها في حافلة المراقبة التي يمتلكها في غيلو في ليلة خريف رطبة. استطاع على الأقل أن يقنعها بالذهاب إلى دار العبادة للقيام بالمراسم الخاصة بالمواليد الجدد. وعلى الرغم من ذلك، لا يزال بمقدوره أن يقول، من دون أن يرف له جفن، أن مشاعره تجاه ميكروفوناته أقوى. كانت مجموعته تضم

ميكروفونات نيومان من الخمسينيات وميكروفونات أوفسكين يمكن توجيهها، والأخيرة مصممة خاصةً لتستخدم مع آلات تصوير عسكرية؛ وكان قد اضطر إلى السفر إلى أمريكا لشراؤها من السوق السوداء، لكنه يحصل عليها الآن من الشبكة العنكبوتية، ولا مشكلة في ذلك. على كل حال، كانت الجواهر في مجموعته ثلاثة ميكروفونات تجسس روسية بحجم رأس الدبوس، لا تحمل أي علامة تجارية، وقد حصل عليها من معرض في فيينا. إضافة إلى ذلك، تمتلك "هاري للصوتيات" أحد مركزين فقط في النزويج مخصصين للمراقبة الاحترافية المتنقلة. كان ذلك يعني أنه يعمل أحياناً مع الشرطة، وPOT، وفي أحيانٍ أقل مع جهاز الاستخبارات التابع لوزارة الدفاع. تمنى أن يحدث ذلك أكثر؛ لأنه سئم من وضع آلات تصوير مراقبة في متاجر 7 - إيليفن، وفيديونوفا، ومن تدريب الموظفين الذين لا يعرفون شيئاً عن العناصر الأكثر تعقيداً في رصد زبائن لا يثيرون الشك. وفي ما يتعلق بعمل المراقبة، بدا العثور على أشخاص ذوي ميول مشابهة في سلك الشرطة ووزارة الدفاع سهلاً، لكن معدّات "هاري للصوتيات" عالية الجودة تكلف مالياً كثيراً، وكان أوتو يسمع القصة القديمة نفسها عن اقتطاعات الميزانية مراراً وتكراراً. قالوا إن الأرخص بالنسبة إليهم أن يضعوا معدّاتهم الخاصة في شقة أو منزل قرب هدف المراقبة، وطبعاً كانوا محقين. على كل حال، أحياناً لم يكن هناك منزل قريب في حال معقولة، أو يتطلّب العمل معدّات نوعية لا يمتلكونها، وعندها يتصلون بشركة "هاري للصوتيات"، كما يفعلون الآن.

أصغى أوتو إلى المتصل، وبدأت المهمة رائعة. ونظراً إلى وجود شقق كثيرة قرب الهدف، خامره شك في أنهم يسعون إلى صيد كبير؛ ولم تكن توجد في ذلك الوقت تحديداً إلا سمكة كبيرة واحدة في المياه. سأل وهو يجلس على السرير بحرص حتى لا ينهار من منتصفه: "هل هذه قضية عامل خدمة التوصيل؟". فكّر أنه يجب أن يشتري سريراً آخر، ولم يكن واثقاً إن كان التأجيل المستمر يعزى أساساً إلى ظروفه الاقتصادية أو العاطفية. وبغض النظر عن السبب، إذا حققت هذه المحادثة ما تبشّر به، فسيستطيع قريباً شراء سرير لائق ومتين ومفصل حسب الطلب؛ ربما أحد تلك الأسرة الدائرية، ثم قد يقوم بمحاولة أخرى مع أود - ريتا. كان وزن نيلز يبلغ 135 كيلوغراماً الآن، ويبدو مقرّراً للنفس. قال والر من دون أن يجيب عن سؤاله: "الأمر عاجل. أريد أن يكون كل شيء جاهزاً الليلة". وبدأ ذلك جواباً كافياً لأوتو.

ضحك أوتو بصوت عال وقال: "تريد تغطية بيت السلام، والمصعد، وكل الأروقة في مبنى من أربعة طوابق بالصوت والصورة في ليلة واحدة؟ آسف يا صاحبي، هذا غير ممكن".

"هذه قضية خاصة تكتسب أهمية فائقة، وقد نحينا جانباً -".
"غير ممكن، هل تفهم؟".

جعلت الفكرة أوتو يقهقه وبدأ السرير يتمايل تحته.
"إذا كان الأمر مُلحاً يمكن أن نبدأ الليلة يا والر، ويمكن أن أعدك بأن ينتهي ذلك بحلول صباح الاثنين".

قال والر: "فهمت، أعتذر على سذاجتي".

لو كان أوتو بارعاً في تفسير نبرات الأصوات كبراعته في تسجيلها، لربما اكتشف من نبرة والر أن ما قاله لم يجد قبولاً حسناً عند المفتش. على كل حال، كان مشغولاً آنذاك بالتقليل من الكلام عن الاستعجال، والإسهاب في الحديث عن عدد الساعات التي سيستغرقها العمل.
قال أوتو وهو يبحث عن جوره تحت السرير: "لا بأس. نحن الآن على الموجة نفسها تقريباً". لكن كل ما رآه هو علب سائل تنظيف وقوارير شراب فارغة.

"سأضطر إلى وضع أجر إضافي للعمل مساءً، وفي عطلة نهاية الأسبوع طبعاً".

ربما يجب أن يشتري صندوقاً من الشراب ويدعو أود - ريتا للاحتفال بحصوله على عمل، أو - إن لم يستطع - نيلز.
"وأحتاج إلى دفعة مسبقة صغيرة من أجل المعدات التي سأستأجرها. لا أملك كل ما أحتاج إليه".

قال والر: "لا، إنها على الأرجح في مخزن شتاين أستروب في أسكر".
كادت السماعة تقع من يد أوتو تانغن.

قال والر برفق وتهكّم: "يا للهول! هل ضربت وترّاً حساساً؟ هل هذا شيء نسيت أن تصرّح عنه؟ هل أنت بحاجة إلى بعض المعدات التي أرسلت على متن مركب من روتردام؟".

انهار السرير على الأرضية محدثاً ضجيجاً.

قال والر: "يمكن أن أرسل بعض رجالنا لمساعدتك في الاستعداد. شمّر عن ساعدي الجد، وجهّز حافلتك الصغيرة، ووافني إلى مكنتي لأزودك ببعض التعليمات ولنستعرض معاً المخططات".

"أنا... أنا...".

"... أنا شاكر لك جداً. من الرائع أن يستطيع أصدقاء جيدون العمل معاً، أليس كذلك يا تانغن؟ كن ذكياً فحسب، والتزم الصمت، واجعل هذه أفضل مهمة قمت بها على الإطلاق، وعندها سيكون كل شيء على ما يرام".

الفصل الخامس والعشرون:

الجمعة. التكلّم بلغات متعددة

سأل هاري مذهولاً: "هل تسكنين هنا؟".

أُصيب بالدّهشة لأن التشابه كان صارخاً جداً وجعله يفزع حين فتحت الباب. ركّز على الوجه العجوز الشاحب، ولفتت نظره العينان اللتان تتمتعان بالسكينة نفسها والدفاء ذاته. كان الأهم أنهما العينان نفساهما، وكذلك صوتها حين أكّدت أنها فعلاً أولوغ سيفرتسن.

قال وهو يعرض بطاقة هويته: "شرطة".

"حقاً! أمل ألا يكون هناك خطب ما".

ظهر تعبير قلق على شبكة الخطوط الرفيعة والتغضنات في وجهها، وتساءل هاري إن كان قلقها مرتبطاً بشخص آخر. ربما ظن ذلك بسبب التشابه، والقلق على الآخرين.

قال تلقائياً، وكرّر الكذبة وهو يهزُّ رأسه: "لا، على الإطلاق. هل يمكننا

الدخول؟".

"طبعاً".

فتحت الباب وأفسحت لهما المجال، فدخل هاري وبتي المنزل. أغمض هاري عينيه، وشمّ رائحة صابون وثياب قديمة طبعاً. وعندما فتحتها رآها تنظر إليه وابتسامة مستفسرة تتراقص على شفثتها، فابتسم هاري بالمقابل. لم يكن بمقدورها أن تخمّن أنه يتوقع عناقاً، وتربيتاً على الرأس، وبضع كلمات همساً تخبره أن الجد ينتظره مع شقيقته ومفاجأة لطيفة. قادتاهما إلى غرفة المعيشة، لكن لم يكن هناك أحد. في غرفة المعيشة - أو الغرف؛ لأنه توجد ثلاث منها؛ واحدة تلو الأخرى - قوالب دائرية في السقف مغطاة بتيجان زجاجية ومؤثثة بأناقة. بدا كل من الأثاث والسجاد بالياً، ولكنه نظيف ومرتب؛ تماماً كما ينبغي أن يكون منزل لا يقطنه إلا ساكن واحد فقط.

استغرب هاري سؤاله إيّاها إن كانت تعيش هنا. هل لذلك علاقة بالطريقة التي فتحت بها الباب؟ أو بسماحها لهما بالدخول؟ على كل حال، كان قد توقع رؤية رجل؛ رجل المنزل، لكن بدا أن مكتب السجلات الوطنية محق، فهي الساكنة الوحيدة.

قالت: "اجلسا من فضلكما. أتريدان قهوة؟".

بدا ذلك توسلاً أكثر من كونه اقتراحاً. تنحج هاري محرّجاً، وغير واثق ممّا إذا كان ينبغي له أن يخبرها عن سبب مجيئهما في بداية الحديث أم

في نهايته.

قالت بتي مبتسمة: "يبدو هذا لطيفاً".

ردّت السيدة العجوز الابتسامة بمثلها وخرجت إلى المطبخ. رمق هاري بتي بنظرة شكر.

شرع يقول: "تذكّرني...".

قالت بتي: "أعرف، أرى هذا على وجهك. كانت جدّتي تشبهها قليلاً أيضاً".

قال هاري وهو ينظر حوله: "مم".

لم تكن هناك صور أسرية كثيرة، وإنما مجرد وجوه جادّة في صورتين باهتتين بالأبيض والأسود التّقطتا بالتأكيد قبل الحرب، وأربع صور لفتى التّقطت في مراحل مختلفة من عمره. شاهد في إحدى الصور مضيفتهما المراهقة بقصّة شعر من بداية الستينيات، وعيني الدمية الدب اللتين رأهما حين استقبلتهما عند المدخل، وابتسامة؛ كانت كذلك تماماً، ابتسامة.

عادت السيدة العجوز وهي تحمل صينية، ثم جلست وسكبت القهوة، ومرّرت طبقاً من بسكويت ماريلاند. انتظر هاري حتى انتهت بتي من كيل المديح لها على القهوة ثم سألها:

"هل قرأت عن الشابة التي قُتلت أخيراً في أوصلو يا فراو سيفرتسن؟"
هزّت رأسها مجيبة: "رأيت العناوين. كانت على صدر الصفحة الأولى من أفتنبوستن. لا يمكن أن تغفل عنها، لكنني لا أقرأ أبداً عن أمور من هذا القبيل".

تحركت التعضنات حول عينيها نحو الأسفل حين ابتسمت. "وأخشى أنني فروكن عجوز، ولست فراو".

"أعتذر، ظننت...". نظر هاري إلى الصور.

قالت: "نعم، ذلك ابني".

أطبق الصمت على المكان. حملت الريح معها نباح كلاب بعيدة، وصوتاً رناناً يعلن أن قطار هالدين على وشك أن يغادر من الرصيف 17، لكنها بالكاد حرّكت الستائر على أبواب الشرفة.

"حسناً". رفع هاري كوب قهوته، لكنه قرّر أن يتكلم ويشرح الأمر مجدداً. "لدينا سبب للظن أن الشخص الذي قتل الفتيات قاتل متسلسل، وأن أحد هدفه القادمين هو -".

قاطعته بتي فجأة، وفمها مملوء: "بسكويت لذيذ يا فراو سيفرتسن". فنظر هاري إليها مستغرباً. سمعوا من أبواب الشرفة هسيس قطار يصل

إلى المحطة.

ابتسمت السيدة العجوز مرتبة قليلاً وقالت: "أوه، إنه مجرد بسكويت اشتريته من المتجر".

قال هاري: "دعيني أبدأ مجدداً يا فراو سيفرتسن. أولاً، أود القول إنه لا داعي للقلق، وإننا نسيطر على الوضع تماماً. ثانياً،...".

قال هاري حين مشياً نزولاً في بوابة سكويغاردز وتجاوزا المستودعات ومباني المصنع المنخفضة: "شكراً". وقفا قبالة المنزل المنفصل بحديقته التي تشبه واحة خضراء وسط الحصى السوداء.

ابتسمت بتي من دون أن تتورد خجلاً وقالت: "ظننت أننا يجب أن نتفادي ما يكافئ ذهنيًا كسر عظمة الفخذ. يمكننا أن نلف وندور قليلاً، ونعرض الأشياء بطريقة أكثر لطفاً، كما فعلنا".

"نعم، لقد سمعت ذلك". أشعل لفافة تبغ. "لم أكن قط بارعاً في التكلم مع الناس، فأنا أجيد الإصغاء، وربما...". توقف.
سألت بتي: "ماذا؟".

"ربما أصبحت متبدل الشعور قليلاً. ربما لم أعد أهتم كثيراً. ربما حان الوقت... لأفعل شيئاً مختلفاً. هل يمكنك أن تقودي؟". ورمى لها المفاتيح من فوق سقف السيارة.

التقطتها ونظرت إليها نحو الأسفل بتجهم وقلق.

عند الساعة 8:00، كان المحققون الأربعة الذين يرأسون التحقيق،

إضافة إلى أون، جالسين معاً في قاعة الاجتماعات مجدداً.

قدم هاري تقريراً عن اللقاء في دارة فيل، وقال إن أولوغ سيفرتسن قد تلقت الأنباء بهدوء. بدا واضحاً أنها خائفة، لكنها ليست مذعورة من فكرة أن تكون على قائمة القاتل المتسلسل.

قال هاري: "اقترحت بتي أن نطلب منها الانتقال للعيش مع ابنها لبعض الوقت. أظن أن هذه ستكون فكرة سديدة -".
هزَّ والر رأسه.

قال هاري متفاجئاً: "ألا تستحسن الفكرة؟".

"ربما كان القاتل يراقب أماكن جرائمه المستقبلية، وإذا بدأت أشياء غير عادية تحدث، فقد تخيفه وتجعله يهرب".

"أتعني أننا يجب أن نستخدم سيدة عجوزاً بريئة ك... ك... ك...".

حاولت بتي إخفاء غضبها، وتأتأت فيما أصبح وجهها أحمر: "طعم؟".

نظر والر إلى عيني بتي، وقابلته بالمثل هذه المرة. في النهاية، أصبح

الصمت خانقاً، ففتح مولر فمه ليقول شيئاً، أي شيء، أي اختيار عشوائي للكلمات، لكن والر سبقه إلى ذلك.

"أريد فقط أن نتوثق من قيامنا بإلقاء القبض على الرجل حتى نستطيع أن نحظى جميعاً بنوم هانئ في الليل. وكما أفهم الأمر، لن يحين دور العجوز العزيزة حتى الأسبوع المقبل".

أطلق مولر ضحكة عالية متكلفّة، وأضحت أعلى حين لاحظ أن الجو المتوتر بقي على حاله.

قال هاري: "على كل حال، ستبقى في منزلها، فالابن يعيش في مكان بعيد جداً في الخارج".

قال والر: "جيد. بشأن المبنى الطلابي، إنه خاوٍ الآن تقريباً بسبب العطلة. لكن، قيل لكل القاطنين الذين تكلمنا معهم على نحو لا لبس فيه إن عليهم البقاء في غرفهم غداً. باستثناء ذلك، لم يعرفوا معلومات كثيرة، وأخبرناهم أن للأمر علاقة باللص الذي نحاول أن نقبض عليه متلبساً بالجريمة. سنثبّت معدّات المراقبة الليلية في أثناء نوم القاتل؛ كما نأمل".

"وماذا بالنسبة إلى القوات الخاصة؟"

ابتسم والر: "إنهم سعداء".

نظر هاري إلى خارج النافذة، وحاول أن يتذكر كيف يكون المرء سعيداً.

أنهى مولر الاجتماع، ولاحظ هاري أن بقعتي العرق على كلا جانبي قميص أون قد اتخذتا شكل الصومال.

جلس الثلاثة مجدداً، وقدم لهما مولر شراب كارلسبرغ من الثلاجة. أوما أون وقد ظهر تعبير سعادة على وجهه، لكن هاري هزّ رأسه رافضاً.

سأل مولر حين فتح القوارير: "لكن، لماذا؟ لماذا منحنا طوعاً حلّ

الشيفرة ومن ثمّ مكّنا من معرفة خطواته التالية؟".

قال هاري وهو يدفع زجاج النافذة نحو الأعلى: "إنّه يحاول أن يخبرنا كيف يمكننا إلقاء القبض عليه".

تدفقت إلى الداخل أصوات حياة المدينة في ليلة صيف: دورة الحياة القصيرة لذبابة الربيع، وموسيقى صادرة عن عربة جولات سياحية، وضحكة مبالغ فيها، وكعبا حذاء يقطقان بسرعة على الإسفلت؛ أشخاص يستمتعون بوقتهم.

حدّق مولر إلى هاري غير مصدّق، ثم ألقى نظرة على أون؛ على أمل

أن يتلقى تأكيداً بأن هاري قد فقد رشده.
وضع عالم النفس أطراف أنامله معاً أمام ربطة عنقه الفراشية الرخوة.
قال: "ربما يكون هاري محقاً. ليس مستغرباً أن يتودد قاتل متسلسل
إلى الشرطة ويساعدها لأنه يريد - في أعماقه - أن توقفه. هناك عالم
نفس يدعى سام فاكين يدعي أن القتلة المتسلسلين يرغبون في أن يُلقى
القبض عليهم، وأن يُعاقبوا لإرضاء ساديتهم. أميل أكثر إلى فرضية أنهم
يحتاجون إلى المساعدة لإيقاف الوحش الموجود داخل كل منهم، وأعتبر
رغبتهم في أن يتم إلقاء القبض عليهم درجة من الفهم الموضوعي لمرضهم."
"هل يعرفون أنهم مجانيين؟"
أوما أون.

قال مولر برفق وهو يرفع قارورته: "لا بد أن الوضع مخيف".
غادر مولر الغرفة ليرد على مكالمة من صحفي في أفتنبوستن أراد أن
يعرف إن كانت الشرطة تؤيد طلب "مجلس الأطفال" إبقاء الأولاد داخل
المنازل.

لزم هاري وأون مكانيهما وهما يصغيان إلى أصوات بعيدة لحفل ما؛
صرخات غير واضحة وفرقة ستروكز، طغى عليها أذان صلاة تردّد من
النافذة المفتوحة نفسها رنناً فجأة وربما حاداً؛ لكن بطريقة جميلة على
نحو غريب.
قال أون: "بدافع الفضول فقط، ما الذي قدح الزناد؟ كيف عرفت
أنها خمسة؟".
"ماذا تعني؟".

"أعرف القليل عن الطرائق الإبداعية، ماذا حدث؟".
ابتسم هاري. "أنت أخبرني. على كل حال، كان آخر شيء رأيته قبل
أن أخلد إلى النوم هذا الصباح هو الساعة على الطاولة بجانب السرير
التي تُظهر أن الوقت هو الثالثة وخمس دقائق. ثلاث نساء، وخمس".
قال أون: "الدماغ عضو مدهش".
قال هاري: "أفترض هذا. وفقاً لخبير شيفرات صديق لي، يجب أن
نجد جواب السؤال لماذا قبل أن نفلّك الشيفرة تماماً، والجواب ليس
خمسة".

"إذاً، لماذا؟".
تثأب هاري وتمطّى. "لماذا مجالك يا شتال. سأكون سعيداً إن ألقينا
القبض عليه".

ابتسم أون ونظر إلى ساعته، ثم نهض. "أنت شخص غريب جداً يا هاري". ارتدى سترته الصوفية قائلًا: "أعرف أنك كنت تشرب قليلاً في الآونة الأخيرة، لكنك تبدو أفضل حالاً. هل تجاوزت الأسوأ هذه المرة؟". هزَّ هاري رأسه. "أنا صاحٍ فقط".

عندما مشى هاري إلى المنزل، كانت السماء فوقه خالية من الغيوم. وقفت امرأة تضع نظارة شمسية على الرصيف تحت لافتة النيون المعلقة فوق بقالية صغيرة في المبنى المجاور لشقة هاري. كانت تضع إحدى يديها على ردفها، وتحمل في يدها الأخرى كيساً أبيض. ابتسمت وتظاهرت أنها واقفة هناك تنتظره. تبين أنها فيبيكي كنوستن.

عرف هاري أنها تتصنَّع. كانت تلك دعابة، كما لو أنها تريد منه الانضمام إليها، لذا أبطأ خطاه وابتسم لها بالمقابل؛ ليُظهر أنه يتوقع رؤيتها هناك. كان الشيء الغريب أن ذلك صحيح، لكنه لم يكن قد أدرك الأمر حتى تلك اللحظة.

قالت وهي تنزع نظارتها الشمسية وتحدِّق وكأن الشمس لا تزال ثابتة على ارتفاع منخفض فوق السطوح: "لم أرك في أندروتر مؤخراً يا عزيزي". قال هاري وهو يُخرج علبة لفائف التبغ: "كنت أحاول إبقاء رأسي فوق الماء".

قالت وهي تمد يدها: "عجيباً، أنت تتلاعب بالألفاظ". لم تكن ترتدي شيئاً مثيراً هذا المساء، إذ ارتدت فستاناً صيفياً أزرق ذا فتحة عنق واسعة. كان ضيقاً عليها وبدا أنها تعرف ذلك. مرر لها العلبة، فأخرجت لفافة تبغ ووضعتها بين شفيتها بطريقة لا يمكن أن يعتبرها هاري إلا غير لائقة.

سأل: "ماذا تفعلين هنا؟ كنت أظن أنك تذهبن عادة إلى كيوي؟". "إنه مغلق. الوقت منتصف الليل تقريباً يا هاري. اضطرتت إلى المجيء في اتجاهك لأعثر على مكان لا يزال مفتوحاً".

اتسعت ابتسامتها وضاحت عيناها؛ مثل عيني قطة لعوب. قال هاري وهو يشعل لفافة التبغ: "هذه منطقة خطيرة بالنسبة إلى فتاة وحيدة في ليلة جمعة. كان بمقدورك إرسال رجلك إلى الخارج إن كنت بحاجة إلى بعض الأغراض...".

قالت وهي ترفع كيسها: "إنها مختلطة، وخطيبي مسافر. إذا كانت المنطقة هنا خطيرة جداً، فيجب أن تنقذ الفتاة وتأخذها إلى مكان آمن".

أومات نحو شقته.
قال: "يمكن أن أحضر لك كوباً من القهوة".
"آه!".

"نسكافيه، هذا كل ما يمكنني تقديمه".
عندما دخل هاري غرفة الجلوس حاملاً ماءً مغلياً وفنجان قهوة، كانت فيبي كنوستن جالسة على الأريكة وقد طوت ساقيها تحتها، وحذاؤها على الأرضية، وجلدها الأبيض الحليبي يلمع في العتمة. أشعلت لفافة تبغ أخرى، من علبتها هذه المرة، ومن ماركة أجنبية لم يرها هاري من قبل، من دون مرشح. رأى في الضوء المتراقص من عود الثقاب أن الطلاء الأحمر الداكن على أظفار قدميها متقشر.

قالت: "لا أعرف إن كنت أستطيع المضي قدماً بعد الآن، فقد تغير.
عندما يأتي إلى المنزل يكون قلقاً. وهو إما يذرع غرفة الجلوس ذهاباً وإياباً أو يخرج ليتمرّن. يبدو أنه لا يطيق الانتظار ليبتعد ويسافر مجدداً. أحاول أن أتكلم معه، لكنه يوقفني أو ينظر إلي فحسب بعدم إدراك تام. لقد جئنا حقاً من كوكبين مختلفين".

قال هاري وهو يغرف ملعقة من حبوب القهوة الجافة: "إن البعد بين الكواكب والجذب المتبادل هما اللذان يبقيانها في المدار".
"المزيد من التلاعب بالألفاظ!؟". أزال فيبي قطعة تبغ صغيرة عن طرف لسانها الوردي الرطب.

ضحك هاري بصوتٍ خافت وقال: "أحياناً أقرأ في غرف الانتظار. كنت أأمل أن يكون ذلك صحيحاً؛ من أجلي".
"هل تعرف أغرب ما في الأمر؟ أنا لا أعجبه، لكنني أعرف أنه لن يدعني أرحل عنه".
"ماذا تعنين؟".

"إنه يحتاج إليّ. لا أعرف السبب بالضبط، ولكن يبدو أنه قد فقد شيئاً ما ولذا يحتاج إليّ. والداه...".
"نعم، ما بهما؟".

"إنه لا يتصل بهما، ولم أقابلهما قطّ. لا أظن أنهما يعرفان حتى أنني موجودة. رنّ الهاتف قبل مدة قصيرة، وسأل رجل ما عن أندرس، وشعرت فوراً أنه والده. يمكنك سماع ذلك نوعاً ما في الطريقة التي يسأل بها الأهالي عن أبنائهم. يبدو بطريقة ما أنه اسمٌ قالوه كثيراً حتى أصبح الشيء الأكثر اعتياداً في العالم. لكن، بطريقة أخرى يبدو حميمياً جداً؛ ممّا

يجعل الكلمة تعريهم حتى الجلد لذا يقولونها بسرعة؛ بإحراج تقريباً. هل أندرس هنا؟ عندما قلت إنني يجب أن أوقظه أولاً، بدأ الصوت فجأة يهذي بلغة أجنبية، أو... ليست أجنبية بالضبط، ولكن كما سأتكلم أنا وأنت إن كان علينا العثور على كلمات بسرعة. إنها الطريقة التي يتكلمون بها في اللقاءات الدينية في دور العبادة حين ينهمكون كثيراً في عملهم، نوعاً ما".

"أتقصدين التكلم بلغات متعددة!؟".

"نعم، هذا ما يدعى على الأرجح. ترعرع أندرس مع هذا الشيء، لكنه لم يتكلم عنه قط. أصغيت لبعض الوقت. أولاً، سمعت كلمات متفرقة مثل سدوم، ثم أصبحت أقدر مثل مومس وبغي وأشياء مماثلة، لذا أنهيت المكالمة".

"ماذا قال أندرس عن ذلك؟".

"لم أذكر له ذلك مطلقاً".

"لِمَ لا؟".

"أنا... إنه مثل مكان لم يُسمح لي قط بدخوله، ولا أرغب بالذهاب إلى هناك أيضاً".

شرب هاري قهوته، لكن فيبيكي لم تمس كوبها.

"ألا تشعر بالوحدة أحياناً يا هاري؟".

ارتفع بصره ليلتقي بصرها.

"أنت وحيد تقريباً. ألا تتمنى أن تكون مع شخص آخر؟".

"هذان شيئان مختلفان. أنت مع شخص آخر ولكنك تشعرين بالوحدة".

ارتعشت؛ وكأن تياراً هوائياً بارداً يمرّ عبر الغرفة.

قالت: "هل تعرف أمراً؟ أشعر أنني بحاجة إلى شراب".

"آسف، نفذ ما لديّ من ذلك الشيء".

فتحت حقيبة يدها وقالت: "هل يمكنك جلب كأسين يا عزيزي؟".

"سنحتاج إلى واحد فقط".

"حسناً، لا بأس".

فتحت غطاء قارورتها الصغيرة، وأمالت رأسها إلى الخلف وشربت.

قالت ضاحكة: "ليس مسموحاً لي بالتحرك على الإطلاق". سالت قطرة

بنية لامعة على ذقنها.

"ماذا؟".

"لا يجب أندرس أن أتحرك، ويجب أن أستلقي ساكنة من دون حركة.

يجب ألا أتفوه بكلمة أو أتأوه، وأن أظاهر بأنني نائمة. يقول إنه يفقد الحافز حين أظهر انفعالاً".
"و؟".

تناولت رشفة أخرى وأغلقت الغطاء وهي تنظر إليه.
"هذا أشبه بالمستحيل".

كانت نظرتها مباشرة، وجعلت هاري يسحب أنفاساً أعمق تلقائياً.
ولانزعاجه شعر بالإنارة.

رفعت حاجباً؛ وكأن بمقدورها أن تشعر بذلك أيضاً، وهمست: "تعال واجلس على الأريكة".

كان صوتها قد أصبح خشناً وأجشاً. رأى هاري انتفاخ الشريان الأزرق الكبير في عنقها الأبيض، وظنَّ أنه مجرد فعل غير إرادي. مثل كلب بافلوف يسيل لعابه ويقف على قائمته حين يسمع إشارة الطعام؛ مجرد رد فعل مشروط، وهذا كل شيء.

قال: "لا أظن أنني أستطيع".

"هل أنت خائف مني؟".

قال هاري: "نعم".

شعر بانقباض كتيب في القسم الأسفل من بطنه؛ النواح الصامت لجنسه.

ضحكت بصوت عالٍ، ولكنها صمتت حين رأت عينيه، ثم قالت بصوت طفل يتوسل: "لكن يا هاري، تابع...".

"لا أستطيع. أنتِ رائعة جداً، لكن...".

بقيت ابتسامتها على حالها لكن عينيها طرفتا؛ وكأنه قد صفعها.

قال هاري: "لست أنتِ التي أريدها".

اهتزت نظراتها، واشتد طرفا فمها؛ وكأنها على وشك أن تضحك وقالت: "آه!".

قالت ذلك على نحو ساخر، وكان يُفترض به أن يكون تعجباً تهكمياً مبالغاً فيه، غير أنه بدلاً من ذلك خرج منها كتأوه إذعان وإرهاق. بدا أن المسرحية قد انتهت، وقد نسي كلاهما دوره.

قال هاري: "آسف".

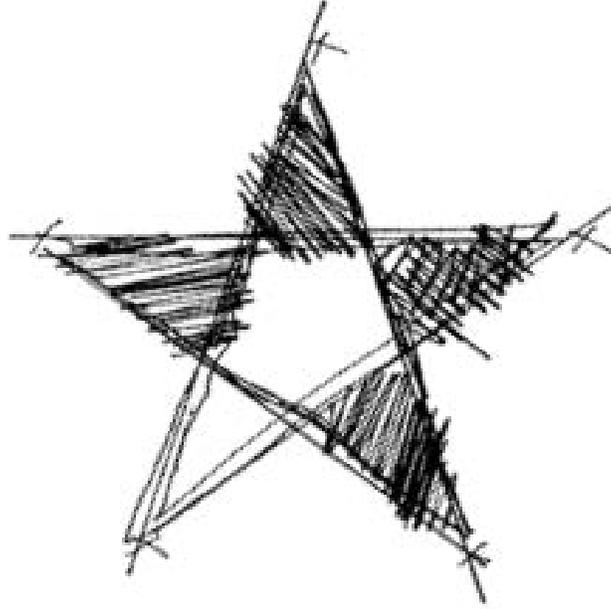
امتلات عيناها دموعاً وهمست: "آه يا هاري".

تمنى لو أنها لم تقل ذلك، حتى يستطيع أن يطلب منها المغادرة

فوراً.

قال: "أياً يكن ما تريدينه مني، فهو ليس لديّ. هي تعرف ذلك،
والآن أنتِ تعرفين أيضاً".

القسم الرابع .



الفصل السادس والعشرون:

السبت. الروح. اليوم

عندما أُلقت الشمس أشعتها فوق جبل إكبرغ صباح السبت، مع وعد بدرجة حرارة أخرى تحطّم الرقم القياسي، كان أوتو تانغن يتوثق من جهاز التحكّم للمرة الأخيرة.

كان الجو مظلماً في الحافلة التي كانت مليئة بالمعدّات، وتفوح منها رائحة ثياب عفنة لم تنجح معطّرات السيارة من ماركة إلفيس بريسلي أو تبغ أوتو في تبديدها. شعر أحياناً بأنه يجلس في ملجأ في أحد الخنادق ورائحة الموت تملأ منخريه، لكنه رغم ذلك معزول عمّا يجري مباشرة في الخارج.

يقع المبنى الطلابي وسط قطعة أرض على قمة كامبن، ويطل على مشهد توين في الأسفل، ويوجد على كلا جانبيه، وبالموازاة مع بناء الآجر الأحمر القديم المكوّن من أربعة طوابق، مبنياً شقق أعلى منه يعودان إلى الخمسينيات. كان طلاء المبنى الطلابي وطلاء نوافذه هما المستخدمان في مبنّي الشقق؛ في محاولة على ما يبدو لمنح المنطقة مظهراً موحداً. على كل حال، لم يكن من الممكن إخفاء الفارق الزمني، ولا يزال يبدو وكأن ميزاباً قد امتص مبنى الطلاب وثبته برفق وسط جمعية سكنية.

اتفق هاري ووالر على وضع الحافلة في موقف المركبات مع كل السيارات الأخرى؛ مباشرة أمام المبنى الطلابي، حيث الاستقبال جيد والحافلة لا تثير الشبهات. سيفترض عابرو السبيل الذين ربما يلقون نظرة خاطفة نحوها أن الحافلة الزرقاء المتهالكة من ماركة فولفو بنوافذها المعتمة تخص فرقة الروك "كيندرغاردن أكسيدنت"، التي طُليت كلماتها بأحرف سوداء على الجانب ورُسمت جماجم فوقها كنقاط.

جفف أوتو عرقه وتوثق أن كل آلات التصوير تعمل، وأن كل الزوايا مغطاة، وكل ما يتحرك خارج المبنى تُصوّره على الأقل آلة واحدة؛ حتى يستطيعوا ملاحقة الهدف بدءاً من اللحظة التي يدخل فيها الردهة متوجهاً إلى مدخل أيّ من الغرف الطلابية البالغ عددها 80 والمنتشرة في الأروقة الثمانية في الطوابق الأربعة.

استمر العمل على تركيب آلات التصوير وتثبيتها براغيّ على الجدران طوال الليل، ولا يزال أوتو يتذوق طعم الملاط الجاف والمر في فمه، وقد استقرت حبيبات حص صفراء على كتفي سترته القطنية المتسخة، مثل طبقة من قشرة الرأس.

كان والر قد استمع إلى صوت العقل في النهاية، وأدرك أنهم إذا أرادوا إنجاز ذلك بحلول الوقت المحدد، فيجب أن يتخلّوا عن تسجيل الصوت. لم يكن ذلك ليؤثر في الاعتقال إطلاقاً، والشيء الوحيد الذي يعنيه هو أنهم سيخسرون دليلاً مادياً إن قال الهدف أي شيء يجرّمه. لم يستطيعوا تركيب آلات تصوير في المصعد أيضاً، إذ لم يكن بمقدور أوتو الحصول على صورة جيدة في الحافلة باستخدام آلة لاسلكية؛ لأن الأعمدة الإسمنتية تحجب الإشارات، والمشكلة باستخدام الكوابل أنها كيفما وُضعت، فإما أن تكون ظاهرة للعيان أو هناك احتمال بأن تتشابك في آلة المصعد. كان والر قد منحه موافقته؛ لأن الهدف سيكون بمفرده في المصعد على كل حال. أقسم شاغلو البناء على التكتّم، وتلقّوا تعليمات مشدّدة بأن يوصدوا أبوابهم ويبقوا داخل غرفهم من الساعة 4:00 وحتى 6:00. حرّك أوتو تانغن فسيفساء الصور الصغيرة على شاشات البيانات الثلاث الكبيرة، وكبّر حجم إحداها حتى كوّنت شكلاً واحداً منطقياً. على الشاشة إلى اليسار، ظهرت الأروقة التي تمتد شمالاً والطابق الرابع في الأعلى والطابق الأرضي في الأسفل. على الشاشة في الوسط، ظهر مدخل المبنى، وكل السلم والأبواب الموجودة إلى اليسار. وعلى الشاشة إلى اليمين ظهرت الأروقة التي تمتد جنوباً.

نقر أوتو على كلمة "حفظ"، ووضع يديه خلف رأسه ومال إلى الخلف على كرسيه وهو يهمهم راضياً. كان بمقدوره مراقبة المبنى الذي يقطن فيه طلاب يافعون كله. ولو أن لديهم متسعاً من الوقت، لربما كان قد وضع بضع آلات تصوير أخرى في بعض غرف الطلاب، من دون معرفة أيّ منهم بالطبع؛ عدسات صغيرة بحجم عين السمكة تُوضع حيث لا يمكن أن يكتشفوها أبداً، مع ميكروفونات روسية. كانت تقطن هناك ممرضات متمرّبات يافعات من النزويج، وبمقدوره تصويرهن وبيع أفلام الفيديو عبر معارفه. تباً لذلك الوغد والر، ما مقدار ما يعرفه عن أستروب والمستودع في أسكر؟ خطرت فكرة غامضة في ذهن أوتو واختفت مجدداً. كان الشك قد خامره منذ وقت بعيد بأن أستروب يدفع لشخص ما ليظلّ عمليته بجناح حمايته.

أشعل أوتو لفافة تبغ، ورأى أن الصور لا تزال ساكنة، ولا توجد حركة واحدة في الأروقة المطلية باللون الأصفر أو على السلم تشير إلى أن هذا نقل حي ومباشر. كان الطلاب الذين يقضون فصل الصيف في غرفهم لا يزالون على الأرجح نائمين على أسرّتهم. لكن، إذا انتظر بضع ساعات

فرمًا سيلمح الرجل الذي أدخلته الفتاة الجميلة إلى الغرفة 303 عند الساعة 2:00 من بعد منتصف الليل وهو يغادر. كانت قد بدت ثملة ومستعدة، وبدا هو مستعداً. فكّر أوتو في أود - ريتا، وفي المرة الأولى التي التقاها فيها في حفل في منزل نيلز حيث مدّ الجميع أيديهم المدينة ليتصافحوا، وعندما وضعت يدها البيضاء الصغيرة في يد أوتو وتشدّقت "أود - ريتا" بدا له وكأنها تسأل إن كان ثملاً. أطلق أوتو تنهيدة عميقة.

بقي الوجد والر يتفقد المكان مع أشخاص من القوات الخاصة حتى منتصف الليل، وسمع أوتو النقاش بينه وبين قائد الجنود خارج حافلته. لاحقاً، خلال اليوم، سيُنشر جنود من الوحدة الخاصة في مجموعات من ثلاثة أفراد في كل رواق من كل طابق، وعددهم الإجمالي 24، وهم يرتدون ثياباً سوداء ويغطون وجوههم بقبعات صوفية ويحملون إم - بي - 5 وغازاً مسيلاً للدموع وأقنعة غاز. وعندما يتلقون إشارة من الحافلة سيتحرّكون للعمل فور قيام الهدف بالقرع على باب أو محاولته دخول إحدى الغرف. جعلت الفكرة أوتو يرتعش إثارة، فقد رآهم في أثناء عملهم مرتين من قبل، والرجال بارعون حقاً، وسمع أصواتاً عالية، وشاهد وميضاً؛ كما يحدث في حفل موسيقي صاخب، وفي كلتا الحالتين تجمّد الهدف خوفاً وانتهى الأمر كله في ثوانٍ. قيل لأوتو إن ذلك هو الهدف من العملية؛ أي إخافة الهدف كثيراً حتى لا يرفع قدرته الذهنية إلى درجة المقاومة. أطفأ أوتو لفافة تبغته. كانت المصيدة جاهزة، ولم يبق إلا انتظار الفأر فقط.

كانت الشرطة ستصل عند الساعة 3:00 تقريباً، وقد حضر والر أي حركة دخول إلى الحافلة أو الخروج منها قبل أو بعد ذلك الوقت. بدا أنه سيكون يوماً طويلاً وحاراً.

ألقى أوتو نفسه على الفراش على الأرضية، وتساءل عمّا يجري في الغرفة 303 آنذاك. اشتاق إلى سريره، وحركته، وأود - ريتا. في تلك اللحظة نفسها، أغلقت بوابة المدخل بعنف خلف هاري، ووقف ساكناً ليشعل أول لفافة تبغ له في ذلك اليوم، فيما كان يحدّق إلى السماء؛ حيث يظهر ضباب الصباح مثل ستارة رقيقة تحرق الشمس طريقها خلالها. كان قد نام واستمتع بنوم عميق ومتواصل وخالٍ من الأحلام، وبدا ذلك مستحيلاً تقريباً.

"ستفوح رائحة كريهة من ذاك الشيء اليوم يا هاري. تقول الأرصاد

الجوية إنه سيكون أكثر الأيام حراً منذ عام 1907 ربما".
رأى "علي" الذي يعيش في الشقة التي تقع تحت شقته. مهما
استيقظ هاري مبكراً، يجد علياً وشقيقه مشغولين بالعمل دائماً في أثناء
مغادرته إلى المكتب. كان علي قد رفع مكنته وأشار إلى شيء ما على
الرصيف.

حدّق هاري ليرى ما يشير إليه، فشاهد روث كلب. لم يكن قد رآه
حين كانت فيبكي واقفة في البقعة نفسها بالضبط في الأمسية السابقة،
وعرف أن شخصاً ما قد شرد ذهنه قليلاً حين أخرج الكلب في نزهة هذا
الصباح، أو في وقت متأخر من الليل.
نظر إلى ساعته. كان هذا هو اليوم المنشود، وبعد بضع ساعات
سيحصلون على جواب.

سحب هاري الدخان عميقاً إلى رئتيه، وشعر بمزيج الهواء الطلق
والنيكوتين ينعش جسده. استطاع لأول مرة منذ وقت طويل جداً أن
يتذوق طعم التبغ، وبدا جيداً. ونسي للحظة كل الأشياء التي سيخسرها:
عمله، وراكيل، وروحه.

كان هذا هو اليوم المنشود، وقد بدأ على ما يرام. مرة أخرى، بدا
ذلك مستحيلاً تقريباً.

شعر هاري أنها سعيدة حين سمع صوتها.
"لقد تكلمت مع والدي، وهو أكثر من سعيد للاعتناء بأوليغ. ستكون
شقيقتي هناك أيضاً".
"ليلة الافتتاح!". قالت ذلك، وسمع ضحكة مرحة. "في المسرح الوطني؟
يا الله!".

كانت تبالغ - فهي تحب أن تفعل هذا أحياناً - لكن هاري لاحظ
أنه يشعر بالإثارة رغم ذلك.
سألت: "ماذا سترتدي؟".
"لم تقولي نعم بعد".
"هذا يعتمد على ما سترتديه".
"بزة".
"أي واحدة؟".

"دعيني أفكر... تلك التي اشتريتها في هغدو غسفين في 17 أيار من
السنة ما قبل الماضية. تعرفينها، تلك الرمادية مع -".
"إنها البزة الوحيدة التي تملكها".

"إذًا، سأرتديها بالتأكيد".

ضحكت تلك الضحكة الناعمة؛ مثل جلدتها وقبلاتها، لكنها لا تزال الضحكة التي تعجبه كثيراً؛ الأمر بتلك البساطة.

قال: "سآتي وأصطحبك عند السادسة".

"لا بأس. لكن، هاري...".

"نعم؟".

"لا تظن...".

"أعرف، إنها مجرد مسرحية".

"شكراً يا هاري".

"آه، من دواعي سروري".

ضحكت مجدداً. عندما تبدأ بالضحك فمن الممكن أن تضحك على أي شيء تقريباً؛ وكأن لهما الرأس نفسه وينظران إلى العالم بالعينين ذاتهما.

اضطر إلى إرغام نفسه على وضع السماعة مكانها.

كان هذا هو اليوم المنشود، ولا يزال جيداً.

كانوا قد اتفقوا على أن تبقى بتي مع أولوغ سيفرتسن في أثناء

العملية. لم يكن مولر يريد المخاطرة بأن يكتشف الهدف (قبل يومين، كان والر قد بدأ يدعو القاتل بالهدف، والجميع يقولون ذلك الآن) الفخّ ويغيّر ترتيب مكاني الجريمة.

رنّ الهاتف، وتبين أن أويستن هو المتصل، وسأله عن كيفية سير

الأمر. أخبره هاري أن الأمور بخير وسأله عما يريده. قال أويستن إن ذلك

ما يريده، أي أن يعرف كيف تجري الأمور. شعر هاري بالخجل، إذ لم

يكن معتاداً على هذا النوع من الاهتمام.

"هل أنت نائم؟".

قال هاري: "نمت في الليلة الماضية".

"جيد. وماذا بالنسبة إلى الشيفرة؟ هل حلت لغزها؟".

"جزئياً. أعرف الآن الإجابة عن السؤالين أين ومتى، ولكنني لا أعرف

الإجابة عن السؤال لماذا".

"إذًا، يمكنك قراءة النص الآن، لكنك لا تعرف معناه".

"شيء من هذا القبيل. يجب أن ننتظر لنكتشف الأمور الغامضة حين

نقبض عليه".

"ما الذي لا تفهمه؟".

"الكثير. على سبيل المثال، سبب إخفائه إحدى الجثث، أو سبب قيامه

ببتر الأصابع من أيدي الضحايا اليسرى، وسبب كونها مختلفة؛ السبابة من الضحية الأولى، والوسطى من الثانية، والبنصر من الثالثة".

"إنه يفعل ذلك بالترتيب إذًا. لا بد أنه نظام ما".

"نعم، لكن لماذا لم يبدأ بالإبهام؟ هل هناك رسالة ما في هذا؟".

انفجر أويستن ضاحكًا. "توخى الحذر يا هاري. الشيفرات مثل النساء:

إذا لم تسيطر عليها، فستسيطر هي عليك".

"هذا ما تخبرني أنت به".

"حقًا؟ جيد، لأن هذا يعني أنني شخص مهم. لا أصدّق عيني، لكن

يبدو لي أنني قد حظيت بزبون يا هاري. أتكلم معك لاحقًا".

"حسنًا".

راقب هاري الدخان وهو يتراقص متميلاً بحركة بطيئة، ثم نظر إلى

ساعته. كان هناك شيء واحد لم يخبر أويستن به؛ أن لديه إحساساً بأن

باقي التفاصيل ستتنظم في مكانها قريباً. بدا ذلك واضحاً جداً؛ لأنه - رغم

الطقوس - هناك شيء لا شعوري في جرائم القتل؛ افتقار بارز تماماً إلى

الكرهية، أو الرغبة، أو الانفعال، أو الحب في تلك الحالة. كانت الجرائم

قد نُفذت بدقة متناهية، وعلى نحو آلي تقريباً، ووفقاً للقواعد. بدا الأمر

وكأنه يلعب الشطرنج ضد حاسوب، وليس ضد شخص ذهنه متقد أو غير

متوازن، وعرف أن الوقت سيجيب عن أسئلته.

نظر إلى ساعته مجدداً، وخفق قلبه بسرعة.

الفصل السابع والعشرون:

السبت. إلى العمل

كان مزاج أوتو تانغن في أفضل حال.

فقد نام عدّة ساعات، واستيقظ - وهو يعاني صداً مؤلماً - على صوت قرع عنيف على الباب. وما إن فتح الباب حتى اندفع والر إلى الداخل، وكذلك فالكيد من القوات الخاصة، وشخص ما يدعو نفسه هاري هول ولا يبدو مفتش شرطة على الإطلاق. وكان أول شيء فعلوه هو التذمر بشأن الجو داخل الحافلة. لكن، بعد أن تناول القهوة من إحدى القوارير الأربع الحافظة للحرارة، وشغلّ الشاشات، ووضع الشرائط في وضعية "تسجيل"، شعر أوتو بإثارة رائعة يحس بها دائماً لدى الاقتراب من تحقيق الهدف.

شرح فالكيد أن حرّاساً يرتدون ثياباً مدنية قد وُزّعوا في كل مكان حول المبنى الطلاي في الأمسية السابقة، وأن دورية بمرافقة كلاب قد فتّشت العلية والقبو للتوثق من أن لا أحد يختبئ في المبنى. لم يكن أحد يدخل أو يخرج باستثناء شاغلي المبنى. لكن الفتاة في الغرفة رقم 303 شرحت للحارس عند المدخل أن حبيبها سيبقى عندها. كان جنود فالكيد في مواقعهم بانتظار الأوامر. أوما والر.

توثق فالكيد من الاتصالات بين الفينة والأخرى؛ عبر معدّات القوات الخاصة وليس عبر أدوات أوتو. أغمض أوتو عينيه واستمتع بالأصوات في تلك الثانية القصيرة؛ حين يضغطون على زر "التكلم"، ثم يتمتمون برموز غير مفهومة وكأنها لغة لعب للراشدين.

"اختبار حوّل". تذكر أوتو جلوسه على غصن شجرة تفاح في إحدى أمسيات الخريف؛ متجسّساً على الراشدين خلف النوافذ المضاءة. همس بعبارة "اختبار حوّل" في علبة معدنية تتصل بسلك يتدلى إلى الأسفل ومن فوق السور إلى حيث يجثم نيلز منتظراً مع العلبة الأخرى بجانب أذنه، وتمنّى لو أنه لم يملّ من ذلك آنذاك ويذهب إلى المنزل لتناول العشاء. لم تعمل العلبتان المعدنيتان مطلقاً بالطريقة التي قيل إنهما تعملان بها في كتاب ودتشوك.

قال والر: "نحن مستعدون للبت المباشر. هل الساعة جاهزة يا

تانغن؟"

أوما أوتو.

قال والري: "الرابعة من بعد الظهر. حسنًا... الآن".
شغل أوتو المؤقت على المسجل فظهرت أجزاء الثانية والثواني على الشاشة. شعر أن ضحكة طفولية مرحة وصامتة تندفع من أحشائه، وبدا ذلك أفضل من شجرة التفاح، وأفضل حتى من كعكة أود - ريتا. حان وقت العرض.

ابتسمت أولوغ سيفرتسن حين فتحت الباب لبتي؛ وكأنها كانت تتطلع قدماً لزيارتها منذ أمدٍ بعيد.

"آه! هذه أنتِ مجددًا! تفضلي، يمكنك ألا تخلعي حذاءك. إن هذه الحرارة مروعة، أليس كذلك؟".

تقدمت أولوغ سيفرتسن في الرواق وتبعتها بتي.
"لا تقلقي يا فروكن سيفرتسن، يبدو أن هذه القضية ستنتهي قريباً".
"طالما أنني أستقبل زائرة، فيإمكانك أن تأخذي وقتك". ضحكت، ثم وضعت يدها فوق فمها مذعورة: "يا للهول! ماذا أقول؟! بالمحصلة، الرجل يزهق أرواح أشخاص، أليس كذلك؟".

رنت الساعة العتيقة في غرفة الجلوس حين دخلتا معلنة أن الساعة قد أصبحت الرابعة من بعد الظهر.
"أتريدين فجاناً من الشاي يا عزيزتي؟".
"من فضلك".

"هل يمكنني الذهاب إلى المطبخ بمفردي؟".

"نعم، لكن إذا جئت معك...".

"تعالِي، تفضلي".

باستثناء ثلاجة وموقد جديدين، بدا أن المطبخ لم يتغير كثيراً منذ وقت الحرب. جلست بتي على كرسيّ بجانب الطاولة الخشبية الكبيرة في حين وضعت أولوغ المغلاة على النار.
قالت بتي: "رائحة رائعة هنا".
"هل تظنين هذا؟".

"نعم. أحب المطابخ التي تفوح منها رائحة مماثلة. لأكون صادقة،

أحب أن أكون في المطبخ، ولست مغرمة بغرف الجلوس".

"حقاً؟!". أملت أولوغ سيفرتسن رأسها إلى الجانب. "هل تعرفين أمراً؟

لا أظن أننا مختلفتان جداً، أنا وأنت. أنا أحبّ المطبخ أيضاً".

ابتسمت بتي.

"نُظهر غرفة الجلوس كيف تريدين أن تقدّمي نفسك. لكن، في المطبخ

يصبح الجميع أكثر استرخاءً؛ وكأنهم على سجيّتهم. هل لاحظت أننا أصبحنا أكثر لطفاً مع بعضنا بعد دخولنا المطبخ؟".
"أظن أنك محقة تماماً".

ضحكت المرأتان.

قالت أولوغ: "هل تعرفين شيئاً؟ أنا سعيدة لأنهم أرسلوك، فأنت تعجبيني. لا داعي إلى الخجل يا عزيزتي، فأنا مجرد سيدة عجوز وحيدة. وقري هذا الخجل لمعجب، أو ربما أنت متزوجة؟ ألسنت كذلك؟ لا، حسناً، هذه ليست نهاية العالم".
"هل تزوجت من قبل؟".
"أنا؟".

ضحكت فيما كانت تخرج فنجانين.

"لا، كنت يافعة حين أنجبت سفن ولم تسنح لي الفرصة قط...".
"لم تسنح لك الفرصة؟".

"حسناً، نعم، ربما سنحت لي فرصة أو اثنتان، لكن امرأة مثلي وفي وضعي ذاك لم تكن تحظى باحترام كبير في تلك الأيام، والعروض التي تلقيتها جاءت عادة من رجال لا أحد آخر يريد هم. هذا لا يدعى العثور على نظيرك عبثاً".

"أيرجع ذلك فقط إلى كونك أماً عازبة؟".

"لأن سفن كان ابن ألمانيّ يا عزيزتي".

بدأت المغلاة تُصدر صفيراً خافتاً.

قالت بتي: "آه، فهمت. لا بد أنه واجه وقتاً عصيباً في أثناء نشأته".

حدّقت أولوغ إلى الفراغ من دون أن تنتبه إلى أن الصفيّر يزداد

حدّة.

"أقصى ممّا يمكن أن تتخيلي. إنّ مجرد التفكير في ذلك لا يزال يجعلني أبكي. كان فتى مسكيناً".

"الماء...".

"أنت ترين الآن، لقد أصبت بالخرف".

رفعت أولوغ المغلاة عن الموقد وسكبت الماء في فنجانيهما.

سألت بتي، وهي تنظر إلى ساعتها التي كانت تشير إلى 4:15: "ماذا

يفعل ابنك الآن؟".

"استيراد وتصدير. أشياء متنوعة من البلدان الشيوعية سابقاً". ابتسمت

أولوغ. "لا أعرف مقدار المال الذي يجنيه من ذلك، لكنني أحب قول هذا:

استيراد وتصدير. إنه مجرد هراء، لكنه يعجبني".
"على كل حال، إنه يبلي حسناً. أعني رغم الوقت العصيب الذي
واجهه في نشأته".

"نعم، لكن الحال لم تكن هكذا دائماً. اسمه في سجلاتكم على
الأرجح".

"هناك أشخاص كثر في سجلاتنا، والعديدون منهم أصبحوا صالحين أيضاً".
"حدث شيء ما مرة حين ذهب إلى برلين، ولا أعرف تماماً طبيعته. لم
يحب قطّ التكلم عمّا فعله، ولم يتحدث عن ذلك إطلاقاً، وتكتم على الأمر
دائماً، لكنني أظن أنه ربما كان يزور والده. وأظن أن ذلك حسن شعوره
تجاه نفسه، فقد كان إرنست شواب رجلاً مفعماً بالحيوية".
تهدّدت أولوغ. "لكن، ربما أكون مخطئة. على كل حال، تغير سفن".
"أوه، كيف؟".

"أصبح أكثر هدوءاً. فقبل ذلك، كان يطارد أشياء دائماً".
"مثل ماذا؟".

"كل شيء؛ مال، متعة، نساء. إنه مثل والده، كما تعرفين، رومانسي
وزير نساء على نحو عضال. فهو يحب الشابات - أعني سفن - وهن
يحبّنه، لكنني أشك في أن يجد واحدة مميزة. قال عبر الهاتف إن لديه
نبأً جيداً لي، وبدا سعيداً".

"ألم يقل لك ما هو النبأ؟".

"أراد أن ينتظر حتى يأتي إلى هنا، كما قال".

"هل سيأتي إلى هنا؟".

"نعم، سيأتي هذا المساء. لديه اجتماع أولاً، وسيبقى في أوصلو حتى
الغد، ثم سيعود أدراجه".

"إلى برلين؟".

"لا، لا. لقد انقضى وقت طويل منذ أن عاش سفن هناك. إنه يعيش
الآن في جمهورية التشيك، ويدعوها عادة بوهيميا تباهاً".

"في... بوهيميا؟".

"براغ".

حدّق ماريوس فيلاند إلى خارج نافذة الغرفة 406، ورأى فتاة تستلقي
على منشفة على المرصع أمام المبنى الطلابي، ولم تكن تختلف عن الشابة في
الغرفة 303 التي سمّاها سراً شيرلي، تيمناً بشيرلي مانسون من غاربيج، لكنها
ليست هي. كانت الشمس فوق زقاق أوصلو البحري قد اختفت خلف

الغمام. على الأقل بدأ الطقس يصبح دافئاً؛ كانت موجة حارة متوقعة هذا الأسبوع. إنه الصيف في أوصلو، وماريوس فيلاند يتطلع قدماً إليه، والبديل هو الذهاب إلى المنزل في بوفورد، وشمس منتصف الليل (1)، وعمل صيفي في محطة الوقود، وأقراص لحم والدته، وأسئلة والده التي لا تنتهي عن السبب الذي جعله يبدأ دراسة "استوديوهات الإعلام" في أوصلو، في حين أنه حصل على علامات تؤهله لدراسة الهندسة المدنية في جامعة العلوم والتكنولوجيا في تروندهايم. تطلع قدماً إلى أيام الأحد في المركز الاجتماعي مع محليين ثملين، وزملاء دراسة صاخبين لم يغادروا حيهم قطّ ويظنون أن الذين فعلوا ذلك خونة، وفرقة الرقص التي تدعو نفسها "بلوز" ولكنها تستطيع دائماً تشويه ألحان كريدنس كلرورتر ريفيفال ولينارد سكاينارد.

لم يكن هذا هو السبب الوحيد الذي يجعله يبقى في أوصلو هذا الصيف، فقد حصل على العمل الحلم بالنسبة إليه؛ إذ سيستمع إلى تسجيلات، ويشاهد أفلاماً، ويحظى بأجرٍ مقابل طباعته آرائه على حاسوب شخصي. كان قد أرسل في السنتين الماضيتين آراءه النقدية إلى عدة صحف معروفة من دون جدوى، لكنه ذهب في الشهر الماضي إلى سو وات حيث عرفه صديقه على رونار الذي أخبره أنه قد تخلى عن العمل في شركة الملابس التي يديرها ليطلق زون، وهي صحيفة مجانية ستنشر أول عددٍ لها في آب؛ إن سار كل شيء وفقاً للمخطط. ذكر صديقه أمام رونار أن ماريوس يحب كتابة مقالات نقدية، وقال رونار إنه أحب قميصه ووظفه فوراً. بوصفه ناقداً، كان على مقال ماريوس أن يعكس "قيماً حضرية جديدة بالتعامل مع الثقافة الشعبية بتهمم حماسي، وأن يكون جيد الاطلاع وشاملاً". كانت تلك صياغة رونار لمهمة ماريوس، وبالمقابل سيكافئ ماريوس بسخاء؛ ليس نقداً، وإنما بتذاكر مجانية إلى حفلات موسيقية، وأفلام، ومشارب جديدة، وتواصل مع بيئة يمكن أن يقيم فيها علاقات مثيرة للاهتمام واضحاً مستقبلة نصب عينيه. بدت هذه فرصته، ويجب أن يستعد لها جيداً. طبعاً، كانت لديه خلفية عامة جيدة عن البوب، لكنه استعار أقراصاً مدمجة من مجموعة رونار؛ ليعرف المزيد عن تاريخ الموسيقى الشعبية. استمع في الأيام الماضية إلى موسيقى روك أمريكية من الثمانينيات: آر.إي.إم، غرين أون ريد، دريم سنديكيت، بيكسيز. وهو الآن يُصغي إلى فايولنت فيمز من مشغل الأقراص المضغوطة. بدت الموسيقى عتيقة الطراز لكنها حماسية.

نهضت الفتاة التي كانت تجلس في الأسفل عن منشفتها، وظنّ ماريوس أن الجو بارد قليلاً. تبعها بعينه فيما كانت متجهة نحو المبنى المجاور. تجاوزت في طريقها شخصاً يركب دراجة، بدا من ثيابه أنه عامل خدمة توصيل. أغمض ماريوس عينيه، فقد كان سيكتب. فرك أوتو تانغن عينيه بأصابعه المملّخة بالنيكوتين. كان شعور بالقلق قد سرى في الحافلة؛ رغم أنها ربما بدت للعالم الخارجي هادئة. ولم يتحرك أحد أو ينبس بكلمة. بلغت الساعة 5:20 ولم تحدث أي حركة على أيّ من الشاشات؛ باستثناء أجزاء صغيرة من الوقت تنقضي على شكل أرقام بيضاء في الزاوية. سألت قطرة عرق أخرى بين رديني أوتو. كان جالساً على تلك الحال والشك ينتابه وهو يتخيّل أن شخصاً ما قد عبث بالمعدّات، وأنّه يشاهد تسجيلاً من يوم سابق أو شيئاً من هذا القبيل. كان يربت بأصابعه على الطاولة بجانب الجهاز، فقد حظر ذلك الوغد والر التدخين في الحافلة.

مال أوتو إلى اليمين وأخرج ريحاً بصمت وهو ينظر إلى الرجل ذي الجمجمة الشقراء الحليقة. كان يجلس على كرسيه من دون أن ينبس بكلمة منذ وصوله، وبدا مثل حارس متقاعد.

قال أوتو: "لا يبدو أن رجلنا سيأتي إلى العمل اليوم. ربما ظنّ أن النهار حارّ جداً، وربما أجّل هذا حتى الغد وذهب لتناول الشراب في أكر بريخ بدلاً من ذلك. قالوا في تقرير الطقس إن -".
"اخرس يا تانغن".

تكلم والر بصوت خافت، ولكنه كان عالياً كفاية.
تنهّد أوتو بعمق وحرّك كتفيه.

أشارت الساعة التي تظهر في زاوية الشاشة إلى 5:21.
"هل رأى أحد الرجل الذي كان في الغرفة 303 وهو يغادر؟". كان ذلك صوت والر، واكتشف أوتو أنه ينظر إليه.
قال: "كنت نائماً هذا الصباح".

"أريد تفقّد الغرفة 303 يا فالكيد؟".

تنحى قائد القوات الخاصة. "لا أعتبر الخطر -".
"الآن يا فالكيد".

أصدرت المراوح التي تبرّد المعدّات الإلكترونية صوت أزيز فيما تبادل فالكيد والر النظرات.

عندها، تنحى فالكيد مجدداً وقال: "من ألفا إلى "تشارلي اثنان"،

أجب، حوّل".

سُمِعَت خشخشة لاسلكي تلاها صوت يقول:
"تشارلي اثنان".

"توثق من الغرفة 303 فوراً".

"تلقيت الأمر، سأتوثق من الغرفة 303".

أمعن أوتو النظر إلى الشاشة، لكن، لم يظهر شيء. تخيل إذا...
وصلوا إلى هناك.

ثلاثة رجال، بزّات سوداء، قلنسوات سوداء، رشاشات سوداء، أحذية

سوداء. حدث كل شيء بسرعة، لكن ذلك لم يكن مثيراً على نحو غريب.
يتعلق الأمر بالصوت؛ إذ لم يكن هناك صوت.

لم يستخدموا المتفجرات الصغيرة الذكية لفتح الباب، وإنما عتلة عتيقة
الطراز. خاب أمل أوتو، وظنّ أن السبب خفض الميزانية.

اتخذ الرجال الصامتون الذين يظهرون على الشاشة مواقعهم؛ وكأنهم

على وشك الانطلاق في سباق، أحدهم يحمل العتلة، والاثنان الآخران خلفه
بمتر واحد يرفعان سلاحيهما. فجأة، بدأوا بالعمل، وبدأ أنها حركة واحدة

منسّقة؛ مثل رقص سريع. فُتِح الباب واندفع الرجلان الواقفان والمستعدان
إلى الداخل وغاص الثالث - حرفياً - خلفهما. كان أوتو آنذاك يتطلع قدماً

إلى عرض التسجيل على نيلز، ورأى الباب يتراجع إلى الخلف قليلاً حتى

توقف، وفكّر أنه من المؤسف حقاً أنهم لم يحظوا بوقت كافٍ لوضع آلات
تصوير في الغرف.

ثماني ثوانٍ. خشخش لاسلكي فالكيد.

"فتّشنا الغرفة 303. شابة وشاب، كلاهما أعزلان".

"وهل هما حيّان؟".

"حيّان... جداً".

"هل فتّستم الفتى؟".

"إنه عارٍ يا ألفا".

قال والر: "أخرجوه، تباً".

حدّق أوتو إلى المدخل. كانا يفعلان ذلك. عارياً! استمرا بفعل ذلك

طوال الليل والنهار. حدّق أوتو إلى المدخل متسمّراً في مكانه.

"اجعله يرتدي ثيابه واصطحبه إلى موقعك يا "تشارلي اثنان"".

وضع فالكيد اللاسلكي جانباً، ونظر إلى الآخرين وهزّ رأسه برفق.

ضرب والر راحة يده بقوة على ذراع الكرسي.

قال أوتو، وهو يلقي نظرة عابرة على المفتش: "الحافلة مجانية غداً أيضاً". كان عليه أن يتوخى الحذر آنذاك.
"لا أزيد أجرتي أيام الأحد، لكن يجب أن أعرف متى -".
"مهلاً، انظروا إلى هذا".

استدار أوتو تلقائياً. كان الرجل قد فتح فمه أخيراً، وهو يشير إلى وسط الشاشة.

"في الردهة. دخل عبر الباب الأمامي واتجه مباشرة نحو المصعد".
أطبق الصمت لثانيتين، ثم سمعوا صوت فالكيد عبر اللاسلكي. "من ألفا إلى كل الوحدات. لقد وصل هدف محتمل إلى المصعد، استعدوا".
ابتسمت بتي: "لا، شكراً".

"نعم، حسناً، ذلك البسكويت كافٍ على الأرجح". تنهّدت السيدة العجوز ووضعت علبة البسكويت على الطاولة. "أين كنت؟ أوه، نعم. أضحت زيارة سفن لي الآن أمراً رائعاً لأنني وحدي".
"نعم، لا بد أنك تشعرين بالوحشة بسبب إقامتك بمفردك في مثل هذا المنزل الكبير".

"عادة، أتحدث قليلاً مع إينا، لكنها ذهبت إلى كوخ العطلات الخاص بصديقها النبيل اليوم. طلبت منها أن تسلّم عليه، لكنهما غريبان جداً بشأن أشياء مماثلة هذه الأيام. يبدو أنهما يحاولان أن يجربا كل شيء، وفي الوقت نفسه لا يظنان أن أي شيء سيستمر؛ وهذا على الأرجح هو سبب تكتمهما الشديد".

اختلست بتي نظرة إلى ساعتها وهي تفكر في أن هاري قد قال لها إنهم سيتصلون حين ينتهي الأمر.

"أنتِ تفكرين في شيء آخر الآن، أليس كذلك؟".
أومأت بتي ببطء.

قالت أولوغ: "لا بأس بذلك، لنأمل أن يقبضوا عليه".
"لديك ابن بار".

"نعم، هذا صحيح. ولو زارني كثيراً كما فعل مؤخراً، ما كنت لأتذمر".
سألت بتي: "آه، كم مرة زارك؟". كان يجب أن يكون الأمر قد انتهى الآن. لماذا لم يتصل هاري؟ ألم يظهر القاتل بعد؟

"مرة أسبوعياً في الأسابيع الأربعة الأخيرة. حسناً، زيارته مؤخراً أكثر تواتراً في الواقع. هو يأتي إلى هنا كل خمسة أيام؛ إنها أيام قصيرة. أظن حقاً أن هناك شخصاً ما في براغ ينتظره. وكما قلت، أظن أنه يحمل لي

بعض الأنباء هذا المساء".

"حسناً".

"في المرة الأخيرة أحضر لي قطعة مجوهرات. هل تودّين رؤيتها؟". نظرت بتي إلى السيدة العجوز، وشعرت فجأة أنها متعبة جداً، وتشعر بالملل من العمل، ومن القاتل، وتوم والر، وهاري هول، وأولوغ سيفرتسن، والأهم من نفسها؛ من بتي لون النبيلة والمطبعة التي ظنّت أن بمقدورها تحقيق شيء ما، وإحداث فرق إن كانت فتاة جيدة وطيبة وبشوشة وتفعل دائماً ما يريد الأشخاص الآخرون منها فعله. حان الوقت الآن للتغيير، لكنها لم تعرف إن كان بمقدورها القيام بذلك. أرادت كثيراً أن تذهب إلى المنزل، وأن تندس تحت اللحاف وتنام.

قالت أولوغ: "أنت محقة، ليس هناك شيء يستحق أن تريه على كل حال. أتريدين المزيد من الشاي؟".

"من فضلك".

كانت أولوغ على وشك أن تسكب الشاي حين رأت بتي تضع يدها فوق الفنجان.

قالت بتي ضاحكة: "آسفة. ما عينته هو أنني أريد رؤيتها".

"ماذا...".

"أريد رؤية قطعة المجوهرات التي أهداكِ ابنك إياها".

أشرق وجه أولوغ وخرجت من المطبخ.

فتاة سالحة، كما فكّرت بتي. رفعت الفنجان لتجرّع الشاي المتبقي فيه. عليها الاتصال بهاري لسماع ما حدث.

قالت أولوغ: "ها هي".

توقف فنجان شاي بتي لون، أي فنجان شاي أولوغ سيفرتسن، أو بدقة كبيرة فنجان شاي الجيش الألماني، في الهواء.

حدّقت بتي إلى دبّوس الزينة، وتحديداً إلى الحجر الكريم المثبت عليه.

قالت أولوغ: "سفنٍ يستوردها. أظن أنها تُصقل فقط بهذه الطريقة

الخاصة في براغ".

كانت الألماسة، على شكل نجم خماسي.

مرّرت بتي لسانها على شفيتها لتتخلص من جفافهما وقالت: "يجب أن

أُتصل بشخص ما". بقي فمها جافاً. "هل يمكن أن تعثري لي على صورة

لسفنٍ في هذه الأثناء؟ من الأفضل أن تكون حديثة. هذا مهم جداً".

بدت أولوغ مرتبكة، لكنها أومأت.

كان أوتو يتنفس عبر فمه المفتوح وهو يحدّق إلى الشاشة ويسجّل الأصوات حوله.

"الهدف المحتمل يتحرّك نحو قطاع "برافو اثنان". الهدف المحتمل توقف أمام الباب. هل أنت مستعد يا "برافو اثنان"؟".
"برافو اثنان" مستعد".

"الهدف ثابت، إنّه يضع يده في جيبيه، سلاح محتمل، لا يمكننا رؤية يده".

صوت والر: "الآن".

"تحرّك يا "برافو اثنان"".

تمتم الرجل: "غريب".

ظنّ ماريوس فيلاند في البداية أنه يسمع أصواتاً فأخفض صوت موسيقى فايولنت فيمزمز ليتوثق من ذلك. سمعه مجدداً؛ كان هناك شخص يقرع الباب. من القادم بحق الله؟ وفقاً لما يعرفه، كان كل من في الرواق قد ذهب إلى منزله لقضاء عطلة الصيف، باستثناء شيرلي التي رآها على السلام. لقد أوقفها ليسألها إن كانت ترغب بمرافقته إلى حفل موسيقي، أو فيلم، أو مسرحية؛ مجاناً، وقال لها إنّه بمقدورها أن تختار ما تشاء. نهض ماريوس ولاحظ أن يديه متعرّقتان؛ لماذا؟ لم يكن هناك سبب معقول يجعله يظن أنها هي. ألقى نظرة سريعة في أرجاء الغرفة، وأدرك أنه لم يكن قد تأملها من قبل قطّ حتّى الآن. لم تكن لديه أشياء كثيرة في الغرفة تجعلها تبدو في حالٍ من الفوضى. وكانت الجدران عارية باستثناء لوحة ممزّقة لإيغي بوب، ورف كتب كتيب المظهر سيمتلئ قريباً بأقراص مضغوطة وأفلام دي - في - دي. بدت غرفته كريهة المنظر، وتفتقر تماماً إلى ميزة خاصة بها. سمع للمرة الثانية قرعاً على الباب، فركل بسرعة لحافه الذي يبرز من مؤخر الأريكة التي يمكن تحويلها إلى سرير. فتح الباب وهو يفكر أنها ليست هي، ولا يمكن أن تكون... لم تكن هي.
"سيد فيلاند؟".

"نعم".

حدّق ماريوس إلى الرجل مذهولاً.

"لديّ طرد لك".

نزع الرجل الحقيقية عن كتفه، ثم أخرج منها مغلفاً من قياس إيه 4 وأعطاه إياه. أمسك ماريوس المغلف الأبيض الذي كان يحمل طابعاً بريدياً

بيده، ولكنه لم يرَ اسماً مكتوباً عليه.

سأل: "هل أنت واثق أنه لي؟".

"نعم. أريد توقيعك لأثبت استلامك إيّاه...". ومدَّ الرجل نحوه لوح كتابة عليه ورقة.

نظر ماريوس إليه مستفسراً.

"آسف، ليس لديّ قلم. لديك واحد، أليس كذلك؟". ابتسم الرجل. حدّق ماريوس إليه مجدداً. كان هناك خطب ما؛ شيء ما لم يستطع تحديده بدقة.

قال ماريوس: "لحظة واحدة".

أخذ المغلّف معه ووضع على الرف بجانب حلقة المفاتيح التي كانت على شكل جمجمة. وحين وجد قلماً في الدرج استدار إلى الخلف. نكص ماريوس على عقبه حين رأى الرجل واقفاً آنذاك في الممر المعتم خلفه. قال ماريوس: "لم أسمعك وأنت تدخل"، وسمع ضحكته ترتد بعصية بين الجدران.

لم يكن خائفاً، فالمكان الذي جاء منه يدخل الناس فيه عادة المنازل للمحافظة على حرارة أجسادهم. ولكن، كان هناك شيء غريب بشأن هذا الرجل، فقد نزع نظارته وخوذته وأضحى بمقدور ماريوس آنذاك رؤية ما قد جعله يفزع منه. بدا أكبر سناً مما ينبغي، فالعاملون في خدمات التوصيل يكونون عادة في العقد الثاني من أعمارهم. كان جسد هذا الرجل نحيلاً ورشيقاً، ويمكن أن يكون جسد شابّ يافع، لكن الوجه يخص شخصاً في أواخر العقد الثالث وربما الرابع.

كان ماريوس على وشك أن يقول شيئاً حين رأى ما يحمله عامل خدمة التوصيل في يده. كانت الغرفة مضاءة، ولكن الرواق معتم، وقد شاهد ماريوس فيلاند أفلاماً بما فيه الكفاية ليتعرّف خطوط مسدس يوجد كاتم صوت في نهايته.

تلعثم ماريوس وهو يسأله: "هل هذا لي؟".

ابتسم الرجل وأشار بالمسدس إليه؛ إلى وجهه. عرف ماريوس آنذاك أنه يجب أن يشعر بالخوف.

قال الرجل: "اجلس. اجلب القلم وافتح المغلّف".

انهار ماريوس على الكرسي.

قال الرجل: "يجب أن تكتب شيئاً".

"أحسن يا "برافو اثنان"". صرخ فالكيد، ووجهه أحمر ولامع.

كان أوتو يتنفس من أنفه، فيما يظهر على الشاشة رجل يستلقي على بطنه على الأرضية أمام الغرفة 205، ويداه مكبلتان بالأصفاذ خلف ظهره، وأفضل ما في الأمر أنه ممدد ووجهه نحو آلة التصوير ويستطيع المرء رؤية الدهشة على وجهه وكذلك الألم. كان بالإمكان مشاهدة انهيار الوغد بإذعان وببطء. بدا ذلك سبباً صحفياً. لا، بل هو أكثر من ذلك، إنه تسجيل تاريخي. الذروة المثيرة لصيفٍ دامٍ في أوسلو: اعتقال القاتل وهو يحاول اعتراف جريمته الرابعة. سيحاول العالم كله عرض الفيلم الذي صورته. يا للهول! لقد أصبح - هو نفسه أوتو تانغن - رجلاً ثرياً، ولا مزيد من هراء 7 - إيليفن، أو الوغد والر. ويمكنه شراء... يمكنه... أود - ريتا ويمكنه...

قال الرجل الذي يقف عند الباب: "هذا ليس هو".

أطبق الصمت على الحافلة.

مال والر على كرسيه إلى الأمام.

"ما هذا يا هاري؟".

"إنه ليس هو. الغرفة 205 هي إحدى الغرف التي لم يحالفنا أي حظ معها. ووفقاً لقائمة المقيمين في الغرف التي لديّ هنا، اسمه أود إينار ليلبوستاد. من الصعب رؤية ما يمسكه الرجل على الأرضية، ولكن يبدو لي أنه قد يكون مفتاحاً. آسف يا شباب، لكنني أخمن أن أود إينار ليلبوستاد قد عاد إلى غرفته للتو".

حدّق أوتو إلى الصورة. كانت لديه معدّات تفوق قيمتها مليون كرون في الحافلة؛ بعضها اشتراها والأخرى استعارها. كان بإمكانه التركيز على اليد وتكبيرها بسهولة مثل طرفة عين ليتوثق إن كان ذلك الرجل الواقف عند الباب محقاً، ولكنه لم يكن بحاجة إلى ذلك.

"من "برافو اثنان" إلى ألفا، وفقاً للبطاقة المصرفية، اسم هذا الرجل هو أود إينار ليلبوستاد".

انهار أوتو على كرسيه.

قال والر: "استرخوا يا شباب. سيأتي حتماً، أليس كذلك يا هاري؟".

لم يُجب الوغد هاري، وبدلاً من ذلك رنّ هاتفه الخليوي.

حدّق ماريوس فيلاند إلى الورقتين البيضاوين اللتين أخرجهما من

المغلف.

سأل الرجل: "من أقرب الناس إليك؟".

غصّ ماريوس، وأراد أن يجيب، لكن صوته لم يطعه.

قال الرجل: "لن أقتلك، شرط أن تفعل ما أقوله لك".
همس ماريوس: "أمي وأبي". بدا ذلك مثل نداء استغاثة مثير للشفقة.
طلب منه الرجل أن يكتب اسمي والديه وعنوانهما على المغلف. بدأ
ماريوس بكتابة الاسمين؛ الاسمين المؤلفين، وكلمة بيوفورد. حدّق إلى الكتابة
بعد ذلك، وبدت ملتوية ومهتزة.
بدأ الرجل يُملّي عليه رسالة، وحرّك ماريوس يده بإذعان فوق الورقة.
"مرحباً، تغيير مفاجئ في الخطط! سأذهب إلى المغرب مع جورج. إنه
رجل مغربي التقيته. سنقيم مع والدته ووالده في قرية جبلية صغيرة تدعى
"حسان"، وسأغيب أربعة أسابيع. ربما سيكون صعباً أن أحظى بإشارة هاتف
خلوي، لكنني سأحاول أن أكتب لكما، رغم أن جورج يقول إن البريد سيئ
هناك. على كل حال، سأتصل بكما حين أعود. محبتي...".
قال ماريوس: "ماريوس".

"ماريوس".

طلب الرجل من ماريوس أن يضع الرسالة في المغلف ثم في الحقيبة
التي رفعها أمامه.

"على الورقة الأخرى اكتب: سافرت إلى الخارج، وسأعود بعد أربعة
أسابيع. وقّعها بتاريخ اليوم واكتب ماريوس. هذا كل شيء، شكراً لك".
جلس ماريوس على الكرسي متأملاً حجرة. كان الرجل واقفاً فوقه
مباشرة، وجعلت نسمة هواء الستائر تتمايل، وسمعا العصافير تزقزق على
نحو هستييري في الخارج. مال الرجل إلى الأمام وأغلق النافذة، ولم يعد
يُسمع آنذاك إلا الطنين الخافت الصادر عن مشغّل الأقراص المضغوطة
الموضوع على رف الكتب.

سأل الرجل: "ما هذه الأغنية؟".

قال ماريوس: "بثرة في الشمس". كان قد ضغط على زر "إعادة". فقد
أحبّها، وسيكتب عنها نقداً جيداً؛ رأياً نقدياً تهكمياً على نحو دافئ، وشامل.
قال الرجل: "لقد سمعتها من قبل". ووجد مفتاح الصوت ورفعها.
"لكنني لا أتذكر أين".

رفع ماريوس رأسه وحدّق إلى خارج النافذة، إلى الصيف الذي أصبح
صامتاً، إلى شجرة البتولا التي يبدو أنها تلوّح له مودّعة، إلى المرج الأخضر.
رأى في الصورة على الزجاج الرجل وهو يرفع المسدس ويسدّده إلى قفا
رأسه.

"امرح بقوة!". جاء الصراخ من المجهارين الصغيرين.

أخفض الرجل الممسدس مجدداً وهو يقول: "آسف، نسيت تحرير قفل الأمان، هذا كل شيء".

أغمض ماريوس عينيه بقوة. شيرلي، فكّر فيها. أين هي الآن؟ قال الرجل: "أتذكر الآن. حدث ذلك في براغ. إنها تدعى فايولنت فيمز، كما أظن. اصطحبتني زوجتي إلى الحفل الموسيقي. إنهم ليسوا بارعين، أليس كذلك؟".

فتح ماريوس فمه ليجيب، لكن في تلك اللحظة صدر عن الممسدس صوت خافت يشبه السعال الجاف، ولم يعرف أحد رأي ماريوس في فايولنت فيمز مطلقاً.

أبقى أوتو بصره على الشاشات. خلفه، كان فالكيد يتكلم بلغة قاسية مع "برافو اثنان". أجاب ذلك الوغد هاري على الهاتف الخليوي الذي رنّ، ولم يقل الكثير، وظنّ أوتو أنها ربما تكون سيدة قبيحة تريد منه أن يخرج معها، فأرهمف السمع.

لم يقل والر شيئاً، وجلس يعض مفاصل أنامله ووجهه خالٍ من أي تعبير وهو يشاهد أود إينار ليلبوستاد يُقاد بعيداً. لم يقيّدوا يديه، إذ لا سبب حقيقي يدعو للاشتباه فيه، لا شيء إطلاقاً.

أبقى أوتو بصره مسمّراً على الشاشات. وانتابه شعور بأنه جالس بجانب مفاعل نووي. في الخارج لم يكن بوسعه رؤية شيء، وفي الداخل يغلي مع ممتلكات لا يريد أحد أن يمسّها بعضا طويلة مقابل أي شيء في العالم. والعيون مركزة على الشاشات.

قال فالكيد: "حوّل وانتهى". ثم وضع الجهاز جانباً. كان ذلك الوغد هاري لا يزال يتحدث عبر الهاتف بكلمات ذات مقطع واحد.

قال والر، وعيناه على الصور التي تظهر أروقة وسلام خاوية: "لن يأتي".

قال فالكيد: "لا يزال الوقت باكراً".

هزّ والر رأسه ببطء. "إنه يعرف أننا هنا. أشعر بذلك في قرارة نفسي. إنه جالس في مكان ما يضحك علينا".

على شجرة في الحديقة، كما فكّر أوتو.

نهض والر قائلاً: "لنحزم كل شيء يا شباب. نظرية النجم الخماسي لن تصح. سنبدأ من الصفر مجدداً غداً".

"النظرية صحيحة".

استدار الثلاثة الآخرون نحو ذلك الوغد هاري الذي وضع هاتفه

الخلوي في جيبه.

قال: "اسمه سفن سيفرتسن. وهو نرويجي الجنسية يعيش في براغ، وُلد في أوصلو عام 1946، لكنه يبدو أصغر سنًا بكثير؛ وفقاً لزميلتنا بتي لون. أُلقي القبض عليه مرتين بتهمة التهريب. منح والدته ألماسة مماثلة لتلك التي عثرنا عليها على الجثث. تقول والدته إنه كان في أوصلو لزيارتها كل الأيام موضع التساؤل؛ في دارة فيل".
رأى أوتو وجه والر يتجهّم ويمتقع لونه.
همس والر بصعوبة: "والدته، في المنزل الذي يشير إليه آخر رأس للنجم؟".

قال ذلك الوغد هاري: "نعم، وهي تنتظر الآن زيارة منه؛ هذا المساء. هناك سيارة تحمل تعزيزات في طريقها إلى بوابة سكويغاردز. سيارتي هنا في الشارع".

نهض عن كرسيه، في حين كان والر يفرك ذقنه.
قال فالكيد وهو يمسك اللاسلكي: "يجب أن نعيد تجميع أنفسنا".
صرخ والر: "انتظروا! لن يفعل أحد شيئاً حتى أقول أنا ذلك".
نظر الآخرون إليه، فيما أغمض والر عينيه. انقضت ثانيتان، ثم فتحهما مجدداً.

"أوقف السيارة قبل أن تصل إلى هناك يا هاري. لا أريد سيارة شرطة على بعد دائرة قطرها كيلومتر من ذلك المنزل. إذا شعر بأقل خطر، فسنفقده. أعرف بضعة أشياء عن المهربيين من أوروبا الشرقية، وهم يتوثقون دائماً - دائماً - من وجود طريق للهرب. وهناك شيء آخر، عندما نفقدهم، فنحن لا نعثر عليهم مجدداً، أبداً. فالكيد، ابق أنت ورجالك هنا وتابعوا العمل حتى تسمعوا شيئاً آخر".
"لكنك قلت بنفسك إنه لم يكن -".

"افعل ما أقوله لك. ربما تكون هذه هي الفرصة الوحيدة لنا. ولأنني المسؤول أود أن أتعامل مع هذا الأمر شخصياً. هاري، تولّ المسؤولية هنا، هل اتفقنا؟".

رأى أوتو هاري الوغد يحدّق إلى والر، ولكن بطريقة خاوية من أي تعبير نوعاً ما.

كرّر والر: "هل اتفقنا؟".

قال الوغد: "لا بأس".

1 في أقصى المناطق الشمالية والجنوبية من الكرة الأرضية ، قد يطول

الليل أو النهار في بعض الأوقات ليصل إلى عشرين ساعة تقريبا ً.

الفصل الثامن والعشرون:

السبت. العضو الاصطناعي

راقبت أولوغ سيفرتسن بتي بعينين حمراوين كبيرتين حين توثقت الأخيرة من أن لديها رصاصات في كل حجيرات مسدسها. "سفن ابني؟ يا للهول! يجب أن يفهموا أنهم يقتربون خطأ! لن يؤدي سفن ذبابة".

أعدت بتي بكرة مسدسها إلى مكانها فأصدرت طقّة، ثم ذهبت إلى نافذة المطبخ التي تطل على موقف السيارات في بوابة سكويغاردز. "لنأمل هذا. لكن لنكتشف الحقيقة، يجب أن نعتقله أولاً". كان قلب بتي يخفق بسرعة، ولكن ليس بعنف. تلاشى تعبها واستبدل بشعور بالنشاط والتركيز؛ وكأنها قد تناولت نوعاً من العقاقير. كانت تحمل مسدس والدها الرسمي القديم، وقد سمعته مرة يقول لزميل له إنه يجب ألا يعتمد أبداً على سلاح يدوي يطلق رصاصة واحدة. "ألم يقل شيئاً عن الوقت الذي سيأتي فيه إلى هنا؟". هزت أولوغ رأسها. "هناك عدّة أشياء عليه أن ينجزها، كما قال". "هل لديه مفتاح للباب الرئيس؟". "لا".

"جيد، إذًا -".

"أنا لا أوصده عادة إن كنت أعرف أنه قادم".

"أليس الباب موصداً؟".

شعرت بتي بالدم يندفع إلى رأسها، وأصبح صوتها حاداً وأجشّ. لم تعرف ممن هي غاضبة؛ أهي غاضبة من السيدة العجوز التي تحظى بحماية الشرطة لكنها تركت الباب مفتوحاً حتى يستطيع ابنها دخول المنزل، أم من نفسها لأنها لم تتوثق من مثل ذلك الشيء الأساسي؟ سحبت نفساً عميقاً لتجعل صوتها أهدأ، ثم قالت: "أريد منك أن تجلسي هنا يا أولوغ، ثم سأخرج إلى الردهة و-".

"مرحباً!". جاء الصوت من خلف بتي فخفق قلبها بسرعة، ولكن ليس بعنف. استدارت نحو الخلف وهي تمدُّ يدها اليمنى وإصبعها البيضاء النحيلة معقوفة حول الزناد المشدود. كان هناك شخص ما يقف في المدخل المؤدي إلى الردهة، ولم تكن قد سمعته وهو يدخل. بدا ذلك سيئاً، وغباً كبيراً.

قال الصوت وهو يضحك بصوت خافت: "عجباً".

سَدَدت بتي المسدس إلى وجهه، وتردّدت جزءاً من الثانية قبل أن ترفع يدها عن الزناد.

سألت أولوغ: "من أنت؟".

قال الصوت: "سلاح الفرسان يا فراو سيفرتسن، المفتش توم والر". مدّ والر يده وقال، ملقياً نظرة عابرة على بتي: "لقد تخطيت آداب اللياقة وأوصدت بابك الأمامي يا فراو سيفرتسن".

سألت بتي: "أين الباقون؟".

"ليس هناك باقون، بل نحن...". تجمّدت بتي حين أضاف توم والر وقد رسم ابتسامة على شفثيه: "... الاثنان فقط يا عزيزتي". شارفت الساعة على 8:00 مساءً.

عبر التلفاز حدّرت الأرصاد الجوية من أن جبهة باردة في طريقها فوق إنكلترا، وأن موجة الحر ستنتهي قريباً.

في أحد أروقة مركز البريد، قال روجر غيندم لزميل له إن الشرطة متكّمة على نحو يثير الريبة في الأيام القليلة الماضية، وإنه يخمّن أنّ شيئاً ما يتخمّر. كان قد سمع إشاعات بأن القوات الخاصة في حال تأهب، ولم يردّ قائدها سيفرت فالكيد على مكاملة واحدة في اليومين الأخيرين. ظنّ زميله أنه يتمنى ذلك، ووافق موظفو التحرير على ذلك. احتلت الجبهة الباردة أخبار الصفحة الأولى.

كان بيارني مولر جالساً على الأريكة وهو يشاهد نخمة موسيقى.

أعجبه إيفار ديرهوغ، وأحب أغانيه، ولم يكثرث إن كان بعض الناس في العمل يظنون أنها عتيقة الطراز وغير متكلّفة؛ فهو يحب البساطة. خطر له مجدداً أن النزويج تحفل بالعديد من المغنّين الموهوبين الذين لم تُسلط الأضواء عليهم. على كل حال، لم يستطع مولر هذا المساء التركيز على الأغاني والرسالة، وإنما حدّق فقط إلى الخواء في حين راجع في ذهنه آخر المستجدات التي تلقاها من هاري عبر الهاتف.

توثق من ساعته، وألقى نظرة على الهاتف للمرة الخامسة خلال نصف ساعة. كان الاتفاق أن يتصل به هاري حين يعرفون شيئاً جديداً، وقد طلب قائد الشرطة تقريراً عند انتهاء العملية. تساءل مولر: هل لدى القائد تلفاز في كوخه الخشبي؟ وهل هو جالس الآن مثله؛ يشاهد برنامج أسئلة عن البوب، والأجوبة في فمه ولكن ذهنه في مكان آخر؟!

مجّ أوتو من لفافة تبغ، ثم أغمض عينيه، سمع الريح تعصف بالأوراق الجافة في الخارج، وشعر بالاكئاب حين أغلقوا الستائر. كانت

العلبة المعدينة الأخرى قد سقطت في مصرف المياه، وذهب نيلز إلى المنزل. نفدت لفائف التبغ من أوتو، لكنه أخذ واحدة من ذلك الشرطي الوغد المدعو هاري. أخرج هاري علبة "كاميل خفيف" من جيبه بعد نصف ساعة من مغادرة والر المكان، وبدا ذلك اختياراً جيداً، باستثناء الجزء المتعلق بكلمة "خفيف". حدّق إليهما فالكيد مستنكراً حين بدأ التدخين، لكنه لم يقل شيئاً. ملح وجه سيفرت فالكيد عبر ضباب الدخان الأزرق الذي شكّل أيضاً ستارة مؤقتة فوق صور الأروقة والسلام الساكنة على نحو مزعج.

كان هاري قد دفع كرسيه إلى الأمام وقرّبه من كرسي أوتو حتى يصبح أقرب إلى الشاشة. دخّن لفافة تبغه ببطء في حين حدّق بإمعان إلى الصور وتفحصها واحدة تلو الأخرى؛ وكأن هناك شيئاً لم يلحظه بعد. سأل هاري، مشيراً إلى إحدى الصور على الشاشة اليسرى: "ما هذا؟". "هناك؟".

"لا، في الأعلى، في الطابق الرابع". حدّق أوتو إلى صورة رواقٍ خالٍ ذي جدران صفراء باهتة. قال أوتو: "لا أرى شيئاً مميزاً". "فوق الباب الثالث على الجانب الأيمن، على الجص". حدّق أوتو، ورأى بعض العلامات البيضاء. تساءل في البداية إن كانت قد ظهرت في أثناء محاولة فاشلة لتركيب إحدى آلات التصوير، لكنه لم يتذكر إحداًه ثقباً في الجدار في تلك البقعة تحديداً. مال فالكيد إلى الأمام متسائلاً: "ما هذا؟".

قال هاري: "لا أعرف. أوتو، هل يمكنك تكبير تلك...؟". حرّك أوتو المؤشر عبر الشاشة، ورسم دائرة صغيرة فوق الباب، ثم ضغط مفتاحين. ملأ القسم فوق الباب شاشة من قياس 21 بوصة كلها. تمتم هاري: "آه! يا الله". تباهى أوتو وهو يربت على الجهاز مُظهرًا إعجابه: "نعم يا سيدي، هذا ليس هراء". كان قد بدأ يعتاد على هاري ذلك. همس هاري: "نجم خماسي". "ماذا؟".

لكن الشرطي كان قد استدار إلى فالكيد. "اطلب من دلتا واحد أو أيّاً تكن تسميته الاستعداد لاقتحام 406. أخبرهم أن ينتظروا حتى يروني".

نهض الشرطي وأخرج مسدساً تعرّفه أوتو نتيجة تصفّحه الإنترنت في الليلة السابقة؛ غلوك 21. لم يعرف ما سيحدث بالتحديد، لكنه عرف أن هناك خطباً ما؛ شيئاً قد يعني أنه سيحصل على سبّقه الصحفي أخيراً. في تلك الأثناء، خرج الشرطي من الباب.

قال فالكيد: "من ألفا إلى دلتا واحد"، واستمر بالضغط على زرّ الإرسال. وبعد قليل، سُمِعَت ضوضاء؛ خشخشة محببة.

توقف هاري أمام المصعد داخل الردهة وتردد لحظة، ثم أمسك المقبض وفتح الباب. شعر بقلبه يتوقف للحظات حين رأى الباب الداخلي الشبكي الأسود؛ باباً يُفتح جانبياً.

أفلت الباب من يده وكأنه يحرقه، وتركه يُغلق؛ فقد فات الأوان على كل حال. بدا الأمر بالنسبة إليه كاندفاعة أخيرة يائسة نحو المنصة حين تعرف أن القطار قد غادر، لكنك تود أن تلمحه قبل أن يختفي عن الأنظار تماماً.

صعد هاري على السلام، وحاول أن يمشي بهدوء. متى جاء الرجل إلى هنا؟ قبل يومين؟ قبل أسبوع؟

لم يتمالك نفسه وبدأ يركض. أراد أن يلمحه.

وعندما استدار يساراً إلى الرواق في الطابق الرابع، ظهر ثلاثة أشخاص متشحين بالسواد من الطرف البعيد.

توقف هاري تحت النجم المنقوش على الجدار؛ بياض يلمع في الجدار الأصفر.

رأى تحت رقم الغرفة - 406 - اسماً؛ فيلاند، وأسفله ورقة مثبتة بالجدار بشريطين لاصقين.

سافرت إلى الخارج، وسأعود بعد أربعة أسابيع، ماريوس.

أوماً إلى دلتا واحد مشيراً إلى أنه بمقدورهم التصرف. فُتح الباب بعد ست ثوانٍ.

طلب هاري من الآخرين الانتظار ودخل بمفرده. كانت الغرفة خاوية. جال ببصره في أرجاء الغرفة، فبدت له نظيفة ومرتبّة؛ مرتبّة كثيراً. لم يكن هذا ملائماً للوحة إيغي بوب الممزقة على الجدار فوق الأريكة التي يمكن تحويلها إلى سرير. رأى على الرف فوق الطاولة الخالية بضعة كتب بالية ورقية الغلاف، وبجانبها خمسة مفاتيح أو ستة في حلقة على شكل جمجمة، وصورة فتاة سمراء البشرة تبتسم، وخمّن هاري أنها حبيبة أو شقيقة. كان بين كتاب من تأليف بوكوفسكي وجهاز تسجيل إبهام شمعي

أبيض يشير إلى الأعلى؛ تعبيراً عن الموافقة كما لو أنه يقول: كل شيء جاهز، كل شيء على ما يرام، أليس كذلك؟
نظر هاري إلى إيغي بوب؛ إلى الجسد النحيل العاري حتى الخصر، وإلى الندوب التي أصاب نفسه بها، والنظرة القوية من محجري عيني عميقين؛ كلها تشير إلى أنه رجل مرّ بمحن كثيرة. مسّ هاري الإبهام على الرف، واكتشف أنه طري جداً. لا يُعقل أن يكون مصنوعاً من الجص أو البلاستيك، وبدا مثل إصبع حقيقية تقريباً، باردة ولكنها حقيقية. فكّر في العضو الاصطناعي الذي رآه في شقة بارلي وهو يشم الإبهام الأبيض الذي تفوح منه رائحة ممزوجة من الفورمالين والطلاء. أمسكه بين إصبعيه وضغط عليه، فتقشّر الطلاء، وتراجع هاري إلى الخلف حين شمّ الرائحة اللاذعة.

"بتي لون".

"أنا هاري، كيف تسير الأمور عندك؟".

"لا نزال ننتظر. لقد اتخذ والر موقفاً في الردهة وأبعدني والسيدة سيفرتسن إلى المطبخ. يا له من تحرير للمرأة!".

"أتصل من الغرفة 406 في المبنى الطلابي، لقد كان هنا".
"كان هناك؟".

"يوجد نقش نجم خماسي على الجص فوق الباب، والفتى المقيم هنا، ماريوس فيلاند، قد اختفى. لم يره الطلاب الآخرون منذ عدّة أسابيع، وهناك قصاصة ورقية معلقة على الباب تقول إنه سافر بعيداً".
"حسناً، ربما يكون قد سافر بعيداً حقاً".

لاحظ هاري أن بتي قد بدأت تقلّد تكلفه في الحديث.

قال هاري: "لا أظن ذلك. إذ لا يزال إبهامه في غرفته؛ في حالة محتطة نوعاً ما".

أطبق الصمت في الطرف الآخر من الخط.

"لقد اتصلت بزملائك في قسم الطب الشرعي. إنهم في طريقهم إلينا الآن".

قالت بتي: "لكنني لا أفهم. ألم تُخضعوا المبنى كله للمراقبة؟".

"حسناً، نعم، ولكن ليس منذ عشرين يوماً حين حدث هذا".

"عشرون يوماً! كيف تعرف هذا؟".

"لأنني وجدت رقم هاتف والديه واتصلت بهما. لقد تلقيا رسالة تقول إنه مسافر إلى المغرب. يقول والده إنها المرة الأولى التي يتلقيان فيها

رسالة من ماريوس. فهو يتصل هاتفياً عادة، وختم البريد على الرسالة منذ عشرين يوماً".

تمتمت بتي: "منذ عشرين يوماً".

"عشرون يوماً. بكلمات أخرى، قبل خمسة أيام بالتحديد من مقتل كامبلا لوين. بكلمات أخرى...".

سمع بتي تسحب أنفاساً عميقة عبر الهاتف.

قال: "... قبل خمسة أيام مما ظننا أنها جريمة القتل الأولى".
"يا الله!"

"إليك المزيد. جمعنا شاغلي البناء، وسألنا إن كان أحدهم يتذكر شيئاً من ذلك اليوم، وتقول الفتاة في الغرفة 303 إنها تتذكر تعريضها جسمها للشمس على العشب خارج المبنى بعد الظهر، وإنها تجاوزت في طريق عودتها عامل خدمة توصيل يركب دراجة، وتذكر ذلك لأنهم لا يرون عمال خدمة التوصيل كثيراً هنا، وقد مزحت بشأن الأمر مع الآخرين في الرواق حين بدأت الصحف تكتب عن القاتل المتسلسل بعد بضعة أسابيع".
"لقد غشّ بترتيب الجرائم إذاً؟".

قال هاري: "لا، ذلك غباء مني. هل تتذكرين أنني كنت أتساءل إن كانت أيُّ من الأصابع التي بترها نوعاً من الشيفرة أيضاً؟ حسناً، إنه أبسط شيء على الإطلاق. الإبهام، بدأ بالإصبع الأولى في اليد اليسرى وتابع طريقه. لا يجب أن يكون المرء عبقرياً ليكتشف أن كامبلا كانت الثانية".
"آه".

إنها تفعل ذلك مجدداً، كما فكّر هاري.

قالت بتي: "ونحن الآن نريد فقط الرقم خمسة؛ الإصبع الصغرى".

"تعرفين ما قد يعنيه هذا، أليس كذلك؟".

"إنه دورنا، وقد كان دورنا طوال الوقت. يا الله! هل يخطط حقاً

ل... أنت تعرف حقاً ما أقصده، أليس كذلك؟".

"هل تجلس والدته بجانبك؟".

"نعم، أخبرني بما سيفعله يا هاري".

"ليست لدي فكرة".

"أعرف أنه ليست لديك فكرة، ولكن أخبرني على كل حال".

تردّد هاري. "لا بأس. يعمل الكثير من القتلة المتسلسلين بدافع ازدراء الذات، ولأن الجريمة الخامسة هي الأخيرة، النهائية، فهناك احتمال كبير بأنه يخطط لزهق روح من أنجبته، أو نفسه، أو كليهما معاً. لا شأن لهذا

بعلاقته بوالدته، وإنما بنفسه. على كل حال، اختيار موقع الجريمة منطقي".
صمت.

"هل أنت هناك يا بتي؟".

"نعم، فعلاً. فقد نشأ على أنه ابن ألماني".
"من؟".

"الشخص الذي سيأتي إلى هنا".
الصمت مجدداً.

"لماذا ينتظره والر بمفرده في الردهة؟".
"لماذا تسأل؟".

"لأن الإجراء المعتاد أن يقوم كلاهما باعتقاله. هذا أكثر أماناً من
جعلك تجلسين في المطبخ".

قالت بتي: "ربما. لا أملك خبرة كبيرة في هذا النوع من العمل
الميداني. لا بد أنه يعرف ما يفعله".

قال هاري: "نعم".

خطرت بعض الأفكار في ذهنه؛ أفكار كان يحاول كبتها.
"هل هناك خطب ما يا هاري؟".

قال هاري: "نعم، لقد نفذت لفائف التبغ مني".

الفصل التاسع والعشرون:

السبت. الغرق

أعاد هاري هاتفه الخلوي إلى جيب سترته ومال إلى الخلف على الأريكة. كان فريق الطب الشرعي سيغلق المكان على الأرجح، ولكن لم تكن هناك أدلة كثيرة يتلفها. بدا واضحاً أن القاتل قد قام بعمل ممتاز في تنظيف آثاره هذه المرة أيضاً، وقد شمَّ هاري شذا صابون حين وضع وجهه على الأرضية ليفحص بعض الكتل السوداء التي بدت للوهلة الأولى مطاطاً محترقاً على المشمَّع. ظهر وجهه في المدخل.

"بيورن هولم، من الطب الشرعي".

قال هاري: "جيد، هل لديك لفافة تبغ؟".

نهض ومشى نحو النافذة حين جثم هولم وزملاؤه على الأرضية لبدأوا العمل. انساب ضوء المساء المائل على واجهات المنازل والشوارع والأشجار في كامبن وصولاً إلى توين. لم يعرف هاري بلدة أكثر جمالاً من أوسلو في أمسيات مثل هذه. لا بد من وجود بلدات أخرى، ولكنه لا يعرف أيّاً منها.

"أودُّ أن تعرف طبيعة تلك الكتل السوداء". أشار هاري إلى الأرضية.

قال هولم: "لا بأس".

شعر هاري بالدوار، فقد دخّن ثماني لفائف تبغ على التوالي، وقد أبقى هذا الأمر عطشه تحت السيطرة؛ كان مسيطراً عليه، ولكنه لم يختفِ تماماً. حدّق إلى الإبهام الذي بدا أنه قد بُتر باستخدام كُماشة. طلاء وغراء، إزميل ومطرقة لنقش النجم الخماسي فوق الباب؛ لقد جلب معه معدّات كثيرة هذه المرة.

كان يتفهّم سبب وجود النجم الخماسي والإصبع، ولكن لماذا الغراء؟

قال هولم وهو يجلس القرفصاء: "يبدو مثل مطاط ذائب".

سأل هاري: "كيف تذيب مطاطاً؟".

"يمكن أن تشعل النار فيه، أو تستخدم مكواة كهربائية، أو مشعلًا

حرارياً".

هزَّ هاري كتفيه. "ما استخدامات المطاط الذائب؟".

قال زميله: "فلكنة (تقسية المطاط من خلال معالجته بالكبريت)، كما

تستخدمه في إصلاح أشياء أو لجعلها صامدة ومقاومة للماء. في إصلاح

عجلات السيارات مثلاً، أو إغلاق شيء يجب أن يكون مانعاً لتسرب الهواء؛

أشياء من هذا القبيل".
"وما سبب وجوده هنا برأيك؟".
"لا فكرة لديّ، آسف".
"شكراً لك".

كان الإبهام يشير إلى السقف، وفكّر هاري لو أن بمقدوره فقط أن يشير إلى حل الشيفرة. بدا واضحاً أنها شيفرة؛ فقد ثبت القاتل حلقة في أنوفهم، وهو يقودهم مثل حيوانات مطيعة إلى حيث يريد. وهذه الشيفرة لها حلٌّ أيضاً؛ حلٌّ بسيط جداً إن كانت معدّة لحمقى متوسطي الذكاء مثله.

حدّق إلى الإبهام الذي يشير إلى الأعلى. لا بأس، علم، فُهمت الرسالة. استمر ضوء المساء بالتدفق إلى الداخل.
مجّ بقوة من لفافة تبغ، فسرى النيكوتين في أوردته، وعبر الأوعية الشعرية الضيقة؛ من رثتيه وصعوداً نحو الأعلى. إنها تسمّم وتضرّ بالصحة؛ مؤذية لكنّها منعشة؛ تبا!

تأمّ هاري من نوبة سعال عنيفة. أشار الإبهام إلى السقف، في الغرفة 406، سقف الطابق الرابع. طبعاً، أحمق، أحمق.

أدار هاري المفتاح وفتح الباب. وجد مفتاح المصباح على الجدار، فضغط عليه ثم خطا إلى الداخل. كانت العلّية عالية ومهوّاة من دون نوافذ. وكانت تحتوي على غرف تخزين مرقّمة ومتجاورة ومتوازية الجدران يبلغ عرض كل منها مترين مربعين. كانت هناك ممتلكات مكوّمة خلف شبكة أسلاك تنتظر أن ينقلها المالك إلى مكبّ النفايات: فرشاة فيها ثقوب، أثاث أكل الدهر عليه وشرب، صناديق كرتونية مليئة بالثياب، أدوات كهربائية لا تزال تعمل ولذا لا يمكن التخلص منها بعد.
تمتم فالكيد حين دخل مع رجلين من القوات الخاصة: "المكان حارّ جداً هنا".

ظنّ هاري أنه تعبير دقيق جداً. ربما كانت الشمس في الخارج منخفضة في السماء في أثناء غروبها، ولكنها ظلّت تسفع آجر السقف طيلة النهار، وها هو الآن ينبض حرارة بقوة مشعّات كهربائية، ويحوّل العلّية إلى ساونا حقيقية.

قال هاري متجهاً إلى اليمين: "يبدو أن غرفة التخزين الخاصة بالغرفة 406 من هنا".

"لماذا أنت واثق جداً أنه سيكون في العلّية؟".

"حسناً، لأن القاتل قد أشار بنفسه إلى الحقيقة الواضحة؛ وهي أن الطابق الخامس فوق الرابع، وفي هذه الحال العلية".

"هل أشار إلى ذلك؟".

"إنه نوعٌ من الكناية".

"هل تدرك أنه يستحيل تماماً وجود جثة في الأعلى هنا؟".

"لِمَ هذا؟".

"صعدنا إلى هنا أمس مع كلب. لو كانت هناك جثة ملقاة في هذه الحرارة لمدة أربعة أسابيع... لكان الأمر مثل البحث عن صفارة إنذار في الداخل. إذ سيكون مستحيلاً ألا يعثر الكلب عليها، حتى لو كان الكلب الذي أحضرناه أقل كفاءة؛ علماً أن الكلب الذي جئنا به أمس كان من الطراز الأول".

"حتى إذا كانت الجثة مغلّفة بشيء يمنع تسرب الرائحة؟".

"جزيئات الهواء تنتقل بسرعة ويمكنها عبور الفتحات المجهرية. لا يبدو ممكناً أن -".

قال هاري: "فلكنة".

"ماذا؟".

توقف هاري أمام إحدى غرف التخزين، واتخذ الرجلان اللذان يرتديان بزتين رسميتين موقعيهما فوراً وكل منهما يحمل عتلة.
"لنجرب بهذه الطريقة أولاً".

دلى مجموعة المفاتيح أمامهم، ثم حاول فتح الباب باستخدام أصغر المفاتيح، ففتح القفل.

قال هاري: "سأدخل بمفردي. لا يجب أفراد الطب الشرعي أن نطأ المكان بأقدامنا".

استعار مصباحاً يدوياً ووقف أمام خزانة ثياب بيضاء عريضة وعالية لها بابان، وتشغل معظم مساحة منطقة التخزين. وضع أصابعه على المقبض وثبتت نفسه قبل أن يفتح الباب، واستقبل منخراه رائحةً ملابس متعفنة وغباراً. أشعل المصباح اليدوي، فرأى ثلاثة أجيال من البذلات الزرقاء معلّقة خلف بعضها على عارضة، وبدا واضحاً أن ماريوس قد ورثها. وجّه هاري ضوء المشعل إلى الداخل ومرّر يده على القماش؛ صوف خشن. كان غلاف رقيق يغطي إحداها، وفي الداخل كيس حماية بذلة رمادي اللون.

أغلق هاري بابي الخزانة، واستدار نحو الجدار الخلفي في غرفة

التخزين حيث توجد ستارتان - تبدوان منزليتي الصنع - تتدليان فوق

مشجب غسيل. سحبها هاري إلى الجانبين، فرأى مجموعة أسنان صغيرة وحادة. كان ما بقي من فرائه رمادياً، أما العينان البنيتان اللتان تشبهان المرمر فكانتا تحتاجان إلى تلميع. قال فالكيد: "دَلِّقْ (2)؟".
"أجل".

جال بصر هاري في المكان، ولم تكن هناك أشياء كثيرة لينظر إليها. هل كان مخطئاً حقاً؟ لاحظ بعد ذلك لفة السجاد. كانت فارسية - على الأقل هذا ما ظنّه - وتستقر على شبكة الأسلاك، وترتفع نحو الأعلى حوالى منتصف المسافة إلى السقف. وضع هاري كرسي خيزران بجانب السجادة، وصعد عليه، ووجه ضوء المصباح إلى الأسفل على السجادة. حدّق أفراد الشرطة الواقفون في الخارج إليه وتعابير متوترة تبدو على وجوههم. قال هاري وهو ينزل عن الكرسي ويطفئ المشعل: "حسناً".
قال فالكيد: "ماذا؟".

هزّ هاري رأسه. وتملّكه الغضب فجأة، فركل جانب خزانة الثياب التي بدأت تتمايل مثل راقصة شرقية. نبحت الكلاب؛ إنه بحاجة إلى شراب، كأس واحدة فقط، لحظة من دون عذاب. وحين استدار ليغادر الغرفة سمع صوت كشط؛ وكأن شيئاً ما ينزلق داخل الجدار. استدار فوراً، ورأى باب خزانة الثياب يُفتح قبل أن يقفز كيس البذلة نحوه ويوقعه أرضاً. عرف هاري أنه قد فقد وعيه مجدداً؛ لأنه عندما فتح عينيه بعد قليل كان مستلقياً على ظهره ويشعر بالألم في قفا رأسه. تنفّس وسط سحابة من الغبار كانت قد ارتفعت من الأرضية الخشبية الجافة. كان وزن كيس البذلة قد جعله يفقد الوعي، وشعر كما لو أنه يغرق؛ ممدداً تحت كيس بلاستيكي كبير مملوء بالماء. ضرب الكيس ذعراً، فأصابت قبضته السطح الأملس، ثم غارت داخل الكيس ولامست شيئاً طرياً. تسمّر هاري في مكانه وبقي ساكناً تماماً. استطاع أن يركّز بصره ببطء، وفي الوقت نفسه بدأ شعوره بأنه يغرق يتلاشى، واستبدل بإحساسه أنه قد غرق فعلاً.

حدّقت عينان لامعتان إليه من خلف غشاء من النايلون السميك رمادي اللون.

لقد عثروا على ماريوس فيلاند.

2 حيوان بحجم الهرّ، أصفر اللون، بطنه وعنقه يميلان إلى

البياض .

الفصل الثلاثون:

الأحد. الاعتقال

اندفع القطار السريع إلى الخارج بهدوء مثل نسمة هواء علية، وكان فضياً لامعاً. راقبت بتي أولوغ سيفرتسن التي شدت قامتها ونظرت إلى خارج النافذة، وعيناها تطرفان مراراً وتكراراً. كانت يداها المتغضنتان النحيلتان على طاولة المطبخ تشبهان منظرًا شاملاً للريف؛ فقد بدت التجاعيد ودياناً طويلة، والعروق الزرقاء - السوداء أنهاراً، والمفاصل سلاسل جبال والجلد يمتد فوقها مثل قماش خيام رمادية - بيضاء. نظرت بتي إلى يديها، وفكرت في ما يمكن لليدين أن تفعله على امتداد العمر، وما لا تستطيعان فعله، أو ما لا يمكنهما إنجازه.

عند الساعة 21:56 سمعت بتي البوابة تُفتح، ووقع خطوات على درب الحصى في الخارج.

نهضت وقلبها يخفق بسرعة وقوة مثل عدّاد غيغر.
قالت أولوغ: "ذلك هو".
"هل أنتِ واثقة؟".

ابتسمت لها أولوغ ابتسامة حزينة. "لقد سمعت خطواته على درب الحصى منذ أن كان فتى صغيراً. عندما كبر كفاية ليخرج في المساء كنت أستيقظ على صوت خطواته. إنه يسير اثنتي عشرة خطوة، عدّي فحسب".
فجأة، رأتا والر واقفاً في مدخل المطبخ. قال: "أحدهم قادم. أريد منكما البقاء هنا مهما حدث، هل هذا مفهوم؟".
قالت بتي وهي تومئ باتجاه أولوغ: "إنه هو".
أوما والر، ثم غاب عن الأنظار مجدداً.
وضعت بتي يدها على يد السيدة العجوز وقالت: "سيكون كل شيء على ما يُرام".

قالت أولوغ من دون أن تنظر إلى عينيها: "ستدركون أن هناك خطأ".
إحدى عشرة، اثنتا عشرة. سمعت بتي الباب يُفتح في الردهة، ثم سمعت والر يصرخ: "الشرطة! بطاقة هويتي على الأرض أمامك. ألقِ سلاحك وإلا فسأطلق النار!".

شعرت بيد أولوغ ترتعش.

"ضع سلاحك أرضاً وإلا فسأكون مرغماً على إطلاق النار!".

لماذا يصرخ بصوت عالٍ؟ لم تكن بينهما أكثر من خمسة أمتار أو

صاح والر: "أحدرك للمرة الأخيرة!".
نهضت بتي وأخرجت مسدسها من القراب الذي تثبته بالحزام على كتفها.

ارتعش صوت أولوغ: "بتي...".
رفعت بتي بصرها ورأت عيني السيدة العجوز المتوسلتين.
"ألق سلاحك! أنت تسدّد على شرطي".
اجتازت بتي الخطوات الأربع إلى الباب، وسحبته إلى الخلف، ودخلت الردهة وهي ترفع سلاحها. رأت توم والر على بعد مترين، وظهره لها. وفي المدخل، وقف رجل يرتدي بذلة رمادية، ويحمل حقيبة بيده. كانت بتي قد اتخذت قرارها بناءً على ما ظنّت أنها ستراه، لذا بدا رد فعلها الأول مرتبكاً.

صرخ والر: "سأطلق النار!".
شاهدت بتي الفم المفتوح والوجه الأسمر لرجل واقف بجانب الباب الأمامي. كان والر قد دفع آنذاك كتفه إلى الأمام ليتحمّل الارتداد حين يضغط على الزناد.
"توم...".

قالت اسمه بصوت خافت، لكن بدا لها أن ظهر توم والر قد تجمّد؛ وكأنها قد أطلقت النار عليه من الخلف.
"إنّه لا يحمل سلاحاً يا توم".

انتاب بتي شعور بأنها تشاهد فيلماً - مشهداً سخيلاً - كما لو أن شخصاً ما قد ضغط على زر الإيقاف المؤقت والصورة ثابتة في موقعها ومتجمدة؛ كما لو أنّ الصورة تهتز وترتعش والوقت لا ينقضي. انتظرت سماع فرقة المسدس، لكنها لم تسمعها. لم يكن توم والر مجنوناً؛ ليس بالمعنى السريري، وهو لا يفتقر إلى السيطرة على نفسه في ما يتعلق بردود أفعاله. بدا أن هذا ما أخافها كثيراً آنذاك؛ السيطرة بدم بارد حين أساء معاملتها.

قال والر أخيراً: "نظراً إلى أنكِ هنا، على كل حال...". وبدا صوته متكلّفاً وهو يتابع: "... ربما يمكنك تقييد يدي سجيننا بالأصفاة".

الفصل الحادي والثلاثون:
الأحد. "أليس رائعاً أن يكون
هناك شخص تكرهه؟"

كاد الليل ينتصف حين التقى بيارني مولر الصحافة للمرة الثانية خارج
مدخل مقر قيادة الشرطة. ولم تكن إلا أكثر النجوم لمعناً تسطح عبر
الضباب المنتشر فوق أوصلو، لكنه اضطر إلى حجب عينيه عن الكشافات
وأضواء آلات التصوير. وانهمرت الأسئلة الموجزة والمفاجئة عليه.
قال مولر مشيراً إلى ذراع ترتفع عالياً: "الواحد تلو الآخر، وعرفوا
بأنفسكم من فضلكم".

"روجر غيندم، أفتنبوستن. هل اعترف سفن سيفرتسن؟".
"يستجوب الرجل الذي يقود التحقيق، المفتش توم والر، المتهم حالياً.
لا يمكنني الإجابة عن سؤالك إلى أن تنتهي التحقيقات".
"هل صحيح أنكم وجدتم أسلحة وألماسات في حقيبة سيفرتسن؟ وأن
الألماسات مطابقة لتلك التي وجدتموها على جث الضحايا؟".
"أستطيع أن أؤكد أن هذا صحيح. هناك، نعم من فضلك".
صوت شابة. "قلت في وقت سابق هذا المساء إن سفن سيفرتسن
يعيش في براغ. وفي الواقع، تمكنت من اكتشاف عنوانه الرسمي. إنه نزل،
لكنهم يقولون إنه غادر المكان منذ أكثر من سنة، ولا يبدو أن أحداً
يعرف أين يعيش. هل تعرفون أنتم؟".
كان الصحفيون الآخرون يسجلون ملحوظاتهم قبل أن يجيب مولر.
"ليس بعد".

قالت المرأة باعتزاز بالكاد كان بإمكانها أن تخفيه: "استطعت التحدّث
إلى بعض السكان هناك، وقالوا إن سفن سيفرتسن لديه حبيبة شابة. لم
يعرفوا اسمها، لكن أحدهم أشار إلى أنها غانية. هل تعرف الشرطة هذا؟".
قال مولر: "لم نعرف هذا حتى هذه اللحظة، ولكننا نشكرك على
مساعدتك".

صرخ صوتٌ من بين المحتشدين: "ونحن أيضاً". تبعت ذلك ضحكات
من كل الرجال. فابتسمت المرأة متشككة.
ثم وُجّه إليه سؤال بلهجة أوستفولد: "داجبلاديت، كيف تتقبّل والدته
الأمر؟".

نظر مولر إلى عيني الصحفي، وعض شفته السفلية ليمنع نفسه من
أن يزمجر غاضباً.

"لا يمكنني الحكم على ذلك. نعم، من فضلك."
"داغسافيسن، نحن نتساءل: كيف يُعقل أن تبقى جثة ماريوس فيلاند
أربعة أسابيع في علية مبناه، في أحرّ أيام الصيف من دون أن يكتشفها
أحد؟".

"لسنا واثقين تماماً بشأن التوقيت الدقيق لهذا، لكن يبدو أن كيساً
مشابهاً للأكياس التي تُحفظ فيها البذلات قد استخدم، وقد أُغلق بإحكام
وفُرغ من الهواء قبل...". بحث مولر عن الكلمات المناسبة، "... أن يُعلّق في
خزانة الثياب في علية المبنى الطلاي".

سرت همهمة خافتة بين حشد الصحفيين، وتساءل مولر إن كان قد
أفصح عن الكثير من التفاصيل.

كان روجر غيندم يطرح سؤالاً آخر.
رأى مولر فمه يتحرك وهو يصغي إلى المقطوعة الموسيقية التي تطنُّ
في ذهنه؛ "اتصلت فقط لأقول إنني أحبك". كانت قد أجادت غناءها في
نغمة موسيقى؛ الشقيقة، المرأة التي ستؤدي الدور الرئيس في المسرحية
الموسيقية، ماذا كان اسمها؟

قال مولر: "أعتذر، هل يمكنك تكرار السؤال من فضلك؟".
كان هاري وبتي جالسين على سور منخفض، بعيداً عن حشد
الصحفيين المتزاحمين، وهما يشاهدان ما يحصل ويدخّنان. كانت بتي قد
أعلنت أنها مدخنة رسمياً، وأخذت لفافة تبغ من العلبة التي اشتراها هاري
للتو.

لم يشعر هاري نفسه بأي حاجة إلى التواصل الاجتماعي، وأراد أن
ينام فحسب.

شاهدا توم والر وهو يخرج من المدخل الرئيس ويتوجه نحو وابل
أضواء الكشافات مبتسماً. كانت الظلال تؤدي رقصة انتصار على جدار مقر
قيادة الشرطة.

قالت بتي: "سيصبح مشهوراً الآن. إنه الرجل الذي قاد التحقيق
واعتقل بمفرده القاتل المتسلسل".

"هل شهر مسدسين فعلاً؟". ابتسم هاري.
"نعم، كان الأمر مشابهاً لأفلام الغرب الأمريكي. هل يمكنك أن تخبرني
لماذا ستطلب من شخص ما أن يترك سلاحاً لا يحمله؟".

"على الأرجح، كان والر يعني السلاح الذي يحمله سيفرتسن. كنت
سأفعل الشيء نفسه".

"طبعاً، لكن هل تعرف أين وجدنا مسدسه؟ في حقييته".
"وفقاً لما كان والر يعرفه، بدا من الممكن أن يكون أسرع مسدس في
الغرب".

ضحكت بتي وسألته: "ستأتي بعد العمل لتناول الشراب معنا، أليس
كذلك؟".

التقت عيونهما، وأصبحت ابتسامتها ثابتة حين انتشر التورد على عنقها
ووجهها.

"لم أعن...".
"لا بأس. يمكنك أن تحتفلي بالنيابة عن كلينا يا بتي. لقد أنجزت
عملي".

"على كل حال، يمكن أن تأتي معنا".
"لا أظن هذا. كانت هذه قضيتي الأخيرة".
رمى هاري عقب لفافة التبغ بعيداً، فطار في الليل مثل يراعة.
"في الأسبوع القادم لن أكون شرطياً. ربما يجب أن أشعر أن هناك
شيئاً ما يستحق الاحتفال، ولكنني لا أحس بهذا".
"ماذا ستفعل؟".

"شيئاً آخر". نهض هاري. "سيكون شيئاً مختلفاً تماماً".
لحق والر بهاري إلى موقف السيارات.
"لِمَ تغادر باكراً جداً يا هاري؟".
"أنا متعب. ما طعم الشهرة؟".
"بعض الصور من أجل الصحف فقط. اخترت ذلك بنفسك، لذا تعرف
تماماً كيف هو الأمر".

"إذا كنت تقصد ذلك الوقت في سيدني، فقد جعلوني أبدو سعيداً
لأنني أطلقت النار على الرجل. أمّا أنت، فقد استطعت القبض عليه حياً،
وأنت من نوع رجال الشرطة الأبطال الذين يحبون الديمقراطية الاجتماعية".
"هل ألاحظ سخرية في كلامك؟".
"لا، على الإطلاق".

"لا بأس، لا أهتم بمن يجعلونه بطلاً. إذا كان هذا يُحسّن صورة
سلك الشرطة - وهذا ما يهمني - فبإمكانهم رسم لوحة رومانسية زائفة
عن أشخاص مثلي. في المخفر، نحن جميعاً نعرف من هو البطل الحقيقي
هذه المرة".

أخرج هاري مفتاح سيارته وتوقف أمام الإسكورت البيضاء.

"كان هذا ما أردت قوله يا هاري، نيابة عن كل من عملوا معك. أنت من حلّ القضية، ليس أنا أو أي شخص آخر."
"كنت أقوم بعملتي فحسب، أليس كذلك؟"
"عملك، نعم. هذا هو الشيء الآخر الذي أريد أن أتحدث معك بشأنه. هلا نجلس في السيارة مجدداً؟"
شما رائحة وقود كريهة في السيارة. ورفض والر لفافة تبغ قدّمها له هاري.

قال والر: "رُبت أولى مهامك. إنها ليست سهلة، ولا تخلو من المخاطر. ولكن، إذا نفذتها فسنوافق على جعلك شريكاً كاملاً."
قال هاري بعد أن نفخ الهواء على المرأة الداخلية: "وما هي؟"
مرّر والر أطراف أنامله على طول الأسلاك الخارجة من الثقب في لوحة القيادة حيث كان المذياع سابقاً.
سأل: "كيف كان ماريوس ميلاند يبدو؟"
"بعد مرور أربعة أسابيع على وجوده في كيس محكم الإغلاق، ما رأيك؟"

"كان عمره أربعاً وعشرين سنة يا هاري، أربعة وعشرين ربيعاً. هل تتذكر ما حلمت به حين كنت في الرابعة والعشرين، وما توقعته من الحياة؟"
تذكّر هاري.

ابتسم والر ابتسامة حزينة.
"في الصيف الذي بلغت فيه الثانية والعشرين ذهبت في رحلة على متن قطار مع غير وسولو. انتهى بنا الأمر في الريفيرا الإيطالية، لكن الفنادق كانت مكلفة جداً، لذا لم نستطع الإقامة في أي مكان؛ رغم أن سولو كان قد أخذ معه كل النقود التي وجدها في درج كشك والده في اليوم الذي غادرنا فيه. نصبنا خيمتنا على الشاطئ في الليل، وقضينا الأيام ونحن نمشي في المكان محدّقين إلى النساء والسيارات والمراكب. كان الشيء الغريب هو شعورنا بأننا أثرياء؛ لأننا في الثانية والعشرين من عمرنا. ظننا أن كل شيء لنا، وهناك هدايا بانتظارنا. كانت كاميليا لوين وباربرا سفندسن ووليزبيث بارلي شابات، وربما لم يصلن إلى مرحلة خيبة الأمل بعد يا هاري، وربما كنّ لا يزلن ينتظرن مناسبات الميلاد".

مرّر والر يده على لوحة القيادة وتابع:
"لقد استجوبت سفن سيفرتسن يا هاري، ويمكنك أن تقرّ التقرير

لاحقاً، لكن كل ما يمكنني قوله لك الآن هو ما سيحدث. إنه شرير قاسٍ وماكر. سيُدعي الجنون، وسيحاول خداع هيئة المحلفين وإثارة شكوك كبيرة لدى علماء النفس الذين لن يجرؤوا على إرساله إلى السجن. باختصار، سينتهي به الأمر في قسم الطب النفسي حيث سيتحسن على نحو ملموس، وسيطلق سراحه بعد بضع سنوات. هذا ما سيحدث يا هاري، وهذا ما نتعامل معه في ما يخص الحطام البشري الذي يحيط بنا. نحن لا ننظفه، ولا نتخلص منه، وإنما نحركه قليلاً، ولا نرى ذلك حتى تفوح من المنزل رائحة كريهة مثل جحر مملوء بالجرذان؛ لكن بعد فوات الأوان. انظر فقط إلى البلدان الأخرى حيث تجد الجريمة موطئ قدم ثابتاً لها. لسوء الحظ، نعيش حالياً في بلد غني جداً يتنافس فيه السياسيون مع بعضهم ليكونوا الأكثر سخاءً. لقد أصبحنا لطفاء جداً إلى درجة أنه لم يعد أحد يجرؤ على تحمّل مسؤولية القيام بأشياء بغیضة. هل تفهم؟".

"حتى الآن".

"نحن نتدخل هنا يا هاري ونتحمّل المسؤولية. نعتبر أن ما نقوم به عملاً صحيحاً لا يجرؤ المجتمع على القيام به".

مَجَّ هاري من لفافة تبغهِ بقوة حتى طقطق ورقها، وسأل وهو يستنشق الدخان: "ماذا تعني؟".

قال والر ناظراً إلى خارج النافذة: "سفن سيفرتسن، حطام بشري، يجب أن تتخلّص منه".

انحنى هاري إلى الأمام، وسعل مخرجاً الدخان من فمه. "هل هذا ما تفعله؟ ماذا عن الأشياء الأخرى؟ التهريب مثلاً؟".

"نقوم بكل نشاطاتنا لتمويل هذا".

وأوما والر ببطء، ثم مال نحو هاري الذي شعر بأنه يضع له شيئاً ما في جيب سترته.

قال والر: "كبسولة دواء، تدعى هبة جوزيف، طورتها ك - ج - ب في أثناء الحرب الأفغانية لتنفيذ عمليات الاغتيال، لكنها مشهورة بوصفها وسيلة لانتحار جنود شيشانيين أسرى. إنها تُوقف التنفّس، ولكن بخلاف حامض البروسيك لا طعم لها ولا رائحة. توضع الكبسولة داخل المستقيم أو تحت اللسان. إذا شرب المرء المحتويات المذابة في ماء، فسيموت بعد ثوانٍ. هل فهمت ما هي مهمّتك؟".

شدّ هاري قامته. لم يعد يسعل الآن، لكن الدموع ترقرت في عينيه.

"إذاً، يُفترض أن يبدو الأمر مثل انتحار؟".

"سيؤكد الشهود في مبنى الاحتجاز أنهم نسوا البحث في المستقيم حين أحضر إليهم. ربّنا كل شيء، لا تقلق".

تنفّس هاري بعمق. كانت الأبخرة الصادرة من جِراء احتراق الوقود تجعله يشعر بالغثيان. صدحت صفّارة إنذار في مكان بعيد ثم صمتت. "فكّرت في إطلاق النار عليه، أليس كذلك؟".

لم يُجب والر. رأى هاري سيارة شرطة تتوقف أمام مدخل مبنى الاحتجاز.

"لم تكن تنوي اعتقاله مطلقاً. أخذت معك مسدسين لأنك خطّطت أن تضع المسدس الآخر في يده بعد أن تُرديه قتيلاً لتجعل الأمر يبدو وكأنه قد هدّدك. وضعت بتي والأم في المطبخ، ثم صرخت حتى تشهدا بعد ذلك أنهما قد سمعتاك وأنت تصيح وأنت تصرفت بتلك الطريقة دفاعاً عن النفس، لكن بتي جاءت إلى الردهة باكراً جداً، فذهبت خطّتك أدراج الرياح".

أطلق والر تنهيدة عميقة.

"نحن ننظف يا هاري، بالطريقة نفسها التي تخلصت بها من القاتل في سيدني. النظام القضائي معطل، ومعدّ لوقت مختلف؛ وقت أكثر براءة. وإلى أن يتغير، لا يمكن أن نسمح للمجرمين بأن يسيطروا على أوسلو. لكن، لا بد أنك تعرف كل هذا لأنك تراه عن كثب كل يوم".

أمعن هاري النظر إلى وهج لفافة تبغّه في العتمة، ثم أوماً وقال: "كنت أحتاج فقط إلى رؤية الصورة كاملة".

"لا بأس يا هاري. اسمع، سيكون سفن سيفرتسن في الزنانة رقم تسعة في مبنى الاحتجاز حتى نهاية ليلة الغد، أو بكلمات أخرى حتى صباح الاثنين، ثم سيُنقل إلى زنانة آمنة في أُلرسمو حيث لن نستطيع الوصول إليه. مفتاح الزنانة رقم تسعة على طاولة الاستقبال إلى اليسار. لديك حتى منتصف ليلة الغد يا هاري، ثم سأصل بمبنى الاحتجاز ليقولوا لي إن القاتل قد تلقى عقابه العادل. هل هذا مفهوم؟".

أوماً هاري مجدداً، وابتسم والر.

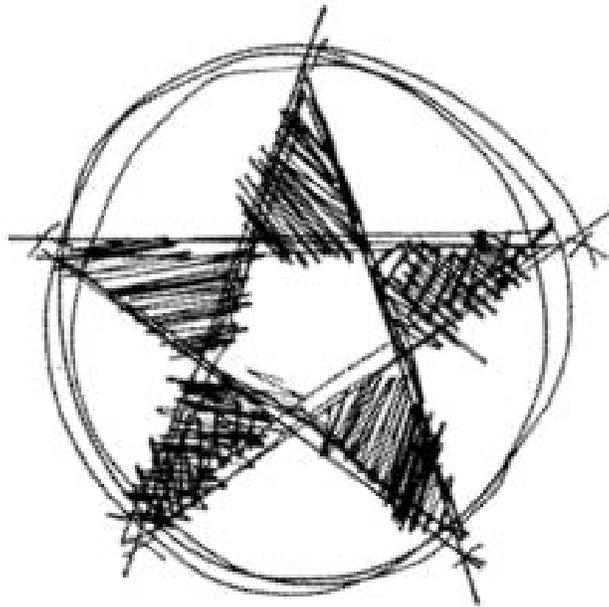
"هل تعرف أمراً يا هاري؟ على الرغم من سعادتي لأننا أصبحنا أخيراً في الفريق نفسه، إلا أن جزءاً صغيراً مني يشعر ببعض الحزن. هل تعرف السبب؟".

هزّ هاري كتفيه. "لأنك ظننت أن هناك أشياء لا يستطيع المال شراءها؟".

ضحك والر. "عبارة لطيفة يا هاري. السبب هو أنني أشعر بخسارتي
عدوًا جيداً. نحن متشابهان، وأنت تفهم ما أتكلم عنه، أليس كذلك؟".
"أليس رائعاً أن يكون هناك شخص تكرهه؟".
"ماذا؟".

"مايكل كروهن، راغا روكرز".
"أربع وعشرون ساعة يا هاري. حظاً طيباً".

القسم الخامس



الفصل الثاني والثلاثون:

الأحد. السنونو

كانت راكيل في غرفة النوم تمعن النظر إلى نفسها في المرآة، والنافذة مفتوحة حتى تتمكن من سماع السيارة ووقع الخطوات على الدرب المغطاة بالحصى والمؤدية إلى المنزل. نظرت إلى صورة والدها أمام المرآة، وكان يدهشها دائماً كم يبدو يافعاً وبريئاً في الصور.

رفعت شعرها باستخدام دبوس شعر كالمعتاد. هل تفعل هذا على نحو مختلف؟ كان الثوب لوالدتها؛ إنه فستان قطني أحمر عدلته، وتمتت ألا تكون قد بلغت في ثيابها. عندما كانت صغيرة، اعتاد والدها دائماً أن يخبرها عن المرة الأولى التي رأى فيها والدتها مرتدية هذا الفستان، ولم تمل راكيل إطلاقاً من سماع ذلك؛ كما لو أنها حكاية عن الجن.

نزعت راكيل الدبوس، وهزت رأسها من جانب إلى آخر حتى انسدل شعرها الداكن مغطياً كتفها. رن جرس الباب، وسمعت وقع خطوات أوليغ حين نزل جرياً إلى الردهة، وتمكنت من سماع الحماسة في صوته وضحكة هاري العميقة، ثم ألقت على نفسها نظرة أخيرة في المرآة. شعرت بقلبها يخفق بقوة وهي تخرج من غرفتها.

"أمي، هاري...".

خمدت صرخة أوليغ حين ظهرت راكيل في أعلى السلم. وضعت قدمها بحرص على الدرجة العليا. شعرت فجأة أن كعبها العالين غير ثابتين، ومتميلان؛ لكنها استعادت توازنها بعد ذلك ورفعت بصرها إلى الأعلى. رأت أوليغ واقفاً عند أسفل السلم يحدق إليها فاغراً فمه. كان هاري واقفاً بجانبه وهو يحمل باقة أزهار في يده، وعيناه تلمعان كثيراً. جعلتها نظراته تشعر بوجنتيها تحترقان.

همس أوليغ: "أنت جميلة يا أمي".

أغمضت راكيل عينيها. كانت كلتا النافذتين الجانبيتين مفتوحتين، والهواء يداعب شعرها وجلدها، في حين يقود هاري بحذر الإسكورت عبر المنعطفات في طريقيهما نزولاً إلى هولمنكولن. عبقت في الجو رائحة سائل غسول الوجه. أنزلت راكيل حاجب الشمس لتتوثق من أحمر شفاهها، ولاحظت أن المرآة الصغيرة الموجودة في الداخل قد نُظفت جيداً.

ابتسمت حين تذكرت المرة الأولى التي التقيا فيها. كان قد عرض عليها إيصالها إلى العمل واضطرت إلى مساعدته في دفع السيارة لتشغيلها. كان لا يُصدّق حقاً أنه لا يزال يحتفظ بالمركبة غير الصالحة

للاستخدام نفسها منذ ذلك الوقت.

راقبته من طرف عينها.

جسر الأنف الحاد نفسه، والشفتان ذاتهما المقوّستان قليلاً، والأنثويتان تقريباً، والمتناقضتان مع الملامح الذكورية القاسية الأخرى. والعينان، لم يكن ممكناً وصفه بالوسيم، ليس بالمعنى التقليدي. على كل حال، كان - ما هي الكلمة؟ - حقيقياً، غير زائف. كانت عيناه، لا، وإما التعبير الذي بدا في عينيه.

استدار نحوها؛ وكأن بمقدوره أن يسمع أفكارها.

ابتسم، ورأت تلك الرقّة البريئة في عينيه، والفتى الذي يظهر خلفهما يضحك لها. كانت هناك براءة معينة في الطريقة التي ينظر فيها إليها: إخلاص أصيل، صدق، استقامة. كانت نظرة يمكنك الاعتماد عليها، أو تريد الاعتماد عليها.

ابتسمت راكيل بالمقابل.

سأل: "ما الذي تفكرين فيه؟". واضطر إلى أن ينظر إلى الطريق.
"هذا وذاك".

كان لديها متسع من الوقت لتفكّر في الأسابيع القليلة الماضية، وهو وقت كاف لتدرك أن هاري لم يقطع قط وعداً لم يف به؛ فهو لم يعد قطّ بأنه لن ينهار مجدداً، ولم يعد مطلقاً بأن العمل لن يكون أهم شيء في حياته، ولم يعد أيضاً بأن الحياة ستكون سهلة معه. كان قد قطع كل تلك الوعود على نفسه الآن، ويمكنها رؤية ذلك.

كان أولاف هول والشقيقة واقفين عند المدخل بانتظارهم حين وصلوا إلى المنزل في أوبسال، وقد تكلم هاري عنه كثيراً حتى أصبحت راكيل تشعر أحياناً أنها هي التي ترعرعت في المنزل الصغير.

قالت الشقيقة وهي تبدو راشدة وتشبه الأخت الكبرى: "مرحباً يا أوليغ. لقد حضّنا كرات اللحم".

"حقاً؟". دفع أوليغ بنفاد صبر ظهر مقعد راكيل في محاولة للخروج. في طريق العودة، أسندت راكيل رأسها على مقعدها وقالت له إنه يبدو وسيماً، ولكن يجب ألاّ يغترّ بذلك. فردّ عليها قائلاً إنه يظنّ أنها فاتنة ومقدورها أن تقتنع تماماً بذلك من وجهة نظره. عندما وصلا إلى سفوح إكبرغ وظهرت أوصلو تحتهما، رأت طيوراً سوداء على شكل 7 تحلق على نحو متداخل في الجو.

قال هاري: "سنونو".

قالت: "إنها تطير على ارتفاع منخفض. ألا يعني هذا أن المطر سيهطل؟".

"نعم، المطر متوقع".

"آه! سيكون هذا رائعاً. ألهذا السبب تطير الآن، لتخبر الجميع؟".
قال هاري: "لا، إنها تقوم بعمل أكثر فائدة من هذا. فهي تنظف الهواء من الحشرات، وغير ذلك".
"لكن، لماذا تبدو مشغولة جداً؟ تبدو هستيرية تقريباً، أليس كذلك؟".
"لأنه ليس لديها متسع من الوقت. فالحشرات في الخارج الآن، لكن عندما تنخفض الشمس يجب أن ينتهي الصيد".
"أتعني أنه ينتهي؟".

استدارت نحوه، ورأت أنه يحدّق إلى الأمام، شاردّاً في أفكاره.
"هاري؟".

قال: "نعم، آسف. لقد شردت للحظة".

كان جمهور المسرحية قد تجمّع في الساحة الظليلة آنذاك أمام المسرح الوطني، والمشاهير يتبادلون أطراف الحديث مع مشاهير آخرين، في حين يدور صحفيون حولهم وآلات التصوير تنز. إلى جانب الشائعات عن بعض العلاقات الرومانسية الصيفية، كان موضوع الحديث نفسه بالنسبة إلى الجميع: اعتقال القاتل المتسلسل في اليوم السابق.
استقرت يد هاري برفق على ظهر راكيل حين تقدما نحو المدخل، وشعرت بالحرارة تنبعث من أطراف أنامله عبر القماش الرقيق. ظهر وجه أمامهما.

"روجر غيندم من أفتنبوستن. آسف، لكننا نجري استطلاعاً عن آراء الناس بشأن إلقاء القبض على الرجل الذي خطف المرأة التي اختيرت لتؤدي الدور الرئيس هذا المساء".
توقفاً، ولاحظت راكيل أن اليد التي كانت على ظهرها لم تعد هناك فجأة.

كانت ابتسامة الصحفي واسعة، لكن عينيه تتحرّكان.
"لقد التقينا من قبل أيها المفتش هول. أنا أعمل على إعداد تقارير عن الجرائم. تحدّثنا بضع مرات حين عدت بعد القضية في سيدني. قلت مرة إنني كنت الصحفي الوحيد الذي نقل ما قلته بدقة. هل تتذكرني الآن؟".

نظر هاري إلى وجه روجر غيندم بإمعان وأوماً. "مم، هل انتقلت من

قسم الجنايات؟".
"لا، لا!". هزَّ الصحفي رأسه بقوة وتابع: "أقوم بعمل آخرين؛ عطلات وطنية. هل لي بتعليق من هاري هول، الشرطي؟".
"لا".

"لا؟ ليس حتى بضع كلمات؟".
قال هاري: "أعني لا، لست شرطياً".
بدا الصحفي مشدوهاً. "لكنني رأيتك...".
استدار هاري حوله بسرعة قبل أن يميل إلى الأمام. "هل لديك بطاقة عمل؟".
"نعم...".

منحه غيندم بطاقة بيضاء كُتبت عليها بأحرف قوطية زرقاء كلمة أفتنبوستن، ووضعها هاري في جيبه الخلفي.
"الموعد النهائي عند الساعة الحادية عشرة".
قال هاري: "سنرى".
وقف روجر غيندم ساكناً، يعلو وجهه تعبير دهشة، في حين صعدت راكيل الدرجات وعادت أصابع هاري الدافئة إلى مكانها.
كان رجل ذو لحية واقفاً بجانب المدخل وهو يتسم لهما وعيناه تذرغان الدموع. تعرّفت راكيل الوجه من الصحف؛ إنه ويلهلم بارلي.
قال فاتحاً ذراعيه: "أنا سعيد جداً لأنكما هنا معاً". تردد هاري، لكن لم يكن هناك مفر.
"لا بد أنك راكيل".

غمزها ويلهلم بارلي من فوق كتف هاري، في حين عانق الرجل الطويل كما يعانق الطفل دمية دب فقدتها ووجدتها مجدداً.
سألت راكيل حين عثرا على مقعديهما في الصف الرابع: "ماذا كان ذلك؟".

قال هاري: "إنه إعجاب ذكوري، هو فنان".
"ليس ذلك. كل ذلك الكلام عن أنك لم تعد شرطياً".
"أنهيت آخر يوم لي في العمل كشرطي أمس".
حدّقت إليه متسائلة: "لماذا لم تقل شيئاً؟".
"قلت شيئاً، في الحديقة تلك المرة".
"وماذا ستفعل الآن؟".
"سأقوم بشيء آخر".

"ما هو؟".

"إنه شيء مختلف تماماً. لقد قدم صديق لي عرضاً وقبلته. آمل أن أحظى بأوقات أفضل. يمكنني أن أخبرك المزيد عنه لاحقاً".

ارتفعت الستارة.

هدرت القاعة بالتصفيق حين أُسدلت الستارة، واستمر بزخم منقطع النظير نحو عشر دقائق.

خرج الممثلون وظهروا بتشكيلات جديدة على نحو منتظم حتى لم يعد بإمكان أحد أن يتحرك، ووقفوا ثابتين وهم يتلقون الإطراء. ترددت صرخات "أحسنت" في الأرجاء كلما تقدمت تويها هارانغ خطوة إلى الأمام لتتحني مجدداً، وفي النهاية دُعي كل من له علاقة بالعرض إلى خشبة المسرح وعانق ويلهلم بارلي تويها، وسالت الدموع من كل من الممثلين والجمهور. حتى إن رايكل اضطرت إلى إخراج منديلها والضغط على يد هاري. قال أوليغ من حيث كان يجلس على المقعد الخلفي: "تبدو ان غريبين. هل هناك خطب ما؟".

أدارت رايكل وهاري رأسيهما معاً.

"هل أنتما صديقان مجدداً؟ هل حصل هذا؟".

ابتسمت رايكل. "لم نتشاجر قط يا أوليغ".

"هاري؟".

"نعم أيها المدير؟". نظر هاري إلى المرأة.

"هل يعني هذا أن بمقدورنا الذهاب إلى دار العرض قريباً لمشاهدة

أفلام الرجال؟".

"ربما، إن كانت أفلام فتيان لائقة".

قالت رايكل: "أوه، نعم، وماذا سأفعل أنا؟".

تحمس أوليغ: "يمكن أن تلعب مع أولاف والشقيقة. هذا رائع حقاً يا أمي. علمني أولاف كيف ألعب الشطرنج".

انعطف هاري نحو الدرب المؤدي إلى المنزل وتوقف أمامه، ولم يوقف

عمل المحرك. أعطت رايكل أوليغ مفتاح المنزل وسمحت له بالخروج من

السيارة. راقباه حين جرى مسرعاً على الحصى.

قال هاري: "يا الله! كم كبر!".

وضعت رايكل رأسها على كتف هاري وسألته: "هل ستدخل؟".

"ليس الآن. هناك شيء واحد أخير يجب أن أفعله في العمل".

داعبت وجهه بيدها وهي تقول: "يمكنك المجيء لاحقاً، إن أحببت".

"مم، هل أمعنت التفكير في هذا يا راكيل؟".
تنهّدت، ثم أغمضت عينيها ووضعت أرنبة أنفها على كتفه. "لا ونعم.
يبدو الأمر مثل القفز من منزل يحترق؛ السقوط أفضل من الاحتراق".
"على الأقل حتى تقعي أرضاً".
"لقد بدأت أدرك أن هناك أشياء مشتركة بين السقوط والحياة. أولاً،
كلاهما حالتان مؤقتتان في الوجود".
جلسا صامتين وهما ينظران إلى بعضهما ويصغيان إلى هدير المحرك
غير المنتظم، ثم وضع هاري إصبعاً تحت ذقن راكيل وقبّلها. انتابها شعور
بأنها تفقد السيطرة على نفسها؛ تفقد توازنها، ورباطة جأشها، ولم يكن
هناك إلا شيء واحد يمكن أن تتشبث به، ويجعلها تحترق وتسقط في
الوقت نفسه.
لم تعرف منذ متى جلسا وهما يقبلان بعضهما إلى حين حرّ نفسه
من عناقها بلطف.
همست: "سأترك الباب مفتوحاً".
كان يجب أن تعرف أن ذلك غباء. كان يجب أن تعرف أن ذلك
خطر. لكنها لم تكن قد فكّرت طوال أسابيع، فقد تعبت من التفكير.

الفصل الثالث والثلاثون:

ليلة الأحد. هبة جوزيف

لم يكن هناك أشخاص أو سيارات تقريباً في موقف المركبات خارج مبنى الاحتجاز.

أطفاً هاري المحرك، فخمد صوته كما لو أنه يصدر حشجة احتضار. توثق من ساعته؛ إنها 23:10. بقيت خمسون دقيقة. تردد صدى وقع خطواته بين الجدران الآجيرية. سحب هاري نفسين عميقين قبل أن يدخل.

لم يكن هناك أحد خلف طاولة الاستقبال، وكان الصمت مطبقاً على الغرفة. لاحظ حركة إلى يمينه، ودار ظهر مقعد ببطء في مكتب المناوبة. لمح هاري نصف وجه عليه ندبة بلون الكبد تمتد إلى الأسفل مثل دمعة من عين تحدق إليه ذاهلة، ثم عاد الكرسي إلى وضعيته السابقة وأدار ظهره له.

غروث؛ كان بمفرده، هذا أمر غريب، أو ربما لا.

وجد هاري مفتاح الزنزانة رقم تسعة خلف طاولة الاستقبال إلى اليسار، فأخذه ثم مشى إلى منطقة الزنانات. سمع أصواتاً تصدر من غرفة الحراس، لكن الزنزانة التي تحمل الرقم تسعة كانت في موقع مناسبٍ كفاية حتى لا يضطر إلى تجاوزها.

وضع هاري المفتاح في القفل وأداره. انتظر ثانية، وسمع حركة في الداخل، ثم فتح الباب.

لم يبدُ الرجل الجالس على السرير محدقاً إليه مثل قاتل. كان هاري يعرف أن هذا لا يعني شيئاً، فهم يظهرون أحياناً على حقيقتهم، وفي أحيانٍ أخرى بخلاف ذلك.

كان الرجل وسيماً، ويبدو محترماً. بنيته قوية، وشعره قصير وداكن، وعيناه زرقاوان؛ ربما كانتا سابقاً مثل عيني والدته، لكن بمرور السنين أصبحتا تعكسان شخصيته. سيبلغ هاري قريباً عامه الأربعين، وسفن سيفرتسن قد تجاوز الخمسين، وكان هاري واثقاً أن معظم الناس سيخمنون العكس.

كان سيفرتسن، لسبب أو لآخر، يرتدي سروال السجن الأحمر وسترته الحمراء.

"مساء الخير يا سيفرتسن، أنا المفتش هاري هول. هل تمانع أن تقف وتستدير".

رفع سيفرتسن أحد حاجبيه، فأظهر هاري الأصفاد أمامه. "إنها القوانين".

نهض سيفرتسن من دون كلمة، فقيّده هاري بالأصفاد ودفعه ليجلس على السرير مجدداً.

لم تكن هناك كراسٍ يستطيع الجلوس عليها في الزنزانة، أو ممتلكات شخصية يمكن أن يستخدمها السجين ليؤذي نفسه أو الآخرين، وفي ذلك تحتكر الدولة الحقّ بتنفيذ العقاب. استند هاري إلى الجدار وأخرج علبة لفائف تبغ مجمدة من جيبه.

قال سيفرتسن: "ستطلق إنذار الحريق، إنه حسّاس جداً". كان الصوت حاداً على نحو مفاجئ.

"هذا صحيح. لقد كنت هنا من قبل، أليس كذلك؟".

أشعل هاري لفافة التبغ، ووقف على أطراف أصابع قدميه، ونزع غطاء جهاز الإنذار وأخرج المدخرات.

سأل سفن سيفرتسن بحدّة: "وماذا تقول القوانين بشأن هذا؟".
"لا أتذكر. هل تدخن؟".

"ما هذه؟ أهي خدعة الشرطي الصالح؟".

"لا". ابتسم هاري. "لدينا أدلّة كثيرة ضدك ولا نحتاج إلى أي خداع. لا نحتاج إلى إيضاح التفاصيل، أو معرفة مكان جثة ليزبيث بارلي، أو اعتراف. ببساطة، نحن لا نحتاج إلى مساعدتك يا سيفرتسن".
"إذاً، لماذا أنت هنا؟".

"إنه الفضول. نحن نتعامل مع مخلوقات بحر عميق هنا، وأردت أن أرى نوع المخلوق الذي علق بالصنارة هذه المرة".

شخر سيفرتسن ضاحكاً بسخرية. "إنها صورة خيالية، لكنك ستُصاب بخيبة أمل أيها المفتش هول. ربما يبدو لك هذا المخلوق شيئاً كبيراً، لكن أخشى أنه مجرد حذاء قديم".

"هل تمنع في أن تخفض صوتك قليلاً".

"هل أنت خائف من أن نسمعنا أحد؟".

"افعل ما أقوله لك فحسب. تبدو هادئاً جداً بالنسبة إلى شخص

اعتُقل لارتكابه أربع جرائم".

"أنا بريء".

"حسناً، دعني أقدم لك عرضاً موجزاً عن الوضع يا سيفرتسن. وجدنا في حقيبتك ألبسة حمراء وُجدت ألبسات مماثلة لها على جثث عددٍ من

الضحايا، إضافة إلى سيسكا زبريوفكا؛ وهو سلاح نادر نسيباً في النزويج، لكن من طراز المسدس نفسه الذي استُخدم في قتل باربرا سفندسن. وفقاً لإفادتك، كنت في براغ في أوقات اقتراف الجرائم، لكننا توثقنا من شركات الطيران وتبين أنك قمت بزيارات إلى أوصلو في كل الأوقات الخمسة ذات الصلة، ومن ضمنها أمس. كيف تبدو حجج غيابك عند الساعة الخامسة في كل يوم من أيام ارتكاب الجرائم؟ إنها موضع تساؤل يا سيفرتسن".
لم يُجب سفن سيفرتسن.

"ظننت هذا. إذاً، لا تلعب دور البريء معي يا سيفرتسن".
"وكأنني أهتم بما تظنه يا هول. هل هناك شيء آخر؟".
انزلق هاري إلى وضعية جلوس القرفصاء، وظهره يستند إلى الجدار.
"نعم. هل تعرف توم والر؟".
"من؟".

جاء ذلك سريعاً؛ سريعاً جداً، واستغرق هاري وقته ونفخ دخاناً نحو السقف. ظهر على وجه سفن سيفرتسن تعبير ملل وقنوط، لكن هاري كان قد التقى قتلة يحيطون أنفسهم بصدفة قاسية من الخارج من قبل، فيما نفسياتهم مثل هلام رخوٍ من الداخل. إضافة إلى ذلك، كان قد التقى أيضاً النوع المتجمّد القاسي مثل صدفة حتى في الداخل. وتساءل عن مدى صلابة هذا الشخص حقاً.

"لا داعي إلى أن تزعم أنك لا تتذكر اسم الرجل الذي اعتقلك واستجوبك يا سيفرتسن. أتساءل إن كنت تعرفه سابقاً؟".
لاحظ هاري بعض التردد في عينيه.
"لقد أدنت بجرم التهريب من قبل. توجد على السلاح الذي وجدناه في حقيبتك علامة خاصة تتركها آلة تُستخدم لإزالة الرقم المتسلسل. لقد وجدنا في السنوات الأخيرة العلامات نفسها على المزيد من الأسلحة غير المرخصة في أوصلو، ونظن أن حلقة من المهريين مسؤولة عن ذلك".
"هذا مثير للاهتمام".

"هل كنت تهرب أسلحة لصالح والر يا سيفرتسن؟".
"يا للهول! هل تفعلون أنتم هذا النوع من الأشياء أيضاً؟".
لم يرفّ جفنا سفن سيفرتسن. على كل حال، كانت قطيرة عرق صغيرة تسيل من خط شعره الكثيف.
"هل أنت منفعِل يا سيفرتسن؟".
"أنا مرتاح".

"مم".

نهض هاري وذهب إلى المغسلة مديراً ظهره إلى سيفرتسن، ثم أخرج كوباً بلاستيكيّاً أبيض من الصندوق وفتح الصنبور حتى آخره.
"هل تعرف أمراً يا سيفرتسن؟ لم يخطر ذلك ببالي إلى أن أخبرتني زميلة لي عن الطريقة التي اعتقلك والر بها، ثم تذكرت كيف تصرف والر حين قلت إن بتي لون قد اكتشفت من تكون. عادة، هو شخص بارد الأعصاب، لكن وجهه امتقع وبدا مذهولاً تقريباً لبعض الوقت. ظننت حينها أن السبب يرجع إلى إدراكه أننا قد خُدعنا وربما سنعثر على جثة أخرى. لكن، عندما أخبرتني لون عن مسدسي والر وقالت إنه صرخ بصوت عالٍ طالباً منك ألا تطلق النار عليه، اتضح لي كل شيء. لم يكن الخوف من وقوع جريمة أخرى ما جعل أوصاله ترتعد، وإنما اسمك، فهو يعرفك. في الواقع، أنت أحد الأشخاص الذين يتعاملون معه، ويعرف والر طبعاً أنك إذا اتُهمت بجريمة ما فسيفتضح أمر كل شيء؛ كل ما يتعلق بالأسلحة التي استخدمتها، وسبب رحلاتك المتعددة إلى أوصلو، وكل الأشخاص المتورطين. وقد يخفف القاضي من الحكم عليك إن كنت على استعداد للعمل مع الشرطة، ولهذا السبب خطط لإطلاق النار عليك".
"إطلاق النار...".

ملاً هاري الكوب بالماء، ثم استدار ومشى إلى سفن سيفرتسن. وضع الكوب على الأرضية أمامه ثم فكّ أغلاله، ففرك سيفرتسن معصميه.
قال هاري: "اشرب، ثم يمكنك أن تدخّن لفافة تبغ قبل أن أقيد يديك بالأصفاد مجدداً".
تردّد سفن. نظر هاري إلى ساعته، وعرف أنه لا تزال لديه نصف ساعة.

"هيا يا سيفرتسن".

أمسك سفن الكوب، وأمال رأسه إلى الخلف وتجرّعه وهو ينظر إلى هاري.

وضع هاري لفافة تبغ بين شفثيه وأشعلها قبل أن يقدمها إلى سيفرتسن.

قال هاري: "أنت لا تصدّقي، أليس كذلك؟ أنت تظن العكس؛ أن توم والر هو الشخص الذي سينقذك من هذا - ماذا يجب أن ندعوه؟ - الوضع المتعب، أليس كذلك؟ وأنه سيخاطر ليكافئك على خدمتك الطويلة والمخلصة لمحفظته. وبفضل كل ما تعرفه عنه، أسوأ ما يمكن أن يحدث

هو أن تبتزّه ليساعدك".

هزّ هاري رأسه بهدوء وتابع: "ظننت أنك ذكي يا سيفرتسن. تلك الألغاز التي قدّمتها، والطريقة التي أدّرت بها كل شيء جعلتني أعتقد أنك ذكي، فقد كنت متقدماً دائماً خطوة على الآخرين. كنت أتخيل أنك شخص يعرف بالضبط ما سنفكر فيه وما سنفعله، لكن لا يمكنك حتى أن تفهم كيف يعمل قرش مثل والر".

قال سيفرتسن، وهو ينفث الدخان نحو السقف وعيناه نصف مغمضتين: "أنت محق. أنا لا أصدّقك".

نقر سيفرتسن لفافة التبغ، فسقط الرماد خارج الكوب البلاستيكي الذي يحمله تحتها.

تساءل هاري إن كان ما يراه تصدّعاً، لكنه رأى تصدّعات من قبل وتبين أنه مخطئ بعد ذلك.

سأل هاري: "هل كنت تعرف أنهم يتوقعون طقساً أبرد؟".

"أنا لا أتابع الأخبار النرويجية". ابتسم سيفرتسن بتكلّف، وبدا واضحاً أن الرجل يظنّ أنه قد انتصر.

قال هاري: "مطر. بالمناسبة كيف كان الماء؟".
"مثل الماء المعتاد".

"هبة جوزيف تفعل ما يُفترض بها أن تفعله إذاً".
"هبة ماذا؟".

"جوزيف، لا طعم لها ولا رائحة. يبدو أنك تعرف المنتج. ربما تكون قد هربته إلى داخل البلاد من أجله؟ من الشيشان أو براغ إلى أوسلو؟".
ابتسم هاري بتكلّف وتابع قائلاً: "هذه سخريّة القدر".
"ما الذي تتكلم عنه؟".

رمى هاري شيئاً ما عالياً في الهواء فوق سيفرتسن فالتقطه هذا الأخير وأمعن النظر إليه.

"إنها فارغة...". ورمق هاري بنظرة مستفسرة.

"سكال".

"ماذا؟".

"أفضل الأمنيات من مديرنا المشترك توم والر".

أخرج هاري الدخان من منخريه وهو يراقب سيفرتسن: اختلاج جبينه بطريقة غير إرادية، وتفاحة آدم التي تحرّكت إلى الأعلى والأسفل، والأصابع التي أصبحت تحكّ ذقنه فجأة.

"نظراً إلى الاشتباه بأنك اقترفت أربع جرائم قتل يجب أن تكون جالساً في سجن مشدد الحراسة يا سيفرتسن. هل فكرت في هذا؟ ولكن، بدلاً من ذلك أنت في زنزانه احتجاز عادية حيث يمكن لكل من يحمل بطاقة الشرطة أن يدخل ويخرج كما يشاء. بوصفي محققاً يمكنني إخراجك من هنا، وإبلاغ الحارس المناوب أنني أصطحبك إلى غرفة الاستجواب، وأن أوقع على إخراجك بخربشة على ورقة، ثم أمنحك تذكرة طائرة إلى براغ، أو - في هذه الحال - إلى الجحيم. من تظن أنه رتب لكي تكون هنا يا سيفرتسن؟ بالمناسبة كيف تشعر؟".

بلع سيفرتسن لعابه. صدع؛ صدع كبير.

همس: "لماذا تخبرني هذا؟".

هز هاري كتفيه وأجاب: "لا يقول والر الكثير لمن هم تحت إمرته، وكما تعرف أنا فضولي بطبعي. هل تريد، مثلي، رؤية الصورة الكبيرة يا سيفرتسن؟ أم إنك أحد أولئك الذين يصدقون أنهم سيحظون بالراحة حين يموتون؟ لا بأس، مشكلتي هي - في حالتي - أنه لا تزال أمامي مدة انتظار طويلة...".

شحب سيفرتسن.

سأل هاري: "أتريد لفافة تبغ أخرى؟ أم إنك بدأت تشعر بالغثيان؟". فتح سيفرتسن فمه، في الوقت المناسب كما يبدو، وأمال رأسه إلى الجانب وتدفق في اللحظة التالية قيء أصفر على الجدار الآجري. ثم جلس بعدها وهو يلهث محاولاً التنفس.

حدق هاري إلى القطيرات التي ارتدت على سرواله، ثم ذهب إلى المغسلة، وقطع ورقة من لفافة المناديل الورقية، ثم أخرى وقدمهما إلى سيفرتسن الذي جفف فمه، ثم استرخى رأسه إلى الأمام وقد أخفى وجهه بين يديه. كان صوته متهدجاً حين قال أخيراً:

"عندما دخلت الردهة... ارتبكت، ولكنني فهمت على نحو طبيعي أنه يتصنع. غمزني وأدار رأسه بطريقة تعني أنه عليّ أن أفسر الصرخات على أنها لشخص آخر. استغرق الأمر مني بضع ثوانٍ لأفهم المشهد، أو ما ظننت أنه مشهد تمثيلي. ظننت... ظننت أنه يريد أن أبدو مسلحاً حتى يكون لديه سبب للسماح لي بالهروب. كان يحمل مسدسين، وظننت أن الآخر لي، حتى أكون مسلحاً في حال رأنا أحد. وقفت هناك فقط منتظراً أن يعطيني المسدس الآخر، ثم دخلت المرأة اللعينة وأفسدت كل شيء".

كان هاري قد عاد إلى وقفته السابقة؛ مسنداً ظهره إلى الجدار

مجدداً.

"إِذَا، تُقَرُّ أَنْكَ عَرَفْتَ أَنَّ الشَّرْطَةَ تَلْحَقُكَ فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِجَرَائِمِ عَامِلِ خِدْمَةِ التَّوَصِيلِ؟".

هَزَّ سِيفَرْتَسْنَ رَأْسَهُ.

"لَا، لَا، أَنَا لَسْتُ قَاتِلًا. ظَنَنْتُ أَنَّي سَأُعْتَقَلُ بِتَهْمَةِ تَهْرِيبِ الْأَسْلِحَةِ، وَالْأَمْلَاسِ. كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ وَالِرَ مَسْؤُولَ عَنِ كُلِّ هَذَا، لِذَا ظَنَنْتُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَيَسِيرُ بِسَلَاةٍ كَبِيرَةٍ، وَلِهَذَا حَاوَلْتُ أَنْ يَتْرَكَ لِي مَجَالًا لِلْهَرَبِ. يَجِبُ أَنْ...".

تَدَفَّقَ الْمَزِيدُ مِنَ الْقِيءِ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ، وَلَوْنُهُ أَخْضَرُ دَاكِنِ هَذِهِ الْمَرَّةِ. أَعْطَاهُ هَارِي الْمَزِيدَ مِنَ الْمَنَادِيلِ الْوَرَقِيَّةِ.

بَدَأَ سِيفَرْتَسْنَ يَنْشِجُ.

"كَمْ بَقِيَ لِي مِنَ الْوَقْتِ؟".

قَالَ هَارِي: "هَذَا يَعْتَمِدُ".

"عَلَى مَاذَا؟".

أَطْفَأَ هَارِي لِفَافَةَ التَّبَخِ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ، وَوَضَعَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ، وَأَلْقَى وَرَقَتَهُ الرَّابِحَةَ.

"هَلْ تَرَى هَذِهِ؟".

رَفَعَ حَبَّةَ بِيضَاءَ بَيْنَ إِبْهَامِهِ وَسَبَابَتِهِ، فَأَوْمَأَ سِيفَرْتَسْنَ.

"إِذَا تَنَاوَلْتَ هَذِهِ بَعْدَ عَشْرِ دَقَائِقٍ مِنْ تَنَاوُلِكَ هَبَّةِ جُوزِيْفِ فَسْتَحْظِي

بِفُرْصَةٍ مَعْقُولَةٍ لَتَبْقَى حَيًّا. حَصَلَتْ عَلَى هَذِهِ مِنْ صَدِيقٍ لِي يَعْمَلُ فِي الْمُنْتَجَاتِ الصِّيدَلِيَّةِ. لِمَاذَا؟ أَنَا وَاثِقٌ أَنَّكَ تَتَسَاءَلُ عَنِ هَذَا. حَسَنًا، لِأَنَّي أُرِيدُ عَقْدَ صَفْقَةٍ مَعَكَ. أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَشْهَدَ ضِدَّ تَوْمِ وَالِرِ وَتَقُولَ كُلَّ مَا تَعْرِفُهُ عَنِ صَفَقَاتِ تَهْرِيبِ الْأَسْلِحَةِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا".

"نَعَمْ، نَعَمْ. أَعْطِنِي الْحَبَّةَ فَحَسْبُ".

"لَكِنْ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ أَثْقَ بِكَ يَا سِيفَرْتَسْنَ؟".

"أَقْسَمُ".

"أُرِيدُ جَوَابَكَ بَعْدَ أَنْ تَمَعْنَ التَّفَكِيرَ فِيهِ يَا سِيفَرْتَسْنَ. كَيْفَ أَعْرِفُ أَنَّكَ لَنْ تَغْيِرَ مَوْقِفَكَ بَعْدَ أَنْ أُغَيِبَ عَنِ الْأَنْظَارِ؟".

"مَاذَا؟".

أَعَادَ هَارِي الْحَبَّةَ إِلَى جَيْبِهِ. "الثَّوَابِي تَنْقُضِي، لِمَاذَا يَجِبُ أَنْ أَثْقَ بِكَ يَا سِيفَرْتَسْنَ؟ أَعْطِنِي سَبَبًا وَجِيهًا وَاحِدًا؟".

"الآن؟".

"الهبّة توقّف تنفّسك، وهي مؤلمة جداً وفقاً لأولئك الذين رأوا أشخاصاً يتناولونها".

طرفت عينا سيفرتسن مرتين قبل أن يبدأ بالكلام: "يجب أن تثق بي؛ لأن هذه هي النتيجة المنطقية. إذا لم أمت هذا المساء، فسيعرف توم والر أنني قد كشفت خطته لقتلي، ثم لن تكون هناك طريق للعودة، وسيحاول النيل مني قبل أن أفصحه، وأنا ببساطة ليس لدي خيار".
"أحسنت يا سيفرتسن، تابع".

"ليست لدي فرصة هنا. سيكون أمري قد انتهى قبل وقت طويل من مجيئهم لاصطحابي غداً صباحاً. فرصتي الوحيدة هي كشف والر ووضعه خلف القضبان في أسرع وقت ممكن، والشخص الوحيد الذي يمكن أن يساعدني هو... أنت".

قال هاري وهو ينهض: "أصبت كبد الحقيقة، تهاني. ضع يديك خلف ظهرك من فضلك".
"لكن...".

"افعل ما أقوله لك، يجب أن نخرج من هنا".
"أعطني الحبة...".

"الحبّة تدعى فلونبيام وهي لا تفيد إلا في معالجة الأرق".
حدّق سفن إلى هاري غير مصدّق.
"أنت...".

كان هاري مستعداً للهجوم، فتحرك جانبياً وضرب بقوة وعلى ارتفاع منخفض. أطلق سيفرتسن صوتاً مثل هواء يُفَرَّغ من كرة شاطئ، ثم انحنى إلى الأمام متألماً.

رفعه هاري بيدٍ واحدة وقيّد معصميه بالأصفاة.
"لم أكن لأقلق كثيراً يا سيفرتسن. أفرغت محتويات الحبة التي أعطاني والر إيّاها في المغسلة الليلة الماضية. يجب أن تناقش أي شكاوى بشأن طعم الماء مع مياه أوسلو".
"لكن... أنا...".

نظر كلاهما إلى القيء في الأسفل.
قال هاري: "لا تقلق، لن أخبر أحداً".

استدار ظهر المقعد في غرفة المناوبة ببطء، وظهرت عين نصف مغمضة، ثم تحرّكت وتراجعت طيّات الجلد اللينة لتكشف عن عين كبيرة وغاضبة. أبعد غروث الحزين جسده البدين بسرعة مدهشة عن الكرسي.

صرخ: "ما هذا؟".

قال هاري وهو يومئ نحو سيفرتسن: "السجين من الزنزانة رقم تسعة. نريد استجوابه في الطابق السادس، أين أوقع من أجل ذلك؟".
"استجواب؟! لم أبلغ عن أي استجواب".

كان الحزين واقفاً على بعد مسافة قصيرة من طاولة الاستقبال؛ شابكاً ذراعيه ومباعداً ما بين ساقيه.
قال هاري: "وفقاً لما أعرفه، نحن لا نخبرك عادة عن هذا النوع من الأمور يا غروث".

انتقل بصر الحزين محتاراً من هاري إلى سيفرتسن وبالعكس.
قال هاري: "استرخ، إنها مجرد تغييرات طفيفة في الخطط. لم يتناول السجين دواءه، وسنجد طريقة أخرى".
"ليست لدي فكرة عما تتكلم عنه".

"طبعاً لا. وإذا أردت تفادي سماع المزيد، أقترح أن تضع دفتر التوقيع على الخروج على الطاولة الآن يا غروث. لدينا الكثير لننجزه".
حدّق الحزين إليه بعينه الذابلة وهو يفرك الأخرى.

ركّز هاري على عملية التنفّس، وتمنّى ألا يكون واضحاً لغروث أن قلبه يخفق بقوة. كانت كل خططه ستنهار مثل منزلٍ من الورق في تلك المرحلة، وبدا الوضع ملائماً للصور المجازية. لم تكن لديه أوراق رابحة، ولا حتى آص واحد، والشيء الوحيد الذي يمكن أن يأمل تحقيقه هو أن يتصرف عقل غروث المشوش بالطريقة التي توقّعها؛ وهو توقّع قائم على قاعدة أون الأساسية التي تقول إن قدرة الإنسان على التفكير منطقياً حين تكون المصلحة الشخصية على المحك تتناسب عكسياً مع الذكاء.
همهم الحزين.

تمنّى هاري أن يعني ذلك أنه قدّر خطورة الموقف، وأن المخاطرة ستكون أقل بالنسبة إلى الحزين إذا وقع هاري على إخراج السجين وفقاً للأنظمة. إذ يمكن بتلك الطريقة أن يخبر المحققين، لاحقاً، كل شيء كما حدث بالضبط، بدلاً من المخاطرة بكشف كذبه حين يقول إن لا أحد قد دخل أو خرج في أثناء وقوع حادثة الوفاة الغامضة في الزنزانة رقم تسعة.
تمنّى أن يكون غروث يفكر في تلك اللحظة في أنه يمكن أن يزيح عبئاً ثقيلاً عنه بجرة قلم، وأن هذا خبر جيد، وأنه ليس هناك سبب يدعو إلى التوثق من الأمر. بالمحصلة، كان والر قد قال إن هذا الأحمق إلى جانبها أيضاً.

تنحج غروث.

خربش هاري اسمه على الخط المنقّط، وقال وهو يدفع سيفرتسن:

"سر".

بدا هواء الليل في موقف السيارات خارج مبنى الاحتجاز مثل شراب

بارد في حلقه.

الفصل الرابع والثلاثون:

ليلة الأحد. الإنذار

استيقظت راكيل.

كانت قد سمعت الباب يُفتح في الطابق الأرضي.

استدارت نحو الجهة الأخرى ونظرت إلى الساعة التي كانت تشير إلى

12:45.

تمطت واستلقت ساكنة، وهي ترهف السمع. استعويض عن شعورها بالنعاس إحساس توقّع، وقررت أن تتظاهر أنها نائمة حين يتسلل إلى السرير. كانت تعرف أنها لعبة طفولية، لكنها تستمتع بها. سيتمدد هناك فحسب متنقّساً، وعندما تستدير في أثناء تظاهرها بالنوم وتمسّ يدها بطنه مصادفة، ستصبح أنفاسه أسرع، ثم سيستلقيان هناك من دون حركة وسريان من يستطيع أن يتحمّل أكثر؛ إنه نوع من المنافسة، وهو سيخسر؛ ربما.

أغمضت عينيها.

بعد مرور بعض الوقت، فتحتها مجدداً. دخل خوف مزعج ذهنها. نهضت، وفتحت باب غرفة النوم وأصغت، لكنها لم تسمع صوتاً واحداً. ذهبت إلى السلام. "هاري؟".
بدا الصوت مُقلقاً وزاد من خوفها، لكنها استجمعت شجاعتها ونزلت على السلام. لم يكن هناك أحد.
استنتجت أن الباب الأمامي غير الموصد لم يُغلق على نحو مناسب، وأنها قد استيقظت حين فُتح.
وبعد أن أوصدته جلست في المطبخ تشرب كأساً من الحليب. أصغت إلى صرير المنزل الخشبي، وبدا لها أن الجدران القديمة تتكلم.
عند الساعة 1:30 نهضت، وفكرت أن هاري قد عاد إلى منزله، ولن يعرف أبداً ما كان سيحظى به هذه الليلة.
في طريقها إلى غرفة النوم خطرت لها فكرة أصابتها بالذعر للحظة، فاستدارت عائدة وأطلقت تنهيدة ارتياح حين رأت من باب غرفة أوليغ أنه نائم في سريره.
على الرغم من ذلك، استيقظت بعد ساعة بسبب كابوس، واستلقت على سريرها متقلّبة في ما تبقى من الليل.
انطلقت الفوردي الإسكورت البيضاء في ليل الصيف مثل غواصة عتيقة.
تقعقع.

تمتم هاري: "أوكرنفين، بوابة صنز".
سأل سيفرتسن: "ماذا؟".
"أتكلم مع نفسي فحسب".
"عمّ؟".
"عن أقصر طريق".
"إلى أين؟".
"ستكتشف هذا قريباً".

توقفا في شارع صغير أحادي الاتجاه حيث تناثرت بضعة منازل منفصلة في منطقة أبنية سكنية مرتفعة. مال هاري نحو سيفرتسن وفتح باب الراكب. كانت السيارة قد تداعت على مر السنين، ولم يعد باب الراكب يُفتح من الخارج. مزحت راكيل بشأن ذلك، عن السيارات وشخصيات مالكيها، لكنه لم يكن واثقاً أنه قد فهم المعنى. مشى هاري حول السيارة إلى باب الراكب، وسحب سيفرتسن إلى الخارج، وأخبره أن يقف ويدير له ظهره.
سأله هاري وهو يفك قفل الأصفاد: "هل أنت أعسر؟".
"ماذا؟".

"هل تلکم أفضل بيدك اليسرى أم اليمنى؟".
"أوه، فهمت، أنا لا أضرب".
"رائع".

قيّد هاري معصمي سيفرتسن الأيمن والأيسر بالأصفاد، فيما رمقه سيفرتسن بدهشة.

"لا أريد أن أفقدك أيها العجوز".
"ألن يكون الأمر أسهل بالنسبة إليك لو سدّدت مسدساً عليّ؟".
"طبعاً هذا أسهل. لكنني اضطرت أن أصبح فتى صالحاً وسلّمته قبل أسبوعين، لنذهب".

سارا عبر حقل إلى أبنية الشقق العالية التي تتناول نحو سماء الليل. سأل هاري حين وقفا أمام مدخل المبنى الطلابي: "إنه أمر لطيف أن تعود إلى منطقة مألوفة قديمة، أليس كذلك؟".
هزّ سيفرتسن كتفيه.

عندما أصبحا في الداخل، سمع هاري صوتاً كان يفضّل ألا يسمعه؛ صوت وقع خطوات على السلام. ألقى نظرة سريعة في أرجاء المكان، فرأى الضوء الذي يبدو من النافذة التي كانت على شكل كوة في باب المصعد

فمشى جانبياً إليه، وهو يجرُّ سيفرتسن معه. اهتز المصعد تحت ثقلهما.
قال هاري: "خمن إلى أي طابق سنذهب!".

حرك سيفرتسن عينيه حين أمسك هاري مجموعة مفاتيح تتدلى من
جمجمة بلاستيكية أمام وجهه.

"ألست في مزاج مناسب للعب؟ لا بأس، خذنا إلى الطابق الرابع يا
سيفرتسن".

ضغط سيفرتسن على الزر الذي يحمل الرقم أربعة، ورفع بصره إلى
الأعلى بانتظار تحرك المصعد. أمعن هاري النظر إلى وجه سيفرتسن، وبدا
له الرجل ممثلاً جيداً، وعليه أن يُقرَّ له بذلك.

قال هاري: "الباب الشبكي".
"ماذا؟".

"لن يتحرك المصعد إن لم تغلق الباب الشبكي. وأنت تعرف هذا".
"هذا؟".

أوماً هاري. قعقع المعدن حين سحب سيفرتسن القضبان المتصالبة إلى
اليمن، لكن المصعد لم يتزحزح.
شعر هاري بقطرة عرق تتكوّن على جبينه وقال: "اسحبه إلى النهاية".
"هكذا؟".

قال هاري وهو يبتلع ريقه: "توقف عن التصنّع، يجب أن يُخلق
جيداً. إذا لم يمَسّ الوصلة على الأرضية بجانب إطار الباب، فلن يعمل
المصعد".

ابتسم سيفرتسن.

شدَّ هاري قبضته اليمنى.

اهتز المصعد وبدأ الجدار الآجري الأبيض يتحرك خلف الباب الشبكي
الأسود اللامع. تجاوزا طابقاً واحداً، ورأى هاري عبر الكوة قفا رأس أحدهم
وهو ينزل على السلام، وتمنى أن يكون أحد الطلاب. على كل حال، كان
بيورن هولم قد قال إن قسم الطب الشرعي قد أنهى عمله هنا.
"أنت لا تحب المصاعد، أليس كذلك؟".

لم يُجب هاري، وإنما راقب الجدار وهو ينزلق إلى الأسفل فحسب.
"أهو رهاب صغير؟".

توقف المصعد فجأة، واضطر هاري إلى أن يتحرك خطوة إلى الجانب
حتى لا يفقد توازنه. اهتزت الأرضية تحتها، وبدا الجدار ظاهراً للعيان عبر
الكوة.

همس: "ما الذي تفعله بحق الله؟".
"أنت تتصّبب عرقاً أيها المفتش هول، وظننت أن هذه ستكون لحظة جيدة لإيضاح أمرٍ واحدٍ لك".

"هذه ليست لحظة جيدة للقيام بأي شيء. تحرك، وإلا...".
كان سيفرتسن قد وقف أمام أزرار المصعد، ولا يبدو أنه ينوي أن يتحرك أبداً. رفع هاري يده اليمنى، ورأى ذلك آنذاك؛ الإزميل ذا المقبض الأخضر بيد سيفرتسن اليسرى.

قال سيفرتسن بابتسامة تبرير تقريباً: "وجدته في مؤخر المقعد. يجب أن ترتب سيارتك. هل تصغي إليّ الآن؟".
لمع الفولاذ، وحاول هاري أن يفكر، وأن يبعد الخوف عنه.
"أنا مصغ".

"جيد، لأن ما سأقوله يتطلب بعض التركيز. أنا بريء. قمت فعلاً بتهريب أسلحة وألماس، وأفعل هذا منذ سنوات، لكنني لم أقتل أحداً".
رفع سيفرتسن الإزميل حين حرك هاري يده، فأنزل هذا الأخير يده مجدداً.

"يدير تهريب الأسلحة شخص يدعى الأمير، والذي عرفت منذ وقت قصير أنه المفتش توم والر نفسه، والمثير للاهتمام أكثر هو أنه بمقدوري إثبات أنه توم والر. أيضاً، إذا فهمت الوضع على نحو صحيح، فأنت تعتمد على شهادتي ودليلي للنيل من توم والر. وإذا لم تنل منه، فسينال منك، أليس كذلك؟".

كانت عينا هاري مسمرتين على الإزميل.
"هول؟".

أوماً هاري.

كانت ضحكة سيفرتسن حادة، مثل ضحكة فتاة.
"أليست هذه مفارقة رائعة يا هول؟ ها نحن - مهرب أسلحة وشرطي - محبوسان معاً، ويعتمد أحدهما على الآخر تماماً، ولا نزال نفكر في طريقة نقتل بها بعضنا؟".

قال هاري: "المفارقات الحقيقية لا وجود لها. ماذا تريد؟".
قال سيفرتسن وهو يرفع الإزميل في الهواء ويمسكه بطريقة يوجّه فيها المقبض نحو هاري: "أريد منك أن تجد الشخص الذي جعل الأمر يبدو وكأنني قد قتلت أربعة أشخاص. إذا استطعت فعل هذا، فمن الممكن أن تحصل على رأس والر على طبق من فضة. حك لي ظهري لأحك لك

ظهرك".

رمق هاري سيفرتسن بنظرة متفحّصة.
قال هاري: "لا بأس. لكن، لنفعل الأمر بالترتيب الصحيح. أولاً، سنضع
والر خلف القضبان، وبعد ذلك يمكن أن نعمل من دون إزعاج وسأتمكّن
من مساعدتك".

هزّ سيفرتسن رأسه وقال: "أنا أعرف القضية الموجهة ضدي، وقد
حظيت بيوم كامل للتفكير فيها يا هول. الشيء الوحيد الذي يمكن أن
أساوم عليه هو دليلي ضد والر، والشخص الوحيد الذي يمكن أن أساوم
معه هو أنت. لقد تلقت الشرطة الثناء على إنجازها، لذا لن ينظر أحد
من رجالها إلى القضية من زاوية جديدة ويخاطر بأن ينقلب نجاح القرن
إلى كارثة القرن. يريد المجنون الذي قتل أولئك النساء أن أتحمّل العقوبة.
لقد تمّ الإيقاع بي، ولا فرصة لديّ من دون مساعدة".
"هل تدرك أن توم والر وزملاءه يفعلون ما بوسعهم في هذه اللحظة
للعثور علينا؟ ومع انقضاء كل ساعة، سيصبحون أقرب، وعندما - ليس إذا
- يجدوننا، سينتهي أمرنا؛ كلينا؟".
"نعم".

"إذاً، لِمَ المجازفة؟ على افتراض أن ما قلته عن الشرطة صحيح، وأنهم
لن يهدروا تحت أي ظروف المزيد من الوقت في هذه القضية، أليست
عشرون سنة في السجن أفضل من أن تخسر حياتك؟".
"لم تعد عشرون سنة في السجن خياراً لي يا هول".
"لِمَ لا؟".

"لأنني اكتشفت أن هناك شيئاً على وشك أن يغير حياتي إلى الأبد".
"وما هو؟".
"سأصبح أباً أيها المفتش هول".
"طرفت عينا هاري مرتين.
"يجب أن تجد القاتل الحقيقي قبل أن يعثر والر علينا يا هول. الأمر
بهذه البساطة".

أعطى سيفرتسن هاري الإزميل.
"هل تصدّقي؟".

كذب هاري وهو يضع الإزميل في جيب سترته: "نعم".
سُمع صوت صرير حين بدأ المصعد يتحرك مجدداً.

الفصل الخامس والثلاثون:

ليلة الأحد. هراء رائع

قال هاري وهو يقيد سفن سيفرتسن بالأصفاة تحت نافذة الغرفة 406: "أمل أن يعجبك إيغي بوب؛ لأنه المنظر الوحيد الذي ستراه لبعض الوقت".

قال سفن رافعاً بصره إلى اللوحة: "يمكن أن يكون الأمر أسوأ. رأيت إيغي وستوجز في برلين؛ وقبل ولادة مالك اللوحة كما أفترض".
توثق هاري من ساعته؛ كانت تشير إلى 1:10. كان والر وزملاؤه قد توثقوا على الأرجح من شقته في بوابة صوفيز، ولا بد أنهم الآن يزورون الفنادق، وبدا من المستحيل معرفة الوقت المتبقي أمامهما. استرخى هاري على الأريكة وفرك وجهه بكلتا راحتيه.
تباً لسيفرتسن!

كانت الخطة بسيطة جداً؛ العثور فقط على مكان آمن، ثم الاتصال ببيارني مولر وقائد الشرطة وجعلهما يسمعان شهادة سفن سيفرتسن عبر الهاتف، ثم إبلاغهما أن لديهما ثلاث ساعات فقط لاعتقال توم والر قبل أن يتصل هاري بالصحافة ويفجر القنبلة. كان الخيار بسيطاً، وكل ما يتوجب عليه فعله مع سيفرتسن هو الجلوس بسكون حتى يتلقيا تأكيداً بأن توم والر أصبح في السجن. بعد ذلك، سيتصل هاري بروجر غيندم في أفنتبوستن ويطلب منه الاتصال بقائد الشرطة للحصول على تعليق عن الاعتقال. آنذاك فقط - حين يصبح الأمر معلناً - سيخرج هاري وسيفرتسن من مخبئهما.

لكن، نظراً إلى ما قاله سيفرتسن وإنذاره النهائي، سيكون الأمر إبحاراً صعباً نسبياً.

"ماذا إن...".

"لا تحاول يا هول". لم ينظر سيفرتسن إليه.

تباً له!

توثق هاري من ساعته مجدداً، وعرف أنه يجب عليه أن يتوقف عن فعل ذلك. يجب عليه أن يتوقف عن التفكير في عنصر الوقت، وأن يستجمع أفكاره، ويستعيد رباطة جأشه، ويرى الخيارات المتاحة. تباً!
قال هاري مغمضاً عينيه: "لا بأس، أطلعني على روايتك للأحداث".
قعقت الأصفاة حين مال سفن سيفرتسن إلى الخلف.
وقف هاري بجانب النافذة المفتوحة مدخناً لفافة تبغ، ومصغياً إلى

صوت سفن سيفرتسن الحاد. بدأ بالحديث عن لقائه والده أول مرة حين كان في السابعة عشرة من عمره.

"ظننت والدي أنني في كوبنهاغن، ولكنني ذهبت إلى برلين للبحث عنه. عاش في منزل ضخم مع كلاب حراسة في المنطقة حول متنزه تيرغارتن، حيث توجد السفارات. أقنعت البستاني أن يرافقني إلى الباب الأمامي ورننت الجرس. عندما فتح الباب، بدا لي أنني أنظر إلى صوري في المرآة. وقفنا محمقين إلى بعضنا بعضاً. لم أضطر حتى إلى قول من أكون، وفي النهاية بدأ يبكي وعانقني. بقيت معه أربعة أسابيع. كان متزوجاً ولديه ثلاثة أولاد، ولم أسأله عما يفعله ولم يخبرني. كانت زوجته، راندي، تقيم في مصحة مكلفة في الألب بسبب إصابتها بمرض قلبي عضال. بدا ذلك شيئاً تقرأه في رواية رومانسية، وتساءلت أحياناً إن كان ذلك ما جعله يرسلها إلى هناك. لم يكن هناك شك في أنه أحبها، أو ربما الأكثر دقة أن أقول إنه يحبها. عندما أخبرني أنها تحتضر، ظننت أنه يقصُّ علي شيئاً من مجلة أسبوعية نسائية. جاءت صديقة زوجته بعد ظهر أحد الأيام، وشربنا الشاي معاً، وقال والدي حينها إن القدر هو الذي أرسل راندي في ذلك الطريق، لكنهما أحبا بعضهما بعضاً كثيراً، ولذا من المؤسف أنها تزوي بعيداً في حين أن جمالها لم يفقد بريقه بعد. استطاع قول أشياء مثل تلك من دون خجل. تلك الليلة، عندما لم أستطع النوم، نزلت إلى الأسفل لأبحث عن شراب، ورأيت الصديقة تتسلل من غرفة نومه".

أوما هاري. هل كانت هناك حشرات كثيرة في هواء الليل، أم إنه يتخيل ذلك؟ تحرك سيفرتسن في مكانه.

"في أثناء النهار كان المنزل كله لي. رُزق بابنتين، عمر إحداهما أربعة عشر عاماً والثانية ستة عشر عاماً؛ بوديل وأليس. كنت بالنسبة إليهما حدثاً مثيراً على نحو لا يُصدّق؛ أخاً غير شقيق لم تسمعا به ظهر فجأة. وقعت كلتاهما في حبي، لكنني أحببتُ بوديل الأصغر سناً أكثر. في أحد الأيام، طلب مني والدي في أثناء تناولنا الفطور أن أعمل معه، وهكذا بدأت بتهريب الألبان".

توقف سيفرتسن.

قال هاري: "الوقت ينقضي".

"عملت في أوصلو، وباستثناء هفوتين باكرتين قادتا إلى إصدار حكمين بالسجن مشروطين عليّ، أبلت حسناً. كان تخصصي اجتياز الجمارك في المطارات، وذلك سهل جداً، فكل ما يلزم هو أن ترتدي ملابسك مثل رجل

محترم وألاً تبدو خائفاً، ولم أشعر بالخوف مطلقاً لأنني لم أكن أهتم.
استخدمت ياقة رجل دين بيضاء، وطبعاً هذه خدعة واضحة جداً يمكن أن
تثير شكوك موظفي الجمارك فوراً، لكن المهم هو معرفتك كيفية مشي رجل
الدين، وكيفية تصفيفه شعره، والأحذية التي ينتعلها، والطريقة التي يشبك
بها يديه، والتعبير الذي يظهر على وجهه. إذا تعلمت هذه الأشياء، فلن
يوقفك أحد أبداً. قد يخامر الشك موظف الجمارك، لكن عتبة إيقاف رجال
الدين عالية، وأي موظف جمارك يفتش حقيبة رجل دين من دون أن
يجد شيئاً في حين يتجاوز هيبون بشعرهم الطويل يكون عرضة للشكوى.
نظام الجمارك مثل أي نظام آخر، فهم يحاولون منح العامة انطباعات إيجابية
- وإن يكن خاطئاً - بأنهم يقومون بعمل جيد.

توفي والدي بسبب السرطان عام 1985، وبقي مرض قلب راندي
العضال غير قابل للشفاء، لكنه لم يكن سيئاً إلى درجة تمنعها من العودة
إلى المنزل على متن طائرة وتوَّي إدارة العمل. وسرعان ما وجدت نفسي من
دون عمل. لم تكن النرويج آنذاك منطقة يريدون العمل فيها كما قالت،
لكنها لم تعرض علي أي شيء آخر. بعد بضع سنوات من البطالة في أوصلو
انتقلت إلى براغ التي كانت إلدورادو المهريين بعد سقوط الستار الحديدي.
كنت أتكلم الألمانية جيداً وسرعان ما وجدت موطناً قدم لي. كسبت المال
بسرعة، لكنني أنفقته بالسرعة نفسها. عقدت صداقات، لم تكن تربطني
علاقات قوية مع أحد، ولا مع النساء أيضاً. لم أكن بحاجة إلى ذلك.
أتعرف لِمَ يا هاري؟ اكتشفت أنني ورثت هبة من والدي؛ قوة الوقوع في
الحب".

أوما سيفرتسن نحو لوحة إيغي بوب.

"لا يثير المرأة شيء أكثر من رجل يحب. أنا متخصص بالنساء
المتزوجات؛ فهنّ لا يثرن الكثير من المتاعب في ما بعد. عندما أكون بحاجة
إلى المال، فمن الممكن أن يصبحن مصدراً مريحاً للدخل لكنه عابر. وهكذا
انقضت السنون من دون أن أشعر بالقلق، وطوال أكثر من ثلاثين سنة
بقيت ابتسامتي حرّة، والسرير مكاني المفضّل".

أسند سيفرتسن رأسه على الجدار وأغمض عينيه.

"لا بد أن هذا يبدو ساخراً، لكن يمكنك أن تصدّق أن كل إعلان

حب خرج من فمي كان صادقاً ومخلصاً مثل كلمات الحب تلك التي
تلقتها زوجة أبي منه. منحتهن كل ما لديّ إلى أن انتهت العلاقة فطردتهن؛
إذ لم يكن بمقدوري تغطية تكاليف مصحّة. انتهى الأمر دائماً بتلك الطريقة،

وهذا ما ظننت أنه سيكون عليه الحال دائماً، حتى ذهبت في يوم خريفي إلى مقهى في فندق غراند أوروبا في ساحة ونسيسلاس ووجدتها هناك. إيفا، نعم هذا هو اسمها، وليس صحيحاً أن المفارقات غير موجودة يا هول. كان أول شيء خطر في بالي أنها ليست جميلة، لكنها تتصرف وكأنها فاتنة. على كل حال، يكون الناس الذين يقتنعون بجمالهم جميلين. أتمتع بموهبة خاصة مع النساء لذا ذهبت إليها. لم تطلب مني أن أذهب إلى الجحيم، وإنما عاملتني بلطف كبير جعلني أفقد رشدي".

ابتسم سيفرتسن ابتسامة العارف.

"لا يثير الرجل شيء أكثر من امرأة لا تحب. هي أصغر مني بست وعشرين سنة، وتتمتع بلباقة أكثر مما يمكن أن أحظى به يوماً، والأهم أنها لا تحتاج إليّ. كان بمقدورها الاستمرار في عملها الذي تظن أنني لا أعرف شيئاً عنه؛ فهي تلهو مع رجال أعمال ألمان وتمنحهم ما يريدونه".

سأل هاري وهو ينفخ الدخان على إيغي: "إذاً، لماذا لم تفعل؟".

"لم تسنح لها الفرصة. كنت واقعاً في حبها، وأردت أن أحظى بها

لنفسى. وإيفا مثل معظم النساء اللواتي لا يحببن؛ فهي تقدّر الأمان

الاقتصادي. لذا، لأظفر بالحصريّة كان يجب عليّ أن أكسب بعض المال،

وبدا تهريب الألماس الأحمر من سيراليون عملاً لا ينطوي على مخاطر

كبيرة، لكنه لم يمنحني مالاً كافياً لجعلها ثرية على نحو لا يُقاوم. كانت

مخاطر الممنوعات كبيرة، لذا انخرطت في تهريب الأسلحة والتقيت الأمير.

اجتمعنا مرتين في براغ للاتفاق على الإجراءات والشروط، والتقينا مجدداً في

مطعم في ساحة فاكلاف. أقنعت إيفا أن تؤدي دور السائحة التي تلتقط

صوراً، وظهرت الطاولة التي كنت أجلس والأمير إليها مصادفة في أغلبية

الصور. يتلقى الأشخاص الذين لا يصقون حساباتهم بعد أداء أعمال لهم

صورة في البريد مع تذكير، وكان ذلك ينجح دائماً. كان الأمير شخصاً حازماً،

ولم أواجه قط أي مشكلة معه، لكنني اكتشفت أنه شرطي بعد مرور

بعض الوقت".

أغلق هاري النافذة وجلس على الأريكة السرير.

قال سيفرتسن: "تلقيت في الربيع اتصالاً هاتفياً من نرويغي يتكلم

بلهجة أوستلاندي. لا فكرة لدي كيف استطاع الحصول على رقم هاتفي، وبدا

أنه يعرف كل شيء عني، وكان ذلك مروعاً تقريباً. لا، بل كان مروعاً

تماماً. عرف من هي والدتي، كما عرف عن الحكّمين الصادرين بحقي، وعن

الألماسات الحمراء التي كانت على شكل نجم خماسي، والتي تخصصت

بتهريبها طوال سنين. وأسوأ ما في الأمر أنه عرف أنني قد بدأت بتهريب الأسلحة. أراد كليهما؛ ألماسة وسيسكا مع كاتم صوت، وعرض مبلغاً طائلاً على نحو لا يمكن تخيُّله. قلت لا للسلاح، وإنه يجب أن يحصل عليه عبر قناة أخرى، لكنه أصرَّ على أن أحضره له. رفع عرضه، وإيفا كما قلت امرأة كثيرة المطالب، ولم يكن بوسعي تحمُّل خسارتها، لذا اتفقنا".

"علام اتفقتما بالضبط؟".

"كانت لديه طلبات محدّدة في ما يتعلق بالتسليم، منها أن ذلك يجب أن يحدث في متنزه فروغنز، تحت المسلة مباشرة. سلّمت الطلبة الأولى قبل خمسة أسابيع فقط. كان يجب أن يحدث ذلك عند الساعة الخامسة، في وقت الذروة؛ حين ينتشر السيّاح في المكان، ويمشي الناس في المتنزه بعد انتهاء العمل؛ الأمر الذي يسهّل عليه وعليّ الدخول والخروج من دون أن نلفت الانتباه كما قال. بدت فرص أن يتعرّفني أحد قليلة جداً على كل حال. قبل عدّة سنوات، رأيت في المشرب المحلي في براغ رجلاً نرويجياً اعتاد أن يضربني في المدرسة، ونظر إلي مباشرة. كان هو وسيدة أقيمت علاقة معها في أثناء شهر عسلها في براغ الشخصين الوحيدين اللذين أعرّفهما من أوصلو واللذين رأيتهما منذ انتقالي بعيداً عن ذلك المكان".

أوما هاري.

قال سيفرتسن: "على كل حال، لم يرغب الزبون في أن نلتقي، وبدا ذلك مناسباً لي. كنت سأنقل ما طلبه في كيس بنّي مصنوع من النايلون، وأضعه في سلة مهملات خضراء في وسط متنزه فروغنز أمام النافورة ثم أغادر فوراً. كان مهماً جداً أن أتقيّد بالوقت، وقد حوّل المبلغ المتفق عليه مقدّماً إلى حسابي في سويسرا. قال إن الحقيقة البسيطة المتمثلة في أنه قد وجدني لن تجعلني على الأرجح أفكّر في خداعه، وإن ذلك ما يعتمد عليه، وكان محقاً. هل لي بلفافة تبغ؟".

أشعلها هاري من أجله.

"بعد يوم من أول عملية تسليم اتصل بي، وطلب غلوك 23، وألماسة أخرى للأسبوع التالي؛ في المكان نفسه، والوقت ذاته، وبحسب الإجراء المتبع عينه. كان يوم أحد، لكن المكان كان مزدحماً بالناس".

"إنّه اليوم نفسه والوقت ذاته اللذان ارتكبت فيهما جريمة القتل الأولى التي أودت بحياة ماريوس فيلاندا".

"ماذا؟".

"لا شيء. تابع".

"تكرر هذا الأمر ثلاث مرات؛ بفاصل خمسة أيام بين العمليات دائماً، لكن المرة الأخيرة كانت مختلفة قليلاً. فقد أخبرني عن طلبيتين: واحدة ليوم السبت، والأخرى ليوم الأحد؛ أي أمس. طلب الزبون مني البقاء في منزل والدتي ليلة السبت حتى يستطيع الاتصال بي هناك إن طرأ أي تغيير على الخطة، ولم أمانع، فقد كنت سأفعل ذلك على كل حال. كنت أتطلع قدماً لرؤية والدتي؛ إذ كنت أحمل لها نبأ جيداً".

"أنها ستصبح جدّة".

أوما سيفرتسن وقال: "وأني سأتزوج".

أطفاً هاري لفافة تبغّه.

"إذاً، ما تقوله هو أن الأمانة والمسند اللذين وُجدا في حقيبتك كانا

لطلبية الأحد؟".

"نعم".

"مم".

سأل سيفرتسن بعد صمت مطوّل: "والآن؟".

وضع هاري يديه خلف رأسه، واسترخى على الأريكة السرير وتثاءب. "بوصفك معجباً قديماً بإيغني لا بد أنك سمعت هراء - هراء - هراء؟ إنه ألبوم جيد؛ هراء رائع".

"هراء رائع؟".

ضرب سفن سيفرتسن مرفقه على مشعاع التدفئة فسمعا رنيناً خاوياً.

نهض هاري قائلاً: "يجب أن أصفي ذهني. يوجد متجر يعمل 24

ساعة في الشارع في الأسفل. هل تريد أن أجلب لك شيئاً؟".

أغمض سيفرتسن عينيه. "اسمع يا هول، نحن في المركب نفسه،

وسنغرق معاً مفهوم؟".

كشّر هاري ووقف. "سأفكر في هذا".

عندما عاد هاري بعد 20 دقيقة، وجد سفن نائماً وذراعه مقيدة إلى

أعلى مشعاع التدفئة؛ وكأنه يلوح.

وضع هاري شطيرتي لحم ورقائق بطاطا وقارورة كوكا - كولا كبيرة

على الطاولة.

فرك سفن عينيه مبعداً عنهما الشعور بالنعاس وقال: "هل فكرت يا

هول؟".

"نعم".

"وما الذي فكّرت فيه؟".

"فكّرت في الصور التي التقطتها حبيبتيك لك مع توم والر في براغ".

"وما علاقة هذا بأي شيء؟".

فكّ هاري الأصفاد.

"لا علاقة للصور بالقضية. كنت أفكر في أنها كانت تتظاهر بأنها

سائحة، وتفعل ما يفعله السياح".

"وما الذي يعنيه هذا؟".

"ما قلته، التقاط الصور".

فرك سيفرتسن معصميه وأمعن النظر إلى الطعام على الطاولة. "ماذا

عن كأس نشرب منها يا هول؟".

أشار هاري إلى القارورة.

أزال سفن الغطاء وهو يحدّق بعينين نصف مغمضتين إلى هاري.

"إذًا، هل ستخاطر بالشرب من القارورة نفسها التي سيشرّب منها قاتل

متسلسل؟".

ردّ هاري بفم مملوء بلقمة كبيرة من شطيرة اللحم: "المركب نفسه،

القارورة ذاتها".

كانت أولوغ سيفرتسن جالسة في غرفة معيشتها وهي تحدّق أمامها

ذاهلة. لم تكن قد أنارت الغرفة على أمل أن يظنوا أنها ليست في المنزل

ويتوقفوا عمّا يفعلونه. فقد استمروا بالاتصال بها عبر الهاتف، وبرنّ جرس

الباب، وهم يصرخون من الحديقة ويُلْقون الحصى على نافذة المطبخ. كانت

قد قالت: "لا تعليق"، وسحبت شريط الهاتف من المقبس. وفي نهاية

المطاف، وقفوا حول المنزل في الخارج، منتظرين مع عدساتهم المقرّبة

الطويلة السوداء. وعندما ذهبت لتسدل الستائر أمام إحدى النوافذ، سمعت

أصوات آلات تصويرهم: زرز، زرز، تك؛ زرز، زرز، تك.

كان يوم تقريباً قد انقضى ولم تكتشف الشرطة غلطتها بعد. حدث

ذلك في نهاية الأسبوع، وربما سينتظرون حتى الاثنين؛ حتى ساعات دوامهم

المعتادة لكي يصحّحوا الأمر.

ليت هناك شخصاً تستطيع التحدّث إليه، لكن إينا لم تعد من عطلتها

مع السيد النبيل الغامض بعد. فكّرت في الاتصال بالشرطة بتي. لم يكن

خطأها أنهم قد اعتقلوا سفن، وبدا لها أن بتي تعرف أنه ليس من النوع

الذي يقتل أحداً. كانت قد زوّدتها برقم هاتفها وقالت لها إن بمقدورها

الاتصال بها إن أرادت قول شيء لهم؛ أي شيء.

حدّقت أولوغ إلى خارج النافذة، وبدا ظل شجرة الإِجاص المميّنة مثل أصابع تمسك القمر، معلّقة على ارتفاع منخفض في الحديقة وقرب مبنى المحطة. لم تكن قد رأت قمراً مثل هذا القمر من قبل قط؛ فقد كان يشبه وجه رجل ميت؛ وكأن عروفاً زرقاء تبرز من الجلد الأبيض. ماذا حدث لإينا؟ قالت إنها ستعود بعد ظهر الأحد على الأكثر. تخيلت أولوغ كم سيكون الوضع لطيفاً مع كوب من الشاي، وسيكون بمقدور إينا لقاء سفن؛ إينا دقيقة جداً في مواعيدها. انتظرت أولوغ حتى أعلنت ساعة الحائط الثانية من بعد منتصف الليل، ثم أخرجت رقم الهاتف. سمعت رداً عند الرنة الثالثة، وقال صوت نعس: "بتي".

"مرحباً، أنا أولوغ سيفرتسن، وآسفة جداً لاتصالي في وقت متأخر جداً".
"لا تقلقي يا فراو سيفرتسن".
"أولوغ".

"أولوغ، آسفة، لم أستيقظ تماماً بعد".
"أتصل لأنني قلقة بشأن إينا؛ المستأجرة لديّ. كان يجب أن تكون في المنزل قبل وقت طويل، ومع كل ما حدث، حسناً، نعم، أشعر بالقلق".
عندما لم تحصل أولوغ على جواب فوري، تساءلت إن كانت بتي قد عادت إلى النوم، لكنها سمعت صوتها مجدداً، ولم يكن هذه المرة نعساً.
"هل تقولين لي إن لديك مستأجرة يا أولوغ؟".

"نعم، فعلاً، إينا. إنها تقطن في غرفة الخادمة. آه نعم، لم أرك إياها لأنها في الطرف الآخر من السلام الخلفية. لقد غابت عن المنزل طوال عطلة نهاية الأسبوع".
"أين؟ مع من؟".

"أتمنى لو كنت أعرف. الشخص الذي ذهبت برفقته أحد معارفها الجدد نسبياً، والذي لم أتعرّف إليه بعد. قالت فقط إنهما ذاهبان إلى الكوخ الذي يمضي فيه عطلاته".

"كان يجب أن تخبرينا عن هذا من قبل يا أولوغ".
"حقاً؟ أنا آسفة جداً... أنا...".

شعرت أولوغ بالدموع تترقرق في عينيها، لكنها لم تكن تتمتع بالقوة لتمنعها من السيلان على وجهها.

سمعت بتي تُسرع بالقول: "لا، لم أعنِ الأمر على هذا النحو يا أولوغ. لست أنتِ التي أشعر بالغضب منها، فوظيفتي تتطلب مني أن

أوثق من هذه الأشياء. لم يكن بمقدورك معرفة أن لهذا علاقة بتحقيقنا. سأتصل بغرفة عمليات الشرطة وسيعاودون الاتصال بك لسؤالك عن تفاصيل شخصية تخص إينا حتى يستطيعوا النظر في القضية. أنا واثقة أنها لم تصب بمكروه، لكن من الأفضل ألا نخاطر، أليس كذلك؟ بالمحصلة، أظن أنك يجب أن تنامي قليلاً. سأتصل بك مجدداً في الصباح الباكر. هل اتفقنا يا أولوغ؟".

قالت أولوغ وهي تحاول أن تتظاهر بالابتسام: "نعم". أرادت حقاً أن تسأل بتي إن كانت تعرف كيف تجري الأمور مع سفن، لكنها لم تستطع. "نعم، اتفقنا. إلى اللقاء يا بتي". وضعت السماعة مكانها ودموعها تسيل على وجنتيها.

استرخت بتي على سريرها وحاولت أن تنام، وأصغت إلى المنزل الذي بدا أنه يتكلم. كانت والدتها قد أوقفت التلفاز عن العمل عند الساعة 11:00، والطابق الأرضي هادئ تماماً. تساءلت بتي إن كانت والدتها تفكر فيه أيضاً؛ والدها، فهما قلماً تتكلمان عنه لأن ذلك يستنفد الكثير من طاقتهما. كانت قد بدأت بالبحث عن شقة في وسط المدينة، فهي تشعر منذ السنة الماضية بأنها محبوسة؛ لأنها تعيش في منزل والدتها، خاصة منذ أن بدأت تقابل هالفورسن، الضابط الجامد كصخرة من ستينكير الذي تدعوه بلقبه ويعاملها بنوعٍ من الاحترام والرغبة تعتبره غريباً على نحو لا يمكن تفسيره. لن تكون لديها مثل هذه المساحة في أوسلو، وستفتقد إلى أصوات هذا المنزل؛ المونولوج الذي اعتادت أن تنام وهي تسمعه طوال حياتها. رنَّ الهاتف مجدداً، فتنهّدت ومدّت ذراعها نحوه. "نعم يا أولوغ؟". "أنا هاري، يبدو أنك مستيقظة".

جلست على السرير. "نعم، لم يهدأ رنين الهاتف هذه الليلة، ما الأمر؟".

"أحتاج إلى بعض العون، وأنت الوحيدة التي أثق بها".
"حسناً، لأنني أعرفك، أفترض أن هذا يعني وجود مشكلة لي".
"الكثير من المشكلات، هل أنتِ معي؟".
"ماذا إن قلت لا؟".

"أصغي إلى ما سأقوله أولاً، ثم يمكنك قول لا بعد ذلك".

الفصل السادس والثلاثون:

الاثنين. الصورة

عند الساعة 5:45 من صباح الاثنين، كانت الشمس تشرق فوق جبل إكبرغ. تثنأب الحارس المناوب في مكتب الاستقبال في مقر قيادة الشرطة بصوت عالٍ، ورفع بصره عن أفتنبوستن حين دخل أول الواصلين وأظهر بطاقة هويته.

قال وهو يشعر بالسعادة لرؤيته إنساناً آخر: "المطر سيهطل قريباً وفقاً للصحيفة".

ألقى الرجل الطويل وكثيب المظهر نظرة عابرة عليه، لكنه لم يُجب. وبعد دقيقتين، لحقه ثلاثة رجال آخرين، كلهم متكتمون ومتجهّمون. عند الساعة 6:00 كان الرجال الأربعة جالسين في مكتب قائد الوحدة في الطابق السادس.

قال قائد الوحدة: "حسناً، لقد أخذ أحد مفتشي الشرطة قاتلاً محتملاً من مبنى الاحتجاز، ولا أحد يعرف مكانهما".

كان أحد الأشياء التي جعلت قائد الوحدة مناسباً لموقعه هو قدرته على إيجاز مشكلة ما، والشيء الآخر هو مهارته في صياغة ما يجب فعله باختصار: "إذاً، أقترح أن نعثر عليهما بسرعة. ماذا حدث حتى الآن؟".
اختلس رئيس كريبوس نظرة خفية إلى مولر ووالر قبل أن يتنحج ويحجب: "لقد كلّفنا مجموعة صغيرة ولكنها خيرة من المحققين بالقضية، انتقاهم المفتش والر الذي يقود عملية البحث. ثلاثة من POT، واثنان من شعبة مكافحة الجريمة. بدأوا مهمتهم في الليلة الماضية، بعد مرور ساعة واحدة فقط على قيام الضابط في مبنى الاحتجاز بإبلاغنا أن سيفرتسن لم يعد".

"عمل سريع. لكن، لماذا لم يتم إبلاغ أفراد الشرطة العاديين؟ وسيارات الدورية؟".

"أردنا انتظار حدوث تطوّرات، واتخاذ قرار في هذا الاجتماع يا لارس؛ أن نسمع ما تفكّر فيه".
"ما أفكّر فيه؟".

مرّر رئيس كريبوس إصبعه على طول شفته العليا قائلاً: "لقد وعد المفتش والر بأن يلقي القبض على هول وسيفرتسن قبل انتهاء هذا اليوم. استطعنا تقييد انتشار المعلومة حتى الآن، فنحن الأربعة وغروث في مبنى الاحتجاز الوحيدون الذين يعرفون أن سيفرتسن طليق. إضافة إلى هذا، لقد

اتصلنا بالرسمو وألغينا زنزانة سيفرتسن والنقل، وأخبرناهم أننا تلقينا معلومات جديدة منحتنا سبباً للظن أن سيفرتسن قد لا يكون بأمان هناك، ولذا سننقله حالياً إلى وجهة سرية. لاختصار قصة طويلة، يمكننا التستر على الموضوع حتى يحلّ والر ومجموعته القضية لنا. من الطبيعي أن هذا سيكون قرارك يا لارس".

ضمّ قائد الوحدة أطراف أنامله معاً وأوماً مستغرقاً في تفكير عميق، ثم نهض وذهب إلى النافذة، حيث أدار لهم ظهره.

"استقلت في الأسبوع الماضي سيارة أجرة. كان السائق قد وضع صحيفة مفتوحة على الكرسي بجانبني، فسألته عن رأيه في القاتل المتسلسل. يبدو مثيراً للاهتمام دائماً أن تسمع ما يفكر فيه الناس من عامة الشعب. قال إن المشكلة مع القاتل المتسلسل هي نفسها التي تمت مواجهتها في قضية مركز التجارة العالمي: أسئلة تُطرح بالترتيب الخاطئ. إذ يسأل الجميع من وكيف، ولكنّ لتحلّ لغزاً ما يجب أن تطرح أولاً سؤالاً آخر. وهل تعرفون ما ذلك السؤال؟ تورليف؟".

لم يُجب رئيس كريبوس.

"إنه لماذا يا تورليف. لم يكن سائق سيارة الأجرة ذاك غيباً. هل طرح أي شخص هنا على نفسه ذلك السؤال أيها السادة؟".

اهتز قائد الوحدة على عقبيه وانتظر.

قال رئيس كريبوس أخيراً: "مع كل احترامي لسائق سيارة الأجرة، لست واثقاً أنه توجد لماذا في هذه القضية، أو على الأقل لماذا منطقية. فنحن جميعاً نعرف أن هول غير مستقر نفسياً ومدمن على الشراب، ولهذا السبب صُرف من عمله".

"الناس المجانين أيضاً لديهم دوافع يا تورليف".

سمعوا صوت شخص يتنحى بتحفظ.

"نعم يا والر".

"بطوطي".

"بطوطي؟".

"الطيار الذي أسقط متعمداً طائرة مليئة بالركاب لينتقم لنفسه من شركة الطيران التي خفضت رتبته".

"ما الذي ترمي إليه يا والر؟".

"ركضت خلف هاري وتكلمت معه في موقف السيارات بعد أن اعتقلنا سيفرتسن مساء الأحد. بدا واضحاً لي أنه يشعر بالمرارة؛ لأنه صُرف

من عمله، ولأنه يظنُّ أننا قد خدعناه ولم يحظ بالفضل الذي يستحقه لاعتقاله قاتلاً متسلسلاً".

"بطوطي...".

حجب قائد الوحدة أشعة الشمس الأولى التي تتسلل من النافذة عن عينيه.

"لم تقل أي شيء بعد يا بيارني، ما رأيك؟".

رفع بيارني مولر بصره إلى القائد الواقف أمام النافذة. كان يعاني آلاماً حادة في معدته لم تجعله يشعر بأنه يكاد ينفجر فقط وإنما جعلته يتمنى ذلك. فمِنذ اللحظة التي استيقظ فيها في الليل وأُبلغ عن الاختطاف كان قد انتظر أن يهزّه شخص ما بعنف ويخبره أنه يرى كابوساً.

تنهَّد قائلاً: "لا أدري. بصراحة تامة، لا أفهم ما يجري".

أوماً قائد الوحدة ببطء وقال: "إذا تسرب أيُّ خبر عن تكتّمنا عن

الموضوع فستكون العواقب شديدة".

قال رئيس كريبوس: "خلاصة مختصرة يا لارس. لكن، إذا تسرّب أننا

قد تركنا قاتلاً متسلسلاً يفلت من أيدينا فستكون العواقب أشد قسوة؛

حتى إن وجدناه مجدداً. لا تزال هناك طريقة واحدة لحل هذه المشكلة بهدوء. ولدى والر كما فهمت خطة".

"ما هي يا والر؟".

وضع توم والر يده اليسرى حول قبضته المشدودة وقال: "لنوضّح الأمر.

واضح جداً لي أنّه لا يمكننا تحمّل الفشل، لذا قد أضطر إلى استخدام

طرائق غير تقليدية. مع أخذ آثار محتملة بالحسبان، سأقترح ألا تعرف شيئاً عن الخطة".

استدار قائد الوحدة نحوه وتعبير دهشة يبدو على وجهه.

"هذا سخاء كبير منك يا والر. لكن، أخشى أنّه لا يمكن أن نوافق

على -".

"أنا أصر".

عبس قائد الوحدة وقال: "أنت تصر؟! هل تدرك المخاطر يا والر؟".

فتح والر راحتي كفيه وأمعن النظر إليهما. "نعم، لكنها مسؤوليتي.

فقد أدت التحقيق، وعملت مع هول عن كذب، ونظراً إلى كوني الشخص

المسؤول كان يجب عليّ أن أرى إشارات من قبل وأن أفعل شيئاً ما؛

خاصة بعد الحديث الذي دار بيننا في موقف السيارات".

رمى قائد الوحدة والر بنظرة متفحّصة، ثم استدار نحو النافذة وبقي

على تلك الحال؛ في حين زحف مستطيل ضوء على الأرضية. وبعد ذلك، رفع كنفه وارتعش وكأنه يشعر بالبرد.

قال ووجهه باتجاه لوح النافذة الزجاجي: "لديك حتى منتصف الليل، ثم سيعلن نبأ الاختفاء للصحافة، وهذا الاجتماع لم يُعقد قط".

في أثناء خروجه لاحظ مولر رئيس كريوس يضغط على يد والر ويتسم له ابتسامة شكر دافئة، وافترض أنها الطريقة التي تشكر فيها زميلاً على إخلاصه؛ الطريقة التي تعين فيها ضمناً ولياً للعهد.

شعر الضابط بيورن هولم من قسم الطب الشرعي أنه أحرق تماماً وهو يقف هناك حاملاً مجهاً في يده، ومتأملاً الوجوه اليابانية المحدقة إليه. كانت راحتاه تتصببان عرقاً، ولكن ليس من الحرارة، بل على العكس تماماً، إذ كانت الحرارة في الحافلة الفخمة المكيفة الواقفة خارج فندق بريستول أقل عدة درجات من الحرارة تحت شمس الصباح في الخارج. بدأ يتعرق لأن عليه أن يتكلم عبر المجها، وبالإنكليزية.

كان المرشد السياحي قد عرف به على أنه ضابط شرطة نرويجي، وقد أخرج رجل عجوز يرسم ابتسامة على وجهه آلة تصوير؛ وكان بيورن هولم جزء مكمل من الجولة السياحية. نظر إلى ساعته التي أشارت إلى الساعة مدرراً أن هناك مجموعات أخرى يجب أن يراها، لذا ينبغي له ببساطة أن يسرع في عمله. سحب نفساً عميقاً وتفوه بالجملة التي كان قد تمرن عليها في الطريق.

قال هولم: "لقد توثقنا من جداول مواعيد كل الوكالات السياحية هنا في أوسلو. وهذه إحدى المجموعات التي زارت متنزه فروغنز يوم الأحد عند الساعة الخامسة تقريباً. ما أريد معرفته هو: كم شخصاً منكم التقط صوراً هناك؟".

لا جواب.

ارتبك هولم وألقى نظرة على المرشد السياحي الذي انحنى مبتسماً، وأخذ منه المجها، ونقل إلى الركاب ما افترض هولم أنها الرسالة نفسها تقريباً التي قالها لهم، لكن باليابانية، وأنهى كلامه بانحناء صغيرة. نظر هولم إلى كل الأذرع الممتدة، وعرف أن يومهم سيكون حافلاً في مختبر الصور.

كان روجر غيندم يدندن أغنية "التحوّل إلى ياباني" حين أوصد سيارته. لم تكن المسافة من موقف السيارات إلى مكاتب أفتنوستن الجديدة طويلة، لكنه عرف رغم ذلك أن عليه أن يسرع؛ ليس لأنه متأخر، بل على

العكس تماماً. كان السبب أن روجر غيندم أحد أولئك القلة المحظوظين الذين يتطلعون قدماً للذهاب إلى الوظيفة كل يوم. إذ لا يسعه الانتظار حتى يرى كل الأشياء المألوفة حوله والتي تذكّره بالعمل: المكتب مع الهاتف والحاسوب، كومة من صحف اليوم، مهمة أصوات زملاء، آلة القهوة التي تترقرق، الإشاعات في غرفة المدخنين، جو التأهب في الاجتماع الصباحي. كان قد أمضى اليوم السابق خارج منزل أولوغ سيفرتسن من دون طائل باستثناء حصوله على صورة لها التقطها حين كانت تقف قرب النافذة. لكن ذلك بدا جيداً، فهو يحب المهمات الصعبة، وهي أكثر من كافية في قسم الجريمة. مدمن جريمة؛ ذلك ما دعت به ديفي، لكنه لم يحب استخدامها تينك الكلمتين. كان شقيقه توماس مدمناً على الممنوعات، في حين أن روجر عامل نشيط درس العلوم السياسية وأحب مصادفة العمل كمراسل جنائي. كانت لديها وجهة نظر طبعاً؛ لأن هناك سماتٍ في العمل تشبه الإدمان. بعد العمل في القسم السياسي في الصحيفة، انتهى به المطاف في قسم الجريمة. ولم يمض وقت طويل قبل أن يشعر بالإنارة التي لا يمكن أن تنتج إلا عن تدفق الأدرينالين في جسده يومياً نتيجة قصص الحياة والموت. تكلم في اليوم نفسه مع رئيس التحرير، ونُقل فوراً إلى قسم الجريمة على نحو دائم. بدا واضحاً أن رئيس التحرير رأى ذلك يحدث لآخرين قبله، ومنذ ذلك اليوم فصاعداً صار روجر يهرول من سيارته إلى العمل.

على كل حال، أوقفه أحدهم اليوم قبل أن يمشي بخطوات واسعة. قال الرجل الذي ظهر فجأة ووقف آنذاك أمامه: "صباح الخير". رأى أنه يرتدي سترة جلدية سوداء قصيرة، ويضع نظارة طيار شمسية رغم أن الجو عاتم قليلاً في موقف السيارات متعدد الطوابق. كان روجر يعرف الشرطي حين يراه.

قال روجر: "صباح الخير".

"لديّ رسالة لك يا غيندم".

كانت ذراعاً الرجل إلى جانبه، ويغطي يديه شعرٌ أسود. ظنَّ روجر أن الشرطي كان سيبدو طبيعياً أكثر لو أبقى يديه في جيبى سترته الجلدية، أو خلف ظهره، أو مشبوكتين أمامه. أمّا على هذه الحال، تكوّن لديه انطباع بأنه على وشك أن يستخدم يديه من أجل شيء ما، لكن من المستحيل تخمينه.

سأل روجر: "ماذا؟". سمع صدى "ذا" يتردد وقتاً قصيراً بين الجدران.

مال الرجل إلى الأمام وقال: "شقيقك يقضي عقوبة في أرسمو".
"ماذا في ذلك؟".

كان روجر يعرف أن شمس الصباح تشرق في الخارج على أوسلو، لكن في سراديب موقف السيارات في الأسفل أصبح الجو فجأة بارداً كالجليد.
"إذا كنت تهتم بما يحدث له، فيجب أن تسدينا معروفاً. هل أنت مصغ يا غيندم؟".
أوماً روجر مذهولاً.

"إذا اتصل بك المفتش هاري هول، فنحن نريد منك أن تسأله عن مكانه. وإذا لم يخبرك، رتب لقاءً معه، وقل إنك لن تخاطر بطباعة قصته حتى تلتقيه وجهاً لوجه. يجب أن يحدث اللقاء قبل منتصف هذه الليلة".
"أي قصة؟".

"قد يروي مزاعم لا أساس لها ضد مفتش شرطة لا يمكنني الكشف عن اسمه. لكن، لا تزعج نفسك بذلك، فلن تجد المادة طريقها إلى الطباعة على كل حال".
"لكن -".

"هل تصغي؟ بعد أن يتصل، أريد منك الاتصال بهذا الرقم لتخبرنا عن مكان هول، أو أين ومتى رتبت للقاءه. هل هذا واضح؟".
وضع يده اليسرى في جيبه، ثم أخرج منه قصاصة ورق أعطى روجر إياها.

قرأ روجر الرقم وهز رأسه. وعلى الرغم من الخوف الذي سيطر عليه، إلا أنه شعر بضحكة تفور داخله، أو ربما كان خوفه هو السبب الحقيقي.
قال روجر وهو يكبت ابتسامته: "أعرف أنك شرطي. يجب أن تدرك أن هذا لن يجدي نفعاً. أنا صحفي، ولا يمكنني -".
"غيندم".

نزع الرجل نظارته الشمسية، وعلى الرغم من العتمة، إلا أن البؤبؤين ظهرا مثل نقطتين صغيرتين وسط القزحيتين الرماديتين.
"شقيقك الصغير في الزنزانة إيه 107. كل ثلاثاء - مثل معظم المسجونين القدامى الآخرين - تُهرب ممنوعاته إليه، ويحقنها فوراً من دون أن يتوثق منها. لا بأس بذلك حتى الآن. هل تدرك ما أعنيه؟".
تساءل روجر إن كانت أذناه قد خدعتاه، لكنه عرف أنهما لم تفعلوا.
قال الرجل: "جيد. هل هناك أي أسئلة؟".
اضطر روجر إلى ترطيب شفثيه قبل أن يُجيب: "لماذا تظن أن هاري

هول سيتصل بي؟".

قال الرجل وهو يضع نظارته الشمسية مجدداً: "لأنه يائس، ولأنك أعطيتك بطاقتك أمام المسرح الوطني أمس. أتمنى لك يوماً جيداً يا غيندم". لم يتحرك روجر حتى اختفى الرجل عن ناظره. عندها، استنشق الهواء المغبر والرطب في موقف السيارات، ثم مشى المسافة القصيرة المؤدية إلى مكتبه بخطوات بطيئة ومترددة. وثبت أرقام الهواتف ورقصت على الشاشة أمام كلاوس توركيلدسن في غرفة التحكم في مركز عمليات تيلينور، إقليم أوسلو. كان قد طلب من زملائه ألا يزعجه أحد وأوصد الباب. بلل العرق قميصه، لكن ليس سبب ذلك أنه هرول إلى العمل. كان قد مشى - لم يمشِ بسرعة ولا ببطء - وعند توجهه إلى مكتبه نادته عاملة الاستقبال وأوقفته؛ استخدمت لقبه، فهو يفضل هذا. قالت وهي تشير إلى رجل جالس على الأريكة في قاعة الاستقبال: "زائر".

دُهِش كلاوس توركيلدسن لأن عمله لا يتضمن استقبال زوّار. لم يحدث هذا بمحض المصادفة، إذ سيطرت على اختياره مهنته وحياته الخاصة رغبة في تفادي كل اتصال مباشر بأي شخص؛ باستثناء اللقاءات الضرورية. نهض الرجل عن الأريكة وأخبره أنه من الشرطة، ثم طلب منه أن يجلس. انكمش كلاوس على كرسيه، وازداد انكماشاً حين شعر بالعرق يتصبّب من جسده كله. لم تكن له أي علاقة بالشرطة منذ 15 سنة. وعلى الرغم من أنه تلقى مخالفة فقط، إلا أنه لا يزال يتصرف بارتياح فوري حين يرى شرطياً في الشارع. وبدءاً من اللحظة التي فتح الرجل فيها فمه، تدفق العرق من مسامه. تطرّق الرجل فوراً إلى لب الموضوع، وأخبره أنهم يحتاجون إليه لتعقب هاتف خلوي. وكان كلاوس قد قام بأمر مماثل من أجلهم من قبل، والأمر بسيط نسبياً؛ إذ يبث الهاتف الخلوي حين يُشغّل إشارة كل نصف ساعة، وتسجّل أبراج الهاتف الموزّعة في أرجاء البلدة ذلك. وبالإضافة إلى هذا، تلتقط أبراج الهاتف كل محادثات المشتركين وتسجّلها، والاتصالات الواردة والصادرة. ومن تغطية أبراج الهاتف يمكنهم الحصول على الإحداثيات لتحديد موقع هاتف خلوي بدقة تصل إلى نحو كيلومتر مربع. كان ذلك ما أثار حماسه في المرة الوحيدة التي اشترك فيها في مهمة مماثلة؛ في المحمية الطبيعية قرب كريستيانساند.

قال كلاوس إن مراقبة الخط يجب أن تتم بعد موافقة المدير، لكن الرجل قال إن الأمر عاجل، وليس لديهم متسع من الوقت لفعل ذلك عبر القنوات الرسمية. وبالإضافة إلى مراقبة رقم هاتف خلوي معين (الذي اكتشف كلاوس أنه يخص شخصاً اسمه هاري هول) أراد منه الرجل أيضاً مراقبة الخطوط الخاصة بعددٍ من الأشخاص الذين قد يتصل بهم الرجل المطلوب. كان الرجل قد زوّده أيضاً بلائحة بأرقام هواتف وعناوين بريد إلكتروني.

سأله كلاوس عن السبب الذي جعلهم يأتون إليه تحديداً. إذ يوجد أشخاص آخرون يتمتعون بخبرة أكبر منه في هذا المجال. وتجمّد العرق على ظهره، وبدأ يرتعش قليلاً في منطقة الاستقبال المكيفة. "لأننا نعرف أنك ستبقي فمك مغلقاً بشأن هذا يا توركيلدسن؛ تماماً كما سنبقي أفواهنا مغلقة أمام رؤسائك وزملائك بشأن المرة التي ضُبطت فيها وقد أنزلت سروالك في متنزه ستنز في كانون الثاني عام 1987. قال رجال الشرطة المتخفّون حينها إنك كنت عارياً تماماً تحت المعطف. لا بد أن الجو كان بارداً جداً...".

بلع توركيلدسن لعابه بصعوبة. كانوا قد قالوا له إن ذلك سيُحمى من السجلات بعد بضع سنوات. بلع لعابه مجدداً.

بدا مستحيلاً تماماً تعقب الهاتف الخلوي، فقد كان خارج الخدمة. وعرف ذلك حين تلقى منه إشارة كل نصف ساعة، لكنها وصلته من مكان مختلف في كل مرة؛ وكأنه يحاول تعذيبه.

رُكِّز على العناوين في اللائحة. كان أحدها رقماً داخلياً في 21 كيولبرغاتا. توثق من الرقم، وعرف أنه كريمتكنيسك؛ قسم الطب الشرعي. رفعت بتي السماعة حين رنَّ الهاتف. قال صوت في الطرف الآخر: "حسناً". قالت: "لا يبدو الأمر جيداً حتى الآن". "مم".

"لديّ رجلان يحمّضان الصور، وستكون على مكثبي حال انتهائهما منها". "ولا أثر لسفن سيفرتسن".

"إذا كان بجانب النافورة في متنزه فروغنز حين قُتلت باربرا سفندسن، فلن يحالفه الحظ. لم يظهر بالتأكيد في أيٍّ من الصور التي رأيتها. ونحن نتكلم عن نحو مئة حتى الآن".

"قميص أبيض قصير الردين وسروال أزرق -".
"لقد قلت كل هذا من قبل يا هاري".
"ألم تري أي وجوه مألوفة؟".

"عيناى تتعرّفان الوجوه بسهولة يا هاري، وهو لا يظهر فى أيّ من الصور".

"مم".

لوّحت لبيورن هوم لكي يدخل حاملاً مجموعة جديدة من الصور التي تفوح منها رائحة مادة التّظهير. ألقاها على مكتبها، وأشار إلى واحدة، ثم رفع إبهاميه واختفى عن الأنظار.

قالت: "انتظر، لقد استلمت بعض الصور الجديدة، وهي من المجموعة التي كانت هناك يوم الأحد عند الساعة الخامسة. دعني أرى...".
"هيا".

"نعم، فعلاً، يا الله! خمنّ إلى من أنظر الآن؟".
"حقاً؟".

"نعم، سفن سيفرتسن بشحمه ولحمه. إنّه حي يرزق فى صورة جانبية أمام عمالقة فيجلاند الستة. يبدو أنه يتجاوز المكان".
"هل يحمل كيساً بنياً من النايلون فى يده؟".
"الصورة لنصفه الأعلى فقط".

"لا بأس، لكنه على الأقل كان هناك".

"نعم. لكن، لم يُقتل أحد يوم السبت يا هاري، لذا هذه ليست حجة غياب".

"هذا يعنى أن شيئاً ما على الأقل مما قاله صحيح".

"حسناً، أفضل الأكاذيب صحيحة بنسبة تسعين فى المئة".

شعرت بتى بشحمتى أذنيها تصبحان دافنتين حين أدركت أن ما قالتها اقتباس مباشر من كلام هاري، حتى إنها استخدمت نبرته.
أضافت بسرعة: "أين أنت؟".

"كما قلت، من الأفضل لكلينا ألا تعرفى".

"آسفة. هذه هفوة منى".

ساد الصمت.

قالت بتى: "نحن... سنتابع التوثق من الصور. حصل بيورن على قائمة بمجموعات سياحية كانت فى متنزه فروغز فى أوقات الجرائم الأخرى".
أنهى هاري الاتصال بهمهمة فسّرتها بتى على أنها "شكراً لك".

وضع هاري إبهامه وسبابته على زاويتي عينيه؛ على كلا جانبي جسر أنفه وأغمض عينيه. كان قد نام ست ساعات في الأيام الثلاثة الأخيرة؛ منها الساعتان اللتان غفا فيهما هذا الصباح. وهو يعرف أنه قد ينقضي وقت طويل قبل أن ينعم بالمزيد من النوم. كان قد حلم بشوارع، ورأى الخريطة تنزلق أمام ناظريه وعليها أسماء شوارع في أوصلو: بوابة صنز، نيتدالغاتا، سورومغاتا، سكدموغاتا، كل الشوارع الضيقة الملتوية في كامبن. حلم بعد ذلك أن الوقت ليلاً، والثلج يهطل، فيما هو يمشي على طوال شارع في غرونلوكا (ماركفين؟ بوابة توفنز؟)، وهناك سيارة رياضية حمراء متوقفة فيها شخصان. عندما اقترب منها، رأى أن أحد الشخصين امرأة ذات رأس خنزير، ترتدي فستاناً عتيق الطراز. ناداها باسمها وصرخ: "إيلين". ولكن، عندما استدارت وفتحت فمها لتجيب، شاهده مملوءاً بحصى تتدفق منه إلى الخارج.

حرك هاري رقبتة الممتشجة من جانب إلى آخر، وقال محاولاً أن يركّز على سفن سيفرتسن المستلقي على فراش على الأرضية: "اسمع، لقد حرّكت المرأة التي تكلمت معها للتو عبر الهاتف بعض المياه الراكدة من أجلك ومن أجلي، ولن يجعلها هذا الأمر تخسر عملها فحسب، وإنما قد تُسجن أيضاً لاشتراكها في جريمة. أريد شيئاً يمكن أن يمنحها راحة البال". "ماذا تعني؟".

"أريدها أن ترى نسخة من صورك مع والر في براغ". ضحك سيفرتسن وقال: "هل سمعك ثقيل يا هاري؟ هذه هي البطاقة الوحيدة التي أملكها ويمكنني أن أساوم عليها. وإذا ألقيتها الآن، فبإمكانك ببساطة إلغاء عملية إنقاذ سيفرتسن".

"ربما سنفعل هذا في وقت أقرب مما تتخيل. لقد وجدوا صورة تثبت أنك كنت في متنزه فروغز يوم السبت، لكنهم لم يحددوا بعد أي صورة لك ترجع إلى اليوم الذي قُتلت فيه باربرا سفندسن. وهذا غريب عند الأخذ بالحسبان أن اليابانيين كانوا يضعون النافورة تحت وميض آلات تصويرهم طوال الصيف، ألا تظن هذا؟ إنه أمرٌ سيئٌ بالنسبة إلى قصّتك على كل حال، ولهذا أريد منك الاتصال بفتاتك وجعلها ترسل الصورة بالبريد الإلكتروني أو الفاكس إلى بتي لون في قسم الطب الشرعي. يمكنك أن تطلب منها إزالة وجه والر من الصورة إذا كنت تعتقد أن عليك المحافظة على ما تزعم أنها بطاقتك الراححة، لكنني أريد رؤية صورة لك مع شخص آخر في تلك الساحة؛ شخص قد يكون توم والر".

"ساحة فاكلاف".

"أياً تكن. لديها ساعة لتفعل هذا، بدءاً من الآن. وإذا لم تفعل فسيكون اتفاقنا لاغياً، هل تفهم؟".

حدّق سيفرتسن إلى هاري لوقت طويل قبل أن يجيب. "لا أعرف إن كانت في المنزل".

قال هاري: "إنها حبيبة حامل وقلقة ولا تعمل. كيف يمكن ألا تكون في المنزل بانتظار اتصال هاتفيّ منك؟ لنأمل هذا على كل حال، من أجلك. بقيت تسع وخمسون دقيقة".

جال بصر سيفرتسن في أرجاء الغرفة، وفي النهاية استقر مجدداً على هاري، ثم هزّ رأسه.

"لا أستطيع يا هول، لا يمكنني توريطها في هذا، فهي بريئة. حالياً، لا يعرف والر شيئاً عنها أو عن مكان إقامتها. ولكن، إذا فشل الأمر فسيكتشف ذلك، ثم سيسعى للنيل منها أيضاً".

"وماذا ستظن بشأن تركها وحيدة لتربيّ طفلكما في حين تقضي عقوبة السجن مدى الحياة؛ لارتكابك أربع جرائم؟ العدو من أمامك والمحيط من خلفك يا سيفرتسن. ثمانٌ وخمسون".

وضع سيفرتسن وجهه بين يديه. "تّباً".

وعندما رفع بصره مجدداً رأى هاري يمدُّ الهاتف الخلوي نحوه. عضّ شفته السفلى، ثم أمسك الهاتف، وضغط على الأرقام، ووضع الهاتف الأحمر على أذنه. توثق هاري من ساعته، ورأى عقرب الثواني يتحرك. تحرك سيفرتسن بقلق، وعدّ هاري عشرين ثانية. "حسناً؟".

قال سيفرتسن: "ربما تكون قد ذهبت إلى منزل والدتها في برنو".

قال هاري، وعيناه لا تزالان على ساعته: "يا لسوء حظك! سبع وخمسون".

سمع هاري الهاتف يسقط على الأرضية، فرفع بصره ولمح وجه سيفرتسن قبل أن يشعر بقبضة يده على عنقه. رفع هاري كلتا ذراعيه بسرعة، وضرب معصمي سيفرتسن الذي سرعان ما أرخى قبضته على عنقه، ثم ضربه على وجهه وشعر به يتراجع إلى الخلف. ضرب مجدداً وأحس بدم لزوج ودافئ يسيل بين أصابعه فخطرت له فكرة غريبة؛ الدم مثل مربّي الفراولة الطازج الذي كان يتناوله في منزل جدّته. رفع يده ليضرب مجدداً، لكنه رأى الرجل البائس المقيّد بالأصفاد وهو يحاول أن يغطّي

جسده؛ ممّا جعل غضبه يزداد. كان متعباً، وخائفاً، وغاضباً.
"فير إست دا؟".

تجمّد هاري، وحدّق وسيفرتسن إلى بعضهما، لكن أيّاً منهما لم يقل شيئاً. جاء الصوت الحاد من الهاتف الخلوي الملقى على الأرض.

"سفن؟ بيست دو إز سفن؟".

أمسك هاري الهاتف ورفعته إلى أذنه.

قال ببطء: "سفن هنا، من أنت؟".

قال الصوت الأنثوي الساخط: "إيفاء، بيت، فاز إزت باسيرت؟".

"بتي لون".

"أنا هاري".

"أنه المكاملة واتصل بي على هاتفي الخلوي". أنهت المكاملة.

كان يتكلم معها بعد عشر دقائق عبر ما يصرُّ على دعوته بالخط.

"ما الأمر؟".

"نحن مراقبون".

"كيف؟".

"لدينا برنامج مضاد للتّنصّت، وقد أظهر أن طرفاً ثالثاً يراقب مكالماتنا

الهاتفية وبريدنا الإلكتروني. القصد من البرنامج حمايتنا من المجرمين، لكن

بيورن يقول إنه يبدو أن شركة الهاتف هي التي تفعل هذا".

"أتنصّت عليكم؟".

"بالكاد، لكن كل محادثاتنا ورسائل بريدنا الإلكتروني تُسجّل".

"إنّه والر ورجاله".

"أعرف. وهم يعرفون الآن أنك تتصل بي. وبالمقابل، هذا يعني أنه لم

يعد بمقدوري مساعدتك يا هاري".

"سترسل لك صديقة سيفرتسن صورة عن لقاء تمّ بين سيفرتسن ووالر

في براغ. تُظهر الصورة والر من الخلف ولا يمكن استخدامها كدليل من أي

نوع، ولكن أريد منك أن تنظري إليها عن كثب وتخبريني إن كانت تبدو

حقيقية. لديها الصورة على حاسوبها، لذا يمكن أن ترسلها لك إلكترونياً. ما

عنوان البريد الإلكتروني؟".

"ألم تسمع ما قلته يا هاري؟ إنهم يتوثقون من البريد الإلكتروني

والمكالمات الواردة. ما الذي تظن أنّه سيحدث إن تلقينا بريداً إلكترونياً أو

رسالة فاكس من براغ الآن؟ لا يمكنني فعل هذا يا هاري، ويجب أن أجد

تفسيراً معقولاً لسبب اتصالك بي، فأنا لست سريعة البديهة مثلك. يا الله!

ماذا سأقول لهم؟".

"استرخي يا بتي، ولا داعي لأن تقولي لهم شيئاً؛ لأنني لم أتصل بك".
"ماذا تقول؟! لقد اتصلت بي ثلاث مرات".

"نعم، لكنهم لا يعرفون هذا. أنا أستخدم هاتف صديقي الخلوي. لقد تبادلنا هاتفينا".

"إذاً، هل توقّعت كل هذا؟".

"لا، ليس هذا. فعلت ذلك لأن الهواتف الخلوية ترسل إشارات إلى أبراج الهاتف تحدد المكان الذي أتواجد فيه في البلدة. وإذا كان لدى والر أشخاص يعملون في شركة الهاتف الخلوي وحاولوا تعقبني بواسطة هاتفي، فسيكون لديهم شيء يصيبهم بالحيرة؛ لأنه في حركة دائمة في كل أرجاء أوصلو".

"أريد أن أعرف أقل ما يمكن عن هذا يا هاري. لكن، لا ترسل إليّ أي شيء إلى هنا، هل اتفقنا؟".
"اتفقنا".

"آسفة يا هاري".

"لقد مددت لي ذراعك اليمنى يا بتي، ولا داعي للاعتذار عن تشبثك باليسرى".

قرع على باب الغرفة رقم 303 خمس ضربات قصيرة. تمنى أن يكون الصوت عالياً كفاية ليُسمع رغم الموسيقى، وانتظر. كاد أن يقرع مرة أخرى غير أنه سمع صوت الموسيقى ينخفض ووقع أقدام حافية على الأرضية. فُتح الباب، وبدا أنها كانت نائمة.
"ماذا؟".

أظهر بطاقة هويته الزائفة آنذاك؛ لأنه لم يعد ضابط شرطة.
قال هاري: "أعتذر مجدداً عما حدث يوم السبت. أمل ألا تكوني قد خفت كثيراً حين اندفعوا إلى الداخل".

قالت مبتسمة: "لا بأس بذلك. أفترض أنكم كنتم تقومون بواجبكم فقط".

"نعم". اهتز هاري على عقبه وهو يلقي نظرات خاطفة على طول الرواق. "أريد وزميلة لي من الطب الشرعي أن نفحص غرفة ماريوس فيلاند بحثاً عن أدلة. ويجب أن نرسل وثيقة في هذه اللحظة، ولكن حاسوبي المحمول لم يعد يعمل. الأمر مهم جداً، وتذكرت أنك كنت تتصفحين الإنترنت يوم السبت لذا تساءلت...".

أشارت إلى أنه لا داعي إلى أي شرح إضافي وشغلت الحاسوب.
"الحاسوب يعمل. أفترض أنه يجب عليّ أن أعتذر عن الفوضى أو شيء
من هذا القبيل. أمل ألاّ تمنع لأني لا أكرّث بذلك".

جلس أمام الشاشة، وشغّل برنامج البريد الإلكتروني، ثم أخرج قصاصة
ورق وكتب عنوان إيفا مارفانوفنا وهو يضغط بقوة على المفاتيح الدبقة.
كانت الرسالة موجزة: "مستعد، هذا هو العنوان"، ثم أرسلها.

استدار على الكرسي وراقب الفتاة التي كانت جالسة على الأريكة
لترتدي سروال جينز ضيقاً. لم يكن قد لاحظ قبل الآن أنها تلبس سروالاً
داخلياً قصيراً فقط؛ ربما بسبب القميص التائي الفضفاض الذي طُبعت عليه
صورة ورقة قنب.

سأل فقط ليقول شيئاً ما في أثناء انتظاره رد إيفا: "هل أنت بمفردك
اليوم؟". استطاع أن يعرف من تعبير وجهها أنها ليست محاولة ناجحة تماماً
لإجراء حديث.

قالت وهي تشم جورباً قبل أن ترتديه: "لا أكون كذلك إلا في نهاية
الأسبوع". وابتسمت بسعادة حين بدا واضحاً ألا نية لديه للتعليق على
ذلك. تبين لهاري أنها ربما تكون قد قامت بزيارة إلى طبيب الأسنان.
قالت: "وصلك بريد إلكتروني".

استدار نحو الشاشة. كان من إيفا، من دون نص، مع ملحق فقط.
نقر عليه مرتين، فأصبحت الشاشة سوداء.
قالت الفتاة بابتسامة أوسع: "إنه قديم وبطيء. سيعرضها في النهاية،
لكن يجب أن تنتظر قليلاً".

كانت الصورة قد بدأت تظهر على الشاشة أمام هاري؛ أولاً مثل
شريط أزرق، ثم اكتملت السماء، ثم ظهر جدار رمادي وصرح أسود
وأخضر، ثم الساحة والطاولات، وسفن سيفرتسن، ورجل يرتدي سترة جلدية
يدير ظهره إلى آلة التصوير: شعر داكن، عنق قوية. لم يكن ذلك مفيداً
كدليل طبعاً، لكن هاري لم يخامره أي شك في أنه توم والر. على الرغم
من ذلك، لم يكن هذا ما جعله يجلس ويحدّق إلى الصورة.

قالت الفتاة: "هه أنت، يجب أن أذهب إلى المرحاض". لم تكن لدى
هاري فكرة عن الوقت الذي قضاه جالساً هناك. "والصوت اللعين ينتقل،
لذا سأشعر بإحراج شديد. لهذا إذا كان بمقدورك...".

وقف هاري، وتمتم شاكراً ثم غادر. توقف على السلام بين الطابقين
الثالث والرابع.

الصورة.

لا يمكن أن تكون مصادفة، فهذا مستحيل نظرياً، أم إنها كذلك؟
على كل حال، لا يمكن أن يكون الأمر صحيحاً، فلا أحد يفعل هذا
النوع من الأشياء.
لا أحد.

الفصل السابع والثلاثون:

الاثنين. اعتراف

كان الرجلان الواقفان قبالة بعضهما في دار عبادة الأميرة أولغا بالطول نفسه. وفاحت حولهما في الجو الدافئ والرطب رائحة دخان وتبغ لاذع. كانت الشمس قد أشرقت على أوصلو آنذاك كل يوم طوال خمسة أسابيع تقريباً، والعرق يتصبّب من نيكولاي لوب تحت رداءه الصوفي السميك وهو يستعد لسماع الاعتراف.

كان قد حاول العثور على رداء عصري أخف وزناً في بوابة ولهافنز، لكن لم يكن لديهم واحد كما قالوا. وضع الكتاب المقدس جانباً على الطاولة بينهما. عرف أن الرجل الواقف أمامه سيتنحى قريباً، فهم يتنحون دائماً قبل الاعتراف؛ وكأن آثامهم مغلّفة بمخاط ولعاب. انتاب نيكولاي شعور مبهم بأنه قد رأى هذا الرجل من قبل، لكنه لم يتذكر أين، ولم يعن له الاسم شيئاً. بدا الرجل مشدوهاً قليلاً حين أدرك أن الاعتراف سيكون وجهاً لوجه، وأن عليه أن يصرّح عن اسمه. وليكون صادقاً، خالج نيكولاي شعور بأن الرجل لم يقل اسمه الحقيقي. أدرك أنه ربما يكون من رعايا دار عبادة أخرى، فهم يأتون أحياناً إلى هنا حاملين أسرارهم؛ لأنها دار عبادة صغيرة مجهولة، ولا أحد يعرفهم فيها. تنحى الرجل، وأغمض نيكولاي عينيه، ووعده نفسه بأنه ما إن يعود إلى المنزل حتى يستحم ويستمتع إلى تشايكوفسكي.

"قيل إن الرغبة مثل الماء تماماً، وستجد أدنى مستوى دائماً. وإذا كانت هناك فتحة أو صدع أو شق في شخصيتك، فستعثر الرغبة عليه".
"نحن جميعاً آثمون يا بني. هل لديك أي أخطاء تريد الاعتراف بها؟".
"نعم. لم أكن مخلصاً للمرأة التي أحبها. لقد قضيت بعض الوقت مع امرأة عاهرة. وعلى الرغم من أنني لا أحبها، إلا أنني لم أستطع مقاومة العودة إليها".

كتم نيكولاي ثناؤيه وقال: "تابع".

"أنا... كانت هوساً بالنسبة إلي".

"كانت كما تقول. هل يعني هذا أنك توقفت عن لقائها؟".

"ماتا".

لم يكن ما قاله فحسب ما جعل نيكولاي يفرغ، وإمّا شيء ما في صوته أيضاً.

"ماتا؟!".

"كانت حاملاً كما أظن".

"آسف لسماع نبأ خسارتك يا بني. هل تعرف زوجتك هذا؟".

"لا أحد يعرف شيئاً".

"ما سبب موتها؟".

"رصاصة في الرأس".

فجأة، أصبح العرق على جلد نيكولاي بارداً كالجليد، وبلع لعابه بصعوبة.

"هل هناك أي آثام أخرى تود الاعتراف بها يا بني".

"نعم، هناك شخص؛ إنه شرطي. لقد رأيت المرأة التي أحبها تذهب

إليه، وقد راودتني أفكار عن...".

"ماذا؟".

"الوقوع في الإثم. هذا كل شيء. هل يمكنك أن تمنحني الغفران

الآن؟".

أطبق الصمت على دار العبادة.

شرع نيكولاي بالقول: "أنا...".

"يجب أن أذهب الآن، هلاً تتفضل بذلك؟".

أغمض نيكولاي عينيه مجدداً، ثم بدأ يقرأ، ولم يفتح عينيه إلى أن

قال له: "أغفر لك خطاياك".

ثم رسم رمز النصرى الديني فوق رأس الرجل المنحني.

همس الرجل: "شكراً لك". ثم استدار وخرج مسرعاً من دار العبادة.

لم يتحرك نيكولاي من مكانه، وأصغى إلى صدى الكلمات التي كانت

لا تزال معلّقة بين الجدران، وظنّ أن بمقدوره أن يتذكر أين رآه؛ لقد رآه

في دار جمعية غامل أكر. كان قد أحضر النجم الجديد بدلاً من ذلك

المحطّم.

بوصفه رجل دين، كان نيكولاي مُلزماً بالحفاظ على السريّة، ولم تكن

لديه النيّة لخرق قسمه نتيجة ما قد سمعه. لكن، بدا أن هناك شيئاً ما

في صوت الرجل؛ في الطريقة التي قال بها إن لديه أفكاراً عن... عمّ؟

حدّق نيكولاي إلى خارج النافذة. أين الغيوم؟ كان الجو شديد الحرارة

والرطوبة آنذاك، وعرف أن شيئاً ما سيحدث قريباً؛ إذ سيهطل المطر، ولكنه

سيسبق بالرعد والبرق أولاً.

أغلق الباب، وجثا أمام المذبح الصغير وتضرّع، تضرّع بإخلاص لم يشعر

به منذ سنوات طويلة، من أجل الهداية، والقوة، والغفران.

عند الساعة 2:00، وقف بيورن هولم في مدخل مكتب بتي وأخبرها أن لديهم شيئاً يجب أن تراه. نهضت وتبعته إلى مختبر الصور، حيث أشار إلى صورة كانت لا تزال معلقة على سلكٍ لتجف.

قال بيورن: "هذه من الاثنين الماضي، التُقطت عند الساعة الخامسة والنصف تقريباً، بعد نصف ساعة من مقتل باربرا سفندسن في ساحة كارل برنرز. يمكن الوصول بسهولة إلى متنزه فروغنز في مثل هذا الوقت". أظهرت الصورة فتاة تبتسم أمام النافورة، وبجانباها يمكن رؤية جزء من تمثال عرفته بتي؛ كان لشابة تغطس. كانت تقف دائماً إلى جانب التمثال حين تأتي مع والدتها ووالدها بالسيارة إلى أوصلو ليقوموا بنزهة الأحد في متنزه فروغنز، وقد شرح لها والدها حينها أن غوستاف فيجلاند أراد أن يجعل من الشابة الغاطسة رمزاً لخوف الفتاة اليافعة من الحياة كراشدة ومن أن تصبح أماً.

على كل حال، لم تكن بتي تنظر إلى الفتاة اليوم، وإنما إلى ظهر رجل يظهر في هامش الصورة. كان واقفاً أمام سلة مهملات خضراء، وهو يحمل في يده كيساً بنياً من النايلون، ويرتدي قميصاً أصفر وسروال درّاج أسود. شاهدت على رأسه خوذة سوداء، وكان يضع نظارة شمسية، وقطعة قماش فوق فمه.

همست بتي: "عامل خدمة التوصيل".

قال بيورن هولم: "ربما. لسوء الحظ، لا يزال مقنّعاً".

"ربما". بدا ذلك مثل صدى. مدّت بتي يدها من دون أن تشيح

بصرها عن الصورة: "العدسة المكبّرة".

وجدتها هولم على الطاولة ومرّرها لها.

أغمضت إحدى عينيها وحركت العدسة المكبّرة فوق الصورة.

راقب بيورن هولم مديرته. كان قد سمع طبعاً قصصاً عن بتي لون

حين عملت على قضايا سرقات المصارف، وكيف جلست أياماً متواصلة في

"دار الألم" - غرفة الفيديو المغلقة بإحكام - وهي تشغل أفلام الفيديو

التي تخصّ السرقات؛ الواحد تلو الآخر، وتتوثق من كل تفصيل بُنية، ولغة

جسد، وخطوط وجوه خلف الأقنعة. وفي النهاية اكتشفت هوية سارق

المصارف؛ لأنها رأته سابقاً في تسجيل آخر، من سرقة مكتب بريد قبل 15

سنة، حين لم تكن قد بلغت سن الحلم بعد، في تسجيل بقي مخزناً على

قرص صلب يضم ملايين الوجوه وكل سرقة مصرف ارتكبت في النرويج منذ

بداية استخدام مراقبة الفيديو. قال بعض الناس إن ذلك يعزى إلى تلافيف دماغ بتي غير الاعتيادية - الجزء من الدماغ الذي يتذكّر الوجوه - وإنّ هذه الموهبة قد ولدت معها من دون شك. لهذا السبب لم ينظر بيورن هومل إلى الصورة، وإنما إلى عيني بتي لون اللتين راحتا تفحصانها بإمعان، وتدقّقان النظر إلى تفاصيلها بطريقة بدا من المستحيل بالنسبة له أن يتعلّمها.

جعل ذلك يلاحظ أنها لا تنظر إلى وجه الرجل عبر العدسة المكبّرة. قالت: "الركبة، هل يمكنك رؤيتها؟".

اقترب بيورن، وقال: "ما بها؟".

"يوجد شيء ما على الركبة اليسرى. تبدو مثل لصاقة".
"أتقصد أننا يجب أن ننتبه إلى أشخاص توجد لصاقات على ركبهم اليسرى؟".

"مضحك جداً يا هومل. قبل أن نكتشف من هو الشخص في الصورة يجب أن نتوثق من أنه القاتل المتسلسل".
"وكيف سنفعل هذا؟".

"سنزور الرجل الوحيد الذي نعرف أنه قد رأى القاتل عن كثب. انسخ الصورة في حين أجلب السيارة".

حدّق سفن سيفرتسن إلى هاري مذهولاً. كان هاري قد شرح له نظريته للتو؛ نظريته المستحيلة.

همس سيفرتسن: "لا فكرة لدي حقاً. لم أر قط أيّاً من صور الضحايا في الصحف. ذكروا الأسماء حين استجوبوني، لكن لم يعنِ أي منها شيئاً بالنسبة إليّ".

قال هاري: "حالياً، إنها ببساطة نظرية. فنحن لا نعرف إن كان القاتل المتسلسل، ونحتاج إلى دليل دامغ".

ابتسم سيفرتسن وقال: "يجب أن تقنعني أولاً بأن لديك معلومات كافية لتخليصي من الصنارة، ثم سأوافق على أن نسلّم نفسينا، ويمكنك عندها استخدام دليلي لتجريم والر".

هزّ هاري كتفيه. "يمكن أن أتصل برئيس قسمي بيارني مولر وأطلب منه المجيء في سيارة دورية وإخراجنا من هنا بأمان".

هزّ سيفرتسن رأسه بحزم رافضاً وقال: "لا بد أن هناك آخرين متورطين في هذا، وهم يشغلون مناصب في سلك الشرطة أعلى من والر. أنا لا أثق بأحد، ويجب أن تجد الدليل أولاً".

فتح هاري قبضته وأغلقها. "لدينا بديل؛ سيحمي كلينا".
"وما هو؟".

"بإمكاننا أن نذهب إلى الصحفيين ونخبرهم بما نعرفه عن القاتل المتسلسل ووالر، ثم سيكون الأوان قد فات ليفعل أحد شيئاً".
ظهر تعبير متشكك على وجه سيفرتسن.

قال هاري: "الوقت ينفد منا، وهو يقترب. ألا تشعر بهذا؟".
فرك سيفرتسن معصميه، ثم قال: "لا بأس، افعل هذا".

دفع هاري يده في جيبه الخلفي وأخرج بطاقة عمل مجمدة. تردّد لحظة، ربما لأنه توقّع عواقب ما يوشك أن يفعله، أو ربما لأنه لم يتوقّعها. اتصل بالرقم الذي يظهر على البطاقة، وجاء الرد سريعاً على نحو مفاجئ.
"روجر غيندم".

سمع هاري همهمة أصوات، وطققة مفاتيح حواسب وهواتف ترن في الخلفية.

"أنا هاري هول. أريدك أن تصغي إليّ باهتمام شديد يا غيندم. لديّ بعض المعلومات عن القاتل المتسلسل، وعن تهريب السلاح. أحد زملائي في الشرطة متورط، هل تفهم؟".
"أظن هذا".

"جيد. القصة لك حصرياً إن أسرعت في نشرها على موقع أفتنبوستن الإلكتروني".

"طبعاً. من أين تتصل أيها المفتش هول؟". بدا غيندم أقل دهشة مما توقع هاري.

"مكاني ليس مهماً. لدي معلومات تثبت أن سفن سيفرتسن ليس القاتل المتسلسل، وأن شرطياً بارزاً متورط في شبكة لتهرب الأسلحة كانت تعمل في النزويج منذ سنوات عديدة".

"هذا رائع. لكنني واثق أنك تدرك أنه ليس بمقدوري الكتابة على أساس حديث هاتفي واحد".

"ماذا تعني؟".

"لن تطبع أي صحيفة رزينة اتهاماً عن مفتش شرطة معروف يهرب الأسلحة من دون أن تتوثق من أن المصدر موثوق. لا أشك ولو قليلاً في أنك هاري هول، ولكن كيف أعرف أنك لست ثملاً أو مجنوناً أو كليهما؟ إذا لم أتوثق من هذا على نحو ملائم، فمن الممكن أن تتم مقاضاة الصحيفة. لنلتقِ أيها المفتش هول، ثم سأكتب كل ما تخبرني إيّاه، أعدك".

في الصمت الذي أعقب ذلك، سمع هاري شخصاً يضحك في الخلفية؛ موجة ضحك خالية البال.

"لا تفكر حتى في الاتصال بصحفيين آخرين لأنهم سيردّون عليك بالجواب نفسه. ثق بهذا أيها المفتش".

سحب هاري نفساً عميقاً ثم قال: "لا بأس، في أندروتر في دالسرغستين، عند الساعة الخامسة. تعال بمفردك وإلا فلن أظهر. ولا تقل كلمة واحدة عن هذا إلى أي مخلوق، هل هذا مفهوم؟".

"مفهوم".

"أراك لاحقاً".

ضغط هاري على زر "إنهاء" المكاملة وعض شفته السفلية. قال سفن: "أمل أن نكون قد تصرفنا بحكمة".

انعطف بيورن هولم وبتي خارج زقاق بيغدوي المزدهم، ووجدوا نفسيهما بعد لحظة في طريق هادئ تطل عليه منازل خشبية منفصلة عتيقة الطراز من طرف، ومباني شقق آجرية عصرية من الطرف الآخر. شاهدا على طوال حاجز الرصيف صفوفاً من سيارات ألمانية الصنع. قال بيورن: "نوبسفييل".

توقفا خارج مبنى أصفر يشبه بيت الدمى.

أجاب صوت عبر جهاز الاتصال البيني بعد الطنين الثاني: "نعم؟".

"أظن هذا، نعم".

"بتي لون من الشرطة. هل يمكننا الدخول؟".

كان أندريه كلوزن ينتظرهما في المدخل، مرتدياً ثوب استحمام يصل إلى ركبتيه، وهو يحك جرحاً على وجنته ويحاول بفتور أن يكتم تناؤبه. قال: "أعتذر، عدت إلى المنزل متأخراً في الليلة الماضية".

"من سويسرا ربما؟".

"لا، لقد كنت في الجبال، تفضلاً".

كانت غرفة معيشة كلوزن صغيرة بالنسبة إلى مجموعة الأعمال الفنية التي يمتلكها، وأدرك بيورن هولم بسرعة أن ذوق كلوزن ينحو نحو التحرر أكثر من التزمّت. شاهد ماءً يسيل من نافورة في الزاوية حيث يتناول تمثال امرأة عارية نحو رسوم سيستين على السقف المقنطر.

قالت بتي: "أود منك أن تركز وتفكر في الوقت الذي رأيت فيه

القاتل المتسلسل في منطقة الاستقبال في مكتب المحاماة، ثم تنظر إلى

هذه".

أمسك كلوزن الصورة، وأمعن النظر إليها وهو يمرر إصبعه على الجرح في وجنته. جال بيورن هوم ببصره في أرجاء الغرفة، وسمع ضوضاء خلف أحد الأبواب وصوت برائن تخدشه من الطرف الآخر. قال كلوزن: "ربما".

"ربما؟". كانت بتي جاثة على حافة الكرسي. "هذا محتمل جداً. فالملابس نفسها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى خوذة الدراج والنظارة الشمسية أيضاً".

"جيد. ماذا عن اللصاقة على ركبته؟ هل كانت موجودة؟". ضحك كلوزن بهدوء. "كما سبق أن قلت، ليس من عادتي إمعان النظر إلى أجساد الرجال. لكن، إذا كان هذا يجعلك أكثر سعادة، فبإمكاني القول إن رد فعلي الفوري هو أنه الرجل الذي رأيته. وبخلاف هذا...". ومدّ ذراعيه بإشارة تدلّ على أنه لا يعرف ما يمكن أن يُقال. قالت بتي وهي تنهض: "شكراً لك".

قال كلوزن، وهو يتبعهما إلى الباب حيث مدّ يده: "من دواعي سروري". كان ذلك تصرفاً غريباً كما ظن هوم، ولكنه صافحه. وعندما مدّ كلوزن يده إلى بتي، هزّت رأسها بابتسامة فاترة: "آسفة، لكن... هناك دم على أصابعك، وذقنك ينزف".

رفع كلوزن يده إلى وجهه، وقال مبتسماً: "فعلاً. بسبب ترولز؛ كلبى. لقد خرجت ألعابنا في عطلة نهاية الأسبوع عن السيطرة". نظر إلى عيني بتي واتسعت ابتسامته أكثر فأكثر. قالت بتي: "وداعاً".

لم يكن بيورن هوم واثقاً تماماً من سبب ارتعاشه حين خرج إلى الحرارة مجدداً.

كان كلاوس توركيلدسن قد وجّه كلتا المروحتين في غرفته نحو وجهه، غير أنه شعر أنهما تدفعان الهواء الحار نحوه فقط. نقر بإصبعه على زجاج الشاشة السميكة، تحت الرقم الداخلي في كيولبرغاتا. كان المشترك قد أنهى الاتصال للتو، وهذه هي المرة الرابعة اليوم التي يتكلم فيها الشخص المعني مع رقم الهاتف الخلوي هذا تحديداً؛ أحاديث قصيرة.

نقر مرتين على رقم الهاتف الخلوي فظهر اسم المشترك على الشاشة. نقر مرتين آخرين فوجد العنوان والمهنة. وعندما شاهد ذلك، جلس وهو ينظر إلى المعلومة للحظة، ثم طلب الرقم الذي طُلب منه الاتصال به حين

يكون لديه شيء يبلغ عنه.

ارتفعت سماعة الهاتف. "مرحباً؟".

"أنا توركيلدسن من تيلينور، إلى من أتكلم؟".

"لا تهتم لهذا يا توركيلدسن. ماذا لديك لنا؟".

شعر توركيلدسن بذراعيه المتعرقّتين تلتصقان بصدرة. قال: "لقد قمت ببعض التحريّيات. خلوي هول يتحرك باستمرار ويستحيل تعقبه، لكن هناك خلويّاً آخر قد اتصل بالرقم الداخلي في كيولبرغاتا عدّة مرات".
"حسناً، لمن هو؟".

"الاشترك باسم أوستن إيكلاندا، ومهنته سائق سيارة أجرة".
"إذا؟".

دفع توركيلدسن شفته السفلية إلى الأمام وحاول أن ينفخ هواءً حاراً إلى الأعلى ليجعل نظارته التي أضحت رطبة واضحة الرؤية. "كنت أفكر فقط في أنه ربما تكون هناك صلة بين هاتف يتحرك باستمرار في كل أرجاء البلدة وسائق سيارة أجرة".
أطبق الصمت على الطرف الآخر.
قال توركيلدسن: "مرحباً؟".

قال الصوت: "علم، تابع مراقبة الرقمين يا توركيلدسن".

عندما دخل بيورن هولم وبتي قاعة الاستقبال في كيولبرغاتا، طنّ هاتف بتي الخلوي.

أخرجته من جعبة في حزامها، ثم قرأت ما يظهر على الشاشة ووضعتة على أذنها في حركة رشيقة واحدة.

"هاري، اطلب من سيفرتسن أن يرفع ساق سرواله اليسرى. لقد حصلنا على صورة درّاج مقنّع أمام النافورة عند الساعة الخامسة والنصف من الاثني الماضي يضع لصاقة على ركبته، ويحمل كيساً بنياً من النايلون".
اضطر بيورن أن يمشي بخطوات واسعة ليلحق زميلته ضئيلة الحجم حين مضت قدماً على طول الرواق. سمع صوتاً يخشخش عبر الهاتف.
دخلت بتي مكتبها بسرعة. "لا توجد لصاقة ولا جرح؟ لا، أعرف أن هذا لا يثبت شيئاً، لكن لمعلوماتك تعرّف أندريه كلوزن تقريباً على الدرّاج في الصورة، وقال إنه الشخص نفسه الذي رآه في هيل ووثون ووترليد".
جلست خلف طاولتها. "ماذا؟".

رأى بيورن هولم ثلاثة تغضنات عميقة تظهر على جبينها. "حسناً".
وضعت الهاتف جانباً وحدّقت إليه؛ وكأنها لا تعرف إن كان يجب

عليها أن تصدق ما قد سمعته للتو.

قالت: "يظن هاري أنه يعرف هوية القاتل المراسل".

لم يُجب بيورن.

قالت: "توثق من أن المختبر خالٍ. لقد كلفنا بعمل جديد".

سأل بيورن: "ما نوع العمل؟".

"إنه عمل حقيقي".

كان أويستن إيكلانج جالساً في سيارة الأجرة الخاصة به في منطقة مرأب تحت سانت هانشوغن وعيناه نصف مغمضتين، وهو يحدّق عبر الشارع إلى فتاة ساقاها طويلتان، تشرب القهوة على مقعد على الرصيف خارج جافا. كانت هناك أصوات موسيقى تبثها المكبرات تغطي على أزيز مكيف الهواء.

سرت إشاعة خبيثة مفادها أن الأغنية تخص غرام بارسونز، وأن كيث وستونز قد سرقاها ووضعها في ألبوم ستيكي فنغرز حين ذهبوا إلى فرنسا. كانت الستينيات قد انتهت، وهما يحاولان دفع نفسيهما نحو الإبداع: "خيول جامحة".

فُتح أحد البابين الخلفيين فوجل أويستن، وأياً يكن الشخص فقد جاء من الخلف، من المتنزه. رأى في المرأة وجهاً أسمر، فكه قوي، ويضع نظارة شمسية عاكسة.

"بحيرة ماريدال أيها السائق". كان الصوت رقيقاً، لكن النبرة الآمرة

واضحة. "إذا لم يكن في ذلك عناء كبير...".

تمتم أويستن فيما كان يُخفض صوت الموسيقى، ويسحب آخر مجّة من لفافة تبغه قبل أن يقذفها إلى خارج النافذة المفتوحة: "لا، على الإطلاق.

أين بجانب بحيرة ماريدال؟".

"قُد فحسب، وسأخبرك".

انطلقا نحو أولفالسفين.

قال أويستن: "المطر متوقّع".

كرّر الصوت: "سأخبرك".

لا إكرامية إذاً، كما ظنّ أويستن.

بعد رحلة استغرقت عشر دقائق تركا الحي السكني خلفهما، وأصبحا فجأة في منطقة تحتوي حقولاً ومزارع وبحيرة ماريدال. كان ذلك انتقالاً رائعاً جعل راكباً أمريكياً يسأل أويستن مرة إن كانا في متنزه شعبي.

قال الصوت: "يمكنك أن تسلك ذلك الطريق هناك إلى اليسار".

سأل أويستن: "إلى الغابة؟".

"صحيح. هل يجعلك هذا عصيباً؟".

لم تكن الفكرة قد خطرت على بال أويستن قط حتى ذلك الوقت. نظر إلى المرأة مجدداً، لكن الرجل كان قد تحرك نحو النافذة فلم يعد بإمكانه أن يرى سوى نصف وجهه.

خفف أويستن السرعة، وأشار إلى أنه سينعطف يساراً، ثم استدار نحو الطريق. كان طريق الحصى أمامهما ضيقاً ووعراً مع أعشاب تنمو في الوسط.

تردد أويستن.

تدلت أغصان تحمل أوراقاً خضراء تعكس الضوء فوق الدرب على كلا الجانبين وبدا أنها تلوح لهما. وضع أويستن قدمه على المكابح، فصرت الحصى تحت الإطارات وتوقفت السيارة.

قال وهو ينظر إلى المرأة: "آسف، لقد أصلحت الهيكل منذ وقت قصير مقابل 40 ألفاً، ولست ملزماً بالقيادة على طرقات مثل هذه. يمكن أن أتصل بسيارة أخرى إن أحببت".

ظهر الرجل الجالس على المقعد الخلفي مبتسماً؛ على الأقل النصف الذي كان يراه.

"وأي هاتف كنت تفكر في استخدامه يا أويستن؟".

أحس أويستن بالشعر على قفا عنقه ينتصب.

همس الصوت: "هاتفك؟ أم هاتف هاري هول؟".

"لا أعرف عما تتكلم، لكن الرحلة تنتهي هنا يا سيد".

ضحك الرجل. "سيد؟ لا أظن هذا يا أويستن".

شعر أويستن بالرغبة في أن يبتلع لعابه، لكنه قاومها.

"اسمع، لا داعي أن تدفع لي لأنني لم أقلك إلى مقصدك. اخرج

وانتظر هنا وسأرسل لك سيارة أخرى".

"يقول سجلك إنك ذكي يا إيكلاندا، لذا أفترض أنك تعرف ما أسعى

إليه. أكره أن أضطر إلى استعمال هذه العبارة المبتذلة، لكن الأمر منوط

بك كي نفعل هذا بالطريقة السهلة أو الصعبة".

"لا أعرف حقاً ماذا... أوه!".

كان الرجل قد ضرب قفا رأس أويستن، فوق المسند تماماً، وعندما

اندفع أويستن تلقائياً إلى الأمام، شعر مدهوشاً أن عينيه تمتلئان دموعاً؛

رغم أن ذلك لم يكن مؤلماً على نحو خاص. كانت الضربة من النوع الذي

يتلقاه تلميذ مدرسة ابتدائية: وكزة تعد إذلالاً عقابياً. بدا أن قناتي دموعه تدركان، على كل حال، ما يرفض دماغه قبوله؛ أنه يواجه مشكلة جدية. "أين هاتف هاري يا إيكلاندا؟ في علبة القفازات أم في جيبك ربما؟". لم يردّ أويستن، وجلس ساكناً. رأى الغابة تمتد في كلا الجانبين، وأخبره شيء ما أن الرجل الجالس على المقعد الخلفي مستعد، وأنه سيمسك به خلال ثوانٍ. هل كان الرجل بمفرده؟ هل يجب أن يطلق الإنذار المتصل بالسيارات الأخرى؟ هل توريث أشخاص آخرين فكرة جيدة؟ قال الرجل: "فهمت، الطريقة الصعبة إذاً. وهل تعرف أمراً؟". لم يستطع أويستن أن يتحرك قبل أن يشعر بذراع الرجل حول عنقه تشدّه إلى الخلف نحو مسند الرأس. "سيكون الأمر صعباً جداً كما كنت أمل". فقد أويستن نظارته، ومدّ يده نحو المقود لكنها لم تصل إليه. همس الرجل في أذنه: "اضغط على زرّ الإنذار وسأقتلك، ولا أتكلم على نحو مجازي يا إيكلاندا، فأنا أعني فعلاً أنني سأزهدق روحك؛ حقاً". على الرغم من حقيقة أن دماغه لم يكن يحصل على الأوكسجين، إلا أن أويستن إيكلاندا استطاع أن يسمع ويرى ويشم جيداً. رأى شبكة العروق داخل جفنيه، وشمّ رائحة غسول وجه الرجل، وسمع النبرة الخافتة التي تنز قليلاً في صوت الرجل.

"أين هو يا إيكلاندا؟ أين هاري هول؟".

فتح أويستن فمه فحفّف الرجل قبضته.

"ليست لديّ أي فكرة عن -".

عادت الذراع لتلتف حول عنقه بقوة؛ ضاغطة. "آخر محاولة يا

إيكلاندا. أين صاحبك المحتمل؟".

شعر أويستن بالألم، وبالرغبة المزعجة في العيش، لكنه كان يعرف أيضاً أن هذا سينتهي قريباً، فقد اختبر أشياء مماثلة من قبل. كانت هذه مجرد مرحلة قبل أن يسود إحساس ممتع بعدم الاكتراث. انقضت الثواني، وبدأ الدماغ يغلق الخطوط الفرعية، وتوقف بصره عن العمل أولاً. تركه الرجل مجدداً بعد ذلك، فتدفّق الأوكسجين إلى دماغه، وعاد الألم، وتمكن من الرؤية.

قال الصوت: "سنجده على كل حال، ويمكنك أن تختار إن كان هذا

سيحدث قبل أن تتركنا أم بعد ذلك".

شعر أويستن بشيء باردٍ وقاسٍ يتحرك على صدغه، ثم على جسر أنفه.

كان أويستن قد شاهد عدداً كافياً من أفلام الغرب، لكنه لم ير قطّ

مسدساً من عيار 45 من هذه المسافة القريبة من قبل.
"افتح فمك".

فضلاً عن تذوق واحد.

"سأعدُّ حتى الرقم خمسة، ثم سأطلق النار. أومئ إن كان هناك شيء
تود قوله لي، ويفضَّل حصول ذلك قبل أن أصل إلى الرقم خمسة. واحد...".
حاول أويستن أن يكافح خوفه من الموت، وأخبر نفسه أن البشر
منطقيون، وأن الرجل خلفه لن يكسب شيئاً إن قتله.
"اثنان...".

المنطق معي؛ كما فكّر أويستن. كانت للماسورة رائحة معدن ودم
مقرفة.

"ثلاثة، ولا تقلق بشأن أغطية المقاعد يا إيكلاندا. سأرتّب كل شيء
وأغسله بعناية بعد الانتهاء من هذا".
شعر أويستن بجسده يبدأ بالارتعاش؛ إنه رد فعل لا إرادي لا يمكن
أن يراه إلا كمشاهد فقط، وتذكّر صاروخاً رآه عبر التلفاز قد اهتز
بالطريقة نفسها، قبل ثوانٍ من إطلاقه إلى الفضاء الخارجي.
"أربعة".

أوماً أويستن، تكراراً وحيوية.
اختفى المسدس.

لهث قائلاً: "إنه في علبة القفّازات. قال إنني يجب أن أحتفظ به
مغلقاً وألاً أمسّه إن رن، وأخذ هاتفني".
قال الرجل: "لست مهتماً بالهاتف، وإنما أريد أن أعرف مكان هول".
"لا أدري، لم يقل لي شيئاً. بلى، فعل. قال إنه من الأفضل لكلينا ألاّ
أعرف شيئاً".

قال الرجل: "كان يكذب".

خرجت الكلمتان من فمه ببطء وهدوء، ولم يتبين أويستن إن كان
الرجل غاضباً أم إن كان يستمتع بذلك.
"إنه الأفضل له فقط يا إيكلاندا، وليس لك".
بدت ماسورة المسدس الباردة على وجنة أويستن مثل حديد متوهج.
"انتظر، قال هاري شيئاً ما فعلاً، أتذكر الآن. قال إنه سيختبئ في
منزله".

تدفقت الكلمات من فم أويستن.

قال الصوت: "لقد ذهبنا إلى هناك أيها المخفّل".

"لا أعني المكان الذي يعيش فيه، وإنما في أوبسال؛ حيث ترعرع".
ضحك الرجل، وشعر أويستن بألم شديد حين ضغطت الماسورة على
أنفه.

"لقد كنا نتعقب هاتفك في الساعات القليلة الماضية يا إيكلاندا. ونحن
نعرف الحي الذي يتواجد فيه؛ وبالتأكيد هو ليس في أوبسال. أنت تكذب.
الحقيقة، أو لنقل هذا بطريقة مختلفة: خمسة".
طنين. أغمض أويستن عينيه بقوة، وعرف أن الطنين لن يتوقف. هل
مات فعلاً؟ كَوّن الطنين نغمة؛ مطر بنفسجي، للأمير. كانت نغمة الرنين
الرقمية لهاتف خلوي.

قال الصوت خلفه: "نعم، ما الأمر؟".

لم يجرؤ أويستن على فتح عينيه.
"في أندروتر؟ عند الساعة الخامسة؟ لا بأس، اجمع كل الرجال فوراً،
أنا في طريقي إليكم".

سمع أويستن حفيف ملابس خلفه، وعرف أن ساعته قد حانت، ثم
سمع طائراً يغرد في الخارج، بصوت مرتعش وجميل، لكنه لم يعرف نوع
الطائر. كان يجب أن يعرف ذلك، لكنه لن يعرف أبداً، ثم شعر بيد على
كتفه.

فتح أويستن عينيه بتردد ونظر إلى المرأة.

رأى أسناناً بيضاء، ثم سمع الصوت نفسه يتحدث إليه بنبرة جذلة:
"إلى وسط المدينة أيها السائق، بسرعة".

الفصل الثامن والثلاثون:

الاثنين. سحابة

فتحت راكيل عينيها فزعة، وقلبها يخفق بقوة. عرفت أنها قد غفت. أصغت إلى الضجيج المتواصل الذي يصدره الأطفال الذين يسبحون في حوض سباحة فرونغر في الهواء الطلق. أحست بطعم أعشاب مرّ قليلاً في أغشيتها المخاطية، وبالحرارة مثل لحاف دافئ على ظهرها. هل كانت تحلم؟ هل هذا ما أيقظها؟

أبعدت عصفه ريح مفاجئة الغطاء عنها وجعلتها ترتعش. فكّرت في أثناء تقلبها أن انسلال الأحلام أحياناً مثل صابون لزج أمر غريب. كان أوليغ قد اختفى. رفعت نفسها على مرفقيها ونظرت حولها. وفي اللحظة التالية، وقفت على قدميها وهي تنادي: "أوليغ!". ثم بدأت تجري.

وجدته بجانب حوض السباحة، جالساً على الحافة، ويتكلم مع فتى ظنّت أنها قد رأته من قبل، وربما يكون أحد الفتيان في صفّه. "مرحباً يا أمي". رفع بصره إليها وابتسم.

أمسكت راكيل ذراعه بقوة أكبر مما قصدت قائلة: "طلبت منك ألاّ تبتعد من دون أن تخبرني".

دُهِش أوليغ من تصرفها وشعر بالإحراج قليلاً، فيما تراجع صديقه إلى الخلف بضع خطوات.

أفلتته، ثم تنهّدت وحدّقت إلى الأفق. كانت السماء زرقاء باستثناء سحابة بيضاء واحدة بدا أنها تشير إلى الأعلى؛ وكأن شخصاً ما قد أطلق صاروخاً للتو.

قالت: "إنها الخامسة تقريباً، وسنذهب إلى المنزل الآن". كان صوتها خافتاً. "حان وقت الطعام".

في طريقيهما إلى المنزل بواسطة السيارة، سأل أوليغ إن كان هاري قادماً.

هزّت راكيل رأسها.

في أثناء انتظارهما تبدّل الأضواء عند تقاطع سمستاد مالت إلى الأمام، ونظرت إلى الأعلى فرأت السحابة مجدداً. لم تكن قد تحرّكت، لكنها أعلى قليلاً آنذاك، وهناك لون رمادي باهت في الأسفل. تذكّرت أن توصل الباب حين وصل إلى المنزل.

الفصل التاسع والثلاثون:

الاثنين. اجتماعات

توقّف روجر غيندم عند نافذة أندروتر ليحدّق إلى الماء الذي ييقبِق في الحوض. خطرت له ذكرى؛ فتى في السابعة من عمره يسبح نحوه بضربات سريعة ومسعورة، والذعر بادٍ على وجهه؛ وكأن روجر، شقيقه الأكبر، هو الشخص الوحيد في العالم الذي يمكن أن ينقذه. كان روجر قد ناداه ضاحكاً، لكن توماس لم يدرك أنه في ماءٍ ضحلٍ آنذاك، وأنّ كل ما عليه فعله هو وضع قدميه في القاع لكي يقف. مزح روجر أحياناً قائلاً إنه قد استطاع تعليم شقيقه السباحة في الماء، ولكن ليس الوقوف على اليابسة.

وقف في مدخل أندروتر بضع ثوانٍ لتنسجم عيناه مع العتمة. وباستثناء الساقى، لم يرَ أحداً في القاعة؛ باستثناء امرأة حمراء الشعر تجلس وهي تدير ظهرها إليه تقريباً، وهناك كأس نصف ممتلئة من الشراب أمامها، ولفافة تبغ بين إصبعيها. نزل روجر على الدرجات وحدّق إلى الداخل، لكنه لم ير مخلوقاً فقرر أن ينتظر بجانب المشرب في الطابق الأرضي. صرّت الألواح الخشبية تحت قدميه، فرفعت المرأة ذات الشعر الأحمر بصرها، وسقطت ظلال على وجهها، وبدا أن هناك شيئاً ما في الطريقة التي تجلس بها وفي مظهرها جعله يظن أنها حسناء، أو كانت. لاحظ أن هناك حقيبة بجانب الطاولة، وفكّر أنها ربما تنتظر شخصاً ما أيضاً.

طلب كأساً من الشراب وتوثق من الوقت في ساعته. كان قد سار حول المبنى عدّة مرات حتى لا يصل قبل الساعة الخامسة؛ وفق الاتفاق. إذ لم يُرد أن يمنح هول الانطباع بأنه متشوّق جداً؛ فذلك سيثير شكوكه. لكن، من قد يرتاب من صحفي متشوّق جداً حين يتعلق الأمر بمعلومات ربما تقود إلى قلب أكبر قضية في الصيف رأساً على عقب؟ إن كان ما يقوله هو الحقيقة فعلاً.

كان روجر قد توخى الحذر حين مشى في الشوارع، وبحث بناظريه عن سيارة متوقفة حيث لا ينبغي أن تكون، أو شخص واقف وهو يقرأ صحيفة في زاوية الشارع، أو متشرد نائم على مقعد خشبي، لكنه لم ير شيئاً. كانوا محترفين طبعاً، وذلك أكثر ما يخيفه؛ المهارة التي يمكن أن ينفذوا بها تهديدهم ويفلتوا بفعاليتهم، وقد سمع يوماً زميلاً له يهتمهم ثملاً أن هناك أشياء تجري في مقر قيادة الشرطة لن يصدّقها عامّة الناس؛ حتى

إن وصلت إلى الصحف، لكن روجر شاطر الشعب وجهة نظره حينها.
نظر إلى ساعته مجدداً، ورأى أن سبع دقائق قد انقضت.
هل سيقتمون المكان في اللحظة نفسها التي يصل فيها هاري هول؟
لم يخبروه شيئاً، وقالوا له فقط إن عليه الذهاب حسب الاتفاق، والتصرف
كما يفعل عادة حين يكون في مهمة. شرب روجر جرعة كبيرة من الشراب
على أمل أن يهدئ أعصابه.
انقضت عشر دقائق. كان الساقى الذي يجلس في زاوية المشرب يقرأ
كُتیباً عن العطلات.

قال روجر: "اعذرنى".

بالكاد رفع الساقى عينيه.

"لم يأت رجل إلى هنا، أليس كذلك؟ رجل طويل، وأشقر الشعر، و...".
قال الساقى بعد أن لعق إبهامه وقلب الصفحة: "آسف، لقد بدأت
عملي قبل أن تدخل. اسأل تلك المرأة التي تجلس هناك".
تردد روجر، ثم شرب المزيد من شرابه ونهض.
"اعذرينى...".

رفعت المرأة بصرها إليه بابتسامة متكلفة قائلة: "نعم؟".

رأى ذلك آنذاك. لم تكن ظلالاً تلك التي رآها على وجهها، وإنما

كدمات؛ على الجبين، وعظمتي الوجنتين، والعنق.

"كان يُفترض أن ألتقي رجلاً هنا، لكنني أخشى أن يكون قد غادر.

طوله متر وتسعون تقريباً، وشعره أشقر قصير".

"أوه، أهو شاب؟".

"حسناً، خمس وثلثون سنة تقريباً؛ كما أظن. يبدو متشرداً".

"أنف أحمر وعينان زرقاوان، ويبدو عجوزاً وشاباً في الوقت نفسه؟".

كانت لا تزال تبتسم، ولكن بطريقة جعلته يشعر بأن الابتسامة ليست

له.

تردد روجر: "نعم قد يكون هو. هل...".

"لا، أنا أنتظره أيضاً".

نظر روجر إليها بإمعان. هل كانت مع الآخرين؟ إنها امرأة جذابة

قليلاً ومتعبة في منتصف العقد الثالث. لا، لم يبد ذلك محتملاً.

سأل روجر: "هل تظنين أنه سيأتي؟".

"لا". رفعت كأسها. "الذين ترغب في أن يأتوا لا يظهرون أبداً،

والآخرون يأتون".

عاد روجر إلى المشرب فوجد أن كأسه قد اختفت، فطلب كأساً أخرى.
شغل الساقى الموسيقى، وبذل أعضاء فرقة غلوسيفر قصارى جهدهم
لإضفاء البهجة على الجو الكئيب.

"سأشُنُّ حرباً يا حبيبتى، سأشُنُّ حرباً معك".

لم يكن قادماً، لم يكن هاري هول قادماً. ما الذي يعنيه ذلك؟
بالتأكيد ليس هو المخطئ.

عند الساعة 5:30 فُتح الباب، فرفع روجر بصره يحدوه الأمل. وقف
رجل يرتدي سترة جلدية قرب الباب ونظر إليه، فهزَّ روجر رأسه.
ألقى الرجل نظرة سريعة في أرجاء المشرب، ثم مرَّ يده على حنجرتة،
وبعد ذلك غادر المكان.

كانت أول فكرة خطرت لروجر أن يجري خلفه، ويسأله عمّا يعنيه
بتلك الإشارة. هل تعني أنهم أوقفوا العملية، أم إن توماس... رنَّ هاتفه
الخلوي، فأخرجه من جيبيه.

قال صوت عبر الهاتف: "لم يأتِ".

لم يكن الرجل الذي يرتدي سترة جلدية، وبالتأكيد ليس هاري. كان
هناك شيء مألوف في الصوت.

سأل روجر بسرعة: "ماذا يجب أن أفعل؟".

قال الصوت: "ابقَ في مكانك حتى الساعة الثامنة، واتصل بالرقم الذي
زُودت به إن ظهر. يجب أن نتابع العمل".
"توماس...".

"لن يحدث شيء لشقيقك الأصغر ما دمت تنفذ ما نأمرك به، ولن
يعرف أحد بهذا".

"طبعاً لا، أنا...".

"عمتَ مساءً يا غيندم".

أعاد روجر الهاتف إلى جيبيه واحتسى شرابه. كان يلهث طالباً الهواء حين
أعاد الكأس إلى مكانها مجدداً؛ الثامنة، بعد ساعتين ونصف.

"ماذا قلت لك؟".

أدار روجر رأسه. كانت واقفة خلفه مباشرة وهي ترفع سبابتها إلى
الساقى الذي نهض بتردد.

سأل: "ماذا عنيت بكلمة الآخرين؟".

"أي آخرين؟".

"قلت إن الآخرين يأتون بدلاً من أولئك الذين ترغبين في أن يأتوا".

"أولئك الذين يجب أن تتفق معهم يا عزيزي."
"ماذا؟".

"أشخاص مثلي ومثلك".

استدار روجر فوراً. كان هناك شيء ما في الطريقة التي قالت بها ذلك. ليس بنبرة درامية أو جادة، ولكن بإذعان قليلاً في صوتها. سمع شيئاً تعرّفه فوراً؛ نوعاً من الألفة، وأصبح بمقدوره الآن رؤية المزيد منها؛ عينيها وشفتيها الحمراوين. كانت بالتأكيد حسناء في وقت ما.
سأل: "هل ضربك زوجك؟".

رفعت رأسها ودفعت ذقتها إلى الأمام، ثم نظرت إلى الساقى الذي كان يسكب لها الشراب.

"لا أظن حقاً أن هذا من شأنك أيها الشاب".

أغمض روجر عينيهِ مجدداً. لقد قضى يوماً غريباً؛ أحد أغرب أيامه، ولا داعي لكي ينتهي هنا.
قال: "ربما يكون".

استدارت ورمقته بنظرة حادة.

أوماً نحو مقعدها قائلاً: "نظراً إلى حجم الحقيبة التي أحضرتها معك، لقد أصبح طليقك الآن. إذا أردت مكاناً تقضين فيه الليلة، فلديّ شقة فسيحة فيها غرفة نوم إضافية".
"أوه حقاً؟!".

كانت النبرة رافضة، لكنه لاحظ تعبير وجهها وهو يتغير، فقد أصبح مستفسراً وفضولياً.

قال: "أصبحت فجأة أكثر اتساعاً في الشتاء الماضي. سأكون سعيداً بأن أدفع ثمن شرابك إن بقيت بصحبتى. يجب أن أبقى هنا لبعض الوقت".
قالت: "حسناً، يمكننا دائماً أن ننتظر وقتاً أطول قليلاً".
"ننتظر شخصاً لن يأتي".

بدت ضحكتها حزينة، لكنها ضحكة على الأقل.

كان سفين جالساً على كرسي، وهو يحدق من النافذة إلى الحقل في الخارج.

قال: "ربما كان عليك أن تذهب، فقد يكون ذلك تصرفاً غير واعي من الصحفي".

قال هاري: "لا أظن هذا".

كان مستلقياً على الأريكة وهو يعن النظر إلى دخان لفافة التبغ

الذي ارتفع بشكل حلزوني نحو السقف الرمادي فوقهما.
"أظن أنه كان يحذّرني بطريقة غير واعية."
"إنّ إشارتك إلى والر على أنه شرطي بارز، وقول الصحفي إنه مفتش
لا يعنيان بالضرورة معرفته مسبقاً أنه والر. ربما كان يخمّن."
"لقد زلّ لسانه، إلا إن كان هاتفه مراقباً ويحاول تحذيري."
"أنت متشكك يا هاري."
"ربما، لكن هذا لا يعني -".
"- أنهم لا يسعون خلفك. أنت محق في هذا، ولكن لا بد من
وجود صحفيين آخرين يمكنك الاتصال بهم، أليس كذلك؟"
"ليس هناك أحد أثق به. وإضافة إلى هذا، لا أظن أننا يجب أن
نقوم بالمزيد من المكالمات الهاتفية باستعمال هذا الخلوي. في الواقع، أظن
أنني سأوقفه عن العمل لأنه من الممكن استخدام الإشارات لتعقبنا".
"ماذا؟ لا يمكن أن يعرف والر رقم الهاتف الذي تستخدمه".
انطفأ الضوء الأخضر في هاتف إريكسون فوضعه هاري في جيب
سترته.

"واضح تماماً أنك لا تعرف ما يمكن لتوم والر أن يفعله أو لا يفعله
يا سيفرتسن. كان الاتفاق مع صديقي سائق سيارة الأجرة أن يتصل بين
الخامسة والسادسة إن سار كل شيء على ما يرام. أصبحت الساعة الآن
السادسة وعشر دقائق، هل سمعت الهاتف يرن؟".
"لا".

"ربما يعني هذا أنهم يعرفون كل شيء عن هذا الهاتف. إنه يقترب".
تأوه سفن. "هل أخبرك أحد أن لديك نزعة لتكرار ما تقوله يا
هاري؟ وبالمناسبة، خطر لي أنك لا تفعل الكثير لتخرجنا من هذه الورطة".
نفخ هاري دائرة من الدخان الكثيف نحو السقف على سبيل الإجابة.
"ينتابني شعور بأنك تريده أن يعثر علينا، وأن كل تلك الأشياء الأخرى
مجرد طريقة للفت انتباه الآخرين. يجب أن يبدو الأمر وكأننا نحاول
جاهدين الاختباء حتى تتوثق من أنه سيُخدع ويأتي للنيل منا".
تمتم هاري: "إنها نظرية مثيرة للاهتمام".

قالت بتي عبر الهاتف وهي تلوّح لبيورن هوم وهو يخرج من
المكتب: "لقد أكّد الخبير في نورسك مولر شكوكك".
عرفت من الطقطقات التي تناهت إليها أن هاري يتصل من كشك
هاتف عمومي.

أجاب: "شكراً على مساعدتك. كان هذا ما أحتاج إليه تحديداً."
"حقاً؟"

"آمل هذا".

"لقد اتصلت للتو بأولوغ سيفرتسن يا هاري. إنها قلقة جداً."
"مم؟"

"الأمر لا يتعلق بابنها فقط، فهي خائفة على مستأجرتها التي كانت في الجبال طوال عطلة نهاية الأسبوع ولم تعد بعد. لا أعرف ما أقوله لها."
"أقل ما يمكن، سينتهي الأمر قريباً".

"هل تعد بهذا؟"

رنت ضحكة هاري مثل صوت رشاش: "يمكنني أن أعد بهذا تحديداً،
نعم".

سُمت خشخشة صادرة من جهاز الاتصال البيني.

أعلن صوت عاملة الاستقبال الحاد: "يوجد زائر لك". في الواقع، لأن الساعة تجاوزت الرابعة، ربما تكون المتحدثة إحدى حارسات الأمن، لكن بتي لاحظت أن موظفي الأمن أيضاً يكتسبون نبرة حادة بعد بقائهم مدة خلف طاولة الاستقبال.

ضغطت بتي على زرّ في اللعبة العتيقة أمامها قائلة: "يجب أن تطلبي منه أن ينتظر دقيقة، أنا مشغولة".

"نعم، لكنه -".

أطفأت بتي جهاز الاتصال البيني.

قالت: "مشكلة صغيرة".

إضافة إلى صوت أنفاس هاري عبر الهاتف، سمعت بتي سيارة تتوقف في الخارج والمحرك يُطفأ. لاحظت في تلك اللحظة تغيراً في الطريقة التي يدخل الضوء بها غرفتها.

قال: "يجب أن أذهب. الوقت ينفد، وربما أتصل بك بعد ذلك؛ إن

سار كل شيء كما آمل. بتي؟"

وضعت بتي السماعة، وتحول بصرها نحو المدخل.

قال توم والر: "حسناً، ألا تودعين أصدقاءك الجيدين؟"

"أم تطلب منك عاملة الاستقبال أن تنتظر؟"

"بلى، فعلت هذا".

أغلق توم والر الباب، وشدّ السلك فانسدل الستار الأبيض أمام النافذة

التي تطل على منطقة المكاتب، ثم مشى حول طاولتها، ووقف بجانب

كرسيها ونظر إلى الطاولة.

سأل وهو يشير إلى الشريحتين الزجاجيتين الملتصقتين معاً: "ما هذا؟". بدأت بتي تحرك الشريحتين بقوة. "وفقاً للمختبر، إنها بذرة".

وضع يده على عنقها برفق فتوترت.

"هل كنت تتكلمين مع هاري؟".

داعب جلدها بإصبعه.

قالت وهي لا تستطيع أن تكتم غيظها: "أوقف هذا، أبعده يدك".

"عزيزتي، هل فعلت شيئاً خاطئاً؟". ابتسم والر ورفع كلتا يديه

مستسلماً. "كنت تحبين هذا يا لون".

"ماذا تريد؟".

"أن أمنحك فرصة، أظن أنني أدين لك بهذا".

"حقاً! لماذا؟".

أمالت رأسها وحدقت إليه، فرطب شفثيه ومال إلى الأسفل نحوها.

"مقابل خدماتك، وخضوعك، وجسدك البارد المشدود".

حاولت ضربه بيدها، لكنه أمسك معصمها في الهواء، وأدار ذراعها

خلف ظهرها، ورفعها إلى الأعلى بحركة واحدة. لهتت، وسقطت إلى الأمام، وضرب جبينها الطاولة. أزر صوته في أذنها:

"سأمنحك فرصة لتحتفظي بعملك يا لون. نحن نعرف أن هاري كان

يتصل بك من هاتف صديقه سائق سيارة الأجرة. أين هو؟".

تأوهت، ودفع مولر ذراعها عالياً.

قال: "أعرف أن هذا مؤلم، وأعرف أنك ستقولين لي كلاماً عذباً مهما

ألمتك. لذا، هذا لمتعتي الشخصية وامتعتك".

شعرت بتي بالدم يندفع إلى أذنيها، فحددت الهدف، واندفعت إلى

الأمام. ضرب رأسها علبة الاتصال البيني البلاستيكية فقال صوت حاد:

"نعم؟".

"أرسلني هوم حالياً". تأوهت بتي ووجنتها على الجهاز المملخ بالدماء.

"حسناً".

ترددت والر ثم أفلت ذراعها، فشددت بتي قامتها.

قالت: "أيها الوغد، لا أعرف مكانه. لم يكن ليحلم حتى بأن يضعني

في مثل هذا الموقف الصعب".

حدقت توم والر إليها مراقباً. وفيما كان يقوم بهذا، اكتشفت بتي شيئاً

غريباً؛ أنها لم تعد تخاف منه. أخبرها منطقتها أنه أكثر خطراً من ذي قبل،

لكنْ كان هناك شيء في عينيه؛ قلق لم تره من قبل قطّ. أدركت أنه فقد السيطرة على نفسه، لبضع ثوانٍ فقط، لكنها أول مرة تراه فيها على هذه الحال.

همس: "سأعود إليك، وهذا وعد مني. تعرفين أنني دائماً أفي بوعودي".
شرع بيورن هولم بالقول: "ما هذا...؟"، لكنه ابتعد بسرعة حين تجاوزه توم والر وخرج من الغرفة.

الفصل الأربعون:

الاثنين. مطر

كانت الساعة السابعة والنصف، والشمس تتحرك نحو جبل أولرن حين رأت فراو دانيلسن، من شرفتها في بوابة توماس هفتيز، عدّة سحب بيضاء تطفو فوق مضيق أوسلو البحري. مرّ أندريه كلوزن وكلبه ترولز في الشارع، وعلى الرغم من أنها لم تكن تعرف الرجل أو كلبه بالاسم، إلا أنها رأتها دائماً ينزلان من تراس غيمل. توقفا عند الإشارة الضوئية بجانب تقاطع الطرق، قرب صف سيارات الأجرة في زقاق بيغدوي، وافترضت فراو دانيلسن أنهما ينويان الذهاب إلى متنزه فرونغر.

بدا كلاهما مرهقين، كما فكّرت، والأهم أن الكلب يحتاج إلى الاستحمام كما ينبغي.

غضّبت أنفها حين رأت الكلب، على بعد نصف خطوة خلف مالكه، يرفع قائمته ويقضي حاجته على الرصيف. وعندما لم يحاول المالك إزالة البراز - في الواقع، لقد جرّ الكلب على التقاطع حين أصبح الضوء أخضر - شعرت فراو دانيلسن بالسخط والابتهاج قليلاً في الوقت نفسه. كانت ساخطة لأنها اهتمت دائماً بمصلحة البلدة - حسناً، على الأقل بمصلحة هذا الحي من البلدة - ومبتهجة لأن لديها الآن مادة جيدة لرسالة أخرى من قارئ أفنوبستن. ولم تكن أيّ من رسائلها قد نُشرت مؤخراً. وقفت محدّقة إلى مسرح الجريمة، في حين أسرع الكلب ومالكه بالابتعاد صعوداً في فروغزفين. وهكذا، أصبحت رغماً عنها شاهدة على ما تعرّضت له امرأة كانت تندفع من الاتجاه المعاكس لتعبر التقاطع قبل أن يصبح الضوء أحمر، ووقعت ضحية إهمال شخص آخر مسؤوليته المدنية. بدا واضحاً أن المرأة كانت تحاول إيقاف سيارة أجرة، ولم تنظر إلى حيث تظاً قدماها.

أطلقت فراو دانيلسن صوت ازدراء عالياً، ثمّ ألقت نظرة أخيرة على السحب ودخلت منزلها لتبدأ بكتابة رسالة القارئ. مرّ قطار مثل نسمة هواء عليلة. فتحت أولوغ عينيها واكتشفت أنها واقفة في الحديقة.

غريب، لم تتذكر مغادرتها المنزل، لكنها تقف بين خطوط السكك الحديدية ورائحة الأزهار والليلك تملأ منخريها. لم يكن الضغط في صدغيها قد خفّ، بل على العكس تماماً. رفعت بصرها، ورأت أن السحب قد تجمّعت في السماء؛ لهذا كان الجو مظلماً جداً. نظرت أولوغ إلى الأسفل،

إلى قدميها الحافيتين. جلد أبيض، عروق زرقاء؛ إنهما قدما سيدة عجوز. عرفت سبب وقوفها في هذه البقعة تحديداً، فقد وقفا هنا من قبل؛ إرنست ورندي. كانت واقفة حينها بجانب النافذة في غرفة الخادمة وهي تراقبهما وهما يقفان بجانب أجمة الورد، التي لم تعد موجودة. كانت الشمس قد بدأت تنحدر، فيما هو يتمم شيئاً ما بالألمانية، وقد قطف زهرة ووضعها خلف أذن زوجته التي ضحكت وداعبت عنقه بأنفها، ثم استدارا ليواجهها الغرب، ووضع كل منهما ذراعه حول خصر الآخر، ووقفا ساكنين. وضعت راندي يدها فوق كتف زوجها، وشاهدوا الشمس تغرب؛ الثلاثة معاً. لم تعرف أولوغ ما كانا يفكران فيه حينها، لكنها كانت تفكر أن الشمس ستشرق مجدداً في يوم آخر.

حدقت أولوغ إلى الأعلى بطريقة لاشعورية، نحو نافذة غرفة الخادمة. لم ترَ إينا، ولا أولوغ الشابة، وإنما مجرد سطح أسود يعكس صورة غيوم على شكل بوشار.

ستبكي حتى ينتهي الصيف، وربما لمدة أطول قليلاً، ثم ستتابع حياتها مجدداً كما فعلت دائماً. كانت هذه خطة، والمرء يحتاج إلى خطة دائماً. سمعت حركة خلفها، فاستدارت بحرص. استطاعت أن تشعر بالأعشاب الباردة وهي تفترق عن بعضها حين استدارت على كعبي قدميها، ثم - قبل أن تكمل استدارتها - تجمّدت حين رأت كلباً.

حدق إليها نحو الأعلى بعينين بدا لهما أنهما تلتمسان الصفح عن شيء لم يحدث بعد. في تلك اللحظة، اقترب شيء ما بصمت من بعيد؛ تحت أشجار الفاكهة ونحو الكلب. تبين أنه رجل، عيناه كبيرتان وسوداوان مثل عيني الكلب. حين رآته شعرت وكأن شخصاً ما قد أقحم حيواناً صغيراً في حلقتها وأنه لا يمكنها التنفس.

قال الرجل وهو يميل رأسه وينظر إليها بتمعن كما لو أنه يتفحص حشرة مثيرة للاهتمام: "كنا في الداخل، لكنك لم تكوني هناك. أنت لا تعرفين من أنا يا فراو سيفرتسن، لكنني كنت أتطلع قدماً إلى لقائك". فتحت أولوغ فمها ثم أغلقتة مجدداً. اقترب الرجل منها، لكنها كانت تنظر من فوق كتفه، إلى من تسير خلفه. همست وهي تمد ذراعيها: "يا الله!".

نزلت الشابة على الدرجات، وجرت فوق الحصى ضاحكة وعانقت

أولوغ.

قالت أولوغ: "كنت قلقة جداً عليك".

قالت إينا والدهشة تبدو واضحة في صوتها: "آه! لقد بقينا في الكوخ الخشبي وقتاً أطول قليلاً مما كنا قد خططنا له. نحن في عطلة كما تعرفين".

قالت أولوغ وهي تعانقها بقوة: "نعم، نعم طبعاً".
شعر الكلب - وهو كلب صيد إنكليزي - بسعادة في الجو بسبب جمع الشمل؛ فقفز إلى الأعلى ووضع قائميه الأماميتين على ظهر أولوغ.
قال الرجل: "ثيا! اجلس!".
جلس ثيا.

سألت أولوغ حين أبعدت إينا عنها أخيراً: "ومن هذا؟".
"هذا تيري راي". تورّدت وجنتا إينا وهي تتابع: "خطيبي".
قالت أولوغ وهي تصفّق: "يا الله!".
مدّ الرجل يده نحوها مبتسماً. لم يكن وسيماً - أنف أفطس، شعر خفيف، عيانان متقاربتان - لكن نظرتّه أعجبت أولوغ.
قال: "تشرّفت بلقائك".

قالت أولوغ وهي تأمل أن يخفي الظلام دموعها: "تشرّفت بلقائك أيضاً".

لم تلاحظ تويا هارانغ الرائحة حتى وصلا إلى أعلى بوابة جوزفينز. أمعنت النظر إلى سائق سيارة الأجرة متشككة. كان داكن البشرة، ولكنه بالتأكيد ليس أفريقيًا، وإلا ما كانت لتجرؤ على ركوب السيارة. لم تكن عنصرية، لكن الأمر يتعلق بكل ذلك الكلام عن الإحصائيات.
ما هذه الرائحة؟

لمحت السائق ينظر إليها في المرآة. هل ثيابها مثيرة جداً؟ هل الكنزة الحمراء منخفضة جداً عند العنق؟ هل التنورة ذات الشق الجانبي فوق حذاء رعاة البقر قصيرة جداً؟ راودتها فكرة أخرى أكثر لطفاً. لقد عرفها من مقالات صحف اليوم مع كل صورها الكبيرة. تقول العناوين: "تويا هارانغ: ملكة المسرحيات الموسيقية الجديدة". صحيح، كان الناقد الأدبي في داجبلاديت قد وصفها بأنها "خرقاء لكنها فاتنة"، وقال إنها أكثر إقناعاً من إليزا بائعة الزهور التي كان الأستاذ هيغينز قد حوّلها إلى سيدة مجتمع، لكن نقاد الأدب اتفقوا جميعاً أن بمقدورها أن تغني وترقص بإتقان. ما الذي كانت ليزبيث ستقوله عن هذا؟

سأل السائق: "هل أنت ذاهبة إلى حفل؟".

قالت تويا: "نوعاً ما".

حفل لاثنين - كما فكرت - حفل فينوس و... ماذا كان ذلك مجدداً،
ما الاسم الثاني الذي قاله؟ حسناً، كانت هي فينوس على كل حال. لقد
جاء إليها في أثناء الاحتفال، بعد انتهاء ليلة الافتتاح، وهمس في أذنها قائلاً
إنه أحد معجبيها السريين، ثم دعاها إلى منزله الليلة. لم يكن قد أزعج
نفسه بإخفاء نواياه، وكان ينبغي لها أن ترفض؛ حفاظاً على اللياقة، وأن
تقول لا.

قال السائق: "سيكون هذا رائعاً".

لياقة ولا. كان لا يزال بمقدورها أن تشم رائحة العلف والتراب، وأن
تري حزام والدها وهو يتحرك في الضوء المتسلل من الشقوق بين الألواح
في الحظيرة وهو يحاول أن يضربها به. لياقة ولا. لا يزال باستطاعتها أن
تشعر بيد والدتها وهي تداعب شعرها في المطبخ بعد ذلك، وتسألها عن
سبب عدم كونها مثل ليزبيث؛ هادئة وذكية. في أحد الأيام، خلّصت تويا
نفسها وقالت إن هذه طبيعتها، وإنها قد ورثت ذلك من دون شك عن
والدها. ألم تره وهو يعدّب ليزبيث؟ أم إن والدتها لا تعرف شيئاً عن
ذلك؟ كانت تويا قد راقبت ملامح والدتها وهي تتغير؛ لأنها عرفت أنها لن
تخلج من استخدام أي سلاح متوافر لديها لتؤذيهم. صرخت تويا بعد ذلك
بأعلى صوتها قائلة إنها تكرههم جميعاً. وجاء والدها من غرفة المعيشة
حينها، حاملاً الصحيفة في يده، ورأت على وجوههم أنهم يعرفون أنها لا
تكذب. هل لا تزال تكرههم الآن بعد أن رحلوا؟ لم تكن تعرف. لا، لم
تعد تكره أحداً هذه الأيام. لم يكن هذا ما يجعلها تفعل ما تفعله، فهي
تفعله للمتعة، ولأنه محرّم على نحو لا يمكن مقاومته.

أعطت السائق 200 كرون وابتسمت له، ثم طلبت منه أن يحتفظ بما
تبقى؛ رغم رائحة سيارته. وأدركت بعد أن ابتعدت سيارة الأجرة سبب
تحديق السائق إليها عبر المرآة؛ لم تكن الرائحة تأتي منه، وإنما منها.
"تياً!".

كشطت النعل الجلدي لحذاء رعاة البقر عالي الكعب على الرصيف، ما
كوّن شرائط بنية عليه. بحثت في الأرجاء عن بركة مياه ضحلة، لكن لم
تكن هناك واحدة في أوصلو منذ خمسة أسابيع تقريباً. لذا، تخلّت عن
ذلك، وذهبت نحو الباب ورنّت الجرس.
"من؟".

تحدّثت بدلع: "أنا فينوس". وابتسمت لنفسها.

قال الصوت: "وأنا بغماليون".

كانت هذه هي الكلمة.

سمعت أزيزاً حين فتح لها الباب. تردّدت لحظة، فهذه آخر فرصة للتراجع. ردّت شعرها إلى الخلف وفتحت الباب بأن سحبته إليها. كان واقفاً في المدخل وهو يحمل شرباً في يده وينتظرها. سأل: "هل فعلت ما طلبته منك؟ لم تخبري أحداً عن المكان الذي تقصدينه أليس كذلك؟".

"لا. هل أنت مجنون؟". حرّكت عينيها.

قال، وهو يفتح الباب على مصراعيه: "ربما. ادخلي وسلّمي على قلات". ضحكت رغم أنها لم تكن تعرف قطّ ما يتكلم عنه. ضحكت رغم أنها شعرت بأن شيئاً مريباً على وشك أن يحدث. وجد هاري مكاناً يوقف فيه سيارته في ماركفين، فأوقف عمل المحرك وخرج منها. أشعل لفافة تبغ وألقى نظرة سريعة على المكان. بدت الشوارع مقفرة، وقد لزم الناس بيوتهم. كانت الغيوم البيضاء النقية قد انتشرت لتشكّل سجادة غطّت السماء كلها.

مشى هاري أمام واجهات المنازل التي تغطيها الرسوم إلى أن وقف قرب أحد الأبواب. لم يبقَ من لفافة تبغه إلا المرشح فرماه بعيداً. رنّ الجرس وانتظر. كان الجو رطباً جداً، وشعر براحتي كفيّته تتعرقان. أم إن ذلك ناجم عن الخوف؟ نظر إلى ساعته وعرف الوقت.

"من؟". بدا الصوت منزعجاً.

"مساء الخير، أنا هاري هول".

لا جواب.

أضاف: "من الشرطة".

"طبعاً، أنا آسفة. كان ذهني مشغولاً بشيء آخر. تفضل". أصدر الباب أزيزاً في أثناء فتحه.

صعد هاري على السلم ببطء.

وقفنا تنتظرانه عند الباب، كلتاهما.

قالت روث: "آه، لا! ما هذا الطقس؟".

وقف هاري على فسحة الدرج أمامهما.

فأضافت نسر تروندهايم شارحة: "المطر".

"آه، فهمت". جفّف هاري كفيّته على سرواله.

"كيف يمكننا مساعدتك أيها المفتش؟".

قال هاري: "يمكنكما مساعدتي في القبض على القاتل المتسلسل".

استلقت تويا في وسط السرير بوضعية الجنين، وهي تحدّق إلى نفسها في المرأة المعلّقة على باب الخزانة المفتوح نحو الجدار، وتصغي إلى صوت المياه الصادر من الحمام في الطابق الأرضي، وعرفت أنه يغسل رائقها عنه. تقلّبت على السرير، فتشكل الفراش المائيّ تحتها بلطف وفقاً لوضعية جسدها. نظرت إلى الصورة، ورأت أنهما يتسمان لآلة التصوير، في عطلة، ربما في فرنسا. مرّرت أصابعها فوق غطاء الفراش البارد، وتذكرت أن جسمه كان بارداً أيضاً؛ بارداً وقاسياً ومفتول العضلات بالنسبة إلى شخص عجوز؛ ولا سيما مؤخرته وفخذه. قال إن ذلك يرجع إلى كونه راقصاً، فقد درّب عضلاته كل يوم طوال 15 سنة، ولن تختفي أبداً.

لفت انتباه تويا الحزام الأسود في سرواله الملقى على الأرض.

مرّت خمس عشرة سنة، ولم تختف تلك الذكريات قطّ.

استلقت على ظهرها، ودفعت نفسها عالياً على السرير، وسمعت الماء يقرقر داخل الفراش المطاطي. عرفت أن كل شيء سيختلف الآن، وأن تويا أصبحت ذكية ومطبعة؛ كما أراد أبوها وأمها تماماً. لقد أضحت ليزبيث الآن.

أسندت تويا رأسها على الجدار، وغارت في الفراش أكثر، وشعرت بشيء يدغدغها بين عظمتي كتفيها. بدا الأمر مثل الاسترخاء على متن مركب في النهر. لذا، استلقت هناك مفكّرة.

اتسمت بالذكاء حين كان ويلهلم يدرّبها كيف تتكلم وتغني مثل شقيقتها، وتبتسم مثلها. كان ويلهلم قد أعطى متخصصي التجميل صورة ليزبيث وأخبرهم أن هذه الصورة هي ما يجب أن تبدو عليه تويا. الشيء الوحيد الذي لم تستطع أن تفعله هو الضحك مثل ليزبيث، لذا طلب منها ويلهلم ألا تحاول. لم تكن تويا واثقة أحياناً إن كان هذا يتعلق بلعب دور إليزا دوليتل أو باشتياق ويلهلم الشديد إلى ليزبيث، وقد أضحت الآن في سريرها، وربما يتعلق هذا بليزيث أيضاً؛ بالنسبة إليهما معاً. ما الذي قاله ويلهلم سابقاً؟ الرغبة تجد المستوى الأدنى.

شعرت بشيء يركز ظهرها مجدداً فتقلّبت على السرير غاضبة.

لم تكن تويا قد اشتاقت إلى ليزبيث كثيراً؛ إن أرادت أن تكون صادقة تماماً. لم يكن هذا يعني أنها لم تشعر بالصدمة مثل أيّ شخص آخر حين سمعت نبأ اختفائها، لكن الأمر فتح لها الكثير من الأبواب الجديدة. فقد أجرت تويا مقابلة، وقد تلقت فرقة المغزل عرضاً لتقديم سلسلة من الحفلات الموسيقية جيدة الأجر إحياءً لذكرى ليزبيث، والآن

الدور الرئيس في سيدتي اللطيفة؛ التي بدا رغم كل شيء أنها ستحقق نجاحاً منقطع النظير. كان ويلهلم قد أخبرها في حفل ليلة الافتتاح أنها يجب أن تجهّز نفسها لتصبح مشهورة؛ نجمة، الراقصة الأولى. وضعت يدها تحت ظهرها. ما الذي يكرها؟ كانت هناك كتلة تحت الملاءة، اختفت حين ضغطت عليها إلى الأسفل، لكنها ظهرت مجدداً. يجب أن تكتشف ما هي. كانت ستنادي ويلهلم بصوتٍ يعلو على ضوضاء المياها في الأسفل، لكنها تذكرت أن ويلهلم أصدر إليها تعليمات مشددة بأن تريح صوتها. بعد يوم العطلة هذا، سيتوجب عليهم أن يمثّلوا كل يوم حتى نهاية الأسبوع. كان قد طلب منها عندما وصلت ألا تتكلم إطلاقاً؛ ليس تحت أي ظرف، على الرغم من أنه قد أخبرها سابقاً أنه يريد التمرّن معها على بضعة مقاطع من الحوار لا تبدو ملائمة تماماً، وقد طلب منها أن تعتبر أنها إليزا، من أجل الواقعية.

أمسكت توياء الملاءة الكبيرة من أحد طرفي السرير المائي وشدتها إلى الطرف الآخر. لم ترَ كسوة أخرى، وإنما الفراش المطاطي الشفاف الأزرق فقط. لكن، ما الذي يبرز إلى الأعلى هناك؟ ضغطت بيدها على الفراش، ووجدته هناك، تحت المطاط، لكنها لم تتمكن من رؤيته. مدّت يدها إلى الطاولة الجانبية، وأنارت المصباح بجانب السرير وأدارته نحو تلك البقعة، لكن النتوء كان قد اختفى مجدداً. وضعت يدها فوق الفراش وانتظرت، وأحست بذاك الشيء يعود ببطء، وأدركت أنه أياً يكن ذلك الشيء فإنه يغوص حين تضغط عليه ثم يصعد مجدداً، فحرّكت يدها. رأت في البداية خطوطاً تتشكّل على المطاط؛ مثل صورة. لا، لم تكن مثل صورة، وإنما صورة. استلقت توياء على بطنها، وقد حبست أنفاسها. استطاعت أن تشعر بذاك الشيء آنذاك، بدءاً من أسفل بطنها إلى أصابع قدميها. كان هناك جسد كامل في الداخل، جسماً ترغمه خاصية الطفو على سطح الماء على الارتفاع إلى الأعلى، ويرغمه ثقل توياء على النزول إلى الأسفل؛ وكان هناك شخصين يحاولان أن يكونا شخصاً واحداً، وربما هما كذلك؛ لأن الأمر مثل النظر إلى المرأة.

أرادت أن تصرخ آنذاك، أن تؤذي صوتها. لم تعد تريد أن تكون فتاة مطيعة، أو ذكية، وإنما توياء مجدداً، لكنها لم تستطع. حدّقت فقط إلى وجه شقيقتها الأزرق الشاحب؛ شقيقتها التي كانت تبادلها النظرات. واستمعت إلى صوت المياها في الحمام؛ الذي كان يبدو مثل الصوت الصادر عن التلفاز بعد انتهاء البث، ثم إلى صوت قطرات الماء وهي تسقط على

الأرضية الخشبية بجانب قائمة السرير خلفها، والتي أخبرتها أن ويلهلم لم يعد في الحمام.

قالت روث: "لا يمكن أن يكون هو. هذا... هذا... غير ممكن".

قال هاري: "قلتما حين زرتكما سابقاً إنكما فكرتما في الصعود إلى شقة بارلي لتجسسا عليهما قليلاً، وإن باب شرفته يبقى مفتوحاً طوال الصيف. هل أنتما واثقتان من ذلك؟".

سألت نسر تروندهايم: "بالتأكيد. لكن، ألا يمكنك أن تتصل به فحسب؟".

هزَّ هاري رأسه.

"سيخامره الشك ولا يمكننا المجازفة بهروبه. يجب أن أقبض عليه هذا المساء، إن لم يكن الأوان قد فات فعلاً".

سألت نسر تروندهايم وهي تغمض إحدى عينيها: "علامَ فات الأوان؟". "اسمعا، كل ما أطلبه منكما هو أن تسمحا لي بالاستفادة من شرفتكما لأصعد إلى الأعلى".

سألت نسر تروندهايم: "ألا يوجد أحد آخر معك حقاً؟ ألم تجلب إذناً للتفتيش أو شيئاً من هذا القبيل؟".

هزَّ هاري رأسه قائلاً: "أرضية مبرّرة للشك، ولا حاجة إلى إذن".
دوى الرعد فوق رأس هاري منذراً بالخطر. كان المزراب فوق الشرفة قد طُلي باللون الأصفر، لكن معظمه قد تقشّر كاشفاً عن بقع كبيرة من الصداً الأحمر. أمسكه هاري بقوة بكلتا يديه وشده ليتوثق من أنه مُحكم التثبيت، لكن المزراب خرج من مكانه، وانفصل البرغي عن الجصّ وارتطم بالأرض في الساحة محدثاً رنيناً. أفلت هاري قبضته عن المزراب وأطلق شتيمته. على كل حال، لم يكن هناك بديل، لذا وضع إحدى قدميه على الدرابزين ودفع نفسه إلى الأعلى. نظر من فوق الحافة، وسحب تلقائياً شهيقاً عميقاً. كانت الملاءة التي تمّ نشرها على منشر الغسيل الدوّار في الأسفل تبدو مثل طابع أبيض تعصف به الريح.

ثبّت قدمه على المزراب وتسلّق إلى الأعلى. وعلى الرغم من أن السقف كان شديد الانحدار، إلا أن ثبات حذائه على الآجر بدا له جيداً كفاية ليمشي خطوتين نحو أنبوب التصريف ويشد صدره إليه؛ وكأنه صديق لم يره منذ وقت طويل. شدَّ قامته ونظر حوله، ورأى لمعان البرق فوق نسودن، وأحس بالهواء يداعب سترته بلطف. وجَل هاري حين اندفع ظل أسود فجأة فوق وجهه، ثم تجاوز الفراغ فوق الساحة المركزية؛ طائر

سنونو. لمحہ ہاری آنذاک فیما کان یسعی إلی الاختباء تحت الحواف البارزة.

تلمس ہاری طریقہ إلی الأعلى متجہاً نحو دوارة ریح سوداء علی بعد 15 متراً، وسحب نفساً عمیقاً، ثم بدأ یمشی علی طول الحافة وذراعه ممدودتان إلی جانبیه مثل بهلوان.

کان قد وصل إلی منتصف المسافة حین سمع حقیفاً. ظنّ فی البداية أنه آتٍ من أعلى الأشجار تحته، لكن حدة الصوت ارتفعت فی الوقت نفسه الذی بدأ فیہ منشر الغسیل الدوار فی الساحة أسفله یدور مصدرّاً صریراً. لم یشعر بأی ریح، لیس بعد، ثم ضربته وعرف أن الجفاف قد انتهى. لطمته الریح علی صدره مثل تیار هوائی، فترنح خطوة إلی الخلف، ووقف متمایلاً علی الحافة، وسمعها تتقدم نحوه فوق آجر السطح الذی یقعقع. فجأة، انهمر المطر علی السطح غزیراً كالطوفان. وفی أقل من ثانیة أصبح کل شیء مبتلاً. حاول ہاری أن یحافظ علی توازنه، لكن لم یکن هناك شیء یمکنه التثبت به، وبدا الأمر مثل المشی علی صابون. زلّ أحد نعلیه فاندفع إلی الأمام فی محاولة یائسة للوصول إلی دوارة الریح. كانت ذراعه ممدودتین أمامه، وأصابعه متباعدة. تحسست یده الیمنی سطح قطعة آجر بحثاً عن شیء ما یمتطیع التثبت به، لكنه لم یجد شیئاً. بدأت الجاذبیه تسحبه إلی الأسفل، وخذشت أظفاره السطح - وكأنها نصل منجل علی حجر شحذ - حین انزلق، وسمع صریر منشر الغسیل یتلاشی، وشعر بالمزراب عند ركبته، وعرف أنه علی وشک أن یسقط من فوق الحافة. مدّ جسده فی محاولة أخیره؛ محاولاً أن یجعل نفسه أطول، كما لو أنه هوائی إرسال. هوائی؛ أمسکت یده الیسری بالهوائی، وتثبت به بقوة. لان المعدن، ثم تقووس وانثنی، وهدد بأن یلحق به نحو الأسفل؛ إلی الساحة، لكنه تحمّل ثقله.

أمسك ہاری بالهوائی بکلتا یدیه، ورفع نفسه إلی الأعلى بأقصى قوة یمتطیع بذلها وحظی بموطئ قدم. زحف إلی القمة والمطر یسفع وجهه بغضب، ثم جلس منفرج الساقین وأطلق تنهيدة ارتیاح عمیقة. کان الهوائی المعدنی الملتوی تحته یشیر إلی الأسفل، وعرف أن أحدهم سیواجه مشكلة فی استقبال عرض اللیلة المعاد من نغمة موسیقی.

انتظر ہاری حتی هدأت نبضات قلبه قلیلاً، ثم وقف وتابع المشی علی الحافة كالبهلوان.

كانت شرفة بارلی متداخلة مع السطح، لذا كان بمقدوره أن ینزل

ساقيه بسهولة على الآجر الأحمر، وتناثر الماء حول قدميه حين هبط، لكن صوت هدير المياه التي تنزل من مزاريب السطح وقرقرتها أخفيا صوت خطواته.

كانت الكراسي قد أُدخلت، والمنقل أسود وخامداً في زاوية، لكن الباب مفتوح قليلاً.

في البداية، كل ما تمكّن من سماعه هو نقر المطر المتواصل على الآجر. ولكن، عندما اجتاز العتبة بحذر ودخل الغرفة استطاع تمييز صوت آخر ينجم عن الماء أيضاً، ويصدر من الحمام في الطابق السفلي؛ وعرف أن الحظ قد حالفه أخيراً. ربت هاري على جيوب سترته المبللة بالماء بحثاً عن الإزميل، وبدا أن بارلي العاري والأعزل أفضل ما يأمل به؛ خاصة إذا كان ويلهلم لا يزال يحتفظ بالمسدس الذي أعطاه سفن سيفرتسن إيّاه في متنزه فروغز يوم السبت.

رأى هاري باب غرفة النوم مفتوحاً، وصندوق الأدوات بجانب السرير. مشى على أطراف أصابع قدميه نحو الباب وتسلل إلى غرفة النوم.

كانت الغرفة معتمة، وبالكاد يضيئها مصباح صغير على الطاولة بجانب

السرير. وقف هاري عند قائمة السرير، ووقع بصره على الجدار وصورة ليزبيث وويلهلم في شهر عسلهما أمام مبنى مهيب قديم وتمثال حصان وخيال. كان هاري يعرف الآن أن هذه الصورة لم تُلتقط في فرنسا. وبرأي سفن، إنّ أي شخص متوسط الثقافة يجب أن يعرف ذلك التمثال للبطل القومي التشيكي فاكلاف أمام المتحف الوطني في ساحة فاكلاف في براغ.

اعتادت عينا هاري على الظلام آنذاك، وحوّل اهتمامه إلى السرير المزدوج وتجمّد حابساً أنفاسه، وواقفاً مثل رجل ثلجي. رأى أن اللحاف مرمي على الأرض، والملاءة قد أزيحت قليلاً وتكشف عن المطاط الأزرق تحتها، وفوقها شخصٌ عارٍ يستلقي على بطنه، والجزء الأعلى من جسده يستند إلى مرفقيه، فيما عيناه تنظران نحو المنطقة التي يلتقي فيها مخروط الضوء من مصباح القراءة مع الفراش الأزرق.

عزف المطر على السطح مقطوعة النقر الأخيرة قبل أن يتوقف فجأة.

بدا واضحاً أن ذاك الشخص لم يسمع هاري وهو يدخل الغرفة، لكن هاري كان يعاني مشكلةً معظم رجال الثلج؛ تلك المشكلة التي تبدأ في تموز؛ الذوبان. سالت قطيرات الماء من سترته على الأرضية الخشبية مصدرة صوتاً بدا لأذنيه كدويّ الرعد.

توتّر الجسد على السرير، واستدار نحوه؛ أولاً الرأس، ثم الجسم العاري

كله.

"يا الله! هاري؟". بدا ويلهلم بارلي خائفاً ومرتاحاً في الوقت نفسه.

الفصل الحادي والأربعون:

الاثنين. نهاية سعيدة

"عمت مساء".

قَبِلت راكيل جبين أوليغ، ودَسَّت الغطاء تحت جسده، ثم نزلت إلى الطابق الأرضي وجلست في المطبخ مصغية إلى هطول المطر.

كانت تحب المطر، فهو ينظف الجو ويغسل الماضي. بداية جديدة، هذا ما تحتاج إليه بالضبط؛ بداية جديدة.

مشت إلى الباب الأمامي ولامسته لتتوثق من أنه موصل، وكانت تلك هي المرة الثالثة التي تفعل فيها ذلك في المساء. ما الذي كانت خائفة منه جداً؟

شَغَلت التلفاز بعد ذلك، وشاهدت نوعاً من البرامج الموسيقية؛ ثلاثة أشخاص جالسين على مقعد البيانو نفسه، وهم يتسمون لبعضهم؛ مثل أسرة صغيرة، كما ظنَّت راكيل.

فزعت حين دوى الرعد في الخارج.

"لا فكرة لديك كم أخفتني الآن". هزَّ ويلهلم بارلي رأسه.

قال هاري: "يمكنني على الأرجح أن أتخيل هذا. أعني لأنني جئت عبر الشرفة".

"لا يا هاري، لا يمكنك تخيل ذلك حقاً".

مدَّ ويلهلم يده من فوق السرير، ورفع اللحاف عن الأرض والتفَّ به.

قال هاري: "يبدو أنك كنت تستحم".

هزَّ ويلهلم رأسه وتجهَّم قائلاً: "ليس أنا".

"من إذًا؟".

"لديّ زائرة؛ امرأة".

ابتسم بتكلّف وأشار إلى الكرسي الذي وُضعت عليه تنورة قماشية وحمالة ثديين سوداء وجورب أسود واحد ذو حافة مطاطية.

"الوحدة تجعلنا، نحن الرجال، ضعفاء. أليس كذلك يا هاري؟ لذا،

نبحث عن السلوان حيث يمكننا إيجاداه. بعضنا يلجأ إلى قارورة، وآخرون...". هزَّ ويلهلم كتفيه.

"نقبل طوعاً أننا يمكن أن نقترف الأخطاء، أليس كذلك يا هاري؟

ونعم، ضميري يشعر بالذنب".

كانت عينا هاري قد ركَرتا آنذاك، واستطاع رؤيتها؛ تلك الدموع على

وجنتي ويلهلم.

"هل تعدني بالأخبار أحداً يا هاري؟ ما حصل كان زلّة".
ذهب هاري إلى الكرسي، وعلّق الجورب الوحيد على ظهر المقعد
وجلس.

"من الذي يجب ألا أخبره يا ويلهلم؟ زوجته؟".
أضيت الغرفة فجأة بوميض برق تبعته فرقة رعد.
قال ويلهلم: "سينتهي الأمر قريباً".
"نعم". مرّر هاري يده على جبينه الرطب.
"إذاً، ماذا تريد؟".

"أظن أنك تعرف الإجابة يا ويلهلم".
"قلها على كل حال".
"جئنا لناخذك معنا".

"ليس هناك جئنا، فأنت بمفردك، أليس كذلك؟ وحدك تماماً".
"ما الذي يجعلك تظن هذا".

"عينك، لغة جسدك. يمكن أن أقرأ الناس يا هاري. لقد تسللت إلى
هنا معتمداً على عنصر المفاجأة، وهذه ليست طريقتكم في الهجوم حين
تعملون جماعياً يا هاري. لماذا أنت بمفردك؟ أين الآخرون؟ هل يعرف أحد
مكانك؟".

"هذا ليس مهماً. لنقل إنني بمفردك. لكن، لا يزال عليك أن تدفع
ثمن قتلك أربعة أشخاص".
وضع ويلهلم إصبعه على شفثيه، وبدا أنه يفكر ملياً حين ذكر هاري
الأسماء:

"ماريوس فيلاند، كاميلو لوين، ليزبيث بارلي، باربرا سفندسن".
حدّق ويلهلم إلى الفراغ لبعض الوقت، ثم أوماً ببطء وأبعد إصبعه
عن فمه.

"كيف اكتشفت هذا يا هاري؟".
"عندما عرفت السبب؛ الغيرة. أردت أن تتأثر لنفسك من كليهما، أليس
كذلك؟ عندما اكتشفت أن ليزبيث التقت سفن سيفرتسن، وأنهما أقاما
علاقة في أثناء شهر عسلكما في براغ".

أغمض ويلهلم عينيه، وأمال رأسه إلى الخلف، فقرقر الماء تحته.
"لم أعرف أن تلك الصورة التي تجمعك مع ليزبيث قد التقت في
براغ حتى رأيت التمثال نفسه في الصورة التي أرسلت إليّ عبر البريد
الإلكتروني من براغ في وقت سابق اليوم".

"ثم عرفت كل شيء؟".

"حسناً، عندما خطرت لي الفكرة للمرة الأولى نبذتها لأنها سخيصة. ولكن، تدريجياً بدأت تصبح منطقية. بدا منطقياً ألا يكون القاتل يفعل ذلك بدافع الجنس، وإنما هو شخص رتبّ أماكن القتل لجعل جرائمه تبدو كجرائم جنسية، وليجعل الأمر كله يبدو وكأن سفن سيفرتسن هو القاتل. كان الشخص الوحيد الذي بمقدوره ترتيب شيء مماثل محترفاً".

فتح ويلهلم إحدى عينيه قائلاً: "إذا فهمتك على نحو صحيح، فأنت تقول إن هذا الشخص خطط لقتل أربعة أشخاص ليثأر من شخص واحد فقط، أليس كذلك؟".

"اخترت ثلاثاً فقط من الضحايا الخمس عشوائياً، وجعلت أماكن الجرائم تبدو وكأنها قد حُدّت عشوائياً وفقاً للنجم الخماسي، ولكنك في الواقع صممت النجم من نقطتين: عنوانك والمنزل الخاص بوالدة سفن سيفرتسن. دهاء واضح".

"هل تصدّق قصتك هذه حقاً يا هاري؟".

"لم يسمع سفن سيفرتسن قط بليزبيث بارلي. لكن، هل تعرف أمراً يا ويلهلم؟ لقد تذكّرها جيداً حين أخبرته عن لقبها قبل الزواج: ليزبيث هارانغ".

لم يُجب ويلهلم.

قال هاري: "الشيء الوحيد الذي لا أفهمه هو سبب انتظارك سنوات عديدة لتنتقم".

تلوّ ويلهلم على السرير.

"لنفترض أنني لا أفهم ما تحاول أن تلمّح إليه يا هاري. أنا متردد في الإدلاء باعتراف ووضوح كلينا في موقف صعب. على كل حال، نظراً إلى أنني في موقع العارف أنك لا تستطيع إثبات شيء، فأنا لا أمانع في تبادل أطراف الحديث معك قليلاً. تعرف أنني أقدرّ الناس الذين يحسنون الإصغاء".

تحركّ هاري على كرسيه غير مرتاح.

"نعم يا هاري. صحيح أنني عرفت أن ليزبيث قامت بعلاقة مع هذا الرجل، لكنني لم أكتشف ذلك إلا هذا الصيف".

بدأت زخّات المطر تهطل مجدداً، وقرعت الأمطار على النافذة.

"هل أخبرتك ذلك؟".

هزّ ويلهلم رأسه نائفاً وقال: "لم تكن لتفعل هذا مطلقاً. جاءت من

أسرة لا يتكلم أفرادها عن أشياء مماثلة. لم أكن لأكتشف الأمر لو لم نكن نرتّب الشقة ووجدت رسالة".
"ماذا؟".

"الجدار الخارجي في مكتبها مصنوع من الآجر فقط، وهو الجدار الأصلي منذ تشييد البناء في مطلع القرن. إنه صلب، ولكنه يجعل المكان بارداً جداً في الشتاء. أردت تغطيته بألواح خشبية وعزله من الداخل، لكن ليزبيث اعترضت. ظننت أن هذا غريب لأنها كانت امرأة عملية. فقد ترعرت في مزرعة، وليست من النوع الذي يصبح عاطفياً بشأن جدار أجري قديم. لذا، عندما خرجت في أحد الأيام، تفحصت الجدار، ولكنني لم أجد شيئاً حتى دفعت مكتبها إلى إحدى الزوايا. في البداية، لم أر شيئاً غير معتاد، ولكنني تفحصت كل قطع الآجر، فتحرّكت إحداها قليلاً، وحين سحبتها خرجت من مكانها. كانت قد موّهت الشقوق حولها بملاط بناء رمادي. وجدت رسالتين في الداخل، واسم ليزبيث هارانغ على المغلف بالإضافة إلى عنوان صندوق بريد لم تكن لديّ فكرة أنها تستخدمه. كان أول رد فعل لي أن أعيد الرسالتين من دون أن أقرأهما وأقنع نفسي أنني لم أرهما قط. ولكنني رجل ضعيف، ولم أستطع فعل ذلك. ليلنغ، أنت دائماً في أفكارك. لا أزال أشعر بشفتيك على شفتي، وجلدك على جلدي. كانت الرسالة تبدأ بهذه العبارات".
صدر عن السرير صوت تمّوج.

"ألمتني الكلمات مثل ضربات سوط، لكنني تابعت القراءة. بدا ذلك غريباً لأنني شعرت كما لو أنني أنا من كتب الكلمات. عندما انتهى من التعبير عن حبه لها، تابع ليصف ما فعلاه معاً في غرفة الفندق في براغ بالتفصيل. لم يكن وصف علاقتهما أكثر ما ألمني، وإنما اقتباسه ممّا قالته عن علاقتنا، وأنها بالنسبة إليها مجرد حل عملي لحياة خالية من الحب. هل يمكن أن تتخيل شعوري في مثل ذلك الموقف يا هاري؟ عندما يتبين لك أن المرأة التي تحبها لم تخذعك فحسب، وإنما لم تحبك يوماً أيضاً. ألا تكون محبوباً؛ أليس هذا هو التعريف الأساسي لحياة فاشلة؟".
قال هاري: "لا".

"لا؟".

"تابع، إن لم تكن تمانع".

رمق ويلهلم هاري بنظرة مستفسرة وتابع:

"لقد ضمّن الرسالة صورة له، وأفترض أنها قد التمست منه إرسالها.

ما إن رأيت الصورة حتى عرفت أنه النرويجي الذي التقيناه في مقهى في برلوفاف؛ وهو حي مريب في براغ تكثر فيه الغانيات. كان جالساً في المشرب حين دخلنا، ولاحظته لأنه بدا مثل أحد أولئك السادة النبلاء المميزين الذين تستخدمهم بوس كنماذج للعرض. كان أنيقاً وعجوزاً في الواقع، لكن عينيه ممتلئتان حيوية تجعل الرجال يحرصون أكثر على زوجاتهم. لم أصب بدهشة كبيرة حين جاء الرجل إلى طاولتنا بعد مرور بعض الوقت، وعرف بنفسه بالنرويجية، وسألنا إن كنا نرغب في شراء عقد. شكرته بتهذيب ورفضت، لكن عندما أخرجته من جيبه وعرضه على ليزبيث، أعجبها طبعاً وقالت إنها أحبته. كانت القلادة ذات ألماسة حمراء على شكل نجم بخمسة رؤوس. سألته عما يريد ثمناً للنجم، وعندما زودني بسعر مبالغ فيه على نحو سخيف ولا يمكن تفسيره إلا بأنه استفزازي، طلبت منه أن يتركنا وشأننا. عندها، ابتسم لي وكأنه قد أحرز انتصاراً، ثم كتب عنوان مقهى آخر على قصاصة ورق وقال إن بمقدورنا العثور عليه هناك في الوقت نفسه من اليوم التالي إذا بدلنا رأينا، وأعطى ليزبيث الورقة بطبيعة الحال. أتذكر أن مزاجي تعكر في ما تبقى من فترة الصباح، لكنني نسيت كل شيء لاحقاً. كانت ليزبيث ماهرة في جعلني أنسى، واستطاعت أحياناً...". مرر ويلهلم إصبعه تحت عينه وتابع: "... أن تفعل ذلك بحضورها فقط".

"حسناً، ماذا كُتِب في الرسالة الأخرى؟".

"كانت رسالة قد كتبها هي وحاولت أن تُرسلها إليه. وجدت المغلف ممهوراً بعبارة يعاد إلى المرسل. كتبت أنها قد حاولت الاتصال به بكل الطرائق، لكن لم يجب أحد على رقم الهاتف الذي زودها به، ولم تستطع استعلامات الهاتف أو مركز البريد العثور عليه. كتبت أنها تأمل أن تجد الرسالة طريقها إليه، وسألت إن كان قد فرّ من براغ. كما سألت إن كان لا يزال يعاني المشكلات الاقتصادية نفسها التي عاناها حين اقترض المال منها".

أطلق ويلهلم ضحكة جوفاء.

"إذا كان الأمر كذلك، فيجب أن يتصل بها - كما كتبت - وستساعده مجدداً؛ لأنها أحبته. لم يكن بمقدورها التفكير في أي شيء آخر؛ فقد كان الانفصال عنه يجعلها تجن. تمّت أن يزول الألم بمرور الوقت، ولكنه بدلاً من ذلك انتشر مثل المرض وتأم كل سنتيمتر من جسدها، وبدا واضحاً أن بعض السنتيمترات تألمت أكثر من أخرى؛ لأنها كتبت له أنها عندما تسمح لزوجها - هذا رأيي أنا، بكلمات أخرى - بإقامة علاقة معها فهي تخمض

عينها وتتظاهر أنه هو. دُهشت طبعاً، نعم دُهلت، لكنني شعرت بانهايار
كامل حين رأيت ختم التاريخ على المغلف".

أغمض ويلهلم عينيه بقوة مجدداً.

"أرسلت الرسالة في شباط، هذه السنة".

ألقى وميض البرق مجدداً ظللاً على الجدار، وبقيت الظلال هناك
للحظات مثل أطياف ضوء.

سأل ويلهلم: "ماذا فعلت؟".

"نعم، ماذا فعلت؟".

ابتسم ويلهلم بوهن وقال: "كان ينبغي لي أن أقدم لها كبد البط مع
شراب أبيض. غطيت السرير بالورود وأقمنا علاقة طوال الليل، وعندما نامت
في الصباح الباكر استلقيت قريبا أتأملها. عرفت أنني لا أستطيع العيش من
دونها، لكنني عرفت أيضاً أنها لتصبح لي، يجب عليّ أولاً أن أخسرها".
"وهكذا خططت للأمر كله، ورتبت لإزهاق روح زوجتك، وتوثقت في
الوقت نفسه من أن يتحمل الرجل الذي أحبته مسؤولية ذلك".
هزّ ويلهلم كتفيه.

"بدأت العمل بالطريقة نفسها التي أقوم بها بأيّ إنتاج مسرحي. ومثل
كل رجال المسرح، أعرف أن أهم شيء هو الوهم. يجب أن يكون الخداع
قابلاً للتصديق حتى تبدو الحقيقة مستبعدة تماماً. قد يتطلب تحقيق هذا
براعة وحذراً، لكن في مهنتي تكتشف بسرعة أن هذا أسهل كثيراً من
البديل. فالناس معتادون على سماع الأكاذيب أكثر من الحقيقة".
"حسناً، أخبرني كيف فعلت هذا".

"لماذا سأجازف بذلك؟".

"لا يمكنني استخدام أيّ مما قلته في المحكمة على كل حال. ليس
لديّ شهود، ودخلت شقتك على نحو غير قانوني".

"لا، لكنك رجل ذكي يا هاري. ربما أفصح عن شيء يمكن أن

تستخدمه في التحقيق".

"ربما، لكنني أظن أنك مستعد للمجازفة".

"لماذا؟".

"لأنك تريد حقاً أن تخبرني. أنت تتحرّق شوقاً لإخباري، وتدرك ذلك".
ضحك ويلهلم بارلي بصوت عالٍ.

"إذاً، تظن أنك تعرفني، أليس كذلك يا هاري؟".

هزّ هاري رأسه وبحث عن علبة لفائف تبغ، لكن عبثاً. عرف أنه

ربما يكون قد فقدها حين أوشك على السقوط.
"لا أعرفك يا ويلهلم، كما لا أعرف الآخرين أمثالك. لقد عملت مع القتلة خمس عشرة سنة ولا أزال لا أعرف إلا شيئاً واحداً فقط، وهو أنهم يبحثون عن شخص ما ليكشفوا أسرارهم له. هل تتذكر ما جعلتني أعد به في المسرح؟ أن أعثر على القاتل. حسناً، لقد وفيت بوعدتي، لذا لنعقد اتفاقاً. ستخبرني كيف فعلت ذلك، وسأخبرك عن الدليل الذي حصلنا عليه".

أمعن ويلهلم النظر إلى وجه هاري، ثم ربت يده على الفراش.
"أنت محق يا هاري، أريد أن أخبرك، أو لأكون أكثر دقة، أريدك أن تفهم. ومما أعرفه عنك، أظن أنك قد تستوعب. وكما تعلم كنت أتابع تقدمكم منذ بدأت هذه القضية".

ضحك ويلهلم حين رأى وجه هاري. "لم تكن تعرف، أليس كذلك؟".
قال ويلهلم: "استغرق العثور على سفن سيفرتسن وقتاً أطول مما ظننت. صنعت نسخة من الصورة التي أرسلت إلى ليزبيث وسافرت إلى براغ. تجوّلت في المقاهي والمشارب في موستك وبرلوفنا وأنا أعرض الصورة، وأسأل الناس إن كانوا يعرفون نرويجياً يدعى سفن سيفرتسن، ولكن من دون طائل. بدا واضحاً أن بعضهم يعرف أكثر مما يود الإفصاح عنه. لذا، بعد عدّة أيام بدّلت تكتيكاتي، وبدأت أسأل عن شخص يمكن أن يجلب لي ألباسات حمراء. كنت أعرف أنه يمكن أن أحصل على بعضها في براغ، وانتحلت هوية جامع ألباس دانهركي اسمه بيتر ساندمان، وأوضحت أنني على استعداد لدفع مبلغ جيد مقابل ألباسة خاصة صُقلت على شكل نجم خماسي الرؤوس. أخبرت الجميع عن مكان إقامتي، وبعد يومين رنّ الهاتف في غرفتي، وعرفت أنه هو حين سمعت صوته. غيّرت صوتي وتكلمت بالإنكليزية، وأخبرته أنني أجري مفاوضات من أجل الحصول على ألباسة أخرى، وسألته إن كنت أستطيع الاتصال به لاحقاً في ذلك المساء. وسألته إن كان لديه رقم يمكنني أن أتوثق من الاتصال به عبره. أدركت أنه يحاول ألا يبدو مهتماً، وفكرت كم سيكون سهلاً أن ألتقيه في شارع خلفي معتم في ذلك المساء. لكنني تحكّمت بنفسني كما ينبغي لصياد أن يفعل حين تصبح الفريسة في مرمى بصره، إذ يجب أن أتحبّب اللحظة المناسبة. هل تفهم؟".

أوماً هاري ببطء. "أفهم".

"زودني برقم هاتفه الخلوي. عدت في اليوم التالي إلى أوصلو، واستغرق

العثور على ما أحتاج إليه عن سفن سيفرتسن أسبوعاً. كان العثور عليه أسهل شيء، فلم يكن هناك غير تسعة وعشرين سفن سيفرتسن في السجل الوطني. ولا أحد منهم عمره ملائم، وواحد فقط من دون عنوان ثابت في النرويج. سجّلت آخر عنوان معروف له، وحصلت على رقم الهاتف من الاستعلامات واتصلت به.

"ردّت سيدة عجوز على الهاتف، وقالت إن سفن ابنها، لكنه لم يعد يعيش في المنزل منذ عدة سنوات. أخبرتها أنني وعدداً من الأشخاص الآخرين زملاء دراسة قدامى، ونحاول أن نجتمع معاً في لمّ شمل سنوي. فقالت لي حينها إنه يعيش في براغ، لكنه يسافر كثيراً وليس لديه عنوان أو رقم هاتف ثابت، لكن الأهم كما قالت أنّه لن يكون مهتماً كثيراً بلقاء أيّ من زملاء صفه القدامى. سألتني عن اسمي، فقلت لها إنني بقيت في صفه ستة شهور فقط، لذا يخامرني شك في أن يتذكر اسمي، وإذا تذكّر، فسيكون هذا على الأرجح لأنني أوقعت نفسي في مشكلة مع الشرطة في ذلك الوقت. وسألتها إن كانت الإشاعة بأن سفن واجه أمراً مماثلاً صحيحة أيضاً. عندها، أضحت نبرة والدته حادة قليلاً، وقالت إن ذلك حدث منذ وقت طويل، وليس غريباً أن يصبح سفن متمرداً قليلاً عند الأخذ بالحسبان الطريقة التي عاملناه بها. اعتذرت نيابة عن الرفاق جميعاً، ووضعت السماعة في مكانها ثم اتصلت بدار القضاء، وقلت إنني صحفي وسألت إن كان بمقدورهم إبلاغي بالأحكام التي صدرت بحق سفن سيفرتسن. بعد ساعة، أصبحت لديّ فكرة جيدة عمّا كان سفن يفعل في براغ؛ تهريب الألماس والأسلحة. بدأت خطة تتكوّن في ذهني، بناءً على ما عرفته عنه: كسبه ماله من التهريب، والألماسات ذات الرؤوس الخمسة، والأسلحة، وعنوان والدته. هل بدأت ترى الروابط الآن؟".

لم يُجب هاري.

"عندما اتصلت بسفن سيفرتسن للمرة التالية، كانت ثلاثة أسابيع قد انقضت على رحلتي إلى براغ. تكلمت بالنرويجية وبصوتي العادي، وتطرقت إلى لب الموضوع فوراً، وأخبرته أنني أبحث عن شخص بإمكانه أن يتدبّر لي أسلحة وألماسات لوقت طويل، وأنني لا أريد أي وسطاء بيننا. قلت إنني أظن أنني قد وجدت شخصاً: سفن سيفرتسن. سألتني عن كيفية حصولي على اسمه ورقمه، فأجبتّه بأنّ تكتّمي يمكن أن يفيدّه أيضاً. واقترحت ألا نطرح على بعضنا أي أسئلة أخرى غير ضرورية. لم يلق ذلك قبولاً حسناً لديه، وكاد الحديث يتوقف بيننا، حتى ذكرت مبلغ المال الذي

كنت مستعداً لدفعه مسبقاً مقابل البضائع، وقلت له إنني مستعد لوضعه في حساب مصرفي سويسري إن فضل ذلك. تبادلنا أطراف الحديث، وسألني إن كان المبلغ بالكرون، فأجبتُه بدهشة وقلت إننا نتكلم طبعاً عن اليورو. كنت أعرف أن المبلغ النقدي وحده سيبدد أي شكوك لديه بأنني ربما أكون شرطياً. لا تحتاج إلى مطرقة ثقيلة لتحطم جوزة مثل سيفرتسن. قال إنه يمكن ترتيب كل شيء، وأخبرته أنني سأعاود الاتصال به بعد وقت قصير. عندما كانت تمارين سيدتي اللطيفة في أوجها، وضعت اللمسات النهائية على خطتي. هل يفني هذا بالعرض يا هاري؟".

هزَّ هاري رأسه وهو لا يزال يسمع صوت المياه في الحمام. إلى متى تنوي البقاء هناك؟
"أريد التفاصيل".

قال ويلهلم: "إنها في معظمها معلومات تقنية، ألن تكون مملة؟".
"ليس لي".

"حسناً. كان أول شيء يجب أن أفعله هو أن أمنح سفن سيفرتسن شخصية. فأهم شيء ينبغي أن تفعله حين تقدّم شخصية إلى الجمهور هو أن تعرض ما يحفّز؛ أمنيات الشخصية وأحلامها الداخلية. باختصار، ما الذي يجعل هذا الشخص يتصرّف بتلك الطريقة. قرّرت أن أقدمه كقاتل من دون أي حافز منطقي، لكن مع حاجة جنسية ترافقها بعض الطقوس؛ إنّه أمر مبتذل قليلاً ربما، لكن العامل الأساسي أن يبدو اختيار كل الضحايا باستثناء والدة سيفرتسن عشوائياً. قرأت عن قتلة متسلسلين، ووجدت بعض التفاصيل الممتعة التي قرّرت استخدامها. مثلاً، التعلّق المرضي بالوالدة، واختيار جاك السفّاح لمواقع الجرائم التي اعتبرها المحققون شيفرة. لذا ذهبت إلى مركز تخطيط المدينة حيث اشترت خريطة تفصيلية لوسط أوصلو. وعندما عدت إلى المنزل، رسمت خطأً من مبنى شققتنا في سانرغاتا إلى حيث تعيش والدة سفن سيفرتسن، ثم رسمت من ذلك الخط الوحيد نجماً خماسياً دقيقاً، ووجدت العناوين الأقرب إلى أطراف رؤوس النجم الأخرى. وأعترف أن ذلك جعل الأدرينالين يتدفق في جسدي حين وضعت رأس قلم الرصاص على الخريطة وعرفت أنه يعيش هناك - هناك تماماً - شخص قد حدّد مصيره في تلك اللحظة.

كانت الأسئلة الأولى التي فكرت فيها هي: من قد يكون أولئك الأشخاص الذين يعيشون هناك؟ وكيف يبدو مظهر كلّ منهم؟ وكيف هي حياته حتى الآن؟ ولكنني سرعان ما نسيت ذلك. لم يكونوا مهمين بالنسبة

إلي؛ كانوا المشهد، الإضافات، الأجزاء غير الناطقة".

"مواد بناء".

"عذراً؟".

"لا شيء، تابع".

"عرفت أن الألباسات الحمراء وأسلحة الجرائم ستفقد إلى سفن سيفرتسن حين يُعتقل. ولتقوية وهم حالات القتل تلك نثرت بعض الأدلة: الأصابع المبتورة، خمسة أيام بين كل عملية قتل وأخرى، الساعة الخامسة، الطابق الخامس".

ابتسم ويلهلم.

"لم أرغب في أن أجعل الأمر سهلاً جداً، ولا صعباً جداً أيضاً، وأردت القليل من المرح. تتوافق المآسي الجيدة دائماً مع القليل من الدعابة يا هاري".

أجبر هاري نفسه على أن يجلس ساكناً تماماً. "استلمت المسدس الأول قبل بضعة أيام من قتل ماريوس فيلاند، أليس كذلك؟".
"نعم. كان المسدس في سلة المهملات في متنزه فروغز كما اتفقنا".
سحب هاري نفساً عميقاً ثم سأله: "وكيف كان ذلك يا ويلهلم؟ كيف يبدو القتل؟".

دفع ويلهلم شفته السفلية إلى الأمام، وبدا أنه يفكر في السؤال.
"إنهم محقون، أقصد الأشخاص الذين يقولون إن المرة الأولى هي الأكثر صعوبة. تسللت إلى المبنى الطلابي من دون مشكلة، لكن إغلاق الكيس المطاطي الذي وضعته فيه باستخدام مشعل حراري استغرق وقتاً أطول مما تخيلت. وعلى الرغم من أنني أمضيت نصف عمري وأنا أرفع راقصات باليه نرويجيات مكتنزات، إلا أن حمل الفتى إلى العلية كان عملاً صعباً".
ساد الصمت لفترة، ثم تنحى هاري سائلاً: "وبعد ذلك؟".

"بعد ذلك ذهبت على متن دراجة إلى متنزه فروغز لأجلب المسدس الثاني والألماسة الثانية. أثبت سفن سيفرتسن أنه دقيق في مواعيده وجشع كما تخيلت. كانت فكرة وضعه في متنزه فروغز في أثناء إقراره كل جريمة لمسة جيدة، ألا تظن هذا؟ بالمحصلة، كان هو نفسه يرتكب جريمة، لذا سيتوخى الحذر كي لا يعرفه أحد، وسيتوثق من ألا يعرف أحد مكانه في ذلك الوقت. توثقت ببساطة من عدم وجود حجة غياب لديه".

قال هاري: "أحسن". ومرر إصبعه على حاجبيه الرطبين.

شعر أن هناك رطوبة وبخاراً في كل مكان؛ وكأن الماء ينزُّ من

الجدران، ومن السقف، ومن الشرفة؛ ثم هناك المياه في الحمام.
"لكنني اكتشفت بنفسني كل ما أخبرني به حتى الآن يا ويلهلم.
أخبرني شيئاً لا أعرفه، أخبرني شيئاً عن زوجتك، ماذا فعلت بها؟ رأتك
الجارتان على الشرفة بين الفينة والأخرى، لذا كيف تمكّنت من إخراجها من
الشقة وإخفائها قبل مجيئنا؟".

ابتسم ويلهلم.

قال هاري: "أنت لا تقول شيئاً".

"حتى تحافظ أيّ مسرحية على هالتها، يجب على المؤلف الامتناع عن
شرح الكثير".

تنهّد هاري.

"لا بأس. لكن، كن لطيفاً وشرح لي هذا. لماذا جعلت الأمر بالغ
التعقيد؟ لماذا لم تقتل سفن سيفرتسن ببساطة؟ فقد سنحت لك الفرصة في
براغ. ألم يكن ذلك أقل إزعاجاً وأكثر أماناً من قتل ثلاثة أشخاص أبرياء
إضافة إلى زوجتك؟".

"أولاً، كنت بحاجة إلى كبش فداء. فلو اختفت ليزبيث ولم تُخلق
القضية مطلقاً، لظنّ الجميع أنني الفاعل؛ لأنّ الزوج هو دائماً من يفعل
ذلك، أليس كذلك يا هاري؟ لكنني فعلت هذا أساساً بتلك الطريقة؛ لأن
الحب عطش يا هاري، ويحتاج إلى ماء. إنه عطش إلى الانتقام. هذا تعبير
جيد، أليس كذلك؟ أنت تعرف ما أتكلّم عنه يا هاري. الموت ليس انتقاماً،
بل إنه تحرير، نهاية سعيدة. ما أردت أن أفعله بسفن سيفرتسن مأساة
حقيقية، معاناة من دون نهاية، وقد أنجزت هذا. لقد أصبح سفن
سيفرتسن أحد المعدّبين. فأنا لا أريد قتله فوراً وإثماً أرغب في رؤيته وهو
يتعدّب لفترة طويلة. هل هذا إغريقي جداً بالنسبة إليك؟ حكمت عليه
بالسجن المؤبد يا هاري، وسيمتلئ كراهية مثلي تماماً. إن الشعور بالكراهية
من دون أن تعرف من تكرهه تحديداً يجعلك تقلب الكراهية ضد نفسك،
فيصبح مصيرك بائساً. هذا ما يحدث حين يخونك من تحبّه، إذ تجلس
خلف باب موصل، وقد حُكم عليك نتيجة شيء تعرف جيداً أنك لم تقترفه.
هل يمكن أن تتخيل انتقاماً أشد مرارة يا هاري؟".

بحث هاري في جيوبه ليتوثق من أن الإزميل لا يزال هناك.

ضحك ويلهلم بصوتٍ خافتٍ، وما قاله بعد ذلك منح هاري شعوراً

بأنه شيء مألوف.

"لا داعي للإجابة يا هاري. يمكنني رؤية ذلك على وجهك".

أغمض هاري عينيه وأصغى إلى صوت ويلهلم وهو يقول:
"أنت لست مختلفاً عني، فالشغف هو ما يحفزك أيضاً. والشغف، مثل
الرغبة، يجد دائماً...".

"... المستوى الأدنى".

"المستوى الأدنى. أظن أنه حان دورك الآن يا هاري. ما الدليل الذي
كنت تتكلم عنه؟ هل هو شيء يجب أن أقلق بشأنه؟"
فتح هاري عينيه مجدداً وقال: "أولاً، يجب أن تخبرني أين هي يا
ويلهلم".

أطلق ويلهلم ضحكة خافتة ووضع يده على قلبه. "إنها هنا".
قال هاري: "أنت تهذر".

"إذا استطاع بغماليون أن يحب قلات؛ تمثال المرأة التي لم يلتقها
مطلقاً، فلماذا لا يمكنني أن أحب تمثال زوجتي؟".
"لا أفهمك يا ويلهلم".

"لست مضطراً إلى ذلك يا هاري. أعرف أنه لا يسهل على الآخرين
أن يفهموا".

في الصمت الذي تبع ذلك، تمكّن هاري من سماع الماء يسيل في
الحمام في الطابق الأرضي بكامل قوته. كيف يمكنه إخراج تلك المرأة من
الشقة من دون أن يفقد السيطرة على الوضع؟
امتزج صوت ويلهلم العميق بضوضاء مبهمة.
"كانت الغلطة أنني ظننت أنه يمكن إعادة التمثال إلى الحياة مجدداً،
لكن الإنسانية التي كان يُفترض بها أن تفعل ذلك رفضت أن تفهم، ولم
تدرك أن الوهم أقوى مما ندعوه الحقيقة".
"من التي تتكلم عنها الآن؟".

"الأخرى؛ قلات الحية، ليزبيث الجديدة. فقد ذعرت وهدّدت بإفساد
كل شيء. بتُّ أرى الآن أنني يجب أن أقنع بالعيش مع التمثال، لكن لا
بأس بهذا".

شعر هاري بشيء ما في طريقه إلى الأعلى؛ كان بارداً ويأتي من
معدته.

"هل تحسّست مرة تمثالاً يا هاري؟ يبدو ملمس جلد الشخص الميت
مثيراً جداً للاهتمام. فهو لا يكون دافئاً حقاً، ولا بارداً أيضاً".
داعب ويلهلم الفراش الأزرق.

شعر هاري أن البرد يجمّد أعضائه الداخلية؛ وكأن شخصاً ما قد حقنه

بماء جليديّ. أحس بحنجرته تضيق حين قال: "تعرف أنك انتهيت، أليس كذلك؟".

استلقى ويلهلم على السرير قائلاً: "لماذا يا هاري؟ أنا مجرد قاصّ يسرد على مسمعيك قصة. لا يمكنك إثبات شيء".
ومدّ يده نحو شيء ما على الطاولة بجانب السرير. رأى هاري لمعان شيء معدني فتوترت عضلاته. وحين رفعه ويلهلم في الهواء؛ أدرك أنه ساعة يد.

"الوقت متأخر يا هاري. هل نقول إن وقت الزيارة قد انتهى؟ لا يهم إن ذهبت قبل أن تُنهي استحمامها".
لم يتحرك هاري. "كان العثور على القاتل نصف الوعد الذي جعلتني أقطعك لك يا ويلهلم، أمّا النصف الثاني فهو أنني يجب أن أعاقبه بقسوة، وأظن أنك عنيت ذلك. إذ إنّ جزءاً منك يتوق إلى العقوبة، أليس هذا صحيحاً؟".

"لقد انتهى وقت فرويد يا هاري؛ مثل هذه الزيارة تماماً".
"ألا تريد أن تعرف ما هو الدليل أولاً؟".
تنهّد ويلهلم منزعجاً. "إذا كان هذا سيجعلك تغادر، فقل ما لديك بسرعة".

"كان يجب أن أعرف كل شيء حقاً حين تلقينا إصبع ليزبيث مع الخاتم الذهبي بالبريد. الإصبع الثالثة من اليد اليسرى، فينا أموريس. كانت المرأة التي أراد القاتل أن تحبه، لكن المفارقة أيضاً أن إصبعها نفسها هي التي كشفته".
"كشفته!".

"لأكون أكثر دقة، البراز تحت الظفر...".
"مع دمي، نعم، لكن هذه أبناء قديمة يا هاري، وقد شرحت لك أننا كنا نحب...".

"نعم. وعندما اكتشفنا ذلك، أخضعنا البراز للمزيد من التحليل. عادة لا يكشف هذا عن الكثير. إذ يستغرق الطعام الذي نأكله من اثنتي عشرة ساعة إلى أربع وعشرين لينتقل من الفم إلى المستقيم، وفي أثناء ذلك الوقت تحوّل المعدة والأمعاء ما تبقى من الطعام إلى فضلات لا يمكن تعرّفها. ويصبح صعباً حتى تحت المجهر تحديد ما قد تناوله شخص ما. ولكن، على الرغم من ذلك، لا تزال هناك بعض الأشياء التي تنتقل عبر الجهاز الهضمي على حالها؛ بذور العنب و -".

"هل يمكنك تجاوز المحاضرة يا هاري؟".
"بذور أخرى. وجدنا بذرتين، ولا شيء مميز في ذلك. ولكن، عندما أدركت من قد يكون القاتل، طلبت من المختبر فحص البذرتين مجدداً. وهل تعرف ما الذي توصلوا إليه؟".
"لا فكرة لدي".

"توجد بذرة شمرة كاملة".

"وماذا في ذلك؟".

"تحدثت إلى الطاهي في مقهى المسرح. كنت محققاً حين أخبرتني أنه المكان الوحيد في النرويج الذي يحضرون فيه خبز الشمرة ببذور كاملة، طعمه شهى مع -".

قال ويلهلم: "الرنكة، تعرف أنني آكل هناك. ما الذي ترمي إليه؟".
"قلت سابقاً إنك تناولت الرنكة على الفطور صباح الأربعاء الذي اختفت فيه ليزبيث في مقهى المسرح كالمعتاد، في وقت بين التاسعة والعاشر صباحاً. ما أتساءل عنه هو كيف وصلت البذرة من معدتك إلى تحت ظفر ليزبيث".

انتظر هاري ليتوثق من أن ويلهلم يستوعب كلامه.
"قلت إن ليزبيث غادرت الشقة عند الساعة الخامسة تقريباً، أي بعد نحو ثماني ساعات من تناولك الرنكة على الفطور. أفترض أن آخر شيء فعلتماه هو إقامة علاقة قبل خروجها وقد دسّت إصبعها هناك. بغض النظر عن كفاءة أمعائك، فهي لن تستطيع دفع بذرة الشمرة إلى مستقيمك في غضون ثماني ساعات. هذا مستحيل طبيياً".
لاحظ هاري اختلاجاً طفيفاً على وجه ويلهلم المشدوه حين لفظ كلمة مستحيل.

"لم يكن بمقدور بذرة الشمرة الوصول إلى المستقيم قبل الساعة التاسعة. لذا، لا بد أن إصبع ليزبيث دخلت هناك في وقت ما من المساء، أو الليل، أو اليوم التالي؛ وكلها أوقات بعد إبلاغك عن اختفائها. هل تفهم ما أقوله يا ويلهلم؟".

حدّق ويلهلم إلى هاري فيما كانت عيناه ثابتتين على نقطة أبعد

بكثير.

قال هاري: "هذا ما ندعوه دليلاً شرعياً".

أوماً ويلهلم ببطء وقال: "أفهم، دليل شرعي".

"نعم".

"أتعني حقيقة محددة لا تُدحض؟".

"هذا صحيح".

"يحب القضاة والمحلفون هذا النوع من الأشياء. إنه أفضل من الاعتراف، أليس كذلك يا هاري؟".

أوما الشرطي.

"إن ما يحصل بمثابة مسرحية هزلية يا هاري. ظننت أنها كلها هزلية، إذ يندفع الناس إلى المسرح ثم يخرجون منه مجدداً. توثقت من بقائنا على الشرفة حتى ترانا الجارتان المقيمتان قبالتنا قبل أن أطلب من ليزبيث المجيء إلى غرفة النوم معي حيث أخرجت مسدساً من صندوق الأدوات في حين حدقت - نعم، تماماً كما يحدث في مسرحية هزلية - بعينين مشدوهتين إلى الماسورة الطويلة التي تنتهي بكاتم صوت".

أخرج ويلهلم يده من تحت اللحاف، فحدق هاري إلى المسدس وإلى الكتلة السوداء التي تتصل بالماسورة، الموجهة آنذاك نحوه.

"اجلس يا هاري".

شعر هاري بالإزميل يخز جانبه حين جلس على الكرسي مجدداً.

"لقد أساءت فهمي بطريقة مضحكة جداً. كانت عدالة مثالية؛ أن أجعلها تفعل ذلك".

نهض ويلهلم عن السرير الذي تموج وقرقر خلفه.

"لكن جوهر أي مسرحية هزلية هو السرعة، لذا أرغمت على ترتيب نهاية عاجلة".

وقف عارياً أمام هاري ورفع المسدس.

"وضعت فوهة المسدس على جبينها، فعبست مندهشة كما كانت تفعل دائماً حين تظن أن العالم جائر أو محيرٍ ببساطة. حدث هذا في المساء الذي أخبرتها فيه عن بغماليون جورج برناردشو التي اقتبست منها مسرحيتي سيدتي اللطيفة. فيها، لم تتزوج إليزا دوليتل الأستاذ هيغينز؛ الرجل الذي درّبها وحوّلها من فتاة سوق إلى شابة تتقيد بأداب السلوك، وبدلاً من ذلك هربت مع فريدي الشاب. حينها، غضبت ليزبيث وقالت إن إليزا تدين بذلك للأستاذ، وإن فريدي شخص غبي لا أهمية له. هل تعرف ماذا فعلت يا هاري؟ بدأت أبكي".

همس هاري: "أنت مجنون".

قال ويلهلم بصوت أجش: "هذا واضح، فما فعلته وحشي. ليست هناك أي سيطرة يمكن أن تجدها لدى أشخاص تحفّزهم الكراهية. أنا مجرد رجل

بسيط تبع تعليمات قلبه. طبعاً نحن مجانين يا هاري، ومعتوهون، والأكثر جنوناً على سطح الأرض. عندما يقول الناس إن ما فعلته جنوني، وإن قلبي متحجر من الداخل، أقول: أي قلب هو الأكثر تحجراً؛ القلب الذي لا يتوقف عن الحب، أم ذاك الذي يُحَب ولا يمكن أن يبادل الآخرين الحب؟".

أطبق الصمت لوقت طويل، ثم تنحنح هاري قائلاً: "ثم أطلقت النار عليها؟".

أوماً ويلهلم ببطء، ثم قال والدهشة تبدو في صوته: "كان هناك نتوء صغير في جبينها، وثقب أسود صغير، كما يحدث حين تدق مسماراً في لوح معدني".

"ثم أخفيتها في المكان الوحيد الذي لن يستطيع كلب الشرطة العثور عليها فيه".

"كان الجو حاراً في الشقة". كان ويلهلم قد ثبت بصره على مكان ما فوق رأس هاري. "كانت هناك ذبابة تنز بجانب النافذة، وخلعت كل ثيابي حتى لا تتلطح بالدماء، ثم وضعت كل شيء بحرص في صندوق الأدوات. استخدمت الكماشة لبتز الإصبع الوسطى من يدها اليسرى، ثم نزعت عنها ملابسها، وأخرجت علبة رغوة السليكون وختمت بسرعة الثقب الذي أحدثته الرصاصة، والجرح في إصبعها، وكل الفتحات الأخرى في جسدها. كنت قد أخرجت بعض الماء من السرير في وقت سابق من ذلك اليوم، ولم يكن فيه إلا نصفه فقط، لذا لم أرق قطرة واحدة على الأرض حين أدخلتها من الشق الذي أحدثته في الفراش، ثم ختمته مجدداً بالغراء والمطاط باستخدام مشعل حراري. كانت النتيجة أفضل بكثير من المرة الأولى".

"وهي هنا منذ ذلك الوقت! مدفونة في سريرها المائي!".

قال ويلهلم، وهو لا يزال يحدّق بإمعان إلى موضع معين فوق رأس هاري: "لا، لا، لم أدفنها. بل على العكس، لقد أعدتها إلى الرحم؛ وكانت تلك بداية ولادتها الجديدة".

عرف هاري أنه يجب أن يكون خائفاً، وأن عدم شعوره بالخوف خطر آنذاك، وأن فمه ينبغي أن يكون جافاً وأن يخفق قلبه بقوة. كان ينبغي ألا يسمح لهذا الإرهاق بالتسلل إليه ببطء.

قال هاري: "ودفعت الإصبع المبتورة في شرجك".

قال ويلهلم: "همم، إنه مكان الإخفاء المثالي. فكما قلت، عرفت أنكم ستستخدمون كلاباً".

"هناك أماكن أخرى لن تفوح منها رائحة، لكن ربما منحك ذلك إثارة فاسدة؟ بالمناسبة، ماذا فعلت بإصبع كامبلا لوين؟ الإصبع التي بترتها قبل أن تقتلها".

"كامبلا، نعم...". أوما ويلهلم مبتسماً؛ وكأنها ذكرى جميلة قد أنعشها هاري. "سيبقى ذلك سرّاً بيني وبينها يا هاري".
حرّر ويلهلم قفل الأمان، فبلغ هاري لعبه.
"أعطني المسدس يا ويلهلم، لقد انتهى كل شيء، ولا فائدة من هذا".
"طبعاً هناك فائدة".

"وماذا قد تكون؟".

"كما هي دائماً يا هاري. يجب أن تكون للمسرحية نهاية لائقة. أنت لا تظن أن الجمهور سيسعد باختفائي بهدوء، أليس كذلك؟ نحتاج إلى نهاية رائعة يا هاري، نهاية سعيدة. وإذا لم تكن النهاية السعيدة، فسأبتكر واحدة، وهذا...".

همس هاري: "شعارك في الحياة".

ابتسم ويلهلم، ووضع المسدس على صدغ هاري. "كنت سأقول، شعاري في الموت".

أغمض هاري عينيه. كان كل ما يريده أن ينام، وأن يُحمل إلى نهر تتدفق مياهه ببطء، ويُنقل إلى الطرف الآخر.
انتفضت راكيل وفتحت عينيه بسرعة. كانت تحلم بهاري، وهما على متن مركب.

كانت غرفة النوم مظلمة. هل سمعت شيئاً ما؟ هل حدث شيء ما؟
أرهفت السمع إلى المطر الذي يهطل غزيراً على السطح. توثقت -
لتشعر بالأمان - من أن هاتفها الخليوي الذي وضعت على الطاولة بجانب السرير يعمل؛ في حال اتصل.

أغمضت عينيه، واسترسلت في أفكارها.

كان هاري قد فقد إحساسه بالوقت. وعندما فتح عينيه، تكوّن لديه انطباع بأنّ الضوء مختلف في الغرفة الخاوية، ولم تكن لديه فكرة إن كانت الفترة الزمنية التي انقضت ثانية أم دقيقة واحدة.

رأى السرير خالياً، ولم يعد ويلهلم موجوداً في الغرفة. عاد صوت الماء؛ المطر، والماء في الحمام. كافح هاري ليقف على قدميه، وحدّق إلى الفراش الأزرق، فشاهد بفضل الضوء المنبعث من المصباح الموضوع على الطاولة بجانب السرير خطوط جسد بشري داخل السرير المائي، وقد طفا الوجه إلى

أعلى وكون شكلاً مثل قالب جص.
غادر غرفة النوم، ورأى باب الشرفة مفتوحاً على مصراعيه. ألقى نظرة
من فوق الدرابزين وإلى الأسفل نحو الساحة، ثم خلف آثار أقدام رطبة
على السلام البيضاء حين نزل إلى الطابق الأدنى. فتح باب الحمام، فرأى
ظل جسد امرأة خلف ستارة الحمام الرمادية التي سرعان ما سحبها هاري
إلى الجانب. وجد عنق تويها هارانغ مائلاً نحو شلال الماء، وذقنها يكاد
يلامس صدرها، وهناك جورب أسود مربوط حول رقبتها وفي أعلى صنوبر
الدُّش، وعيناها مغمضتان، وقطرات الماء تسيل من أهدابها السوداء الطويلة،
فيما فمها مفتوح قليلاً ومملوء بكتلة صفراء تبدو مثل رغوة قاسية، والمادة
نفسها تملأ منخريها وأذنيها والثقب الصغير في صدغها.
أغلق الصنوبر قبل أن يغادر. لم يكن هناك أحد على السلام.
وضع هاري بحرص قدمه أمام الأخرى. شعر بخدر؛ وكأن جسده
يتحوّل إلى حجر.

بيارني مولر. يجب أن يتصل ببيارني مولر.
عبر هاري ردهة المدخل ووصل إلى الساحة. هطل المطر على رأسه،
لكنه لم يشعر به. لم يعد منشئ الغسيل الدوّار يصرُّ آنذاك، وتفادى النظر
إليه. ملح علبة صفراء على الإسفلت فتوجّه نحوها، وفتحها، وأخرج منها
لفافة تبغ وضعها بين شفثيه. حاول إشعالها بقذّاحته لكنه اكتشف أن
طرف لفاقة التبغ رطب، وأدرك أن الماء قد دخل جيبه.
اتصل ببيارني مولر، اجعلهم يأتون إلى هنا، اذهب مع مولر إلى المنزل
الطلائي، استجوب سفن سيفرتسن هناك، سجّل إفادته ضد توم والر فوراً،
أصغ إلى مولر وهو يصدر أمراً باعتقال المفتش والر، ثم اذهب إلى المنزل؛
بيت راكيل.

شاهد منشئ الغسيل الدوّار في رؤيته المحيطية.
أطلق شتيمه، وقسم لفاقة التبغ إلى نصفين، ثم وضع المرشح بين
شفثيه وأشعل ما تبقى من لفاقة التبغ في محاولة ثانية. لماذا يشعر
بإرهاق شديد؟ لم يبقَ هناك شيء ليفعله، وقد اكتمل الأمر؛ انتهى.
استدار نحو منشئ الغسيل الدوّار، فرأى أنه قد مال قليلاً إلى الجانب،
لكن بدا واضحاً أن القاعدة المثبتة في الإسفلت قد تحمّلت الصدمة، وأن
أحد الأسلاك التي كان ويلهلم بارلي معلقاً عليها قد انكسر فقط. تدلّت
ذراعه من كلا الجانبين، والتصق شعره الرطب بوجهه، واتجهت عيناه نحو
الأعلى وكأنه يدعو. خطر لهاري أنه منظر جميل على نحو غريب؛ فقد بدا

بجسده العاري المغطى جزئياً بملاءة رطبة شبيهاً بتمثال مثبت في مقدمة سفينة شراعية. لقد حصل ويلهلم على ما أراد؛ نهاية رائعة.

أمسك هاري هاتفه الخلوي وضغط رقم التعريف الشخصي، وبالكاد أطاعته أصابعه، وشعر أنها ستتحول قريباً إلى حجارة. طلب رقم بياري مولر، وكان على وشك أن يضغط زر الاتصال حين صدر عن الهاتف صوت تحذير. أظهرت الشاشة أن هناك رسالة في بريده الصوتي. ماذا في ذلك؟ لم يكن هذا هاتفه على أي حال. تردّد، وأخبرته فطرته أنه يجب أن يتصل بمولر أولاً، غير أنه أغمض عينيه، وضغط.

أعلنت امرأة أن لديه رسالة واحدة. سمع طينياً تبعه صمت لبضع ثوانٍ، ثم همس صوت قائلاً: "مرحباً يا هاري، هذا أنا". كان توم والر.

"لقد أوقفت هاتفك عن العمل يا هاري. لم يكن هذا تصرفاً حكيماً، لأنني يجب أن أتكلم معك كما تعرف". كان فم توم قريباً جداً من لاقط الصوت ممّا جعل هاري يشعر أنه واقف بجانبه.

"أعتذر على الهمس، لكننا لا نريد إيقاظه. هل يمكن أن تخمّن أين أنا؟ أظن أنك ربما تستطيع ذلك، وربما كان يجب عليك أن تتوقع". مجّ هاري من لفافة تبغ من دون أن يدرك أنها قد انطفأت. "المكان معتم قليلاً هنا، لكن توجد صورة فريق كرة قدم فوق السرير. لزر، توتنهايم هوتسبر؟ يوجد جهاز صغير على الطاولة بجانب السرير؛ غيم بوي. اسمع الآن، أنا أحمل الهاتف فوق سريره".

سمع أنفاساً هادئة منتظمة لفتى صغير نائم بصمت في منزل مغطى بألواح خشبية سوداء في هولمنكولفن.

"عيوننا وآذاننا في كل مكان يا هاري، لذا لا تحاول أن تتصل بأحد أو تكلم أحداً. افعل ما أقوله بالضبط، اتصل بهذا الرقم وتكلم معي. وإذا فعلت أي شيء آخر فسيموت الفتى، هل تفهم؟".

بدأ قلب هاري يضح الدم في أنحاء جسده المشلول، واستبدل بالخدر ألمٌ لا يُطاق تقريباً؛ ببطء.

الفصل الثاني والأربعون:

الاثنين. النجم الخماسي

همست ماسحتا الزجاج الأمامي وهستت العجلات.
تجاوزت الإسكورت التقاطع، وقاد هاري بأقصى سرعة يجرؤ عليها، لكن
المطر كان يهطل مثل القضبان على الإسفلت أمامه، وعرف أن المطاط
الباقي من العجلات بهدف التجميل فقط.
زاد السرعة وتجاوز التقاطع التالي فيما كانت الإشارة صفراء. ولحسن
الحظ، لم تكن هناك سيارات في الشوارع. اختلس نظرة إلى ساعته.
لم تبق إلا اثنتا عشرة دقيقة، وقد انقضت ثماني دقائق منذ أن كان
واقفاً في الساحة المركزية في سانرغاتا، وهو يحمل الجهاز الخلوي ويتصل
بالرقم الذي أرغم على طلبه. ثماني دقائق منذ أن همس الصوت في أذنه:
"أخيراً".

قال هاري كل ما أراد قوله، لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من
إضافة: "إذا وضعت يدك عليه، فسأقتلك".
"حسناً، حسناً. أين أنت وسيفرتسن؟".

كان هاري قد قال من حيث يقف عند منشر الغسيل الدوّار: "لا
فكرة لديّ. ماذا تريد؟".

"أريد فقط أن ألتقيك، وأكتشف لماذا تريد خرق الاتفاق الذي أبرمناه،
وأعرف إن كنت تعيساً بشأن شيء ما يمكننا تصحيحه. لم يفت الأوان بعد
يا هاري، ولا يزال بمقدوري التدخل لضمك إلى الفريق".
قال هاري: "لا بأس، لنلتق، سآتي إليك".

أطلق توم والر ضحكة خافتة وقال:
"أريد لقاء سفن سيفرتسن أيضاً، وأظنها فكرة أفضل إن جئت أنا
إليك، لذا زودني بالعنوان، الآن".
تردّد هاري.

"هل سمعت يوماً الصوت حين تقطع حنجرة شخص ما يا هاري؟ أولاً
تسمع صريراً؛ حين يقطع الفولاذ الجلد والغضروف، ثم أزيزاً مثل ماصة
لللعاب عند طبيب الأسنان عندما تشقّ القصبه الهوائية".
"المبنى الطلاي، الغرفة رقم 406".

"يا للهول! مسرح الجريمة؟ كان يجب أن أفكر في هذا".
"كان يجب أن تفكر".

"لا بأس. لكن، إذا كنت تفكر في الاتصال بأحد أو إعداد فخ فانس

الأمر يا هاري. سأحضر الفتى معي".

"لا! لا تفعل... توم... أرجوك".

"أرجوك! هل قلت أرجوك؟".

لم يُجب هاري.

"لقد رفعتك من البالوعة ومنحتك فرصة، قطعنتني في ظهري، أرجوك! ليست غلطتي أنني مضطر إلى فعل ما سأفعله، إنها غلطتك. تذكر هذا يا هاري".

"اسمع -".

"بعد عشرين دقيقة. اترك الباب مفتوحاً واجلسا على الأرضية حيث يمكنني رؤية أيديكما على رأسيكما".

"توم!".

كان والر قد أنهى المكالمة.

ضرب هاري على المقود بعنف، وشعر بأن العجلات تنزلق. بدا له للحظة أنه والسيارة يتأرجحان في حلم؛ حيث كل قوانين الفيزياء معطّلة. استمر ذلك ثانية واحدة فقط، لكنها كانت كافية كي ينتاب هاري إحساس بأن كل شيء قد انتهى، وأن الأوان قد فات على فعل أي شيء، ثم استعاد سيطرته على المقود واسترد رشده.

انحرفت السيارة خارج المبنى الطلابي وتوقفت أمام باب المخرج. أوقف هاري عمل المحرك، ولم تبقى إلا تسع دقائق. خرج ومشى حول السيارة، ثم فتح الصندوق الخلفي، ورمى قوارير نصف فارغة من سائل غسل الزجاج وخرقاً متسخة خارجه، وأمسك شريطاً لاصقاً أسود. عندما صعد على السلم أخرج المسدس من حزام سرواله، وفكّ كاتم الصوت. لم يتوثق من السلاح، ولكنه افترض أن مسدساً تشيكياً سيتحمّل السقوط من ارتفاع 15 متراً عن شرفة السطح. توقف خارج باب المصعد في الطابق الرابع، وكان المقبض كما يتذكره: فهو معدني مع غطاء خشبي متين في طرفه، وكبير كفاية لإخفاء مسدس من دون كاتم صوت إن ثبتّ واحداً بواسطة شريط لاصق في الداخل. وضع السلاح وثبته بقطعتين من الشريط اللاصق. إذا جرت الأمور كما خطط لها منذ البداية، فسيحتاج إليه. صرّت المفصلات حين فتح غطاء فتحة رمي المهملات بجانب المصعد، لكن كاتم الصوت سقط في العتمة من دون إصدار أي صوت. بقيت أربع دقائق.

فتح باب الغرفة 406. سمع قعقعة حديد على مشعاع التدفئة.

"هل هناك أخبار جيدة؟". كانت نبرة سفن متوسلة تقريباً. شم هاري

رائحة أنفاسه السيئة حين فكّ الأصفاد.

قال هاري: "لا".

"لا!".

"إنه قادم مع أوليغ".

* * *

جلس هاري وسفن على الأرضية في الرواق منتظرين.

قال سفن: "لقد تأخر".

"نعم".

صمت.

قال سفن: "أغاني إيغي بوب المختلفة، ابدأ أنت".

"توقف عن هذا".

"فتاة صينية".

"ليس الآن".

"هذا مفيد، حلوى".

"صرخة حب".

"فتاة صينية".

"لقد ذكرتها سابقاً يا سيفرتسن".

"هناك نسختان".

"ميدالية باردة".

"هل أنت خائف يا هاري؟".

"خائف حتى الموت".

"أنا أيضاً".

"جيد، هذا يزيد احتمالات نجاتنا".

"إلى أي حد؟ عشرة في المئة؟ عشرون...".

"صه".

همس سيفرتسن: "هل هذا صوت المصعد...؟".

"إنه في طريقه صعوداً. اسحب أنفاساً عميقة وبطيئة".

سمعا المصعد يتوقف مصدراً صريراً خافتاً. انقضت ثانيتان، ثم سُمعت

قعقعة الباب الشبكي. أخبر صرير طويل وخافت هاري أن مولر يفتح باب

المصعد بحذر. سمعا همهمة خافتة، وصوت غطاء فتحة رمي المهملات وهو

يُفتح. ألقى سفن نظرة مستفسرة على هاري.

همس هاري: "ارفع يديك حتى يستطيع رؤيتهما".

قعقت الأصفاد حين رفعا أيديهما بحركة متزامنة واحدة، ثم فُتح الباب الأمامي الزجاجي المؤدي إلى الرواق. كان أوليغ منتعلاً خُفيه المنزليين، ومرتدياً سترة فضفاضة فوق ثياب نومه، وتوالت صور إلى ذهن هاري: الرواق، ثياب النوم، صوت الخُفين، أمه، المستشفى.

كان توم والر يمشي خلف أوليغ مباشرة، واضعاً يديه في جيبي سترته القصيرة، لكن هاري استطاع رؤية فوهة المسدس تضغط على الجلد الأسود. قال والر حين أصبحت المسافة بينهما وبين هاري وسفن خمسة أمتار: "توقف".

حدّق أوليغ إلى هاري بعينين حمراوين تحيط بهما هالتان سوداوان. نظر هاري إليه بما تمّنى أن تكون نظرة حازمة مطمئنة. "لماذا أنتما مقيّدان معاً أيها الفتّيان؟ هل كبرتما متلازمين؟" تردّد صدى صوت والر بحدّة في الرواق، وأدرك هاري أنه قد راجع اللائحة التي وضعها معاً قبل أن تبدأ العملية كلها واكتشف ما يعرفه هو آنذاك؛ لم يكن هناك أحد في الطابق الرابع. قال هاري: "لقد توصلنا إلى استنتاج أننا كلينا نجلس في المركب نفسه".

"ولماذا لم تجلسا داخل الغرفة كما طلبت منك؟".
تأكّد والر أن أوليغ واقف بينهما.
سأل هاري: "ولماذا تريد منا الجلوس في الداخل؟".
"لا يجب أن تطرح أسئلة الآن يا هول. ادخلا الغرفة، الآن".
"آسف يا توم".

قلب هاري اليد التي لم تكن مقيدة مع يد سفن، وشاهد الجميع مفتاحين بين أصابعه؛ مفتاح بييل، ومفتاحاً آخر أصغر حجماً. قال: "إنهما للغرفة والأصفاد". فتح هاري فمه على اتساعه، ثم وضع المفتاحين على لسانه وأغلق فمه، وغمز أوليغ وبلع. فغر توم والر فمه غير مصدّق حين ارتفعت تفاحة آدم لدى هاري وانخفضت.

لهث هاري قائلاً: "يجب أن تغير الخطة يا توم".
"وأي خطة تلك؟".

وضع هاري ساقيه تحته، ودفع نفسه إلى الوراء، مُسنداً ظهره إلى الجدار في ما يشبه وضعية الوقوف تقريباً. أخرج والر يده من جيب

سرتة، ووجه المسدس إلى هاري. كثر هاري وربت على صدره مرتين قبل أن يتكلم.

"تذكر، لقد تبعتك بضع سنين الآن يا توم، وقد عرفت القليل عن سلوكك شيئاً فشيئاً؛ كيف قتلت سفير أولسن في غرفته في منزله وجعلت الأمر يبدو دفاعاً عن النفس، وكيف فعلت الشيء نفسه تلك المرة بجانب مستودعات الميناء. لذا، أخمن أن خطتك كانت أن تطلق النار على كلينا - أنا وسيفرتسن - في الغرفة، ثم تجعل الأمر يبدو وكأنني قد أطلقت النار عليه ثم انتحرت. ستختفي من مسرح الجريمة وستترك الزملاء يعثرون عليّ، وربما ستصلهم معلومة من مجهول مفادها أن شخصاً ما قد سمع أصوات إطلاق نار تصدر من المبنى الطلاي؟".

ألقى توم والر نظرة نافذة الصبر على طول الرواق.
تابع هاري: "وسيكون التفسير واضحاً، أليس كذلك؟ في النهاية، أصبح الوضع لا يُطاق بالنسبة إلى هاري هول؛ الشرطي المضطرب نفسياً والمدمن على الشراب. فقد هجرته حبيبته، وطُرد من سلك الشرطة، واختطف سجيناً. غضب مدمر للذات انتهى بكارثة، مأساة شخصية، أمر مبهم تقريباً؛ لكن تقريباً فقط. ألم يكن هذا ما فكّرت فيه؟".

ارتسم على وجه والر ما يشبه الابتسامة.
"هذا ليس سيئاً، لكنك نسيت الجزء الخاص بك؛ شخص أضناه الحزن بعد أن رفضته حبيبته، لذا قاد سيارته إلى منزل حبيبته السابقة في منتصف الليل، وتسلسل إلى منزلها، واختطف ابنها الذي سيُعثَر عليه ميتاً بجانبك".

رگز هاري على التنفس على نحو طبيعي.
"هل تظن حقاً أنهم سيصدّقون هذه القصة؟ مولر؟ رئيس كركيوس؟ وسائل الإعلام؟".

قال والر: "طبعاً. ألا تقرأ الصحف؟ ألا تشاهد التلفاز؟ ستُذاع هذه القصة عدّة أيام، أو أسبوعاً على الأكثر؛ إن لم يحدث شيء آخر في تلك الأثناء، شيء مثير حقاً".

لم يُجب هاري.
ابتسم والر. "الشيء الوحيد المثير هنا هو أنك ظننت أنني لن أجدك".
"هل أنت واثق بشأن هذا؟".

"بشأن ماذا؟".

"أنني لم أعرف أنك ستجد طريقك إلى هنا".

"لو كان هذا صحيحاً وكنت مكانك لوّيت الأدبار مسرعاً. فلا مهرب الآن يا هاري".

قال هاري وهو يضع يده في جيب سترته: "هذا صحيح".
رفع والر مسدسه، فيما أخرج هاري علبة رطبة من لفائف التبغ.
"أنا جالس في فخ. والسؤال هو: لمن هذا الفخ؟". أخرج لفافة تبغ من العلبة.

ضاقت عينا والر وهو يسأله: "ماذا تعني؟".

قال هاري وهو يقسم لفافة التبغ إلى نصفين ويضع المرشح بين شفتيه: "حسناً، العطلات الوطنية متعبة، أليس كذلك؟ إذ لا يكون هناك أبداً أشخاص مناوبون كفاية لوضع الأمور في سياقها الصحيح، لذا يتأخر كل شيء؛ مثل تثبيت آلات تصوير في مبنى الطلاب للمراقبة أو نزعها مجدداً".
لاحظ هاري اختلافاً طفيفاً في جفن زميله، فأشار بإبهامه إلى فوق كتفه. "انظر إلى الأعلى، في الزاوية اليمنى يا توم، هل تراها؟".

انتقل بصر والر إلى حيث أشار هاري ثم عاد نحوه مجدداً.
"كما قلت، أعرف ما يجعلك تتك يا والر. عرفت أنك ستجدنا هنا عاجلاً أم آجلاً. كان يجب أن أجعل الأمر صعباً كفاية حتى لا تدرك أنك تقع في فخ. صباح الأحد، أجريت حديثاً مطوّلاً مع شخص تعرفه، كان جالساً في حافله منذ ذلك الوقت بانتظار تسجيل هذا المشهد. لوّح لأوتو تانغن".

"أنت تحاول خداعي يا هاري. أعرف تانغن، ولم يكن ليجرؤ مطلقاً على فعل شيء مماثل".

"قلت له إنه بمقدوره الحصول على كل حقوق بيع التسجيل. فكّر في هذا يا توم. تسجيل مواجهة كبيرة من بطولة القاتل المزعوم، والمحقق المجنون، ومفتش الشرطة الفاسد. ستصطف شركات التلفاز في كل أرجاء العالم لتحصل عليه".

تقدم هاري خطوة إلى الأمام.

"ربما يجب أن تعطيني المسدس الآن قبل أن تجعل الأمور أسوأ مما هي عليه أساساً يا توم".

همس والر: "ابق مكانك يا هاري". ورأى هاري ماسورة المسدس تتحوّل إلى ظهر أوليخ، فتوقف. لم تعد عينا توم والر تطرفان آنذاك، وصارت عضلات فكّه تتحرك بقوة من شدة التركيز. لم يتحرك أحد لفترة، وأطبق سكون تام على المبنى حتى ظنّ هاري أن بمقدوره سماع صوت

الجدران؛ ذبذبة طويلة الموجة غير مسموعة تقريباً تتعرّفها الأذن على أنها تغييرات صغيرة في ضغط الهواء. انقضت عشر ثوانٍ والجدران تغني، عشر ثوانٍ لا تنتهي لم يطرف فيها جفن والر. كان أويستن قد أخبر هاري مرة عن مقدار البيانات التي يمكن للدماغ البشري معالجتها في ثانية واحدة. لم يستطع أن يتذكر الرقم، لكن أويستن شرح أن هذا يبدو كما لو أن إنساناً يستطيع إلقاء نظرة على محتويات مكتبة بلدة عادية في عشر من تلك الثواني.

طرفت عينا والر أخيراً، ولاحظ هاري نوعاً من الهدوء ينتابه. لم يعرف ما يعنيه ذلك، لكن بدا له على الأرجح أن هناك نتائج سيئة. قال والر: "المثير للاهتمام في قضايا الجرائم هو أنك بريء حتى تثبت إدانتك. وحالياً، لا أرى كيف يمكن لأي آلات تصوير هنا أن تسجّل أنني قمت بشيء غير قانوني".

ذهب إلى هاري وسفن وشدّ الأصفاد بقوة جعلت سفن يقف على قدميه. فتشّهما والر بتمريره يده الحرّة على سترتيهما وسرواليهما، في حين راقبت عيناه هاري.

"على العكس، أنا أقوم بعملية بوصفي شرطياً فحسب، وأعتقل شرطياً اختطف سجيناً من مبنى الاحتجاز".

قال هاي: "لقد اعترفت للتو أمام آلة تصوير".
ابتسم والر وردّ قائلاً: "أمامك، نعم. كما أتذكر لا تسجّل هذه الآلات إلا الصور، إنها لا تسجّل الصوت. هذا اعتقال عادي. ابدأ بالتحرك نحو المصعد".

قال هاري: "ماذا عن اختطاف فتى في العاشرة من عمره؟ لقد سجّل تانغن صوراً لك وأنت تشهر مسدساً على الصبي؟".

قال والر، وهو يدفع هاري بقوة جعلته يترنّح إلى الأمام ويجرّ سفن معه: "آه! واضح أنه استيقظ في منتصف الليل وذهب إلى المخفر من دون أن يقول شيئاً لوالدته. لقد فعل هذا من قبل، أليس كذلك؟ لنقل فقط إنني التقيت الفتى في الخارج حين كنت في طريقي للعثور عليك أنت وسفن. كان الفتى يشعر بأن شيئاً ما سيحدث، وعندما شرحت له الموقف قال إنه يريد المساعدة. في الواقع، هو الذي اقترح أن أستخدمه رهينة حتى لا تفعل شيئاً غيباً وتتأذى يا هاري".

تأوه هاري: "فتى عمره عشر سنوات! هل تظن حقاً أن أحداً سيصدّق هذا؟".

قال والر: "سنرى. لا بأس. تحرّكوا جميعاً، سنخرج من هنا ونتوقف أمام المصعد. أول شخص سيحاول القيام بشيء ما سيحظى بالرخصة الأولى". ذهب والر إلى المصعد وضغط على الزر، وسمعوا صوت قعقعة يخرج من أعماق الفجوة.

"غريب هذا الهدوء في مبنى الطلاب في أثناء العطلات، أليس كذلك؟". ابتسم لسفن وتابع: "مثل منزل تسكنه الأشباح". "توقف يا توم".

كان على هاري أن يرکز ليلفظ الكلمات، وبدا فمه مملوءاً رملًا. "فات الأوان، ويجب أن تعرف أن لا أحد سيصدقك". قال والر وهو يختلس نظرة على المسئلة المائلة في أثناء دورانها ببطء مثل بوصلة، خلف الغطاء الزجاجي: "بدأت تكرّر كلامك يا زميلي العزيز. سيصدقونني يا هاري، لسبب بسيط...". ومرّر إصبعاً على شفته العليا، ثم تابع: "... لا أحد يمكنه نقض ما سأقوله".

عرف هاري الخطة آنذاك. لا توجد آلة تصوير في المصعد، وسيحدث الأمر فيه. لم يعرف كيف فكّر والر في شرح ما سيحدث بعد ذلك - اندلع شجار وأمسك هاري المسدس - لكن، لم يخامر أي شك؛ سيموتون جميعاً في المصعد.

شرع أوليخ يقول: "أبي...".

قال هاري محاولاً أن يبتسم: "سيكون كل شيء بخير يا بني".

قال والر: "نعم، سيكون كل شيء بخير".

سمعوا طقطقة وصوت معدن، وعرفوا أن المصعد يقترب. نظر هاري إلى المقبض الخشبي على باب المصعد. كان قد أخفى المسدس بطريقة تتيح له وضع يده حول مقبضه، وإصبعه على الزناد، وإطلاق النار منه في حركة واحدة.

توقف المصعد أمامهم بصوت مكتوم وتمايل قليلاً.

سحب هاري شهيقاً عميقاً، ثم مدّ يده فأطبقت أصابعه حول السطح الخشبي المائل وتحتته. توقّع أن يشعر بالفولاذ البارد والقاسي على أطراف أنامله، ولكن، لا شيء، لا شيء على الإطلاق، المزيد من الخشب وقطعة من الشريط اللاصق.

تنهّد توم والر قائلاً: "أخشى أنني رميته في فتحة المهملات يا هاري.

هل كنت تظن حقاً أنني لن أبحث عن أسلحة مثبتة في مكان مثل هذا؟".

فتح والر الباب الحديدي بإحدى يديه، في حين أشار بالمسدس إليهم.
"الفتى سيدخل أولاً".

تفادى هاري النظر إلى أوليغ حين رفع الأخير بصره إليه، إذ لم يكن بمقدوره أن ينظر إلى عيني أوليغ المستفسرتين اللتين تبحثان عن المزيد من الطمأنينة. وبدلاً من ذلك، أوماً هاري صامتاً نحو الباب، فدخل أوليغ ووقف في مؤخر المصعد. سقط ضوء خافت من السقف على الجدران البنية المصنوعة من خشب الورد المقلد، وشاهدوا مجموعة من إعلانات الحب، والشعارات، والتحيّات منقوشة على الجدران.

كانت عبارة "تباً لك" منقوشة فوق رأس أوليغ.

كان المصعد حجرة دفن كما ظن هاري؛ كان مدفناً.

وضع يده الحرّة داخل جيب سترته، وكما قد أظهر من قبل، لم يكن يحب المصاعد. شدّ هاري يده اليسرى، وجعلت الحركة المفاجئة سفن يصطدم بوالر الذي استدار نحو سفن، فيما رفع هاري يده اليمنى فوق رأسه. سدّد مثل مصارع ثيران يحمل سيفاً ويعرف أنه لن يحظى إلا بطعنة واحدة فقط، وأن الدقّة أكثر أهمية من القوة. أنزل يده إلى الأسفل.

مزّق طرف الإزميل السترة الجلدية بصوتٍ حاد، وانغرس الطرف المعدني في النسيج الطري فوق عظمة الترقوة اليمنى، فثقب الوريد الوداجي واخترق شبكة الأعصاب في العضد وشلّ العصبونات المسؤولة عن تحريك الذراع. سمعوا قعقعة حين ارتطم المسدس بالأرضية الحجرية ثم تدرج على السلام. نظر والر نحو الأسفل، إلى كتفه اليمنى مندهشاً، ورأى تحت المقبض الأخضر الصغير البارز ذراعه تتدلّى رخوة إلى جانبه.

كان يوماً طويلاً وسيئاً بالنسبة إلى توم والر. وقد بدأ يسوء حين استيقظ من نومه وأبلغ أن هاري قد أخرج سيفرتسن ووليا الأدبار. واستمر على تلك الحال حين ثبت أن العثور على هاري أصعب بكثير مما قد توفّع. كان توم قد شرح للآخرين في المجموعة أن عليهم الاستفادة من الفتى، لكنهم رفضوا؛ بسبب المجازفة الكبيرة كما قالوا. عرف دائماً في أعماق قلبه أن عليه أن يقطع الخطوات القليلة الأخيرة بمفرده؛ فالأمر دائماً على تلك الحال. لم يكن أحد يستطيع إيقافه أو مساعدته، والإخلاص مسألة تتعلق بمقدار ما يستحقه شيء ما، والإحسان يبدأ في المنزل، واستمرت الحال تزداد سوءاً. لم يعد بمقدوره أن يشعر بذراعه آنذاك، والشيء الوحيد الذي أحس به هو ذلك الوشل الدافئ على صدره الذي جعله يدرك أن

الكثير من الدم يسيل من عضو قد تمزق.
استدار نحو هاري مجدداً، في الوقت المناسب ليرى حجم وجهه وهو
يكبر. وفي اللحظة التالية، امتلأ رأسه بصوت طنين حين ضربت جمجمة
هاري القوية جسر أنفه. وجّه له هاري لكمة بيده اليمنى، لكن والر
استطاع الابتعاد عن طريقها. لاحقه هاري، لكن ذراع سفن سيفرتسن
اليسرى جذبته إلى الخلف. تنفّس توم من فمه بقوة حين شعر بالألم
يطلق غضباً أعمى داخله، ويُعيد الحياة إلى عروقه، فاستعاد توازنه وكل
أحاسيسه. قدّر المسافة، واتخذ وضعية الجثو، ثم ركل بقدمه واستدار حول
نفسه على قدم واحدة في حين رفع الأخرى عالياً. كانت حركة لولبية
مثالية أصابت هاري على صدغه، فسقط جانبياً وجرّ سفن سيفرتسن معه
إلى الأسفل.

استدار توم وبحث عن المسدس، فرآه على فسحة الدرج تحتهم،
فأمسك بالدرازين وقفز، ووصل إلى الأسفل في وثبتين. غير أنّ ذراعه اليمنى
لم تطعه، فأطلق شتيمة، وأمسك المسدس بيده اليسرى وأسرع عائداً.
ولكن، كان هاري وسفن قد اختفيا حينها.

استدار في الوقت المناسب ليرى باب المصعد وهو يُغلق. أطبق على
المسدس بأسنانه، وأمسك مقبض الباب بقوة بيده اليسرى وشدّه إليه، وشعر
بأن ذراعه ستخرج من مكانها؛ إذ كان الباب موصداً. وضع توم وجهه على
النافذة الدائرية في الباب، ورأى أنهم قد أغلقوا الباب الشبكي وسمع
الأصوات المبتهجة في الداخل.

إنّه يوم سيئ تماماً، ولكنه سينتهي الآن، وسيكون الوضع مثالياً. رفع
توم مسدسه.

لاهنأ، استند هاري إلى الجدار الخلفي وانتظر تحرك المصعد. كان قد
استطاع آنذاك إغلاق الباب الشبكي وضغط زر القبو حين بدأ الباب يهتز
وسمعوا والر يشتم على الطرف الآخر.

قال سفن: "المصعد اللعين لن يتحرك!". كان قد جثا على ركبتيه

بجانب هاري، فيما اهتز المصعد من دون أن يتحرك.

"إذا كان المصعد اللعين بطيئاً جداً، فمن الممكن أن يجري نزولاً على
السلام ثم يقول لنا حين نصل إلى هناك: أهلاً بعودتكم!".

تمتم هاري: "تباً له! الباب بين المدخل والقبو موصد".

رأى هاري ظلاً يتحرك بسرعة قرب النافذة الدائرية، فصرخ وهو يدفع
أوليغ نحو الباب الشبكي: "احذرا!".

كان الصوت مثل فلينة سُحبت من قارورة شراب حين شقَّت الرصاصة طريقها إلى لوح خشب الورد الزائف فوق رأس هاري، فدفَع سِفِن نحو أوليغ.

في تلك اللحظة، اهتز المصعد مجدداً، وأصدر صريراً قوياً، ثم بدأ يتحرك.

همس سِفِن: "تبا".

شرع أوليغ بالقول: "هاري...".

غير أنهم سمعوا شيئاً يتحطّم، وملح هاري قبضة مشدودة تمتد من بين قضبان الباب وفوق رأس أوليغ قبل أن يغمض عينيه فطرياً حين تساقطت شظايا الزجاج عليه.

"هاري!"

اخترقت صرخة أوليغ هاري؛ عبر أذنيه، وأنفه، وفمه، وحجرته، وشعر أنه يغرق بها. عندها، فتح هاري عينيه مجدداً، ونظر إلى عيني أوليغ المشدوهتين مباشرة، وإلى فمه الفاجر الملتوي أماً وذعراً، وشعره الأسود الطويل الذي تمسك به يد بيضاء كبيرة. كان أوليغ يرتفع عن الأرضية.

"هاري!"

أُصيب هاري بالعمى، ففتح عينيه على اتساعهما، لكنه لم يرَ شيئاً باستثناء ملاءة بيضاء من الرعب. وتمكّن من سماع شيء؛ صوت شقيقته وهي تصرخ.

"هاري!"

سمع إيلين تصرخ، وراكيل تصرخ. كان الجميع يصيحون باسمه.

"هاري!"

حدّق إلى الخواء الأبيض فيما كان يتحوّل ببطء إلى أسود. هل مات؟ خفتت الصرخات؛ مثل صدى يتلاشى ببطء ويطوف بعيداً. كانوا محقين، فهو لا يكون أبداً حيث يحتاجون إليه، ويتوثق من أنه في مكان آخر؛ فإمّا أنه يحزم حقيبته، أو يفتح قارورة شراب، أو يوصد الباب، أو يُصاب بالخوف، أو يصبح أعمى. كانوا دائماً محقين، وإذا لم يكن ذلك صحيحاً سابقاً، فسيصبح الآن حقيقة واقعية.

"أي!"

ركلته قدم في صدره، فأصبح بمقدوره أن يرى مجدداً. كان أوليغ يتدلى أمامه، وساقاه تركلان في الهواء، ويد والر تمسك رأسه بإحكام، لكن المصعد قد توقف. رأى السبب فوراً؛ إذ لم يعد الباب الشبكي موصداً تماماً. نظر

هاري إلى سفن الذي كان جالساً على الأرضية بجانبه وبصره ثابت في نظرة متجمّدة.

تناهى إليه صوت والر من الخارج: "هاري، اجعل المصعد يرتفع وإلا فسأطلق النار على الفتى".

نهض هاري ثم انخفض مجدداً فوراً. كان قد رأى ما يحتاج إلى رؤيته؛ الباب في الطابق الرابع أعلى من المصعد بنصف متر. قال هاري: "إذا أطلقت النار من هناك، فسيسجّل تانغن الجريمة على الفيلم".

سمع ضحكة والر العميقة وهو يقول: "أخبرني يا هاري، إذا كانت فروسيتك هذه موجودة حقاً، ألم يكن ينبغي أن تظهر قبل الآن؟".
أن أوليغ: "أبي...".

أغمض هاري عينيه. "اسمع يا توم، لن يتحرك المصعد إن لم يُخلق الباب الشبكي جيداً. وذراعك بين القضبان، لذا من الأفضل أن تترك أوليغ لنعيدته إلى مكانه".

ضحك والر مجدداً. "هل تظن أنني غبي يا هاري؟ يجب تحريك الباب الشبكي بضعة سنتيمترات فقط. ويمكنك فعل هذا من دون أن أفلت الصبي".

نظر هاري إلى سفن، لكنه لم يتلق إلا نظرة مرتبكة وشاردة. قال هاري: "لا بأس. ولكنني مقيد بالأصفاد، لذا سأحتاج إلى مساعدة سفن، ويبدو في هذه اللحظة أنه خائف جداً".

صرخ والر: "سفن، هل تسمع؟".

بالكاد رفع سفن رأسه.

"هل تتذكر لودين يا سفن؟ سلفك في براغ؟".

بلع سفن لعابه، فيما تابع والر قائلاً:

"وقع رأسه في مخرطة يا سفن. هل تحب أن تجرّب ذلك؟".

وقف سفن على قدميه مترنحاً، فأمسك هاري ياقته وشده إليه.

تحدّث مع الوجه الشاحب والذاهل فيما كان يضع يده في جيبه الخلفي ويخرج مفتاحاً: "هل تعرف ما يجب أن تفعله يا سفن؟ تأكد من أن يبقى الباب الشبكي في مكانه. هل تسمع؟ أمسك به بإحكام حين نبدأ".
أشار هاري إلى أحد الأزرار السوداء الدائرية على اللوحة.

حدّق سفن إلى هاري بإمعان حين وضع هذا الأخير المفتاح في قفل

الأصفاد وأداره، ثم أوماً.

صرخ هاري: "لا بأس، نحن مستعدان. سنحكم إغلاق الباب الشبكي".
وقف سفن مديراً ظهره إلى الباب الشبكي، ثم أمسكه بكلتا يديه
ودفعه إلى اليمين. تأوه والر حين سُحِبَت ذراعه بالاتجاه نفسه، وسمعوا
طقة خافتة حين التقت نقطتا الاتصال على الأرضية والباب الشبكي.
صرخ هاري: "إليك!".

انتظرا قليلاً، ثم مشى هاري خطوة في المصعد ونظر إلى الأعلى.
حدّقت إليه من الشق الصغير بين النافذة الدائرية وكتف والر عينان؛
إحداهما عين والر المتسعة والغاضبة، والأخرى عين المسدس العمياء السوداء.
قال والر: "أعيدا المصعد إلى الأعلى".
قال هاري: "إذا تركت الفتى".
"هذا اتفاق".

أوماً هاري ببطء، ثم ضغط على الزر.
"كنت أعرف أنك ستفعل الصواب في النهاية يا هاري".
قال هاري: "المرء يفعل هذا عادة".
رأى هاري أحد حاجبي والر يرتفع فجأة؛ ربما لأنه اكتشف آنذاك أن
الأصفاة تتدلى من معصم هاري، وربما بسبب شيء في نبرة هاري، أو ربما
لأنه شعر أن الأوان قد فات.
سمعوا صرخة تنذر بالسوء حين اهتز المصعد وبدأ يتحرك. وفي اللحظة
نفسها، تقدم هاري بسرعة خطوة إلى الأمام، وتناول على أطراف أصابع
قدميه. كانت هناك طقة خافتة حين أُغْلِقَت الأصفاة حول معصم والر.
شرع والر بالقول: "اللعنة -".

شدّت الأصفاة كلا المعصمين حين سحب هول بوزنه البالغ 95
كيلوغراماً والر إلى الأسفل. حاول والر أن يتحمّل الجهد، لكن ذراعه كانت
تُسحب عبر النافذة حتى سدّتها كتفه.
يوم سيئ.

صرخ توم حين اندفع ذقنه باتجاه الباب الحديدي ولامسه: "اتركني،
بالله عليك!". وحاول أن يسحب ذراعه، لكنه شعر بثقل كبير، فجأراً غاضباً،
وضرب بمسدسه على الباب الحديدي. لم يكن من المفترض أن يكون الأمر
هكذا. إنهم يفسدون كل شيء. لقد دمّروا قلعة الرمل، وجعلوا الرمال
تتناثر، وها هم يقفون عليها ضاحكين. ولكنهم سيرون ما سيحصل لهم يوماً
ما. لاحظ في تلك اللحظة أن القضبان تلامس أسفل ذراعه، وأن المصعد
يتحرك، ولكن في الاتجاه الخطأ؛ إلى الأسفل. شعر بغصة في حلقه حين

أدرك ما يجري، وأنه سيُسحق، بعد أن تحول المصعد إلى مقصلة بطيئة الحركة. وهو أيضاً سيلقى مصيره.

صرخ هاري: "أمسك الباب الشبكي بإحكام يا سفن!".
ترك توم أوليغ، وحاول أن يسحب ذراعه، لكن هاري كان ثقيلاً جداً.
دُعر توم، وقام بمحاولة يائسة ثانية لتحرير نفسه، ثم الثالثة. غير أن قدميه
انزلقتا على الأرضية الرطبة، وشعر بسقف المصعد يضغط على كتفه،
وهجرته كل الأفكار.

"لا تفعل هذا يا هاري، توقف".
قصد أن يصرخ، لكن النشيج أخمد كلماته.
"الرحمة...".

الفصل الثالث والأربعون:

ليلة الاثنين. رولكس

تك، تك، تك.

جلس هاري مصغياً إلى العقرب الثاني في أثناء تحرّكه، وعيناه مغمضتان، وهو يحسب الوقت بدقّة. فكّر أن الوقت يجب أن يكون دقيقاً جداً؛ لأن التّكّة تصدر من ساعة رولكس ذهبية.

تك، تك، تك.

إذا كان قد عدّ على نحو صحيح، فلا بد أنه جالس في المصعد منذ ربع ساعة آنذاك؛ خمس عشرة دقيقة، تسعمئة ثانية منذ أن ضغط على زر الإيقاف بين الطابق الأرضي والقبو وأعلن أنهم بأمان ويجب أن ينتظروا. جلسوا تسعمئة ثانية صامتين؛ وكأن الطير على رؤوسهم. كانوا يصغون بتركيز متوقعين سماع وقع خطوات، وأصوات، وأبواب تُفتح وتُغلق، في حين عدّ هاري الدقائق، وعيناه مغمضتان؛ إنها تسعمئة تكّة تصدر من ساعة رولكس ملتفة حول معصم ذراع مغطاة بالدم وملقاة على أرضية المصعد، ولا تزال معلّقة بأصفاده.

تك، تك، تك.

فتح هاري عينيه، وفكّ قفل الأصفاد، وتساءل عن كيفية تمكّنه من فتح صندوق السيارة بعد أن بلع المفتاح.

همس وهو يهزُّ برفق كتف الفتى النائم: "أوليغ، أريد منك أن

تساعدني".

وقف أوليغ على قدميه.

سأل سفن ناظراً إلى أوليغ الواقف على كتفي هاري لكي ينزع

مصباحي النيون من سقف المصعد: "ما الفائدة؟".

قال هاري: "خذه منه".

مدّ سفن يده إلى أوليغ وأمسك أحد مصباحي النيون.

قال هاري: "أولاً، حتى تعتاد عيناك على الظلام قبل أن أخرج إلى

القبو. ثانياً، حتى لا نقف هنا في ضوء يومض حين يُفتح باب المصعد".

"والر! في القبو!". كان صوت سفن متشككاً تماماً. "هيا، لا يمكن لأحد

أن ينجو من ذلك".

وأشار بمصباح النيون إلى الذراع الشاحبة التي تشبه الشمع الموجودة

على أرضية المصعد.

"تخيّل مقدار الدماء التي نزلها، والصدمة".

قال هاري: "أحاول أن أتوقع كل الاحتمالات".
بعد ذلك غرق المصعد في الظلام.
تك، تك، تك.

خرج هاري من المصعد، وتحرك بسرعة إلى الجانب، وجثا أرضاً. سمع الباب يُغلق خلفه بهدوء، وانتظر حتى سمع المصعد يتحرك مجدداً. كان الاتفاق أن يوقفا المصعد بين القبو والطابق الأرضي حيث سيكونان بأمان. أرهف هاري السمع وقد حبس أنفاسه. وحين وقف، رأى ضوءاً خافتاً يشع عبر نافذة باب في الطرف الآخر من القبو، وتبين أشكال أثاث وخزائن ثياب قديمة، ورأى أطراف مزاليج خلف شبكة من الأسلاك. تلمس هاري طريقه على طول الجدار، ووجد باباً ففتحه وشم رائحة نفايات كريهة، وعرف أنه قد وصل إلى المكان المنشود. داس على أكياس قمامة ممزقة، وقشور بيض، وعلب حليب فارغة فيما كان يتحسس طريقه بين النفايات المتعقنة. وجد المسدس بجانب الجدار، وإحدى قطعتي الشريط اللاصق لا تزال معلقة به، وتوثق من أن مشط المسدس مذخراً قبل أن يخرج مجدداً.

تحرك جاثياً نحو الباب حيث يدخل الضوء.
وعندما اقترب كفاية، رأى الشكل الداكن مستنداً إلى النافذة؛ إنه وجهه. جلس هاري تلقائياً على ردفه قبل أن يدرك أن ذاك الشخص لا يستطيع رؤيته في الظلام. رفع المسدس أمامه بكلتا يديه وزحف خطوتين إلى الأمام، فشاهد الوجه ملتصقاً بالزجاج بقوة؛ حتى لم يعد تمييز ملامحه أمراً ممكناً. صوب هاري المسدس باتجاه الوجه ونظر عبر العدسة المكبرة، فاكتشف أنه توم. كانت عينا توم المذهولتان تحدقان إلى شيء ما خلفه في الظلام. خفق قلب هاري بقوة، ولم يعد بمقدوره تثبيت مسدسه باتجاه الهدف. انتظر، ومرت الثواني وانقضت، ولم يحدث أي شيء، ثم أخفض مسدسه ووقف مشدود القامة.

ذهب إلى النافذة، ونظر إلى عيني توم المذهولتين اللتين تبدوان مثل شريطين أبيضين ضاربين إلى الزرقة، ثم استدار إلى الخلف، وحاول أن يخترق الظلام ببصره. أياً يكن ما حدق توم إليه، فهو لم يعد موجوداً الآن. وقف هاري ساكناً، وهو يشعر بقلبه يخفق بقوة. تك، تك، تك. لم يعرف تماماً ما يعنيه ذلك، باستثناء أنه حي؛ لأن الرجل الموجود في الطرف الآخر ميت، ويمكنه أن يفتح الباب، ويضع يده على جلد ذلك الرجل ويشعر بحرارة جسده تغادره، ويحس بطبيعة الجلد تتغير.

أسند هاري جبينه على جبين توم والر، فأحرق زجاج النافذة البارد
الذي يفصل بينهما جلده مثل الجليد.

ketab4pdf.blogspot.com

الفصل الرابع والأربعون:

ليلة الاثنين. التمتمة

انتظروا عند إشارة المرور الحمراء في ساحة ألكسندر كيلاندز.
تحركت ماسحتا الزجاج الأمامي يساراً ويميناً. ستبزع أولى أشعة الفجر
بعد ساعة ونصف، لكن الليل كان لا يزال مخيماً، والغيوم تمتد مثل قطعة
قماش رمادية وسوداء فوق البلدة.

جلس هاري على المقعد الخلفي وقد وضع ذراعه حول أوليغ.
اقتربت منهما امرأة ورجل وهما يترتحان على الرصيف الخالي في بوابة
والدمار ثرينز.

كانت ساعة قد انقضت منذ أن خرج هاري وسفن وأوليغ من
المصعد، نحو المطر والأرض الصلبة. وجدوا شجرة بتولا عالية كان هاري قد
رآها من نافذة غرفة ماريوس، ورموا أنفسهم على العشب الجاف. من
هناك، اتصل هاري أولاً بمكتب محرري داجبلاديت وتكلم مع الصحفي
المناوب، ثم اتصل ببيارني مولر وأخبره عما حدث، وطلب منه البحث عن
أويستن إيكيلاند. وأخيراً، اتصل براكيل وأيقظها. بعد عشرين دقيقة، أُنيرت
المنطقة أمام المبنى الطلاي بوميض آلات التصوير والأضواء الزرقاء، وظهرت
الصحافة والشرطة معاً؛ كما هي الحال دائماً.

كان هاري وأوليغ وسفن جالسين تحت شجرة البتولا وهم يراقبون
رجال الشرطة والصحفيين يدخلون المبنى الطلاي ويخرجون منه بسرعة، ثم
أطفأ هاري لفافة تبغ.

قال سفن: "حسناً".

قال هاري: "شخصية".

أوما سفن وقال: "نسيت تلك".

مشوا بعد ذلك بهدوء باتجاه الساحة، فأسرع بيارني مولر إليهم

ودفعهم جميعاً إلى إحدى سيارات الشرطة.

ذهبوا أولاً إلى مقر قيادة الشرطة ليستجوبهم المحققون، أو ليستخلصوا
المعلومات منهم كما قال مولر. وعندما اقتيد سفن إلى الحجز، أصرَّ هاري
على أن يقف شرطيان حارسان خارج زنزانتة لمدة 24 ساعة في اليوم. سأل
مولر المندھش إلى حدِّ ما هاري إن كان يظن أن خطر هروبه كبير،
فأجاب هاري بهزة من رأسه، فامتثل مولر لرغبته من دون أن ينبس
بكلمة أخرى.

اتصلوا بعد ذلك بالشرطة العادية، وطلبوا سيارة دورية لتقلَّ أوليغ إلى

منزله.

عكّرت ضوضاء الطنين المترافقة مع أضواء إشارات المرور سكون هواء الليل حين اجتاز ثنائي بوابة يولاندر. بدا واضحاً أن المرأة قد استعارت سترة الرجل ووضعتها فوق رأسها، فيما قميص الرجل ملتصق بجسده وهو يضحك بصوت عال. ظنّ هاري أنهما يبدوان مألوفين. تغير الضوء إلى الأخضر.

لمح شعراً أحمر يظهر من تحت سترة المرأة قبل أن يختفي الثنائي عن الأنظار.

وعندما تجاوزا فينדרن، توقف هطول المطر فجأة، ومثل ستائر على خشبة مسرح، انقشعت الغيوم وسقط ضوء القمر عليهما من سماء سوداء فوق مضيق أوسلو البحري.

قال مولر وهو يستدير إلى الخلف على مقعد الراكب الأمامي ويتسم: "أخيراً".

افترض هاري أنه يشير إلى المطر فأجاب من دون أن يشيح بصره عن القمر: "أخيراً".

قال مولر، وهو يربت على ركبة الصبي: "أنت فتى شجاع جداً". ابتسم أوليخ بفتور ورفع بصره إلى هاري.

استدار مولر مجدداً وأبقى عينيه على الطريق أمامه قائلاً: "لقد اختفى ألم معدتي، تلاشى تماماً".

كانوا قد عثروا على أويستن إيكلاندر في المكان نفسه الذي أخذوا سفن سيفرتسن إليه؛ في مبنى الاحتجاز. ووفقاً لأوراق غروث "الحزين"، أحضر توم والر أويستن بشبهة قيادته سيارة الأجرة وهو ثمل، وقد أظهرت عينة الدم التي سُحبت منه في الحقيقة أثراً للكحول. وعندما أمر مولر بإطلاق سراح أويستن وإيقاف كل الإجراءات ضده، لم تكن لدى غروث "الحزين" على نحو مفاجئ أي اعتراضات، وإنما على العكس بدا لطيفاً على غير العادة. كانت راكيل واقفة في المدخل حين توقفت سيارة الشرطة على الدرب أمام منزلها.

مال هاري فوق أوليخ وفتح الباب، فقفز أوليخ إلى الخارج وركض نحو راكيل.

بقي مولر وهاري في السيارة، وشاهدا الاثنين وهما يعانقان بعضهما بصمت على الدرجات.

رنّ هاتف مولر الخلوي فرفعه إلى أذنه قائلاً: "نعم" مرتين و"حسناً"

مرة، ثم أنهى المكالمة.

"كانت تلك بتي. لقد وجدوا كيساً مملوءاً بمعدّات درّاج في سلة المهملات في الساحة أمام منزل بارلي".
"جيد".

قال مولر: "سيكون الوضع صعباً، وسيربون في إجراء أحاديث معك يا هاري. أكرسغاتا، أن - أر - كيه، القناة 2، الصحافة الأجنبية أيضاً. تخيل فحسب أنهم قد سمعوا عن القاتل المتسلسل في إسبانيا. حسناً، لقد فعلت كل تلك الأشياء من قبل، لذا تعرف كيف تجري الأمور".
"سأنجو".

"أفترض أنك ستفعل. لقد حصلنا على تسجيل لما حدث في المبنى الطلابي في الليلة الماضية أيضاً. أتساءل فقط كيف استطاع تانغن تشغيل المسجّل في حافلته بعد ظهر الأحد، ثم نسي إطفاءه وسافر على متن قطار إلى منزله في هونفس".
أمعن مولر النظر إلى وجه هاري، لكن هذا الأخير لم يظهر عليه أي انفعال.

"والأهم من هذا، أنه كان قد مسح القرص الصلب آنذاك، ما منحه مساحة كافية لتسجيل مدته عدّة أيام. يا لها من ضربة حظ! إنّه أمرٌ لا يُصدّق في الواقع، ويمكن أن تظن تقريباً أنه مخطط له مسبقاً".
تمتم هاري: "تقريباً".

"سيكون هناك تحقيق داخلي، وقد اتصلت بسلطة تحقيق الشرطة المستقلة SEFO وأبلغت عن نشاطات والر. نحن لا نغفل احتمال أن تكون لهذه القضية عواقب على السلك. سأعقد أول اجتماع معهم غداً، وسنصل إلى لب الموضوع يا هاري".
رائع أيها المدير".

"رائع؟ لا تبدو مقتنعاً تماماً".

"حسناً، هل أنت مقتنع؟".

"ولماذا لا أكون كذلك؟".

"لأن المرء لا يعرف بمن يمكنه أن يثق؛ حتى أنت".
طرفت عينا مولر، لكنه فشل في الحصول على جواب منه. ألقى هاري نظرة على الشرطي الجالس خلف المقود وقال:
"هل يمكنك أن تنتظر قليلاً؟".

خرج هاري من السيارة، فتركت راكيل أوليغ الذي سرعان ما اختفى

داخل المنزل، وشبكت ذراعيها أمام صدرها، وثبتت بصرها على قميصه حين وقف أمامها.

قالت: "أنت مبتل".

"حسنًا، عندما يهطل المطر...".

"... أبتل". ابتسمت بحزن ووضعت راحة يدها على وجنته.

همست: "هل انتهى الأمر الآن؟".

"انتهى حاليًا".

أغمضت عينيها ومالت إلى الأمام، فأمسكها بذراعيه.

قال: "سيتدبر أمره".

"أعرف. قال إنه لم يكن خائفًا، لأنك كنت معه".

"جيد".

"كيف حالك؟".

"بخير".

"وهل هذا صحيح؟ هل انتهى كل شيء؟".

"انتهى". تتم هاري في شعرها. "إنه آخر يوم لي في العمل".

قالت: "جيد".

شعر بجسدها يقترب منه ويملاً كل الفراغات الصغيرة بينهما.

"سأبدأ العمل الجديد في الأسبوع القادم. سيكون هذا جيدًا".

سألت وهي تضع يدها على عنقه: "أهو العمل الذي أمّنه لك

صديقك؟".

"نعم". ملأت رائحتها أنفه. "أويستن، هل تتذكرين أويستن؟".

"سائق سيارة الأجرة؟".

"نعم. إن امتحان قيادة سائق سيارة الأجرة يوم الثلاثاء. لقد كنت

أحفظ أسماء الشوارع في أوصلو كل يوم".

ضحكت وقبّلته.

سألها: "ما رأيك؟".

"أظن أنك مجنون".

داعبت ضحكتها أذنيه، ومسح دمعة عن وجنتها.

قال: "يجب أن أذهب الآن".

حاولت أن تبتسم، لكن هاري أدرك أنها لن تستطيع فعل ذلك.

تمتت قبل أن يخنق النشيج صوتها: "لن أستطيع".

قال هاري: "بل ستفعلين".

"لا يمكنني العيش... من دونك".
قال هاري وهو يشدّها إليه: "هذا غير صحيح. يمكنك أن تتدبّري أمرك جيداً من دوني. ولكنّ السؤال هو: هل يمكنك أن تتدبّري أمرك معي؟".

همست: "هل هذا ما أظن أنك تسألني عنه؟".
"أعرف أنك يجب أن تفكّري فيه جيداً".
"أنت لا تعرف شيئاً".
"فكّري أولاً يا راكيل".
أعادت رأسها إلى الخلف، فيما أحاط خصرها بيديه، وأمعنت النظر إلى وجهه باحثة عن تغييرات؛ كما ظن هاري.
"لا تذهب يا هاري".

"لديّ اجتماع. إذا أحببت، فسآتي غداً في الصباح الباكر. يمكننا...".
"ماذا؟".

"لا أدري، ليست لديّ خطط، أو أفكار. هل يبدو هذا جيداً؟".
ابتسمت. "يبدو هذا ممتازاً".
نظر إلى شفيتها متردداً، ثم قبلها وغادر.
سأل الشرطي الجالس خلف المقود وهو ينظر إلى المرأة: "هنا؟! أليس المكان مغلقاً؟".

قال هاري: "إنه يفتح أبوابه من الثانية عشرة وحتى الثالثة من بعد منتصف الليل في أيام العمل".

توقف السائق قرب الرصيف خارج بوكسر.
"هل ستأتي أيضاً أيها المدير؟".
هزّ مولر رأسه قائلاً: "يريد أن يتكلم معك بمفرده".
كانت الخدمة قد توقفت منذ وقت طويل، وآخر الزبائن على وشك مغادرة المشرب.

كان رئيس كريوس جالساً إلى الطاولة نفسها كما في المرة السابقة، ومحجراً عينيه العميقان في الظل، وكأس الشراب أمامه فارغة تقريباً. فُتح شقُّ في وجهه وهو يقول: "تهاني يا هاري".
حشر هاري نفسه بين المقعد والطاولة.

"إنّه عمل جيد حقاً. لكن، يجب أن تخبرني كيف اكتشفت أن سفن سيفرتسن لم يكن القاتل المتسلسل".

"رأيت صورة سيفرتسن في براغ، وتذكرت أنني قد رأيت صورة ويلهلم

وليزبيث في المكان نفسه. الأهم من هذا أن خبراء الطب الشرعي فحصوا بقايا البراز تحت...".

مال قائد الشرطة فوق الطاولة ووضع يده على ذراع هاري، وفاحت منه رائحة الشراب والتبغ.

"لا أعني البيّنة يا هاري، وإنما الفكرة؛ الشبهة، أي ما جعلك تربط الأدلة بالشخص المناسب. ما هي لحظة الإلهام؟ ما الذي جعلك تكوّن الفكرة؟".

هزّ هاري كتفيه قائلاً: "يفكّر الإنسان في شتى أنواع الأفكار طوال الوقت، لكنّها فجأة...".

"ماذا؟".

"تتلاءم جميعها معاً على نحو مناسب".

"ماذا تعني؟".

حكّ هاري ذقنه وأجاب: "ألم تكن تعرف أن دوق إيلنغتون اعتاد أن يطلب من متخصصي البيانو ألا يضبطوا مفاتيح البيانو الخاص به تماماً؟".

"لا".

"عندما تُضبط مفاتيح البيانو تماماً، لا تصدر منه أصوات جيدة. لا يكون هناك خطب ما، ولكنه يفقد بعض الدفء، والإحساس بالأصالة".

وكز هاري قطعة طلاء على الطاولة على وشك أن تنفصل عنها.

"منحنا القاتل المتسلسل شيفرة مثالية أخبرتنا عن المكان والزمان، ولكن ليس عن السبب. وبهذه الطريقة جعلنا نركز على الأفعال وليس على الدافع. يعرف كل صياد أنك إذا أردت أن ترى فريستك في الظلام، يجب ألا تركز عليها مباشرة، وإنما أن تنظر إلى ما يوجد قربها. عندما توقفت عن التحديق إلى الحقائق سمعت ذلك".

"سمعته؟".

"نعم، سمعت أن جرائم القتل المتسلسلة المزعومة تلك مثالية جداً. بدت واقعية، لكنها غير أصلية. فقد التزمت الجرائم بالصيغة حتى التفصيل الأخير، ومنحتنا تفسيراً يبدو معقولاً مثل أي كذبة، ولكنه ليس معقولاً مثل الحقيقة".

"وأنت عرفت هذا؟!".

"لا، لكنني لم أعد حسير البصر واتضح رؤيتي".

أوماً رئيس كريبوس وهو يحدّق نحو الأسفل؛ إلى كأس الشراب التي يديرها بين يديه على الطاولة، فيصدر عنها صوت مثل حجر الرحي في

المشرب الهادئ المهجور تقريباً.

تنحج قائلاً: "كنت مخطئاً بشأن توم والر يا هاري، وأعتذر".

لم يُجب هاري.

"ما أريد قوله لك هو إنني لم أوقع أوراق صرفك من الخدمة. أود منك أن تتابع عملي، وأريد أن تعرف أنك تحظى بثقتي؛ ثقتي الكاملة غير المنقوصة. وآمل يا هاري...".

رفع يده، وظهرت فتحة - نوعٌ من الابتسامة - في النصف الأدنى من وجهه وهو يتابع: "... أن أحظى بثقتك".

قال هاري: "يجب أن أفكر في هذا".

أغلقت الفتحة.

أضاف: "بشأن العمل".

ابتسم رئيس كريوس مجدداً، ووصلت ابتسامته هذه المرة إلى عينيه.

"طبعاً، دعني أشتري لك كأساً من الشراب يا هاري".

"أنا مدمن على الشراب".

فقد رئيس كريوس رباطة جأشه للحظة، ثم ضحك بصوت خافت

قائلاً: "أعتذر. هذا إهمال مني. لكن، هناك سؤال أخير يا هاري. هل...".

انتظر هاري في حين أكملت الكأس دورة أخرى على الطاولة.

"هل فكرت في الطريقة التي ستقدم بها هذه القضية؟".

"أقدم؟".

"نعم، في التقرير، وإلى الصحافة. سيوّدون أن يتكلموا معك، وسيضعون

السلك كله تحت العدسة المكبرة إذا خرج أمر تهريب السلاح الذي قام به

والر إلى العلن. لهذا السبب من الضروري ألا تقول...".

بحث هاري عن علبة لفائف تبغ، في حين بحث رئيس كريوس عن

الكلمات.

قال أخيراً: "... ألا تمنحهم قصة تترك مجالاً لإساءة التفسير".

مطّ هاري شفثيه بما يشبه الابتسامة، ونظر إلى آخر لفافة تبغ معه.

عقد رئيس كريوس عزمه، ثم تجرّع آخر جرعة من شرابه وجفّف

فمه بقفا يده.

"هل قال شيئاً؟".

رفع هاري أحد حاجبيه سائلاً: "هل تفكر في والر؟".

"نعم. هل قال شيئاً قبل أن يموت؟ أي شيء عن هوية شركائه؟ ومن

كان متورطاً أيضاً؟".

قرّر هاري أن يحتفظ بلفافة التبغ الأخيرة. "لا، لم يقل شيئاً؛ أي شيء".

"هذا مؤسف". نظر رئيس كريبوس إليه من دون أي انفعال. "وماذا عن تسجيلات الأفلام تلك؟ هل تكشف شيئاً من هذا النوع؟".

نظر هاري إلى عيني رئيس كريبوس الزرقاوين. وفقاً لما كان هاري يعرفه، عمل رئيس كريبوس في سلك الشرطة طوال حياته العملية. كان أنفه حاداً مثل نصل فأس، وفمه خطأً مستقيماً، ويداه كبيرتين وخشنتين، ويُعتبر جزءاً من أساس السلك؛ فهو غرانيت صلب وآمن.

أجاب هاري: "من يعرف؟ ليس هناك ما تقلق بشأنه على كل حال، نظراً إلى أنها في هذه الحالة ستكون قصة لا تترك مجالاً...". أزال هاري أخيراً القشرة الجافة من الطلاء. "... لإساءة التفسير".

بدأت الأضواء في المشرق تخفق؛ وكأنها تنتظر تلك الإشارة. نهض هاري، فنظرا إلى بعضهما.

سأل رئيس كريبوس: "هل تحتاج إلى من يقلّك؟".

هزّ هاري رأسه قائلاً: "سأخرج في نزهة".

صافح رئيس كريبوس هاري بقوة ومطولاً. كان هاري يمشي نحو الباب حين توقف واستدار إلى الخلف فجأة.

"بالمناسبة، قال والر شيئاً واحداً".

رفع رئيس كريبوس حاجبيه استغراباً، وقال بحذر: "حقاً! ماذا قال؟".

"لقد طلب الرحمة".

سلك هاري أقصر طريق؛ عبر المقبرة. كان المطر يتساقط من الأشجار، والقطرات تضرب الأوراق في الأسفل وكأنها تنهدات صغيرة، قبل أن تهبط إلى الأرض ويبتلعها التراب العطش. مشى على الدرب بين القبور، وسمع الموتي يتمتمون، فتوقف وأصغى. ظهرت قاعة دار عبادة غامل أكر أمامه؛ مظلمة وساكنة. مشى على الدرب الأيسر وخرج من البوابة نحو تلة تلتوس.

عندما وصل هاري إلى شقته، مزّق ثيابه ودخل الحمام، ثم فتح صنوبر الماء الساخن. تجمّع البخار على الجدران، فيما وقف هاري هناك حتى أصبح جلده أحمر. بعد ذلك، ذهب إلى غرفة نومه، والماء يتبخّر منه، واستلقى على السرير من دون أن يجفف جسده. أغمض عينيه وانتظر أن يأتي النوم، أو الصور؛ أيهما سيأتي أولاً؟

بدلاً من ذلك سمع تمتمة، وأصغى.

ما الذي كانوا يتهامون عنه؟ ما الخطط التي كانوا يضعونها؟ كانوا

يتكلمون بالشفيرة.

جلس، وأسند رأسه على الجدار، وشعر بنقش النجم الخماسي على قفا رأسه.

نظر إلى ساعته، وعرف أن الضوء سيبزغ قريباً في الخارج. نهض وذهب إلى الردهة. بحث في جيوب سترته حتى وجد لفافة تبغه الأخيرة، فأزال طرفها ثم أشعلها. جلس على الكرسي في غرفة المعيشة، وانتظر انبلاج الصباح. أثار ضوء القمر الغرفة.

فكّر في توم والر، وفي الرجل الذي تكلم معه في بلدة أوصلو القديمة بعد حديثه مع والر خارج المطعم على السطح في مقر قيادة الشرطة. كان العثور عليه سهلاً؛ لأنه احتفظ بلقبه وكان لا يزال يعمل في كشك الأسرة. كان الرجل خلف المنضدة الفخارية قد أجاب وهو يمرّ يده في شعره الدهني: "توم برون؟ نعم، أتذكره فعلاً، كان رجلاً مسكيناً. فقد كان يتعرض للضرب في المنزل من قبل والده؛ البناء العاطل عن العمل. هل كنتُ صديقه؟ لا، لم أكن صديق توم برون. نعم، كنت أنا من يدعى سولو". ضحك الرجل. "أبعد مكان وصلت إليه على متن القطار هو الساحل؛ جنوب أوصلو. لا تظن أن توم برون لديه أصدقاء كثر. أتذكره فتى لطيفاً، من نوع الفتيان الذين يساعدون السيدات العجائز في عبور الطريق؛ مثل فتى كشافه، لكنه كان غريب الأطوار. هناك شيء مريب في وفاة والده؛ أعني أنها حادثة غريبة جداً".

مرّ هاري إصبهه فوق سطح الطاولة، وشعر بجزيئات صغيرة تلتصق بجلده، وعرف أنها غبار أصفر من الإزميل. ومض الضوء الأحمر في جهاز الرد الآلي. إنهم الصحفيون كما افترض، وعرف أن الأمر سيبدأ هذا الصباح. وضع هاري طرف إصبهه على لسانه، وأحس بطعم مر؛ ملاط. تذكر أن مصدره الجدار فوق باب الغرفة 406 حيث نقش ويلهلم بارلي النجم الخماسي. تلمّظ هاري بلسانه، وأدرك أن المزيج الذي استخدمه البناء غريب؛ لأنه تذوق طعماً آخر؛ حلواً، لا، كريهاً؛ طعم بيض.